شرح الأصمعيات

اختيار

أبي سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي

المتوفى ٢١٦ هـ

شرحها وحققها

الدكتور سعدي ضناوي

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3904-5



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الشّارح

أولًا: أهمية شرح الشعر القديم:

لا شك في أن الشعر ابن الحياة وتعبير عنها. ولا شك في أن الشعر العربي القديم هو، بين آداب الدنيا، أشدّها تعلقاً بالبيئة، فيه برزت وتفتّحت معالِمها واستكنت خلال قرون.

إذا كان في الشعر الجاهلي ستة آلاف لفظة مُرتبط بالناقة، في حين لا يوجد في اللغات الأوروبية سوى لفظة أو لفظتين تدلان على هذا الحيوان، فإننا نفهم كيف غدا الشعر الجاهلي ديوان العرب القدماء وسجل حياتهم في أدق تفاصيلها.

والشعر الجاهلي لا ينتظم فقط معطيات البيئة الجغرافية وإنما يتجاوز ذلك إلى علاقات الناس وهمومهم ومشاكلهم ومعاناتهم، كما يدخل إلى عقولهم فيخرج منها أسلوب تفكيرهم وطموحاتهم وآمالهم. فالشعر الجاهلي، من هذه الناحية صادق غاية الصدق في عفويته وانفعاله.

وإذا كانت القصيدة الجاهلية تقوم على وحدة البيت الشعري. كما يقول البعض، مما يجعلها مفككة غير مترابطة الأجزاء، فنحن نزعم أن كل قصيدة قديمة، جاهلية كانت أو إسلامية، كانت مُرسلة، يبعث بها الشاعر بهدف معين يريد التعبير عنه شعرًا. وهو بالتالي يعمل على أن تكون مرسلة مقبولة، ممن توجه إليه، ومن أهل العصر الشاهدين، المانحين صك الإعجاب والتقدير، وهما من أبرز هموم الإنسان في الجاهلية.

ونحن لن نتوسع في هذا العرض لأنه بحث قائمٌ بذاته، وكانت لنا فيه جولات في مؤلّفات أخرى، إنما هدفنا الوصول إلى قناعة مفادها أن شرح الشعر يعود إلى حقبة زمنية بعيدة عن أيامنا لا يمكن أن يتم بإعطاء كلماته دلالاتها في أيامنا، وتفسير المشاعر بحسب ما نحسّ به في نفوسنا، وتصوير الأمور بحسب ما تستطيعه عقولنا

ونضيف إلى ذلك الحكم على العصر وأهله وحضارته بمعايير حضارتنا الحالية، إن في هذا كله شططًا كبيرًا.

لا بدَّ لفهم الشعر القديم من الموضوعية المطلقة تخرجنا من محيطنا الجغرافي والثقافي وتدخلنا بيئة الشاعر، نفهمها ونعي أبعادها ومعطياتها لتكون ضمن إطار سليم يهيّيء لنا الدخول إلى المعاني والدلالات. وكل ما نقوم به، غير ذلك لمحاولة فهم الشعر القديم هو عمل عبثي، وقد وقع في حبائله كل مَن حملوا على الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي وحكموا عليهما بالبدائية والخشونة والفظاظة، ثم اتخذوا موقفهم في رفض الإبداع الموجود في هذا الشعر.

ثانيًا: مقوّمات الشرح الحقيقي:

إن ما عرضناه أعلاه من ضرورة فهم طبيعة الحياة الجاهلية والصحراوية منها على الخصوص، ليس إلا مدخلًا إلى الشرح الحقيقي. إنما لهذا الشرح، كي ينجح مقوّمات نلخّصها فيما يلي:

١ ـ القناعة بأن القصيدة الجاهلية، وإن تعددت موضوعاتها، ليست عملًا مفككاً يمكن فيه التقديم والتأخير والتبديل. إن كل موضوع من الموضوعات المتعددة وحدة متكاملة ولها سياق يحدده الشاعر بحسب ظروفه، وبحسب الهدف الأخير من مرسلته.

٢ ـ إن الإقرار بوجود سياق في ذهن الشاعر يقتضي من الشارح إدراك هذا السياق ثم توظيفه في عملية الشرح بحيث يكون لكل كلمة دلالة تخدم مجمل البيت، ويكون لكل بيت دور في خدمة الموضوع الذي ينتمي إليه من موضوعات القصيدة.

وكل شرح لا يراعي هذه الناحية هو شرح ناقص ولا يساعد القارىء على الفهم.

٣ ـ إن للكلمة الواحدة في اللغة العربية دلالات تفوق التصوّر. والمتصفّح للموسوعات العربية كالقاموس ولسان العرب وتاج العروس وسواها، يجد للكلمة دلالات تستغرق صفحات، وأحيانًا عشرات الصفحات، وكثيرًا ما تأخذ مناحي متباعدة أو حتى متضادّة.

فضلًا عن ذلك، نجد للكلمة دلالات غريبة ونادرة الاستعمال. وقد نعرض عنها ونميل إلى الدلالة التي تقارب ما اعتدنا عليه للكلمة، ونحن نقول إن هذا شرك وقع

فيه معظم الشارحين لأنه، إذا وُجد في المعجم معنى غريب، وبعيد، للكلمة فهذا يعني أن هذا المعنى استخدم واستُعمل في الكلام القديم، ولا شيء قط يمنع أن تكون دلالة الكلمة التي نشرحها في اتجاه هذه الغرابة. والحكم الوحيد الذي يحدد الاختيار يجب ألا يكون مزاجنا وما يتقبله، وإنما تكامل معنى البيت ووظيفة هذا المعنى في السياق الذي يخدم هدف الشاعر أو مرسلته.

٤ ـ إن الشارحين للشعر القديم بذلوا، بلا شك، جهودًا جبارة في تقريب هذا الشعر إلى أذهاننا، لكنهم توقفوا عند كثير من الإشكالات التفسيرية، فلم يتعمقوا فيها ولم يستقضوها وتخلصوا منها بالدخول في تفاصيل لغوية أو نحوية تثيرها الكلمة أو الجملة العقدة، ولكن دون حل للعقدة.

وعلى خطى الشارحين القدامى، سار كثير من المحققين المحدثين للتراث القديم. وكأنهم كانوا يجلّونه عن أن يخوضوا فيه، فيستعيرون من الشارحين السابقين ما شرحوا، ويقفون حيث وقفوا ويتجاوزون حيث تجاوزوا. وبقيت بذلك ثغرات كثيرة في تقديم الشعر القديم إلى أذهان أناسنا. مع العلم أن الموسوعات العربية فيها من الإمكانات ما باستطاعته تذليل كل عقبة. إنما يحتاج ذلك إلى وعي عام للبيئة وللغة، ووقتاً طويلًا وسعياً دائباً في البحث والتنقيب والموازنة قبل الاختيار.

ثالثًا: خطتنا في الشرح:

نحن نلفت، قبل كل شيء إلى أننا لم ندخل في عمل تحقيقي. فالأصمعيات قد تم تحقيقها مرات متعددة، وكان بين يدينا ثلاثة تحقيقات: تحقيق دار المعارف الذي قام به الأستاذان الكبيران أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، وتحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع، وتحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي. ونحن لسنا بصدد تقييم هذه التحقيقات أو الحكم عليها، لكننا نشير إلى أننا اعتمدنا النص الذي قام بتحقيقه الدكتور طريفي. وإننا، في الشرح، حاولنا أن نفيد مما قدمه المحققون الثلاثة، وهو لا يبعد كثيرًا من واحد إلى آخر، لأنه، في معظمه، مقتبس عن شروحات سابقة. ومن الطبيعي ألا نحمّل المحقق مهمة الشرح، فعمل التحقيق، بحد ذاته، كاف في متاعبه. ولذلك فإن للشارح دورًا مهمًا بعد التحقيق.

أما خطتنا في الشرح فاعتمدت المبادىء التي عرضناها في هذه المقدمة. ونؤكد على:

١ ـ تسخير خبرتنا في دراسة الحضارة الجاهلية، وبحوثنا فيها، وشروحنا للعديد من دواوين شعرائها لتكون إطارًا أساسيًا لفهم القصيدة ثم شرحها.

٢ ـ عدم الاعتراف بأن هناك شرحًا «منزّلًا» أيًا كان من سبق وجاء به. فباب الاجتهاد مفتوح، وكذلك باب الخطأ. وقد وجدنا خطأ في كثير مما ذهب إليه الشارحون. لم نشر إلى ذلك ولم نعبه على أحد، إنما قدمنا مفهومنا واجتهادنا بصورة موضوعية.

٣ ـ لم نترك كلمة واحدة في بيت دون شرحها، حتى الكلمات التي تغافل عنها السابقون. وكنا نفهم غالبًا لماذا تغافلوا عنها حين يقتضينا البحث عن دلالة مناسبة لها ساعات طوالًا.

٤ ـ لم نذهب قطّ في اختيار دلالة الكلمة إلى ما يرسخ في ذهننا عن معانيها. بل كنا ننطلق من منطلقين: أولهما نقطة الصفر بالنسبة إلى الكلمة، أي من حيث لا ندري عنها شيئًا، وثانيهما توْظيف الدلالة المنتقاة في خدمة معنى البيت العام، هذا المعنى الذي يخدم بدوره ما أراد الشاعر قوله، بحسب تقديرنا.

٥ ـ كنا نعمد غالبًا، وكلما اقتضت الضرورة، إلى تقديم مفهوم لمضمون البيت بعد الانتهاء من شرح كلماته، هذا المضمون هو الذي يشكل ما أشرنا إليه من معنى يخدم مرسلة الشاعر.

لذا يمكننا، في النهاية، القولُ بأن الجهد الكبير الذي بذلناه في هذا الشرح، يقدم للتراث العربي، وللمرة الأولى، شرحًا للأصمعيات لا يغفل دلالة كلمة ولا يتجاوز عن معنى بيت من أبياتها، فضلًا عن ربط كثير من الدلالات بملامح مميزة في حياة الشعراء القدماء ونمط تفكيرهم وعاداتهم فعسى أن نكون بذلك قد قدمنا خدمة لتراثنا.

والله ولي التوفيق

طرابلس في ٢٠٠٢/١١/١٦

د. سعدي ضناوي

الأصمعي
(١٢٧ ـ ٢١٦ هـ)
(أبو سعيد)

١ ـ حياته:

هو عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مُظَهِّر بن عمرو بن عبد الله الباهلي...[١] يتصل نسبه بمضر فعدنان.

كان الأصمعي صاحب لغة ونحو، وإمامًا في الأخبار والنوادر والملح والغرائب.

روى عن شعبة بن الحجّاج والحمّارَين وسواهم؛ روى عنه ابن أخيه عبيد الله، وأبو عبيد القاسم بن سلّام، وأبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وسواهم[٢].

يصفه الذهبي بأنه «الإمام العلّامة، الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب... اللغوي الأخباري... أحد الأعلام...»

يُروى عن ثعلب: قيل للأصمعي: كيف حفظتَ ونَسُوا؟ قال: درستُ وتركوا. وعن عُمر بن شَبّة: سمعت الأصمعي يقول: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة (فما بالك بالقصائد؟). وعن ابن الأعرابي: شهدتُ الأصمعي وقد أنشد نحوًا من مائتي بيت، ما فيها بيت عرفناه. ويقول عنه: كتبَ شيئًا لا يُحصى عن العرب، وكان ذا حفظ وذكاء ولطف عبارة، فَسَادَ. وعن الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما عبّر أحد من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي.

وتصانيف الأصمعي ونوادره كثيرة. وأكثر تواليفه مختصرات... فُقد أكثرها[٣].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٥.　(٢) م.ن.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١٠/١٧٥.

يقول عنه ابن خلكان: كان صاحب لغة ونحو، وإمامًا في الأخبار والنوادر والملح والغرائب. ويروي عن إسحٰق الموصلي قوله: لم أر الأصمعي يدعي شيئًا من العلم فيكون أحد أعلم به منه.

وكان شديد الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة، فإذا سُئل عن شيء منهما قال: العرب تقول معنى هذا كذا...[(١)].

ويصفه السيوطي فيقول: أبو سعيد البصري اللغوي أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والنوادر. ويروي عن ابن معن قوله: لم يكن ممن يكذب، وكان أعلم الناس في فنه.

ويبدو أن الأصمعي تمتع بذاكرة كانت أعجوبة في عصره. يروى أن الحسن بن سهل، لما قدم العراق، جمع بين نخبة من أهل الأدب منهم الأصمعي وأبو عبيدة وابن بكير النحوي.

ويقول ابن بكير، واصفًا ما جرى في الاجتماع:

«ابتدأ الحسن فنظر في رقاع كانت بين يديه للناس في حاجاتهم، فوقّع عليها، وكانت خمسين رقعة... ثم أفضنا في ذكر الحفّاظ... فالتفت أبو عبيدة وقال: ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى؟ هٰهنا من يقول إنه ما قرأ كتابًا قط فاحتاج إلى أن يعود فيه، ولا دخل قلبه شيء وخرج عنه. فالتفت الأصمعي فقال: إنما يريدني بهذا القول، والأمر في ذلك على ما حكى، وأنا أقرّب إليك: قد نظر الأمير في خمسين رقعة، وأنا أعيد ما فيها وما وقَّعَ به على رقعة رقعة. فأُحضرت الرقاع. فقال الأصمعي: سأل صاحب الرقعة الأولى كذا، واسمه كذا، ووقّع له بكذا، والرقعة الثانية، والثالثة، حتى مرّ في نيّف وأربعين رقعة. فالتفت إليه نصر الجهضمي وقال: أيها الرجل، أبقِ على نفسك من العين. فكفّ الأصمعي»[(٢)].

٢ ـ مؤلفاته:

ذكر له ابن النديم من المؤلفات:

كتاب خلق الإنسان، كتاب الأجناس، كتاب الأنواء، كتاب الهمز، كتاب المقصور والممدود، كتاب الفرق، كتاب الصفات، كتاب الأثواب. كتاب الميسر

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/ ١٧٠.

(٢) ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ١٢١.

والقداح، كتاب خلق الفرس، كتاب الخيل، كتاب الإبل، كتاب الشاء، كتاب الأخبية والبيوت، كتاب الوحوش، كتاب الأوقات، كتاب فعل وأفعل، كتاب الأمثال، كتاب الأضداد، كتاب الألفاظ، كتاب السلاح، كتاب اللغات، كتاب الاشتقاق، كتاب النوادر، كتاب أصول الكلام، كتاب القلب والإبدال، كتاب جزيرة العرب، كتاب الدلو، كتاب الرحل، كتاب معاني الشعر، كتاب مصادر، كتاب القصائد الست، كتاب الأراجيز، كتاب النحلة، كتاب النبات والشجر، كتاب الخراج، كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، كتاب غريب الحديث، كتاب السرج واللجام، والشوى والنعال، كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي، كتاب نوادر الأعراب، كتاب مياه العرب، كتاب النسب، كتاب الأصوات، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب أسماء الخمر، كتاب ما تكلم به العرب فكثر في أفواه الناس[١].

٣ ـ الأصمعيات:

يشير ابن النديم إلى الأصمعيات، دون تسميتها، قائلًا: «وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب، ليست بالمرضيّة عند العلماء لقلة غربتها واختصار روايتها»[٢].

ويعلّق بروكلمن: «وقيل إن الأصمعيات لم تلق ما لقيته المفضليات وغيرها من الانتشار والقبول، لأنها أقل اشتمالًا على غريب العربية، ولأن الأصمعي عمد فيها إلى اختصار الرواية... والأصمعي، الأديب المشهور، الذي غالى المترجمون في الثناء عليه، كعادتهم، فزعموا أنه كان يروي، على روي كل حرف من حروف المعجم، مائة قصيدة، لم يجد إلا نخبة متواضعة من القصائد حين أراد جمع اختياراته! ومجموعة الأصمعي، المسماة بالأصمعيات، أول ما عُرفت، كانت في مخطوطات تشتمل عليها وعلى المفضليات، المسماة بالأصمعيات، والمحفوظة في مخطوط يوجد في ڤيينا، لا تشتمل إلا على ٧٢ قصيدة وقطعة، ومجموع أبياتها ١١٦٣ فقط، لكثرة ما بها من المقطوعات، وعدد شعرائها واحد وستون شاعرًا، لم يسمّ ثلاثة منهم، وبقي خمسة مجهولين لا تُعرف أسماؤهم من مصادر أخرى. وأكثر الباقين من شعراء الجاهلية، فليس إلا أربعة عشر شاعرًا من المخضرمين والإسْلاميين»[٣].

---

(١) الفهرست، ص ٥٥.
(٢) الفهرست، ص ٥٦.
(٣) بروكلمن كارل، تاريخ الأدب العربي ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر ١/ ٧٤.

ويبدو أن الأصمعيات، أول ما عُرفت كانت في مخطوطات تشتمل عليها وعلى المفضليات، منها مخطوطة ڤيينا. وقد شرحها ابن الأنباري، والمرزوقي، والتبريزي. ولعل هذه المشاركة في أساس التداخل الحاصل لبعض القصائد والمقطوعات بين المفضليات والأصمعيات، وفي أساس اختلاف عدد قصائد الأصمعيات من تحقيق إلى آخر.

وقد فصّل الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، في مقدمة كتابهما، «الأصمعيات» الفروق بين الشروح المختلفة والطبعات المتعددة، واختارا منها جميعها المجموعة المتداولة حاليًا، والبالغ عدد مقطوعاتها اثنتين وتسعين مقطوعة. وكان نشر الطبعة الأولى منها عام ١٩٥٥[١].

(١) شاكر أحمد محمد وهارون عبد السلام، الأصمعيات: دار المعارف بمصر. ص ٦ وما بعدها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمدٍ وآلهِ وصحْبهِ وسلّم
وهذه بقيّةُ الأصمعياتِ التي أُخِلّت بها المفضليات

١ ـ مفاخر سُحَيم

سُحيم بن وثيل الرياشي(١)

أولاً: الإطار

كان الأُبيرد الشاعر وابن عمّه الأخوص من بني رياح قبيلة سُحيم. وكانا شابين يعتزّان بقوتهما، ويسخران من سحيم ويعرّضان بكهولته.

---

(١) هو سُحَيم بن وَثيل بن أُعيقر بن أبي عمرو بن إهاب بن حِمْيَريّ... ويتصل نسبه بـ الياس بن مضر. عاش سحيم في الجاهلية أربعين عامًا، وفي الإسلام ستين، فعُمّر مائة عام.

وكان سُحيم كريمًا، شديد الإباء. وشُهِرَ بمنافسته غالب بن صعصعة، والد الفرزدق، في النحر لجيران أصابتهم مجاعة، إذ نحر لهم غالب ناقة فنحر سحيم واحدة. فنحر غالب ناقتين، فنحر سحيم اثنتين. ثم عقر غالب عشرًا فعقر سحيم عشرًا. «فلما بلغ غالبًا فعلُه ضحك، وكانت إبله ترد لخمس، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها. فأمسك سحيم». (الأغاني ٢١/ ٣٠٧).

نبذة: عرف العرب هذه المنافسة اللامحدودة في العطاء، وفي العقر بشكل خاص. فيذكر الأصفهاني أن مرة بن محكان السعدي وابن عمّه عرادة تفاخرا في المنحر إذ اشترى عرادة غنمًا له، فأنهبها، وكانت مائة شاة، فاشترى مرة مائة من الإبل فأفر بعضها وأنهب باقيها؛ فتجاوز عرادة.

والظاهرة لها شبيه عند بعض الشعوب البدائية في ما يُسمى بالبوتلاتش Potlatch، وهي مباراة في العطاء عند القبائل الهند أميركية، يقوم فيها رؤساء العشائر بإتلاف أشياء ثمينة، أو بتقديم هبات إلى الخصم يقبلها مجبرًا، ويعطي هبات أكثر. ومن يصمد في الآخر يكون الفائز وينتزع من خصمه شعارات توتمية ترفعه عاليًا في الاعتبار الاجتماعي. انظر Dictionnaire MARABOUT La Sociologie Tomea.

جاء رجلٌ الأُبيردَ الرياحي وابن عمه الأخوص يطلب منهما قَطِرانًا لإبله، فقالا له: إن أنت بلّغت سُحيم بن وَثيل الرياحي هذا الشعر، أعطيناك قَطِرانًا:

فـإنّ بُـداهـتـي، وجِـراءَ حَـولـي لَذو شِقٍّ على الحَطِمِ الحَرونِ[١]

فلما أتاه وأنشده الشعر، أخذ عصاه وانحدر في الوادي، وجعل يُقبِل فيه ويُدبر، ويُهمهِمُ في الشعر، ثم قال: اذهب فقل لهما:

فـإنّ عُـلالـتـي، وجِـراءَ حَـولـي، لـذو شِقٍّ على الضَّرَعِ الظَّنونِ[٢]

أنـا ابـنُ الـغُـرِّ، مـن سَـلَفي رِيـاحٍ كنَصْلِ السَّيف، وَضّاحُ الجبينِ[٣]

أنـا ابـنُ جـلا، وطَـلّاعُ الـثـنـايـا متى أَضَعِ العِمامةَ تعرفوني[٤]

---

(١) البُداهة: أول جري الفرس. وكنّى بها الشاعر عن شبابه وهي الانطلاقة الأولى في شوط الحياة. الجِراء: الجري. الحَوْل: الحيلة والقوة والحذق والقدرة على دقة التصرف، وقد رمز بذلك إلى قوته وحيويته. الشِّق: المشقة. الحَطِم: الفرس، إذا تهدّم لطول عمره وأسنّ فضعف: كنّى بذلك عن كهولة سحيم، (وهو ما سيردّ عليه سحيم في المقطوعة). الحرون: الذي يمتنع عن الحركة ولا ينقاد.
والبيت هو فخر للأبيرد بشبابه وقوته وإزراء بكهولة سحيم وما آل إليه من هُزال وضعف، ما يجعله لا يستطيع مجاراة الشباب إلا بمشقة.

(٢) العُلالة: الجري الذي يلي البُداهة. وهذا اعتراف من سحيم بأنه غدا في المرحلة الثانية من شوط الحياة (وهو يفخر بذلك). الضَّرع: الصغير في كل شيء، وهذا تعريض بشباب الأبيرد. الظَّنون: غير المؤكد، وغير المضمون، الذي لا يوثق به. فسحيم متمرس في الجري، والأبيرد مبتدىء.

(٣) الغُرّ: جمع أغرّ، وهو البارز المشهور. كنصل السيف: كناية عن البياض والتألق. وضّاح الجبين: أبيض الوجه مشرقه، كناية عن الشهرة والبروز. (الأغاني ١٣/ ١٣٣).

(٤) هذا البيت الثالث (أنا ابن جلا...) هو الذي يبدأ المقطوعة المختارة في الأصمعيات. وكان الحجاج بن يوسف الثقفي قد استهلّ به خطبته المشهورة، المتفجرة تهديدًا ووعيدًا لأهل الكوفة، حين قدم العراق واليًا عليها، واتبعه بقوله: أما والله لأحمل الشرَّ محملَه... وإني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها...» (انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤/ ٣٣). وكان اختيار الحجاج موفقًا لدرجة أن البيت بدأ كأنه من بنية الخطية، وأن كثيرين ظنوه للحجاج نفسه.

ثانيًا: مقطوعة سُحيم

قالَ سُحَيْمُ بنُ وَثِيلٍ الرِّياحيّ أَحَدُ بني حِمْيَرِيٍّ: [من الوافر]

١ ـ أَنــا ابــنُ جَـلا وطَـلَّاعُ الـثَّـنـايـا   مـتَـى أَضَـعِ الـعِـمـامـةَ تَـعْـرِفُـونـي

قال الأَصمعيُّ: حَدَّثنا رجلٌ من بني رِياحٍ، قال: جاءَ رجلٌ إلى الأَخوصِ والأُبَيْرِدِ، وهُما مِنْ وَلدِ عَتّاب بن هَرْميٍّ، يطلبُ هِناءً، فقالا: إن بَلَّغتَ عنّا سُحَيْمَ بنَ وَثِيل وأَتيتَنا بجوابِه؟ قالَ: نَعَمْ، هاتِياه. فأَنشداهُ: [من الوافر]

إنَّ بُـدَاهَـتـي وجـرَاءَ حَـوْلـي   لَذُو شِقٍّ على الحَطِمِ الحَرُونِ

فلمَّا أنشدَهُ إيَّاه، أَخذَ عصاهُ، وجعلَ يهدِج في الوادي، ويقول:

* أَنـا ابـنُ جـلا وطـلاعُ الـثَّـنـايـا *

يُقالُ للنَّافِذِ في الأُمور: «طَلَّاعُ الثنايا» و«طَلَّاعُ أَنجُدٍ».

جَلا: بارزٌ منكشفٌ.

٢ ـ وإنَّ مـكـانَـنـا مِـنْ حِـمْـيَـرِيٍّ   مـكـانُ الـلَّيْـثِ مِـنْ وَسَـطِ الـعَـرِيـنِ

حَميريُّ بنُ رياح بن يربوع.

٣ ـ وإنِّـي لا يَـعُـودُ إلـيَّ قِـرْنـي   غَـداةَ الـغِـبِّ إلَّا فـي قَـرِيـنِ

---

١ ـ جلا: الجلاد وهو الانكشاف والظهور والوضوح. وابن جلا: البارز الشهير. وفيها معنى الإقدام والجرأة لأن الفارس الجريء يظهر دائمًا في مقدمة المقاتلين فيما الخائف أو الجبان يتأخر فلا يُرى. الثنايا: جمع ثَنِيَّة وهي الطريق الضيّق في الجبل. والعرب تفخر بصعود المرتفعات لما يحتاجه من قوة وجلد، وهم الذين أَلِفوا الأراضي السهلة المنبسطة. وضع: أنزلَ، ووضع العمامة، رفعها عن رأسه وكشف وجهه. فهو الفارس الجريء المتقدم في المعارك، الجلود القوي القادر على ارتقاء الجبال، المتعمم دائمًا للحرب.

٢ ـ حميريّ: فرع كبير من رياح بن يربوع. مكان الليث من وسط العرين: هو المكان الرئيس، فالليث هو حامي العرين، حوله يلتفّ الأشبال، وبه تحتمي اللبوة. فسحيم ينتمي إلى فرع حميريّ ويحتل فيه المكانة المحورية.

٣ ـ القِرن: المثيل، وهو هنا المقابل في المنازلة والقتال. والقرين (الثانية): المصاحب. الغب: المرة بعد المرة. فإذا كان للقتال تابع ولم ينته في اليوم الأول، لم يعد نظيره إليه في المرة التالية، وفي اليوم التالي، وحده، بل يستعين بمقاتل آخر بصحبه.

الغِبُّ: أَنْ تشربَ الإبلُ يومًا، ثم تترك يومًا. وهو هنا معاودةُ قِرنه إليه في اليوم الثاني. أي: إذا قاومني يومًا، وعاودني من الغَدِ.

٤ ـ بِـذِي لِبَـدٍ يَـصُـدُّ الـرَّكـبُ عَـنْـهُ وَلا تُـؤتَـى فَـرِيـسَـتُـهُ لِحِـيـنِ

أَي: إذا افترسَ شيئًا، لم يَتْبعه أحدٌ إلى موضعِ فريستِهِ، إلَّا بعدَ حين.

٥ ـ عَـذَرْتُ الـبُـزْلَ إذ هِـيَ خـاطَـرَتْـنِـي فَـمـا بـالـي وبـالُ ابْـنَـيْ لَبُـونِ

٦ ـ ومـاذا يَـدَّرِي الـشُّـعَـراءُ مِـنِّـي وقَـدْ جـاوَزْتُ رَأْسَ الأَرْبَـعـيـنِ

يَدَّري: يَخْتِلُ، والادِّراءُ: الخَتْلُ. أي: قد كَبِرْتُ وتَحَنَّكْتُ.

٧ ـ أَخُـو خَـمْـسِـنَ مُـجْـتَـمِـعًـا أَشُـدِّي ونَـجَّـذنـي مُـداوَرَةُ الـشُّـؤونِ

---

٤ ـ لِبَد: جمع لِبْدَة وهي الشعر المتراكب بين كتفي الأسد، وهو يزيد من هيبة الأسد إذا ازدادت غزارته. وقد استخدم صيغة الجمع «لِبَد» ليكني عن هذه الغزارة. يصد: يتنحّى ويتحاشى؛ فالجماعة المسافرون يتحاشون المرور قرب عرين أسد معروف بالسطوة والشراسة. لا تؤتى فريسته: المعروف أن الأسد يتناول من فريسته شبعته ثم يتركها لسواه من السباع الأضعف منه. وهذا الأسد، لشدة شراسته وهيبته، لا تجرؤ السباع على الدنو من بقايا فريسته إلا بعد مرور وقت كافٍ ليكون قد ابتعد عنها وهدأ.
فالقرين العائد في اليوم التالي لا يصطحب مقاتلًا عاديًا، وإنما مقاتلًا شرسًا معروفًا بالقوة والسطوة، يستعين به على سحيم.

٥ ـ البزل: جمع بازل وهو البعير يظهر نابه فيكون عمره ثماني سنوات أو تسعًا صفة للذكر والأنثى، تجمع الذكور على بُزْل والإناث على بوازل وبُزُل. وقد قالوا: رجل بازل، هو التشبيه بالبعير، وربما يعنون به كماله في عقله وتجربته. خاطرتني: يقال: أخطره: صار نظيره، أو مثله في الخَطَر أي ارتفاع القدر والمال والشرف. والمقصود: بارزتني في ارتفاع القدر والكمال. ابن اللبون: ولد الناقة إذا بلغ الثانية من العمر، فهو أشبه بالرضيع لم يشتد عوده. والشاعر هنا يلمّح إلى الأبيرد والأخوص.
إنه يعذر البالغين شديدي العود، الكاملي العقل إذا بارزوه ونافسوه، إنما يستغرب أن يفعل ذلك رضيعان ضعيفان غير مكتملين.

٦ و٧ ـ ادّرى: ختل أو أخذ بالختل. مجتمع الأشد: متماسك في غاية القوة. تجّذني: حنّكني وجعلني متمرسًا، مجربًا. مداورة الشؤون: التعامل مع الأمور وتقليبها، ومعالجتها.
أنا الآن جاوزت الأربعين وقاربت الخمسين، وهي سنين أمضيتها في تقليب الأمور=

نجّذَني: حنّكني وعَرّفني الأشياءَ. مُنَجَّذٌ: مُحَنَّكٌ. مداورةٌ: معالجةٌ. الشؤونُ: الأُمورُ.

٨ ـ فإنَّ عُلالَتِي وجِراءَ حَوْلِي ... لَذُو شِقٍّ على الضَّرَعِ الظَّنُونِ

العُلالَةُ: [بقية جري الفرس]. يقول: الذي بَقِيَ منّي على الكِبَرِ جَرْيٌ شديدٌ. الضَّرَعِ: الصَّغير السّنّ. الظَّنُون: الذي لا يُوثَقُ بما عنده.

٩ ـ سَأَحْيَى ما حَيِيتُ وإنَّ ظَهرِي ... لَمُسْتَنِدٌ إلى نَضَدٍ أَمِينِ

١٠ ـ كريمُ الخالِ من سَلَفَيْ رِيَاحٍ ... كنَصْلِ السَّيْفِ وَضَّاحُ الجَبِينِ

١١ ـ فإنَّ قَنَاتَنا مَشِظٌ شَظَاها ... شَديدٌ مَدُّها عُنُقَ القَرِينِ

يُقالُ: «مَسِسْتُ شيئًا فَمَشِظَتْ يدي»، وهو أَنْ تَمسَّ جذعًا فيَعْلَقَ في يدك شيءٌ مِنْ شَظاهُ.

= ومعالجتها، مكتسبًا خبرة وتمرسًا، كما اعتدت استخدام إمكاناتي وتدريبها حتى غدت في غاية القوة والتماسك، فمن أين يستطيع الشعراء أن يأتوني، غفلة أو ختلًا، لينافسوني وينالوا مني؟

٨ ـ في هذا البيت وضع للنقاط على الحروف في رد صريح وحرفي على تحدي الأبيرد. فإذا كان جري الأبيرد هو البُداهة، والبداهة أول الجري، أي الجري المندفع، اللاواعي، والمتهور، فإن جري سحيم هو الكلالة التي تأتي بعد البداهة في جري منتظم، مستمر وثابت. وهذا ما يصعب على الحدث، الصغير السن، غير المكتمل عقلًا وقوة، الذي لم يثبت بعد في التجربة، ولذا لا يوثق به.

٩ ـ النَّضد: المتاع المرتب بعضه فوق بعض. الأمين: الثابت لا يخون أي يهوي. وهذا المتاع المرتب، المتعالي بثبات كناية عن آباء الشاعر وهم من الصفوة.

١٠ ـ كريم الخال: آباء والدته من الكرام. فهو، بعد اطمئنانه إلى نسب والده في بني رياح، يتوجه إلى الفخر بنسب أخواله، وبذلك يكون «كريم الجدّين» ـ ثم يلتفت إلى نفسه ليفخر ببروزه وشهرته، والتماعه، كنصل السيف.

١١ ـ القناة: الرمح. الشظا: ما تناثر من الشيء والجذع بشكل خاص. مشظت يدي «هو أن تمسَّ جذعًا فيعلق في يدك شيء من شظاه، والمقصود أن رمحنا لا يَدخُل جسدًا إلا خرج وعليه أجزاء منه، وقد ترك فيه شظاه. مدها عنق القرين: العدو الذي نأسره ونضع الرمح في عنقه، يمد عنقه أقصى المدّ هربًا من أذى السنان.

وكل هذا كناية عن قوته ومنعته وشدة بأس قومه، فرماحهم إما تطعن وتترك شظاها في الأجساد، وإما تأسر وتوضع في الرقاب فتمُدُّ الأعناق.

٢ ـ ومن يلقَ يومًا جِدَّةَ الحُبِّ يُخلِقِ
خُفاف بن نَدبَة[(١)]

أولاً: الإطار

هي قصيدة تقليدية التركيب، تلتزم هيكل القصيدة الجاهلية. وهي إن خلت من الوقوف على الأطلال، لم تخل عن ذكر المحبوبة. هذه المحبوبة لم تكن سلبية يسعى إليها بوسائل التذكر من طلل ونؤي وأثاف وما إلى ذلك، بل كانت إيجابية إذ وافته بطيفها واجتاز المسافات واخترق الأبواب المغلقة، وذكّره بلقائهما السريع، فاستعاد صورتها أثناء الحج، ولها راح يقدم الأعذار عن تجاوزه الشباب إلى عمر آخر، وكان عليه أن يذكر مآثره الماضية، وغزواته وأسلابه على فرس مميز، «مربى الدلال» عتيق؛ على هذا الفرس كان يجتاز القفار، وهي مرتع للسباع وللطيور الكاسرة. ثم يفيق من ذكرياته على صوت الرعد ولمعان البرق، ويروح يرقب المطر يهطل ويهطل حتى يشكل سيولًا تتدفق من المرتفعات لتصطفق وتضطرب في المنخفضات، تطفو عليها الضباب، وتجبر الذئاب على الخروج من أوكارها.

ثانيًا: قصيدة خُفاف

وقال خُفَافُ بنُ نُدْبَةَ: [من الطويل]

١ ـ أَلا طَرَقَتْ أَسماءُ في غيرِ مَطْرَقِ   وأَنَّى إذا حَلَّتْ بِنَجْرانَ نَلْتَقِي

---

(١) هو خُناف بن عُمير بن الحارث بن الشَّريد بن رياح بن يقظة بن عُصَيّة ...بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. ونَدبة أمه، وهي أمة سوداء. وكان خناف أسود أيضًا (من أغربة العرب). وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانهم. وجعله ابن سلّام في الطبقة الخامسة من الفرسان، مع مالك بن نويرة، ومع ابني عمه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد (أخوي الخنساء) ومالك بن حِمار الشَّمخيّ، (الأغاني ١٨/٢٢). كنيته أبو خراشة. أسلم فشارك في الفتوحات وكان إليه لواء بني سليم، وأدرك خلافة عمر.

١ ـ طرقت: وفدت ليلًا. أسماء: المحبوبة. في غير مُطرَق: في وقت لا يُتوقّع فيه حضورها. نجران: بلدة بين الحجاز اليمن، كان فيها صرح للمسيحيين أطلق عليه «كعبة نجران». حلّت بنجران: نزلت فيها.

=

٢ ـ سَرَتْ كلَّ وادٍ دونَ رَهْوةَ دَافِعٍ وجِلذَانَ أَو كَرْمٍ بِلِيَّةَ مُحْدِقِ

٣ ـ تَجَاوزتِ الأعراضَ حتَّى تَوَسَّنَتْ وِسَادِي بِبابٍ دُونَ جِلذانَ مُغْلَقِ

٤ ـ بِغُرِّ الثَّنايا خَيَّفَ الظَّلْمُ نَبْتَه وسُنَّةِ رِئمٍ بالجُنَيْنَةِ مُونقِ

٥ ـ ولَمْ أرَهَا إلا تَعِلَّةَ ساعةٍ على ساجِرٍ أو نظرةً بالمُشَرَّقِ

٦ ـ وحيثُ الجَميعُ الحابسُونَ بِراكِسٍ وكانَ المِحَاقُ مَوْعِدًا للتَّفَرُّقِ

= جاءته أسماء ليلًا، في وقت لا يتوقع فيه مجيئها، فكيف يمكن أن يلتقي وإياها إذا كانت تنزل بنجران فيما هو موجود في جلذان؟

٢ ـ سرت: سارت ليلًا، وسرت كل واد: اجتازت الوادي في الليل. دون رهون: بجانب جبل رهوة. دافع: صفة للوادي: تندفع فيه مياه السيول. جلذان ورهوة: كلاهما في الطائف، ومثلهما «لِيّة». وكرم بلية محدق: الأرض المنبسطة المحيطة بِلِيّة.
سارت ليلًا تجتاز السهول والوديان.

٣ ـ الأعراض: جوانب الوديان، أو الوديان نفسها إذا كان فيها شجر، وهي تمثل الحواجز والعوائق التي تعترض الطريق إليه. توسنت: عَلَت، وبمعنى تسنمت. وسادي: مِخدقِ. بباب: يقصد من خلال باب. دون جلذان: قرب جلذان.
هي إذن تجاوزت جميع العوائق وتسللت إليه، وهو قريب من جلذان، عبر باب مغلق، لتعتلي مخدته وتستقر بجانبه.

٤ ـ الثنايا: أسنان مقدم الفم. الغر: البيضاء، وغرّ الثنايا هو الفم الأبيض والأسنان. خيَّف: تَخلل. الظَّلْم: ماء الفم، ورضابه. ونبت الفم: كناية عن الظبي المدجّن المربّى داخل البيوت، المتميز بالوداعة والأُنس والدلال. مونق: مُعجب.
أصبحت أسماء بجانبه، بفمها العذب يتخلل الرضاب أسنانه الناصعة البياض، وبغنج ودلال يبديهما الظبي الغرير الذي رُبي داخل القصور.
فلما أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه وانحدر في الوادي، وجعل يُقبل فيه ويُدبر.

٥ ـ تعلة ساعة: ما يمكن أن يشغل ساعة من الزمن. ساجر: اسم ماء يجتمع من السيل. المشرَّق: سوق في الطائف.
لم يرها إلا من خلال نظر سنحت له في سوق المشرّق، وإلا ساعة أمضاها وإياها عند ماء ساجر.

٦ ـ راكس: واد. الحابسون: المتهيئون للرحيل وقد منعوا إبلهم من الانطلاق بانتظار إشارة المسير، أو بانتظار حلول وقته. المحاق: في التقويم القمري: اليوم الأخير من الشهر حين لا يظهر القمر مطلقًا.
كان الرحيل قد قُرر في راكس، وكان الجميع متهيئين، منتظرين موعد الانطلاق. والموعد كان ليلة المحاق، هناك سنحت له نظرة إليها، وكان بعدها الفراق.

٧ - بِـوَجٍّ ومَـا بَـالِي بِـوَجٍّ وبـالُهـا ... ومَـنْ يَـلْقَ يَـومًا جِـدَّةَ الـحُـبِّ يُـخْلِقِ

٨ - وأَبـدَى شُـهـورُ الـحـجِّ مِـنْـها مَـحاسِـنًا ... ووجـهًا مَتَى يَحْلِلْ لَه الطِّيبُ يُشرِقِ

٩ - فـإمَّـا تَـرَيْـنِـي أَقـصـرَ الـيـومَ بَـاطِـلي ... ولاحَ بـيـاضُ الـشَّـيْـبِ في كـلِّ مَـفْـرِقِ

١٠ - وَزايَـلَـنِـي رَيْـقُ الـشَّـبـابِ وظِـلُّهُ ... وبُـدِّلْتُ مِـنـهُ سَـحْـقَ آخَـرَ مُـخْـلِقِ

١١ - فَـعَـثْـرَةِ مَـولًـى قَـدْ نَـعَـشْتُ وأُسْـرَةٍ ... كِـرامٍ وأَبـطـالٍ لَدَى كُـلِّ مَـأْزِقِ

١٢ - وحِـرَّةِ صـادٍ قَـدْ نَـضَـحْـتُ بِـشُـرْبَـةٍ ... وقَـدْ ذُمَّ قَـبْـلـي لَـيْـلُ آخَـرَ مُـطْـرِقِ

---

٧ - وجّ: اسم واد في الطائف. وما بالي وبالها: وما كان حالي وحالها! كانا في حالة من الوجد يصعب وصفها: إنها شدة الحب أو جدته. يُخلق: يبلى، يتلاشى.
كنا بِوَجّ قد تمتعنا بجدة الحب وأوجه، إنما «إذا تَمّ شيء بدا نقصُه...» وكذلك «كل جديدٍ صائر لخلوق».

٨ - الشهور: الظهور، والبروز، وشهور الحج: ما يبرزه أو يكشفه ثوب الإحرام. متى يحلل الطيب: أي يصبح التطيب مسموحًا به. وذلك عندما تنتهي إجراءات الحج إذ يحرّم الطيب طالما هي قائمة.
عند ارتدائها ثوب الإحرام برزت محاسن منها، وبدا وجهها مشرقًا لا ينقصه إلا التطيب، وسيتم ذلك عندما ينتهي الحج.

٩ - أقصر: تراجع وتقاعس. باطلي: ما كنت عليه من طيش وتهوّر. المفرق: خط الشعر في الرأس، وكثيرًا ما يُستعمل في صيغة الجمع، من هنا التعبير: كل مفرق.
إذا وجدتني اليوم أتراجع عما كنت عليه من طيش، ووجدتِ الشيب يغزو كل شعري.

١٠ - زايلني: فارقني. رَيْق الشباب: أوله، والريق، أيضًا: المُعجِب. ظله: ما يرافقه من حيوية تؤمن لصاحبه الإعجاب به. السّحق: الثوب القديم المهلهل. مُخلق: رث، بالٍ.
إذا وجدتني اليوم وقد فارقني دفق الشباب المُعجب، وألبست بدلًا عنه ثوبًا آخر، مهلهلًا قديمًا رثًا.

١١ - فعثرة مولى: رب عثرة مولى. العثرة: الزلة، التصرف الخاطىء، الوقوع في مصيبةٍ. نعشتُ: رفعتُ، أي رب قريب رفعته من زلته. أسرةٍ كرام: أي رب أسرة، كريمة عثرت كذلك فأعنتها على الارتفاع والوقوف. مأزق: موقف حرجٌ، صعب، أي رب أبطال كانوا في مواقف صعبة ساعدتهم وخلصتهم.

١٢ - الحِرة: شدة العطش وناره. الصادي: العطشان عطشًا شديدًا. نضحه: رشَّ عليه الماء، سقاه. المطرق: الذي يميل برأسه إلى الأمام لكي لا يَرى. وفي الجملة إبدال والمقصود ذُمّ آخرُ قبلي مطرقٌ بليل. والمطرق هنا الذي يصم أذنيه (يشيح بوجهه) عن التنصت في الليل لسماع صوت مستغيث، كي لا يهب لنجدته. قبلي: غيري.

١٣ ـ ونَهْبٍ كجُمّاعِ الثُرَيّا حَوَيْتُهُ غِشاشًا بِمُحْتاتِ القوائِمِ خَيْفَقِ
١٤ ـ وَمَعْشُوقَةٍ طَلَّقتُها بِمُرِشَّةٍ لَها سَنَنٌ كالأَتْحمِيِّ المُخرَّقِ
١٥ ـ فَباتَتْ سَلِيبًا مِنْ أُناسٍ تُحِبُّهُمْ كَئِيبًا ولَوْلا طعنتِي لَمْ تُطَلَّقِ
١٦ ـ وخَيلٍ تَعادَى لا هَوادَةَ بَيْنَها شَهِدتُ بِمَدْلُوكِ المَعاقمِ مُحْنِقِ
١٧ ـ طَويلٍ عُظامٍ غَيرِ خافٍ نَمَى بهِ سَليمُ الشَّظا في مُكْرَباتِ المُطَبَّقِ
١٨ ـ بَصيرٍ بأَطرافِ الحِدابِ مُقلِّصٍ نَبيلٍ يُساوَى بالطِّرافِ المُرَوَّقِ

أنا أجد العطشان فأسعفه بشربة، وأتنبّه في الليل لأستمع إلى صوت مستغيث أنجده، بينما غيري يُطرق ويغفل فيمضي ليله مذمومًا.

١٣ ـ نهب: سلب، أي ما يغنمه الغازي أو الفارس في القتال. جمّاع الثريا: نجومها المجتمعة وهي ترمز إلى الكثرة في عالم السماء. حويته: استوليت عليه. غشاشًا: بسرعة. المحتات: السريع. الخيفق: الخفيف السريع. وكم من سلب كبير استوليت عليه على عجل وأنا على ظهر جواد خفيف الحركة، سريع القوائم.

١٤ ـ ومعشوقةٍ: رُب امرأة جميلة جديرة بأن تُعشق. طَلَّقتُها: فرقت بينها وبين زوجها (بقتله). المرشة: الطعنة الواسعة العميقة ترش الدم. السَّنن: الدم يخرج من الطعنة بحموته، متدفقًا بغزارة. الأتحمي: برد أحمر اللون. المُخَرّق: فيه ثقوب كبيرة.
ورب امرأة جميلة فرّقتُ بينها وبين زوجها حين طعنته طعنة واسعة عميقة، رشت الدم، ثم أخرجته مندفقًا يغطي جسده بشبه برد أحمر فيه خروق (لأن الدم لا يغطي تغطية كاملة، بل تبقى بقع منكشفة كأنها الخروق).

١٥ ـ سليبًا: منفصلةً، مبعدة قسرًا.

١٦ ـ تعادى: تتعادى، تتنافس في العدو لسباق أو لقتال. الهوادة: الترفق والتأني. شهدتُ: بمعنى شاركت (شهدت المعركة: شاركت فيها). مدلوك: مصقول، متمرس، متمرن. مدلوك المعاقم: مفاصله لينة، قوية، صقلها المران والتمرّس بالركض. محنق: فرس ضامر، وذلك أدعى لخفته وسرعته.
في سباق عنيف، لا ترفق فيه ولا لين، شاركت بفرس ضامر، ليّن المفاصل، متمرس بالسرعة والركض.

١٧ ـ عُظام: عالي الظهر، ضخم. غير خاف: بارزٌ بين الخيل. غابه: رفعه (قدرًا) وميّزه. الشظا: العظم المتحرك بالركبة؛ وسلامة هذا العظم في أساس قدرته على الحركة المطلوبة. المطبّق: المفصل تتلاقى عنده العظام متطابقة. الوثيقات، الشديدات: وهي عظام المفصل.
فرسه الذي شارك به في التحدي عالٍ، ضخم، يبرز بين الخيل ولا يختفي، يساعده ويدعمه قوة مفاصله، ومطابقة عظامها، وسلامة شظاها.

١٨ ـ بصير: عارف وخبير. الحِداب: جمع الحَدَبة: ما ارتفع من الأرض. المقلّص: الطويل=

١٩ ـ إذا ما استَحَمَّتْ أَرضُهُ مِنْ سمائِه ... جَرى وهوَ مَوْدُوعٌ وواعِدُ مَصْدِقِ

٢٠ ـ ومَدَّ الشِّمالَ طَعْنُهُ في عِنانِه ... وباعَ كَبَوْعِ الشَّادِنِ المُتَطَلِّقِ

٢١ ـ من الكاتماتِ الرَّبْوَ تَمْزَعُ مُقْدِمًا ... سَبُوقًا إلى الغاياتِ غيرَ مُسَبَّقِ

٢٢ ـ وَعَتْهُ جَوادٌ لا يباعُ جَنِينُها ... بِمَنْسُوبةٍ أعراقُه غيرِ مُحْمِقِ

= القوائم. نبيل: حَسَن الخَلق، أصيل. الطِراف: البيت من الجلد، وهو يتميز من بيت الشعر الذي يسكنه الفقراء. المُروّق: الذي له رِواق، والرواق: سترة مقدّم البيت من أعلاه إلى الأرض (وكفاؤه سترة أعلاه إلى أسفله من مؤخره). والبيت، إذا كان ضخمًا جُعل له رِواق وكِفاء. يساوي: يعادل قَدرُه.

هذا الجواد خبير بنواحي المرتفعات، طويل القوائم، أصيل حسن الخَلق، قَدْرُه بين الخيل كقدر الطراف المرَوّق بين البيوت (لأنه من بيوت السادة والرؤساء).

١٩ ـ استحمت: غرقت من البلل. أرضه وسماؤه: أعلاه وأسفله. مودوع: هادىء مطمئن في دعة). واعد مصدق: واعد يصدق في وعده.

إذا جرى جريًا عنيفًا حتى نضح عرقه بغزارة من أعاليه فأغرق أسفله (حوافره) (في هذا الحال من الإجهاد يثبت الفرس الأصيل ويتقاعس الفرس العادي) استمر في جريه مطمئنًا واعدًا بالسبق، صادقًا في وعده.

٢٠ ـ الشمال: شمال الفارس وبها يمسك الزمام؛ والزمام، إذا شده الفارس يلجم الفرس ويخفف سرعته، وإذا أرخاه استرسل الفرس في جريه. طعنه في عنانه أي شد الفرس للعنان، طالبًا إرخاء اللجام ليسترسل في الجري، فيمد الفارس شماله ليعطيه أقصى مداه. البوع: خاص بالظبي وهو أن يمد يديه في جريه فيغدو كالسابح في الهواء؛ به يُشبه جري الفرس والناقة. الشادن: الظبي الصغير إذا قوي. المتطلق: المنطلق لا يلوي على شيء.

٢١ ـ الربو: النفَس العالي المسموع، وكاتمات الربو: الخيل التي لا يبلغ بها الإجهاد إلى إسماع نَفَسها. يمزع مقدمًا: يسرع متقدمًا إلى الأمام. الغايات جمع الغاية: وهي الهدف الذي يحدَّد لنهاية السباق. المُسبَّق: الذي يدفع الرهان، أي الخاسر، فهو لا يخسر أبدًا.

إنه جواد جلود قوي لا يتمكن الجهد منه فكأنه يكتم ربوه، يتقدم دائمًا إلى الأمام، لا ينكص ولا يتأخر، يحوز السبق ولا يكون على صاحبه أن يدفع الرهان.

٢٢ ـ وعته: استوعبته، أي حملته في داخلها. جوادٌ: فرس (كلا اللفظين هو للمذكر والمؤنث)، يقصد أمه. لا يُباع جنينها: المقصود وليدها. والعرب تحتفظ للفرس الأصيل بنسب يُعرف به آباؤها وأمهاتها. فمن يملك فرسًا أصيلًا يتمسك بأولاها ولا يتخلى عنها. منسوبة أعراقه: هو رحم الأم الأصيلة المعروفة أصولها بنسب مكتوب.

ففي هذا الرحم المنسوبة أصوله حملت جواد الشاعر، وهذه الرحم تنتج الكريم ولا تنتج الأحمق. (محمق: تلد الحمقى).

٢٣ ـ ومَرقَبَةٍ طَيَّرْتُ عَنْها حَمامَها نَعامَتُها مِنها بِضاحٍ مُزَلَّقِ
٢٤ ـ تَبيتُ عِتاقُ الطَّيرِ في رَقباتِها كطُرَّةِ بَيتِ الفارِسيِّ المُعلَّقِ
٢٥ ـ رَبَأْتُ وحُرْجُوجٍ جهَدْتُ رَواحَها على لاحِبٍ مِثْلِ الحَصيرِ المُشَقَّقِ
٢٦ ـ تَبيتُ إلى عِدٍّ تَقادَمَ عَهْدُهُ بِحَرٍّ تَقَى حَرَّ النَّهارِ بِغَلْفَقِ
٢٧ ـ كأَنَّ مَحافِيرَ السِّباعِ حِياضَهُ لِتعريسِها جَنْبَ الإزاءِ المُمَزَّقِ
٢٨ ـ مُعَرَّسُ رَكبٍ قافِلينَ بصِرَّةٍ صِرادٍ إذا ما نارهُم لَمْ تُحَرَّقِ

٢٣ ـ المرقبة: المَنْظَرَة وأي مكان مرتفع يستخدم للمراقبة. النعامة: ما يُستظل به في المرقبة. الضاحي: المكشوف. المزلّق: الأملس تنزلق عنه الأقدام. والعرب تفخر بارتقاء الأماكن العالية والأراضي الصعبة.
ارتقى هذا المكان المرتفع ليقوم بالمراقبة، وهذا المكان لا يسهل الوصول إليه، إنه موقع مكشوف أرضه ملساء تنزلق عنها الأقدام.
٢٤ ـ عتاق الطير: الجوارح منه وهي تأوي عادة إلى الأعالي. رقبات: جمع رقبة وهي العنق. ولعل المقصود النواحي الضيقة في الرقبة. الطرة: الناصية، الغُرّة.
بيت الفارسي: لعل المقصود قصر الملك الفارسي، كبناء عال، أقيم على مرتفع، فغدت واجهته العليا طاعنة في الفضاء يكاد النظر لا يدركها.
٢٥ ـ ربأت: ربأت منها، أي من المرقبة. وربأت: قمت ربيئة أي طلبه القوم يستكشف الطريق ويراقب الأعداء.
وحرجوجٍ: رب حرجوجٍ. (وهنا تبدأ مفخرة جديدة). الحرجوج: الناقة الضخمة الطويلة. الرواح: سير المساء، وجهدت رواحها: أجهدتها في سير الليل. اللاحب: الطريق الواضح. مثل الحصير: ترسم عليه الرياح خطوطًا متداخلة كنسج الحصير؛ وعدم انتظام هذا الرسم في بعض نواحيه يظهر كالشقوق في الحصير.
٢٦ ـ تبيت: تسعى إلى المبيت. العدّ: الماء الدائم كمياه الآبار. قديم: معروف منذ القدم. تقادم عهده بحر: اعتاد الحر منذ زمن بعيد. غلفق: أنواع من الطحالب والخضرة تعلو الماء. تقى: اتقى.
تسعى الناقة إلى المبيت عند ركية ماء معروفة منذ القديم، اعتادت التعامل مع الحر واتَّقَتْه بطحالب تحمي بها ماءها فيبقى باردًا.
٢٧ ـ المحافير: آثار الحفر. حياضه: جمع حوض وهو خندق صغير يحفر حول الخباء تجتمع فيه مياه الأمطار؛ ومحافير السباع حياضه: آثار تنقل السباع في دائرة الركية. التعريس: النزول ليلًا. جنبَ الإزاء: عند الإزاء. والإزاء: مصب الماء في الحوض والمقصود أطراف الحوض. الممزق: من آثار الحفر.
٢٨ ـ معرس ركب: نزول قافلة أو جماعة مسافرين ليلًا. قافلين: راجعين. الصِرة: شدة القرّ. =

٢٩ ـ فَدَعْ ذا ولكنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ بارقٍ ... يُضيءُ حَبِيًّا في ذُرَى مُتَأَلِّقِ

٣٠ ـ عَلا الأُكْمَ مِنهُ وابِلٌ بعدَ وابلٍ ... فَقدْ أُرْهِقَتْ قِيعانُهُ كُلَّ مُرْهَقِ

٣١ ـ يَجُرُّ بأَكنافِ البِحارِ إلى المَلا ... رَبابًا لَهُ مثلَ النَّعامِ المُعَلَّقِ

٣٢ ـ إذا قلتَ تَزهاهُ الرِّياحُ دَنَا لَهُ ... رَبابٌ لَهُ مثلُ النَّعامِ المُوَسَّقِ

٣٣ ـ كأَنَّ الحُداةَ والمُشايِعَ وَسْطَه ... وَعُوذًا مَطافِيلًا بِأَمْعَزَ مُشْرِقِ

= صِراد: أصابهم الصرَد: وهو البرد الشديد. نارهم لم تُحرَّق: لم توقد. فمع البرد الشديد وعدم وجود النار للإشعار بالدفء، تكثر حركة الناس لتنشيط دورتهم الدموية. هذه الحركة المضطربة تترك في الأرض آثارًا، وفي الحوض وإزائه تجريحًا شبيهًا بمآثر حركة السباع عند الحوض ونزولها عند الإزاء.

٢٩ ـ فدع ذا: تجاوز هذا الحديث. البارق: البرق الملتمع. الحبي: السحاب المتراكم. الذرى: الأعالي.
أنس هذا الكلام وانظر هل ترى ما أراه: بارق يلتمع في الأعالي مخترقًا سحابًا متراكمًا يضيئه ويكشفه.

٣٠ ـ الأُكم: جمع أكمة وهي المرتفع من الأرض. وابلٌ: مطر غزير متواصل. أُرهقت كل مرهق: تأذّت بكل أنواع الأذى. القيعان: جمع القاع وهو الأرض السهلة تنفرج عنها الأكام.
انصبت دفعات غزيرة متواصلة منه، مرة بعد مرة، على الآكام فأتعبتها أي آذتها أذى شديدًا.

٣١ ـ أكناف البحار: أطرافها. الملا: اسم مكان. الرباب: السحاب الأبيض. النعام: طائر النعام.
هذا الحباب (الناجم عن تبخر ماء البحار) يلف أطراف البحار ويجرها إلى الملا حيث تظهر سحابًا أبيض له أشكال النعام معلقًا من قوائمه.

٣٢ ـ تزهاه الرياح: تدفعه وتستحثه. الموسّق: المحمّل، الذي يُساق ويُطرد. والنعام هنا تحريف للنَّعَم وهي الإبل (بدليل ما جاء في البيت التالي وبدليل صفة التحميل والطرد التي نسبها إليه وهي لا تكون للنعام الطير).
هذا الرباب، إذا ما هبت الرياح تسوقه وتدفعه، اجتمع إليه قطع أخرى من الرباب فظهرت فيها أشكال تشبه الإبل المحملة يطردها الحادي.

٣٣ ـ الحداة: جمع الحادي وهو الذي يغني للإبل ليضبط حركتها وينظم سرعتها في سيرها. المشايع: الذي يصيح بالإبل لتجتمع. العوذ: الإبل التي أنتجت حديثًا. وهي مطافيل: إذا صحبها أولادها. الأمعز: المكان الصلبة أرضه، الكثير الحجارة. المشرق: المكشوف.
هذه السحب، المجتمعة المتفرقة، الشبيهة بالإبل. تستكمل صورة القافلة إذ يمكن أن تتبين فيها شكل الحادي والمشايع، كما تبدو السماء فوقها كأرض مكشوفة صلبة تسير عليها=

٣٤ ـ أَسَالَ شَقًا يَعْلُو العِضَاهَ غُثاؤُهُ يُصَفِّقُ في قِيعانِها كُلَّ مَصْفَقِ

٣٥ ـ فَجَادَ شَرَوْرَى فالسِّتارَ فأَصْبَحَتْ يَعَارُ لَهُ والوادِيانِ بِمَوْدِقِ

٣٦ ـ كأَنَّ الضِّبابَ بالصَّحارَى عَشِيَّةً رِجالٌ دَعاها مُسْتَضِيفٌ لِمَوْسِقِ

٣٧ ـ لَهُ حَدَبٌ يَستخرِجُ الذِّئبَ كارِهًا يُمِرُّ غُثاءَ تحتَ غارٍ مُطَلَّقِ

٣٨ ـ يَشُقُّ الحِدابَ بالصَّحارَى ويَنْتَحِي فِراخَ العُقابِ بالحِقاءِ المُحَلِّقِ

= بأحمالها (تبدو الأشكال معلقة لأن قوائمها إلى فوق باتجاه السماء، فتغدو السماء الأرض التي تسير عليها).

٣٤ ـ أسال: غمر بالسيول. شقا: اسم مكان. العضاه: اسم يقع على ما اشتدّ من شجر الشوك، وعظُم وطال، وقوي شوكه. ويقال: عِظامُ الشجر كلها عِضاه. الغُثاء: ما يجرفه السيل فيطفو على سطحه من فضلات وزبد. يصفّق: تتلاطم أمواجه وتتقلب. القيعان: جمع القاع، وهو الأرض المنبسطة بين الآكام. مصفق: تلاطم واضطراب وتقلّب.
هذا الحبي تفجر ماء غزيرًا تدفق سيولًا غمرت شقًّا وعلا زبدها فوق أشجار العضاه الشوكية الضخمة، حتى إذا أتت القيعان المنبسطة اندفعت أمواجها تضطرب وتتقلب وتلاطم، أي تلاطم!

٣٥ ـ جاد: أغدق العطاء، وهنا المطر. (ولعلها مصحفة من جاز أي تجاوز، وذلك يجعل الضمير يعود إلى الغثاء أي السيل. وهذا يؤكده التتالي الذي يدل عليه حرف الفاء قبل الستار). شرورى والستار ويعار: أسماء أماكن. المودق: المأتي للمكان.
وصل إلى شرورى وجاوزها إلى الستار وصار من المنتظر أن يأتي يعار والواديين.

٣٦ ـ الضباب: جمع الضَّبّ: دويبة معروفة، ذنبها ذو عُقد، وأطوله يكون قدر شبر، لونها إلى الصُّحمة وهي غبرة مشربة سوادًا، لا يأكل إلا الجنادب والدُّبى والعشب، ولا يأكل الهوامّ. وكان العرب يحرصون على صيده وأكله. للضب أوكار في الأرض. ويبدو أنه لا يحسن السباحة، لذلك تكثر في الشعر الجاهلي صور الضباب يفاجئها السيل في أوكارها فتغرق وتطفو على وجه الماء حين يهدأ في الأرض المنبسطة. المستضيف: الداعي إلى مائدته؛ وكان الرجل، إذا أراد أن يستضيف، دار بقدحٍ موشَّم ليُعلم أنه مستضيف. لموسق: لاجتماع.
تجمعت الضباب التي أغرقها السيل، حين استقر الماء في الصحاري المنبسطة، فبدت، في كثرتها وتقاربها كرجالٍ دعاها صاحب مأدبة إلى التجمع عنده.

٣٧ ـ حَدَب: موج مرتفع. يستخرج الذئب: يخرجه من مكمنه. الغثاء: الزبد وما يجرفه السيل من فضلات. غار: شجر معروف. مطلق: مفصول عن أرضه، أي مُقْتَلَع من جذوره.
لهذا السيل موج عارم يخرج الذئب مرغمًا من مكمنه، ويقتلع أشجار الغار فتطفو والغُثاء يمر تحتها (لأنه أسرع منها وأخف).

٣٨ ـ الحِداب: جمع الحَدَب وهو هنا الأرض الغليظة الناتئة. ينتمي: يميل إلى ناحية، يقصد، =

٣ ـ أدع الدناءة لا ألابس أهلها
خُفاف بن نَدْبة (أيضًا)

أولاً: الإطار

الشاعر الجاهلي عمومًا يبدو في غاية الرومنسية عندما يتحدث عن المرأة: يشتاق إليها، يتألم من الفراق، يعيش على الذكريات، مع الوهم والخيال والطيف الزائر... لكنه، بالمقابل، حين يقدم نفسه لها، يغدق على صورته مختلف مظاهر القوة. ففي ذلك العالم، لا مكان للضعيف، لا في واقع الحياة، ولا في قلب المرأة. فواقع الحياة مر، أرض صلبة وقفر، ورزق محدود تتخاطفه الأيدي، وتكون اللقمة المشبعة على حساب فم آخر جائع، وصراع لا يهدأ على موارد الرزق، وعصبيات وثأر وحرّ وقرّ، ونساء معرّضات للسبي لا يحميهن ويدفع عنهن إلا رجل قوي، لذا لا مكان في قلوبهن لضعيف.

من هنا كانت معظم مفاخر الجاهلي مهداة «لعيني» الحبيبة في محاولة لإثبات الذات ومنح المرأة الاطمئنان.

في هذا الاتجاه ينطلق خفاف، كما فعل في قصيدته السابقة، يرسم حبه وشوقه اللذين استحضرا طيف الحبيبة، يخاطبه ويعاقبه على الهجر ويخطّئه بالتنكر لرجل مثله، أي رجل! عفيف، أبي، جلود، قادر على اجتياز القفار، ومرافقة حيوانها وطيرها، ومطاردة وحشها واصطياده، يدعمه في ذلك عناصر مساعدة معروفة: ناقة صلبة وفرس سريع، أصيل، قوي، يقدم ولا يحجم، يستمر في العدو، لا يتعب أو يقصر.

= وهنا يلوذ. العُقاب: من الطيور الكاسرة، (وهذه الطيور تبني أعشاشها في الأعالي).
الحقاء: المواضع الغليظة المرتفعة. المحلّق: المرتفع عاليًا.
يمر هذا السير بالنتوءات الغليظة في الصحارى فيحطمها وتتجه فراخ العقاب إلى أوكارها في المرتفعات العالية تلوذ بها.

ثانيًا: قصيدة خفاف

وقال أيضًا: [من الكامل]

١ - طَرَقَتْ أُسَيْماءُ الرِّحالَ ودُونَنا ... مِنْ فَيْدِ غَيْقَةَ ساعِدٌ فَكَثِيبُ

٢ - فالطَّوْدُ فالمَلَكاتُ أصبَحَ دُونَها ... فَفِراعُ قُدْسَ فَعَمْقُها فَخَشُوبُ

٣ - فَلئِنْ صَرمْتِ الحَبْلَ يابنَةَ مالِكٍ ... والرَّأيُ فِيهِ مُخْطِئٌ ومُصِيبُ

٤ - فَتَعلَّمِي أنِّي امْرُؤٌ ذُو مِرَّةٍ ... فِيما أَلَمَّ مِنَ الخُطُوبِ صَلِيبُ

٥ - أَدَعُ الدَّناءَةَ لا أُلابِسُ أهْلَها ... ولَديَّ مِن كَيْسِ الزَّمانِ نَصِيبُ

٦ - ومُعَبَّدٍ بَيْضُ القَطَا بِجُنُوبِهِ ... ومِن النَّواعِجِ رِمَّةٌ وصَلِيبُ

---

١ - أسيماء: هو الاسم التحببي لأسماء، محبوبة الشاعر. طرقت: جاءت زائرة في الليل. الرحل: مركب للبعير والناقة، كالسرج للفرس، وهو للرجال دون النساء؛ والرحل يجمع على رحال وأرحل. وهو رمز للتنقل والسفر، كما يكون رمزًا لمنزل الرجل ومسكنه وبيته. ولعل هذا المعنى هو المقصود لأن الطرق تتوجه إلى نازل لا إلى مسافر، ولو كان نزولًا موقتًا خلال سفر - فيد وغيقة أماكن - ساعد: مسيل ماء أو واد. كثيب: مرتفع رملي. وقد يكون ساعد وكثيب اسمين لمكانين.
زارنا ليلًا طيف أسماء ونحن بعيدون عن فيد غيقة (لعل فيها ديار المحبوبة ويقصد من وصف البعد ذكر المشقة التي تجشمها الطيف للقيام بالزيارة) يفصلنا عنها مسافات شاسعة من الوديان والكثبان، ساعد فكثيب.

٢ - الطود والملكات (أو الملكان) وقدس، وحسوب (أو خشوب) جميعها أسماء أماكن، يأتي تعدادها وتفصيلها في سياق إبراز بُعد الشقة بين موطن المحبوبة ومكان نزوله حيث زاره طيفها. الفِراع: ما علا من الأرض وارتفع، لأن قدسَ جبل بنجد.

٣ - الحبل: هو حبل الوصال. صرمتِ: قطعت، وقطع حبل الوصال يعني الصدود. إن عمدتِ إلى الصدود والهجر، وأنت في سبب ذلك بين الشك واليقين.

٤ - تعلّمي: هنا بمعنى اعلمي، ليكن في علمك. المرّة: قوة الطباع. أَلَمَّ: نزل وأصاب. الخطوب: المصائب والحوادث. صليب: جلد وصبور.
اعلمي أنني قوي الشكيمة إذا وقعت مصيبة، أواجهها وأصمد لها.

٥ - أدع الدناءة: أترك كل عمل حقير، معيب. ألابس: أخالط. كيس الزمان: حسن التصرف المكتسب من الخبرة والتمرس بأحداث الزمان. نصيب: حصة.
أنا أترفع عن الدناءة، وأبتعد عن أهلها، علّمني الدهر وخبرتي في الحياة حسن التصرف.

٦ - المعبّد: الطريق مهّده كثرة الدوس عليه. القطا: طائر من طيور الصحراء، يتحرك أسرابًا، قادر على تنسّم ريح الماء من مسافات بعيدة، ثقيل المشي. ووجود بيض القطا في جوانب=

٧ ـ نَـفَّـرْتُ آمِـنَ طَـيْـرِهِ وسِـبـاعِـهِ ... بِـبُـغـامِ مِـجْـذامِ الـرَّواحِ خَـبُـوبِ
٨ ـ أُجُـدٍ كَـأنَّ الـرَّحْـلَ فَـوقَ مُـقَـلِّصٍ ... عَـاري الـنَّـواهِـقِ لاحَـهُ الـتَّـقـرِيـبُ
٩ ـ عَـدَلَ الـنُّـهـاقُ لِسـانَـهُ فَـكـأنَّـهُ ... لـمَّـا تَـخَـمَّـطَ لـلشُّـحـاجِ نَـقِـيـبُ
١٠ ـ ولَقَدْ هَبَطتُ الغَيثَ يَدفَعُ مَنْكِبي ... طِـرْفٌ كَـسـافِـلَةِ الـقَـنـاةِ ذَنُـوبُ

= الطريق دليل على بُعده عن موارد المياه، لأن المياه، لو كانت قريبة منه، لما نزلت فيه أسراب القطا وباضت. جُنوبه: جمع جنب، أي أنحائه. ومن النواعج: أي وبجنوبه من النواعج: والنواعج: النوق البِيض الكريمة. الرِمّة: العظام البالية. الصليب: الصلب المتماسك.

ورب طريقٍ ممهد، بعيد جدًا عن موارد المياه، يتعرض من يجتاز لخطر الجوع والعطش والإنهاك، تضطر أسراب القطا للنزول فيه، في طيرانها نحو المياه البعيدة، تاركة بيوضها في جنباته، وتهلك فيه النوق البيضاء الكريمة، ففيه من بقاياها عظام نخرة بالية، وأخرى محتفظة بصلابتها.

٧ ـ نفّرت آمن طيره: أخَفْت الطيور النازلة فيه، الآمنة لندرة السائرين عليه، فجعلتها تتطاير. السباع: الوحوش، وهي أيضًا آمنة مطمئنة فيه. بُغام: الأصوات تخرجها الإبل من ضجر أو تعب أو جوع أو حنين إلى رضيع بعيد. مجذام الرواح: سريعة السير مساء. خبوب: تسير الخبب وهو نوع من العدو تراوح فيه بين يديها ورجليها.

كانت الطيور والسباع النازلة بنواحي الطريق آمنة مطمئنة، ففوجئت ببغام ناقتي ونفرت إنها ناقة مميزة، تعدو خببًا، وتجد السير مساء.

٨ ـ أُجُد: صفة للناقة القوية المتماسكة. الرحل: ما يوضع على ظهر الناقة للركوب. مقلِّص: طويل القوائم وقصد به حمار الوحش. أي كأن راكبها يعلو حمارًا وحشيًا. النواهق: العظام الناتئة في وجه ذي الحافر تحت خديه؛ وعاري النواهق: ليس عليها لحم. لاحه: غيّر لونه. التقريب: عدو دون الإسراع، يرفع فيه الحيوان يديه معًا ويضعهما معًا.

هذه الناقة قوية متماسكة كأنها حمار وحشي طويل القوائم، بارز عظام الوجه تغيّر لونه لكثرة ما عدا متمهلًا في الشمس.

٩ ـ عدَل لسانه: جعله مستويًا، لأنه، في الوضع الطبيعي قد يحرك لسانه يمينًا ويسارًا، ولكنه عندما ينهق يستوي لسانه وسط فكه. النهاق: صوت الحمار، تخمّط: هدر في غضب. الشحاج: صوت الهدر المرتفع عند الحمار والبغل. نقيب: عريف القوم، قائدهم المقدم عليهم يهدر بإعطاء تعليماته لهم.

عندما ينهق يستوي لسانه، وعندما يحنق فيهدر يكون شحاجه كصوت عريف القويم يرفع صوته بالتعليمات.

١٠ ـ هبطت الغيث: نزلت في موقع المطر، حيث العشب والغدران. يدفع منكبي: يدفعني عند كتفي. وتلك إشارة إلى أنه كان يسير وحصانه جنبًا إلى جنب. الطِرف: الجواد الكريم=

١١ - نَـمِـلٌ إذا ضُـفِـزَ الـلِّجامَ كَـأنَّـهُ رَجُـلٌ يُـنَـوِّهُ بِـالـيَـديـنِ سَـلِـيـبُ
١٢ - حَـامٍ عَـلى دُبُـرِ الـشِّـيـاهِ كَـأنَّـهُ إذْ جَـدَّ سَـجْـلٌ نَـزُّهُ مَـصْـبُـوبُ
١٣ - بَـرِدٌ تُـقَـحِّـمُـهُ الـدَّبُـورُ مَـراتِـبًـا مُـلْقَـى ضَـواحِـي بَـيْـنَـهُـنَّ لُهُـوبُ
١٤ - مُتَطَلِّعٌ بِـالـكَـفِّ يَـنْـهَـضُ مُـقْـدِمًـا مُـتَـتـابِـعٌ فـي جَـرْيِـهِ يَـعْـبُـوبُ
١٥ - رَبِـذُ الـخِـلافِ إذا اتْـلأَبَّ ورِجْـلُهُ فـي وَقْـعِـهـا ولَـحاقِـهـا تَـخْـنِـيـبُ

= الأصيل. القناة: عود الرمح؛ وسافلة القناة: طرف الرمح الذي لا يحوي السنان، وهو عادة مستقيم متماسك، به شبّه ضمور جواده. ذنوب: طويل الذنب، وهي صفة أصالة للفرس.
نزلت في مواقع المطر حيث الماء والكلأ، وسرت بجانب حصاني يدفعني في كتفي، وهو جواد كريم أصيل، ضامر ممشوق كالرمح، له ذيل طويل ضافي الشعر.

١١ - نَمِل: نَزِق لا تهدأ حركته. ضُفز اللجام: أُدخل اللجام في فيه. ينوّه: يحرّك في كل اتجاه. سليب: كان ضحية لعملية سلب.
هذا الجواد، إذا ما أُلقم اللجام، صار نزقًا لا يستقر، يحرك رأسه في كل اتجاه كأنه رجل تعرّض للسلب فراح يحرك يديه في كل اتجاه، تعبيرًا عن الحنق، وطلبًا للنجدة أو استدرارًا لانتقام الرب.

١٢ - حام: شديدة حرارته أي نشاطه. على دُبُر الشياه: في أعقاب بقر الوحش. جدّ: عمل بجد. سجل: دلو عظيمه. نزه: محتواه من الماء. مصبوب: منسكب. والغالب أنه أراد بالسجل الغيوم الكثيفة يهطل ماؤها بغزارة.
إذا ما حمي وهو يلاحق بقر الوحش، تغدو سرعته كسرعة انصباب الماء من دلو عظيمة، أو تدفق المطر من غيم متراكم.

١٣ - بَرِد: يُمطر بردًا، وهي صفة للسحاب. تُقحّمه: تدخله وتدفعه. الدبور: ريح قوية تهب في الغرب. مراتبًا: مراحل، واحدة بعد الأخرى. مُلقى: ملاقيًا، أي واقعًا على. الضواحي: المكشوفة، ويقصد القمم العالية البارزة. اللهوب: الشُّعَب أو الطرق الضيقة في الجبل.
هذا السحاب العظيم المنصب دفعته الريح الغربية من مرحلة إلى أخرى، حتى إذا علا جبالا بارزة القمم تتخللها المسارب الضيقة، أنزل عليها بردًا.

١٤ - متطلع بالكف: مُستكِفّ من استكَفّ إذا نظر إلى الشيء البعيد يتَبيّنه وكفه فوق حاجبك. والمقصود أنه قادر على رؤية البعيد وتبيّنه. ينهض: ينتصب مندفعًا. مقدمًا: هاجمًا إلى الأمام. متتابع في جريه: يجري بلا توقف أو جهد أو تعب، وهي من صفات الفرس الأصيل المدرّب. اليعبوب: الطويل، الشديد الجري.
يستكشف الأبعاد فينتصب مندفعًا إلى الأمام، يجري بصورة منتظمة متتابعة جريًا شديدًا.

١٥ - الرَّبِذ: الخفيف القوائم في المشي. الخلاف: أن يكون في يده اليمنى ورجله اليسرى بياض، وكنى بذلك عن قوائمه والقصد: خفيف القوائم المخالفة في تحجيلها. اتلأبّ: =

٤ ـ ما أنا بالباقي ولا الخالد
خُفاف بن نَدبة (أيضًا)

أولاً: الإطار

في هذه المقطوعة يغير خفاف من مستوى مفاخره. ففيما كان يفخر بالقوة التي تجعله يتحمل مشقات الحياة الصحراوية، وبفرسه الذي يشارك به في سباق أو يجتاز عليه الطريق البعيد المقفر، يرتدي هنا عدة المحارب ويتخذ لنفسه مركز القائد، ليكون الأول المميز جريًا على عادة العرب في كل شأن من شؤونهم؛ فهو لا يطلب من دنياه، مما يُذكر به بعد موته، إلا أن يكون له هذا الدور، ويكون جواده محاربًا هو أيضًا، يليق بقائد في قوته ونشاطه وحماسه.

ثانيًا: المقطوعة

وقال: [من السريع]

١ ـ يـا هِـنْـدُ يـا أُخْـتَ بَـنِـي الـصَّـارِدِ   مـا أنـا بِـالـبـاقِـي ولا الـخـالِدِ

٢ ـ إنْ أُمْـسِ لا أمْـلِكُ شَـيْـئًا فَـقَـدْ   أَمْـلِكُ أمْـرَ الـمِـنْـسَـرِ الـحـارِدِ

= أقام صدره ورأسه، ويكون ذلك في المشي المتمهّل، المتهادي. التحنيب: انحناء طفيف في قوائم الفرس، وذلك محمود لأنه أدعى إلى ثباته وسرعته. الوقع: التوقيع، وهو في السير أن يرفع الفرس يده إلى فوق. اللّحاق: هو في العدو أن يسرع ليلحق هدفًا.

في قوائم هذا الجواد خلاف إذ لحق البياض يده اليمنى ورجله اليسرى، وهي قوائم خفيفة في نقلتها في حالتي السير المتمهل أو السير السريع، وذلك عائد للانحناء الخفيف فيها، المستحب للخيل.

١ ـ الصارد: حي من بني مرة.

٢ ـ المِنسر: القطعة من الخيل (وهنا الفرقة من الفرسان) ما بين العشرين إلى الثلاثين (وقد تكون أكثر بقليل أو كثير) ـ الحارد: الغضبان، والمنسر الحارد هو جيش صغير غضبان، لا يقف في وجهه شيء. فقد: هنا بمعنى لَعلّي.

إنني لن أبقى ولن أخلد، وأمنيتي في حياتي، لا أن أملك الأشياء وإنما أن أسجل المواقف بقيادتي فرقة من المقاتلين الأشاوس، في حماسة الغضبان.

٣ ـ [وأشـهَـدُ الـغـارَةَ مَـسْـرُوحَـةً ... تَـغْـدُو لِمـاءِ الـنِّـعَـمِ الـوارِدِ]
٤ ـ بِـالـضَّـابِـعِ الـضَّـابِـطِ تَـقْـرِيـبُـهُ ... إذْ وَنَـتِ الـخَـيْـلُ وذُو الـشَّـاهِـدِ
٥ ـ عَـبْـلِ الـذِّراعَـيـنِ سَـلِيـمِ الـشَّـظـا ... كـالـسِّـيـدِ تَـحْـتَ الـقِـرَّةِ الـصَّـارِدِ
٦ ـ يَـطْـعـنُ فـي الـمِـسْـحَـلِ حـتَّـى إذا ... مـا بَـلَـغَ الـفـارِسُ بِـالـسَّـاعِـدِ
٧ ـ جَـدَّ سَـبُـوحًـا غَـيْـرَ ذِي سَـقْـطَـةٍ ... مُـسْـتَـفْـرِغٍ مَـيْـعَـتَـهُ واعِـدِ
٨ ـ يَـصِـيـدُكَ الـعَـيْـرَ بِـرَفِّ الـنَّـدَى ... يَـحْـفِـرُ فـي مُـبْـتَـكِـرِ الـرَّاعِـدِ

٣ ـ الغارة: القوم المغيرون. أشهد الغارة: أشارك فيها، وفي النهب الذي يليها. مسروحة: بمعنى منسرحة أي عجِلة، سريعة. النَّعم: الإبل. تغدو لماء النعم الوارد: تتجه إلى النعم الوارد الماء.
فقيادة الفرقة من الفرسان هي بهدف الإغارة على إبل ترد الماء.

٤ ـ التقريب: نوع من العدو يرفع فيه الحيوان يديه معًا ويضعهما معًا. الضابع: الذي يلوي بحافره إلى ضبعه، أي إلى عضده، في تقريبه، الضابط: القوي الشديد. ونت الخيل: تخاذلت من تعب. ذو الشاهد: الفرس مشهود له بالمآثر.
اشتراكه في الغارة يكون على فرسه، الذي يعدو عدوه الشديد حين تجهد الخيل وتتخاذل ويقصّر الفرس المشهود له بالمآثر؛ وهو، في تقريبه، حين يرفع يديه معًا، يلمس حافرُه عضدَه من شدة عنفوانه.

٥ ـ عبل الذراعين: ممتلىء الذراعين (غليظ القوائم). الشظا: عظم لاصق بالركبة سلامته مهمة لحسن الحركة. السِّيد: الذئب. الصارد: أصابه برد شديد. القِرّة: البرد.
هذا الفرس ممتلىء، غليظ القوائم، سليم عظم الشظا عنده، سريع سرعة الذئب، أصابه البرد الشديد.

٦ ـ المسحل: اللجام. يطعن في المسحل: يمده ليتبسّط في السير. بلغ الفارس بالساعد: بلغ ساعده أقصى مداه في إرخاء العنان تجاوبًا مع طعن الفرس في اللجام.

٧ ـ جدّ: أعطى أقصى جهد في العدو. سبوحًا: مسرعًا في عدوه يبدو كأنه يسبح. سقطة: عثرة؛ وغير ذي سقطة: لا يتعثر لشدة ثباته. ميعته: تدفق نشاطه. الواعد: الذي يُتوقّع منه جري بعد جري.
إذا ما بلغ الفارس أقصى المدى في إرخاء العنان، أعطى هذا الجواد أقصى جهده فعدا كأنه يسبح، مستفرغًا دفق نشاطه، متجنبًا السقطات، واعدًا بدفقة أخرى من العدو، وبأخرى وبأخرى.

٨ ـ يصيدك العير: يصيد حمار الوحش لك، أي يدركه في عدوه فتنال منه. برف الندى: عند تلألؤ الندى، أي في الصباح الباكر. يحفر: يحفر الأرض بضرب قوائمه. المبتكر: =

٩ ـ يُعْقَدُ في الجِيدِ عَلَيْهِ الرُّقَى مِنْ خِيفَةِ الأَنْفُسِ والحاسِدِ

٥ ـ خفاف بن ندبة (أيضًا)

أولاً: الإطار

قال الأصمعي: لما ارتدّ الناس أتى رجل من بني سُلَيم أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال: أعطني سلاحًا أقاتل به. فأعطاه، فقاتل به المسلمين.

ثانيا: المقطوعة

فقال خُفافٌ رحمه الله تعالى: [من الكامل]

١ ـ لِمَ تَأْخُذُونَ سِلاحَهُ لِقِتالِهِ وِلِذاكُمُ عِنْدَ الإلهِ إثامُ

٢ ـ لا دِينُكُمْ دِينِي ولا أنا كافِرٌ حَتَّى يَزُولَ إلى صَراةَ شَمامُ

= المبكّر. الراعد: السحاب الممطر؛ والمبكّر من المطر: ما جاء في أول الوسميّ.
هذا الفرس يستطيع، بقوة عدوه أن يُبلغ فارسه حمار الوحش الذي لا يُلحَق، ويتم ذلك في الصباح عند تلألؤ الندى، وعندما يهطل الوسمي وترتخي الأرض الصلبة، يكون لضرب قوائمه فيها حُفَر.

٩ ـ يُعقد: يُربَط. الرقى: الأحراز والتعويذات تقي من العين.
يستحق هذا الجواد أن تعلق التمائم والتعويذات في عنقه، مخافة العين المشتهية أو الحاسدة.

١ ـ تأخذون سلاحه: أي سلاح الخليفة. إثام: عقوبة.
لماذا تأخذون سلاح الخليفة لتقاتلوه؟ إن في ذلك لإثمًا تقابله عقوبة عند الله.

٢ ـ ولا أنا كافر: لن أكفر كما كفرتم،(وكانوا من قبيلته). يزول: هنا، ينتقل. صراة: نهر بالعراق. شمام: جبل في نجد.
يصرح خفاف بأن ثابت على دين الإسلام، يتنكر لدين قومه الكافرين، وبأنه لن يكفر حتى ينتقل جبل شمام من نجد ويصير إلى العراق. وهذا مستحيل.

٦ - جوبي البِيد والدُّجى
الحَكَم بن مُعمَّر الخُضْري(١)

أولاً: الإطار

اعتاد العرب، في القصيدة المدحية أن يُغرقوا في الحديث عن المشقات التي لاقوها في طريقهم إلى الممدوح، كلَّ الثواب يكون بقدْر المشقة. وهم، في وصفهم هذا يشددون على الحديث عن الناقة والقفار. فإذا كان وصف الناقة بالسرعة والقوة نوعًا من الفخر، فإنه يهدف، من طريق آخر، إلى خدمة الهدف الأساسي، هذه الناقة المميزة ضرورية للتغلب على الصعوبات والوصول إلى الممدوح. ولا شك أن وصف الناقة يقوم دائمًا على تشابيه واستعارات، وبالتالي على صور رمزية من حياة الصحراء، كوصف حمار الوحش، أو بقر الوحش أو القطا وما إلى ذلك مما يشكل رمزًا للقوة أو السرعة أو الحذر أو الصبر والتجلد.

في هذا المقطع من قصيدته المدحية يتناول الحكم ناقته بوصف عام وآخر جزئي مفصل، ويشبه ضمورها بضمور القطاة، مما جعل لهذا الطير نصيبًا من الصورة.

ثانيًا: المقطوعة

وقال الحَكَمُ الخُضْريّ، قال أبو سَعيدٍ: سَمعتُها من الحَكَم: [من الطويل]

١ - إلى ابْن بلالٍ جَوْبِيَ البيدَ والدُّجى بِزَيَّافَةٍ إنْ تَسْمَعِ الزَّجْرَ تَغْضَبِ

---

(١) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب؛ شاعر إسلامي جيد الشعر، وسجّاع كثير السجع. وكان خبيث اللسان. هاجى ابن ميادة المعروف ببذاءة لسانه فكان له الصوت الأقوى. وكان مالك بن طريف شديد السمرة ومثله كان ولده فسُمّوا الخضر. والعرب كانت تساوي بين الأخضر والأسود. عاش حتى أيام الأصمعي الذي أخذ هذه القصيدة مباشرة عنه. (ياقوت، معجم الأدباء، ١٠/ ٢٤٠ والأغاني ٢/ ٢٤٨).

١ - ابن بلال: ممدوح الحكم، وله كانت القصيدة. جَوبي: اجتيازي، وتنقلي. البيد: الصحارى والفلوات. الزيّافة: الناقة. القوية التي تزيف برحلها، أي تتمايل. الزجر: النهر والتعنيف ويكون للحث على الاسراع. =

٢ ـ إذا غَضِبَتْ أن يُزْجَرَ العِيسُ خَلفَها كَسَتْ خَطْمَها مِنْ كُسْوَةٍ لَم تُهدَّبِ

٣ ـ زِوَرَّةِ أَسفارٍ كأَنَّ ضُلوعَها تُناطِحُ مِن مِسْمار ساجٍ مُضبَّبِ

٤ ـ مُحَنَّبَةِ الرِّجْلَيْنِ حَرْفٍ كأَنَّها قَطاةٌ مَتى يُتْمَمْ لَها الخِمْسُ تَقْرَبِ

٥ ـ إذا اسْتَوْدَعَتْ فَرْخيْن بَيْداءَ قَلَّصَتْ سَماوِيَّةَ المُمْسَى نَجاةَ التَّقَلُّبِ

= إذا كنت اجتاز القفار والصحارى فلكي أتوجه إلى ابن بلال. ويكون قطعي القفار على ظهر ناقة قوية تسرع متمايلة برحلها؛ لا تحتاج إلى زجر لتجدّ، حتى إذا ما سمعت الزجر غضبت.

٢ ـ العيس: النوق البيضاء. كست: غطّت. خطمها: ظاهر أنفها. لم تُهدَّب: لم يكن لها هَدْب؛ والهدف طرف الثوب مما يلي طرته، وله خيوط متدلية.
إذا سمعت خلفها تعنيف النوق البيضاء، حثًّا لها على الجد في السير، ونالها الغضب، غطت أنفها وفمها بغطاء من الزبد، إنما هو غطاء لا تتدلى منه أطراف ولا يتجاوز الخطم والفم. (كأنها بذلك تعبّر عن استيائها لمحاولة سواها اللحاق بها).

٣ ـ الزِّوَرَّة: الناقة المعدة للأسفار، المتمرسة بها. الساج: شجر يُجلب من الهند، وهو شجر يعظم جدًّا ويذهب طولًا وعرضًا، وله ورق أمثال التِّراس (جمع ترس) وله رائحة طيبة، مع رقة ونَعْمَة. المضبب: المجموع والمغطى، يقصد المصفح بالحديد. والمسمار: كناية عن حديد التصفيح.
إنها ناقة قوية على الأسفار، هيئت لذلك وتمرست بها، حتى غدت قوة أضلاعها، في قفص صدرها، كقوة الصندوق من شجر الساج العظيم، صُفّح بالحديد.

٤ ـ محنّبة الرجلين: في رجليها انحناء خفيف، وذلك مستحب في المراكب لأنه أدعى إلى ثباتها في عدوها. حرف: ضامرة، وذلك مستحب لأنه يؤمن للناقة خفة الحركة وقلة العرق. القطاة: الواحدة من طيور القطا. وهذه الطيور مشهورة بحبها للماء، تحدد مكانه من مسافة عشرة أيام طيرانًا. فإذا كانت على مسافة ليلة منه زادت في سرعة طيرانها حتى غدت هذه السرعة مضرب المثل وطرف تشبيه لكل مسرع. الخِمْس: أن تعطش أربعة أيام وترد في الخامس. تقرب: من القَرَب، وهو أن تكون في ليلة الورود فتضاعف من سرعتها.
بهذه القطاة، العطشى، الآملة في ورود الغد، المضاعفة من سرعة طيرانها، يشبّه الحكَم ناقته، يساعدها على سرعتها انحناء طفيف في قوائمها، وضمورها.

٥ ـ استودعت: (أي القطاة) تركت كوديعة، أو إلى حين عودتها. بيداء: صحراء، قلّصت: ارتفعت. سماوية المُمسى: أي تمسي في السماء فتطير ليلًا ولا تنزل للراحة كعادة الطير في الليل. نجاةَ التقلّب: سرعة المنقلب، أي العودة السريعة (إلى فرخيها).
يتابع التفصيل في الأسباب الداعية القطاة إلى السرعة، بغية الإطناب في سرعة ناقته. =

٦ ـ فَـجَـاءَتْ مـعَ الإشـراقِ كَـدْراءَ رادَةً فحـامَـتْ قَـلِيـلًا فـي مَـعانٍ ومَـشْـرَبِ

٧ ـ فَلمَّا اسْتقَت طارَت وقَد تَلَعَ الضُّحَى بِـشِـرْبٍ قَـرَتْـه فـي زَهِـيـدٍ مُـحَـبَّـبِ

٨ ـ فَكـرَّتْ فـأَمَّتْ حَيْـثُ جاءَت كـأَنَّـها دَلاةٌ هَـوَت مِـن كـفِّ سـاقٍ ومُكْـرِبِ

٩ ـ إذا اسْتقْبَلَتها الرِّيحُ صَدَّتْ بِخَطْمِها قَـلـيـلًا وحَـثَّـتْ مِـنْ نَـجـاءٍ مُـنَـحَّـبِ

= فالقطاة تركت فرخين لها في الصحراء، لذا شمّرت مرتفعة، متابعة طيرانها في الليل، آملة بسرعة العودة إلى فرخيها (بقليل من ماء).

٦ ـ كدراء: مغبّرة اللون (والغبرة هي لون نوع من أنواع القطا) رادة: رائدة، مكتشفة. حامت: طوّفت ودارت. مَعان: منزل (المكان الصالح للنزول).

وصلت إلى الغاية مع شروق الشمس، وبدأت مستطلعة، مطوّفة في السماء تحدد مكان النزول ومصدر الماء.

٧ ـ استقت: نالت حاجتها من الماء أو جمعت ما استطاعت من الماء. تلع الضحى: ارتفع، أي تقدمت الشمس في طلوعها (وأحست القطاة بأن الوقت يسبقها). طارت بشرب: ارتفعت طائرة ومعها شربة أو قدر شربة. قرته: جمعته. زهيد: قليل، ضيق. محبب: صار إلى الامتلاء.

هذه القطاة تسابق الزمن، لأن طلوع الشمس، وتزايد حرارة الجو على فراخ عطشى، ملقاة في فلاة مقفرة، يهددها بالموت عطشًا. فما إن أخذت الشمس بالارتفاع حتى تنبهت وطارت بعد أن حملت في حوصلتها الضيقة ما يمكنها أن تسع من ماء قليل، شربةً لفرخيها.

٨ ـ كرّت فأمت: اندفعت وقد قصدت. حيث جاء: مكان فراخها الذي جاءت منه. الدلاة: دلو يُستقى به الماء. هوت: سقطت بسرعة. الساقي: الذي يستقي أي يستخرج الماء من البئر. المكرب: الذي يلف حبل الدلو بعد إخراجها ملأى من البئر، ثم يثنّي اللف ويثلث لكي لا تفلت الدلو، هذه الدلو الملأى، إذا أفلت حبلها من يد المكرب، وسقطت هاوية إلى البئر، تصل في لمح البصر.

بسرعة سقوط هذه الدلو شبّه سرعة القطاة حين اندفعت قاصدة المكان الذي جاءت منه (حيث فرخاها). وهذه السرعة موظفة في إبراز سرعة الناقة.

٩ ـ صدّت بخطمها: مالت به. (وهنا عودة إلى الحديث عن الناقة: . حثت: زادت السرعة. النجاء: العدو السريع. المنحّب: الدائب، الحثيث.

بعد استثمار وصف القطاة للإطناب في سرعة الناقة، يعود الشاعر إلى القول بأن العوائق لا تحد من سرعة ناقته، فإذا واجهت رياحًا، مالت قليلًا برأسها وحثّت عدوها السريع الدائب ليكون في زيادة الجهد هذه معادلة لضغط الريح عليها.

٧ ـ تَمَشّيَ العانسُ في رَيْطاتِها
عمر بن لَجَأ بن حَدير التَّيميّ[1]

أولاً: الإطار

المقطوعة ذات موضوع واحد: وصف الإبل، والشاعر يدعي أنه ممن اختُصّوا بهذا الوصف.

يبدأ بوصف عام، وصف ضخامتها وكثرة شحمها ثم راح يفصل: أخفافها، فأذنابها والضرع والجمجمة، فمشيتها.

ثانيًا: المقطوعة

وأَنشدَنا أبو سَعيد لابن لَجَإٍ التَّيْمِيّ: [من الرجز]

١ ـ أَنـعـتُـهـا إِنِّـيَ مِـن نُـعَّـاتِـهـا

٢ ـ مُـنْـدَحَّـةَ الـسُّـرَّاتِ وادِقـاتِـهـا

---

(١) هو عمر بن لَجأ بن حَدير بن مصاد بن ذهل بن تيم بن عبد مناة... وينتهي نسبه إلى، الياس بن مضر.
وعمر شاعر أموي راجز عاصر جريرًا والفرزدق وكان بينه وبين جرير مهاجاة، والذي هاج الهجاء بينهما أن عمر كان ينشد أرجوزة له يصف فيها إبله، وجرير حاضر. فقال فيها:
قد وَرَدْت قبلَ إنّا ضحائها ... تُغرِّسُ الحيَّاتِ في خِرشائها
جَرَّ العجوزِ الثِّنْيَ من ردائها
فقال له جرير: أخفقت. فقال: كيف أقول؟ فقال: تقول:
جَرَّ العروسِ الثِّنْيَ من ردائِها
(الأغاني ٨/ ٦٩).
وردّ عمر بأن كشف لجرير خطأ مماثلًا في قصيدة عينية.
يبدو أنه كان محبًا لوصف الإبل، وكان عالمًا بمثالب القبائل العربية، فاستعان به الفرزدق في هذا المضمار.
١ ـ أنعتها: أنعت الإبل: أصفها.
٢ ـ السرات: جمع السرّة، المعروفة في الجسم. المندحّة: من دحّ الشيء: ضغط عليه ليرقّ ويتسع. والسرة ترق وتتسع مع ازدياد السّمن. الوادقات: السرر الوادقة: المندلقة التي تقترب من الأرض لعظم البطون وكثرة الشحم. =

٣ ـ مَكْفُوفَةَ الأَخفافِ مُجْمَراتِها

٤ ـ سابِغَةَ الأَذْنابِ ذَيَّالاتِها

٥ ـ طَوَتْ ليومِ الخِمْسِ أَسْقِياتِها

٦ ـ غابِرَ ما فيها على بُلَّاتِها

٧ ـ كأَنَّما نِيطَت إلى ضَرَّاتِها

٨ ـ مِنْ نَخِرِ الطَّلْحِ مُجَوفاتِها

٩ ـ واتَّقَتِ الشَّمسَ بِجُمجُماتِها

١٠ ـ تَمْشِي إلى رِواءِ عاطِناتِها

١١ ـ تَمَشِّيَ العانِسِ في رَيْطاتِها

= إن الشاعر، إذا تصدى لوصف النوق، فهو معروف بذلك. والنوق التي يصفها رعت وسمنت فعظمت بطونها حتى اقتربت من الأرض، وكثر شحمها حتى رقّت سراتها واتسعت.

٣ ـ مكفوفة الأخفاف: أخفافها مجموعة متماسكة، لا رخوة ولا مفلطحة. مجمرة الأخفاف: أخفافها صلبة شديدة.

٤ ـ سابغة الأذناب: أذنابها كاملة وافية. ذيالاتها: أذنابها طويلة.

٥ و٦ ـ الأسقيات: جمع أسقية، وأسقية: جمع سِقاء؛ والسقاء: وعاء من جلد يكون للماء. وقصد بطن الناقة. ليوم الخمس: أن تعطش أربعة أيام وتسقى في اليوم الخامس. طوت: ثنت. غابر ما فيها: ما بقي فيها. البِلّات: من البلل، أي الترطيب بالماء؛ ويقال: طوى باقي السقاء على بلله: أي ثنى السقاء وهو لا يزال رطبًا، فإذا جف وطواه تكسّر. وطوت باقي ما في بطونها على بلاتها: لا تترك الماء يجف نهائيًا في بطونها حتى يجيء يوم الورد، وهو اليوم الخامس.

٧ و٨ ـ نِيطت: عُلّقت. ضراتها: أصول ضرعها. الطلح: شجر شوكي ضخم، واستعماله هنا لإثارة صورة الضخامة. النخر: المتآكل تظهر فيه الثقوب.
كان قطعًا من شجر الضلح الضخم تآكلت، فتجوفت، وبانت الثقوب فيها عُلقت على أصول ضرعها. وذلك كناية عن عِظم هذه الضروع.

٩ ـ اتقت: وقت نفسها، حمت نفسها. واتقت الشمس بجمجماتها: جمت نفسها من الشمس بجمجماتها وذلك كناية عن عِظم الجمجمات وضخامتها التي يمكنها أن تُظل الجسم وتقيه الشمس.

١٠ و١١ ـ العاطنات: النازلات في العطن؛ والعطن للإبل كالوطن للناس؛ وقد غلب على مبركها حول الحوض. والعاطنات: من عطنت الإبل إذا رويت ثم بركت، ويقال لها إبل عاطنة=

٨ ـ لا يوفي ببسطام قتيل
عبد الله بن عنمة(١)

أولاً: الإطار

كان الشاعر عبد الله بن عنمة الضبي مجاورًا في بني شيبان عندما قام بسطام بن قيس الشيباني بالاعتداء على إبل تبلغ الألف عددًا لمالك بن المنتفق الضبي. وبنتيجة الاعتداء واستنجاد كل من الطرفين بقومه، قُتل بسطام وفشلت الغزوة. وقد عرفت هذه المعركة بيوم نقا الحسن (وهو اسم مكان المعركة) كما عرفت بيوم الشقيقة (عند ابن الأثير) ويوم السقيفة (عند ابن عبد ربه).

خاف عبد الله بن عنمة أن يكون كبش المحرقة، فينتقم منه بنو شيبان لمقتل فارسهم بسطام. فبادر إلى رثاء القتيل والتغني بفضائله(٢).

ثانيًا: المقطوعة

وقالَ عبدُ الله بنُ عَنَمَةَ، وكان حليفًا لبَنِي شيْبان، يَرْثِي بِسْطامَ بنَ قَيْسٍ: [من الوافر]

١ ـ لأُمِّ الأرضِ وَيْـلٌ مـا أَجَـنَّـت غَـداةَ أَضَـرَّ بـالـحَـسَـنِ الـسَّـبِـيـلُ

= وعواطن. (والعاطنات قياسية إذا عوملت معاملة الإناث العاقلات، وهو كثير عند العرب) رواء الإبل: التي شربت فارتوت. العانس: المرأة تجاوزت سن الزواج ولم تتزوّج، وهي بالطبع تقدمت في العمر وصارت حركتها أهدأ وأثقل من حركة الفتيّات. الريطات: المُلاءات. والملاءة: ثوب طويل يغطي سائر الثِياب.
هذه النوق العظيمة قسمان: قسم منها شرب وارتوى وبرك حول الحوض وعطش، والقسم الآخر يتوجه إلى الحوض حيث الماء وحوله النوق المرتوية. فلضخامة هذه النوق، وزهوها بِسِمَنها، يكون سيرها متمهلًا وئيدًا سيرَ العوانس اللواتي تجاوزن سن الشباب، وقد تزمّلن بملاءاتهن.

(١) هو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن ثعلبة بن ذؤيب. . . وينتهي نسبه إلى سعد بن ضبة فإلى مضر. وهو شاعر إسلامي مخضرم، شهد القادسية (المرزوقي، شرح الحماسة، ١/ ٥٨٢ عن الخزانة ٣: ٥٨٠).

(٢) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥/ ٢٠٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ٣٧٤.

١ ـ أُم الأرض: باطنها. ويل لها: دعاء عليها. أجنّت: استبطنت وسترت وأخفت. غداة: =

٢ ـ نُـقَـسِّـمُ مـالَهُ فِـيـنـا ونَـدْعُـو أَبـا الـصَّـهْـبـاءِ إِذْ جَـنَـحَ الأَصِـيـلُ

٣ ـ أَجِـدَّكَ لَنْ تَـراهُ ولَن تَـراهُ تَـخُـبُّ بِـهِ عُـذافِـرَةٌ ذَمُـولُ

٤ ـ حَـقِـيـبَـةُ رَحْـلِهِ بَـدَنٌ وسَـرْجٌ تُـعـارِضُـهُ مُـرَبَّـبَـةٌ ذَؤُولُ

٥ ـ إِلـى مِـيـعـادِ أَرْعَـنَ مُـكْـفَـهِـرٍّ تُـضَـمَّـرُ فـي طَـوابِـقِـهِ الـخُـيُـولُ

٦ ـ لَكَ الـمِـرْبـاعُ مِـنْـهـا والـصَّـفـايـا وحُـكْـمُـكَ والـنَّـشِـيـطَـةُ والـفُـضُـولُ

= يقصد بها يوم. الحسن: مكان المعركة الذي قُتل فيه بسطام وهو نقا (كثيب رملي). أضرّ به: دنا منه دنوًّا شديدًا فآذاه السبيل: الطريق.

كأن نقا الحسن كان بمعزل عن الطريق، آمنًا الغرباء، فاقترب الطريق منه وحمل معه الأذى والضرّ، فقام الصراع، وسقط القتلى، فحوت الأرض بسطام، ويل أمها لم تدر من أخفت في بطنها!

٢ ـ نقسّم ماله فينا: كناية عن الإغراق في الكرم. فمن يعطي المحتاج أو السائل هو كريم، لكن الكرم يبلغ بالبعض أن يعطوا كل ما يملكون للمحتاج وغير المحتاج: يُنهبون ما لَهم الناس. هكذا كان بسطام، أبو الصهباء، إذا مال النهار إلى المغيب: ندعوه طالبين الضيافة، فيُنهبنا ماله.

٣ ـ أجدَّك (أُقسم لك): وحظّك. تخب به: تحمله وتعدو الخبب وهو أن تراوح بين يديها ورجليها. العذافرة: الناقة الغليظة. الذّمول: السريعة.

٤ ـ الحقيبة: ما يحمله راكب الناقة خلفه من لوازم سفره. وكان الفرسان المقاتلون في حالة استعداد دائم للحرب، فيجعلون خلفهم درعًا قصيرة ويجنبون فرسهم إلى ناقتهم حتى إذا فُرضت عليهم المعركة قولوا إلى الفرس ولبسوا الدرع. بدن: درع قصيرة. السرج: ما يوضع على الفرس للركوب. والرحل: ما يوضع على الناقة للراكب الذكر. تعارضه: تسير إلى جانبه. مربّبة: فرس مربّبة: سمينة غذيت في البيوت. ذؤول: خفيفة في السير، سريعة.

٥ ـ الأرعن: الجيش العظيم كأنه أنف جبل هاجم. مكفهّر: ملتفّ، متراكب، قاتم، عابس وذلك لما يثيره من غبار يلفّه بغشاء أغبر. طوابقه: أنحاؤه، جوانبه. تُضَمَّر الخيول: تغدو ضامرة وذلك لما يُطلب منها من جهد في السير والحرب.

الفرس التي يجنبها سريعة إلى لقاء الجيش العظيم الذي اعتاد الحرب. وتمرّس بالمشقات فضمرت خيوله، وأثارت كثرته الغبار فلفّه بغشاء أغبر.

٦ ـ المرباع: ربع الغنيمة، وهي حصة الرئيس أو القائد. الصفايا: المنتقاة المميزة، وهي التي يُترك للرئيس انتقاؤها. . النشيطة: ما يُصادَف من مال العدو ويؤخذ قبل المعركة. الفضول: ما يبقى من الغنائم مما لا يحتمل القسمة؛ كل ذلك يُعطى للرئيس. حُكمك: ما تحكم به، أي ما ترى أن تأخذه، أو أن تفرضه أو أن تعاقب به الأسرى. =

٧ ـ لَقَد ضَمِنَتْ بَنو بَدْرِ بن عَمْرو ... ولا يُوفِي بِبِسْطَام قَتِيلُ

٨ ـ وخَرَّ على الألاءَةِ لَم يُوَسَّدْ ... كأَنَّ جَبِينَه سَيْفٌ صَقِيلُ

٩ ـ فإن تَجْزَعْ عَلَيْه بَنُو أَبِيهِ ... لَقَدْ فُجِعُوا وفاتَهُمُ خَلِيلُ

١٠ ـ بِمِطْعامٍ إذا الأَشْوالُ رَاحَتْ ... إلى الحُجُراتِ لَيْس لَها فَصِيلُ

١١ ـ [ومِقْدامٍ إذا الأَبْطالُ خَامَتْ ... وعَرَّدَ عَنْ حَلِيلَتِه الحَلِيلُ]

= لكون بسطام سيد قومه وقائد جيشهم فهو الرابح الأكبر من حربهم: له ربع الخيول المضمرة، وما يصطفيه من أصائلها وما يصادره جيشه من أموال العدو خارج المعركة، وكل ما لا يقبل القسمة من الغنائم، فضلًا عن إعطائه الأوامر والحكم بكل شأن ولعل من ذلك مصير الأسرى والسبايا إذا وُجدن.

٧ ـ ضَمِنت: (وقعت في مأزق كبير) أصيبت ببلية عظيمة. بنو بدر بن عمرو: قوم عاصم بن خليفة الصباحي، قاتل بسطام. لا يوفي به: لا يعادله.
إن بني بدر بن عمرو، إذ قتلوا بسطام، وقعوا في بلية عظيمة لأن بسطام بن قيس ليس شخصًا عاديًا يكتفي بقتل قاتله. فلا إنسان يعادله قيمة ليؤخذ ثأره منه. فالخطر محيط بخيرة بني بدر بن عمرو (على مستوى القيمة) وبأكبر عدد منهم (على مستوى المعادلة).

٨ ـ خرّ: سقط. الألاءة: من أشجار الصحراء. لم يوسَّد: لم يُراع ولم يُعتنَ به ولم توضع وسادة تحت رأسه، كما يفعل للسادة.
لقد سقط بسطام على الألاءة، لم يكن بالمستطاع وضع وسادة تحت رأسه كما يستحق الأسياد فبدا جبينه كالسيف المصقول. والشبه هنا من جهتين: جهة الملاسة والنعومة، وهي في الجبين دليل على الشباب. ومن جهة البياض وصفاء اللون، وهما من صفات السادة المرفهين.

٩ ـ إن أصاب قومه الهلع، فحق لهم ذلك: لقد أصابتهم مصيبة وفقدوا أخًا، صديقًا صدوقًا.

١٠ ـ مطعام: كثير الإطعام للناس. الأشوال: الإبل المرضعة التي ارتفعت بطونها (بعدما كانت حوامل)، ومن طبيعة الأشوال أن يكون لها صغار. راحت إلى الحجرات: رجعت إلى الحظائر. ليس لها فصيل: ليست صغارها معها؛ والسبب أنهم ذبحوا الفصال وأبقوا على الأمهات للاستفادة من ألبانها. وهذا يكون عادة في أيام القحط. وفي هذه الأيام يزداد بخل البخيل خوفًا من الأيام الصعبة، ويزداد كرم الكريم لأن الكرم الحقيقي هو حرمان للذات وهنا يتجلى.

١١ ـ مقدام: جريء يتقدم ولا يتراجع. خامت: جبنت وتراجعت أو هربت. عرّد: تخلّى. عن خليلته الخليل: عن الزوجة زوجها.
حين يُحمى الوطيس، وتتأزم حتى يخاف الأبطال فيتراجعوا، ويُستطار الرجال فيهربون تاركين زوجاتهم، حين ذلك يتقدم بسطام، يثبت ولا يتراجع.

٩ ـ مطايا عُقبة
عُقبة بن سابق الهَزّاني (١)

أولاً: الإطار

مطايا البدوي محور حياته وأثمن مقتنياته، فحياته انتقال فردي وجماعي، وهي أيضًا غزو وهرب، أو ملاحقة ومواجهة، وفي كل ذلك يعتمد المراكب.

فللأسفار البعيدة، لاجتياز الصحاري الواسعة المقفرة، لا بدّ له من ناقة شديدة، قوية، طويلة، تتحمل العطش وتتحمل الجهد والتعب، حتى الألم يصيب أخفافها أو مفاصلها فلا تشتكي.

وللصيد والطرد والحرب لا بدّ له من فرس طويل، ممشوق، ضامر الخصر، ينصبّ في جريه انصبابًا، إذا لاحق عيرًا لا يمكّنه من أن ينجو، فلا ملاذ له منه.

هذا ما يعبر عنه عقبة في مقطوعة، وهو يمعن في وصف تفاصيل جسم فرسه، وحركاته، لكنه يبدأ بناقته.

ثانيًا: المقطوعة

وقال: وأنشدني لعُقبَةَ بنِ سابقٍ في صفةِ الخَيْل: [من الهزج]

١ ـ وجَــرْفٍ سَـبْـسَــبٍ، يَــجْــرِي   عَـــلَيْــــه مُـــورُهُ، جَـــدْبِ

٢ ـ تَــعَــسَّــفْــتُ عــلَى وَجْــنَــا   ءَ حَــــرْفٍ حَــــرَجٍ رَهْــــبِ

---

(١) هو عقبة بن سابق الهزّاني (من بني هزّان) ابن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة . . .بن نزار بن معد بن عدنان، ورد ذكره في بعض كتب الأدب، ولم يترجم أحد له.

١ ـ الجرف: المكان من الوادي يجرف السيل منه، ومجازًا الأرض يستريح فيها السيل حاملًا إليها ما جرفه في مسيره. السبسب: البيداء المقفرة رملية أرضها أو صلبة. يجري: هنا يتردد. المور: الغبار بالريح.
رب أرض واسعة يتراكم عليها التراب تحمله السيول، بيداء واسعة، جدباء مقفرة، يتردد تصاعد الغبار في أجوائها مع كل ريح.

٢ ـ تعسّفت: قطعت دون اتباع طريق محدد. الوجناء: الناقة العظيمة الصلبة. الحرف: الضامرة. الحرج: الناقة الطويلة على وجه الأرض. الرهب: الناقة أُعدّت للأسفار وتمرست بها.

=

٣ ـ طَـلِيـحٍ كـالـفَـنِـيـقِ الـقَـطِـم الـمُـسْـتَـكْـبِـرِ الـصَّـعْـبِ
٤ ـ تَـهَـادَى بِـالـرُّدافَـى و تَـشَـكَّـى وَجَـعَ الـنَّـكْـبِ
٥ ـ وعَـنْـسٍ قَـد بَـراهـا لَـذَّةُ الـمَـوْكِـبِ والـشَّـرْبِ
٦ ـ رفَـعـنـاهـا ذَمِـيـلًا فـي مُـعـالَـى مُـعْـمَـلٍ لَحْـبِ
٧ ـ وقَـدْ أَغْـدُو بِـطِـرْفٍ هَـيْـكَـلٍ ذِي خُـصَـلٍ سَـكْـبِ

= تلك البيداء دخلت فيها لا أتبع طريقًا محددًا وأنا على ظهر ناقة عظيمة الهيكل، ضامرة الخصر، طويل ظلها على الأرض، اعتادت الأسفار وتمرست بها.

٣ ـ طليح: مهزولة من الأسفار. الفنيق: الفحل المكرَّم، المخصص للضّراب، لا يؤذي ولا يُركب. القَطِم: المهتاج من شهوة النكاح. المستكبر، الصعب: يأبى الانقياد، فهو لم يُذَلّل.
هذه الناقة أضمرها السفر وأهزلها، لكن الضمور يجعلها أكثر نشاطًا وحيوية، فهي هائجة، لا تستقر ويصعب انقيادها كأنها الفحل المُعَدّ للضراب، المتكبر، الأَنِف، الذي يُراعى ولا يهان، فإذا اهتاج صعب كبته.

٤ ـ تهادى: تتهادى: تمشي متمايلة من تبختر أو ألم. الردافى: المترادفين، وهو أن يكون على ظهر الناقة راكبها وخلفه راكب آخر هو الرديف. النكْب: هو النكَب ويكون قد سكّن لوزن الشعر، والنكب داء يأخذ الإبل في مناكبها فتظلع منه وتمشي منحرفة. والنكْب: أن ينكب الحجر ظفرًا أو منسمًا أو حافرًا، وهو أيضًا يسبب الظلع في المشي.
وهي ناقة صبور، فلو كانت مصابة بداء يأخذ في مناكبها، أو بنقب في أخفافها يؤلمها، وشاء راكبها أن يردف خلفه راكبًا آخر، لتحملت الألم وتابعت سيرها متمايلة.

٥ ـ عنس: نوق صلبة. براها: أتعبها وأهزلها. الموكب: القوم الرُكوب للزينة والتنزه، لا يسرعون في السير. الشَّرب: القوم يجتمعون على شراب.
هنا وجه آخر لإجهاد النوق، ليس عن طريق الأسفار واجتياز الفيافي والقفار، وإنما عن طريق لهو وعبث وسمر وشراب. فالشبان المرفهون يزهون بأنفسهم يركبون نوقهم ركوب عرض وتنافس في الزينة، أو يركبونها لينتقلوا من مجلس شراب إلى آخر. وهذا النوع من التنقل لا يمكن أن يجهد النوق إلا في حالة واحدة: أن يكون دائمًا دائبًا لا يتوقف.

٦ ـ رفعناها: جعلناها تسير. ذميلًا: سيرًا ذميلًا: وهو نوع من السير الليّن. المعالى: الطريق الصاعد. مُعْمَل: مسلوك مُمَهَّد. لحب: واضح.

٧ ـ طرف: حصان طِرف: حصان كريم النسب. هيكل: ضخم. الخصل: المتدلي من الشعر، وهنا: شعر الناصية، وهو مستحب للجواد. السكب: الجواد الكثير العدو. يغيّر الشاعر المطية، فيبكّر إلى ركوب جواد كريم أصيل، ضخم الهيكل، متدلي شعر الناصية، كثير العدو.

٨ - أَسِيلِ سَلْجَمِ المُقْبَلِ لا شَخْتٍ ولا جَأْبِ
٩ - مِسَحٌ لا يُوازِي العَيْرَ مِنهُ عَصَرُ اللُّهْبِ
١٠ - لَهُ سَاقَا ظَلِيمٍ خَاضِبٍ فُوجِئَ بِالرُّعْبِ
١١ - وقُصرَى شَنِجِ الأَنْسَاءِ نَبَّاحٍ مِنَ الشُّعْبِ
١٢ - ومَتْنَانِ خَظَاتَانِ كَزُحْلُوفٍ مِنَ الهَضْبِ

---

٨ - أسيل: أسيل الخد، وهو الخد المستوي الأملس الطويل. سلجم المُقْبَل: طويل الوجه لمن يقابله. شخت: نحيل مهزول. جأب: غليظ.
خده أملس طويل في وجه طويل. ليس بالهزيل ولا بالغليظ.

٩ - المسح: الذي يعطي الجري بعد الجري ويبقى مسرعًا. العَصَر: الملجأ والمنجاة. اللُّهب: وجه من الجبل كالحائط لا يُستطاع ارتقاؤه. العير: حمار الوحش، وهو معروف بسرعة العدو، لا يُلحق.
هذا الجواد يعطي الجري بعد الجري لا يثنيه شيء، فإذا لاحق عيرًا أدركه لا محالة. إذ لا ينجيه منه ولا ملجأ في وجه من الجبل لا يُرتقى. يواري: يمنع، يخفي. (القدرة على الملاحقة في المرتفعات والجبال دليل قوة نادرة في الإنسان والحيوان، فالعرب ترى في الجبال رمزًا للصعوبة).

١٠ - الظليم: ذكر النعام؛ والنعام، بصورة عامة، مشهور بقصر الأرجل وبالسرعة. له ساقا ظليم: ساقاه كساقي ذكر النعام في السرعة. خاضب: احمرت قوائمه، وقد يكون السبب رمل أحمر يعلق بها أو عصارة بعض أنواع النبات. في هذه الحالة يكون الظليم قد رعى النبت الطري، وتلك إشارة إلى الربيع وفيه تتدفق الحيوية في الأجساد. فوجىء بالرعب: النعام مشهور بالخوف. فإذا فاجأه ما يخيفه انطلق يعدو، لا يلوي على شيء، وصعب اللحاق به.
بسرعة الظليم الذي رعى الربيع وتدفقت الحيوية في جسده، وفاجأه أمر أرعبه فانطلق يعدو لا يلوي على شيء، يشبه سرعة ساقي الفرس.

١١ - القصرى: أسفل الأضلاع أو هو الضِّلَع التي تلي الشاكلة (الخاصرة) بين الجنب والبطن، ولعل المقصود مجمل الصدر. شنج: منقبض. الأنساء: جمع النَّسا: عرق يخرج من الورك، فيستبطن الفخذ، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ القدم عند الإنسان، والحافر عند الفرس أو سواه؛ وشَنَج الأنساء: منقبض عروق النَّسا، وهو مدح له لأنه، إذا تقبّض نساه وشَنَج، لم تسترخ رجلاه. من الشعب: من الظباء الشعب. والظبي الأشعب: الذي تفرق قرناه فتباينا بينونة شديدة وكان ما بين قرنيه بعيدًا جدًا. ولا يصبح كذلك إلا أن يكون أسنّ. في تلك السن يغدو نبّاحًا أي له نُباح.
لهذا الجواد صدرٌ ناهد كصدر ظبي منقبض عروق النسا، أسنّ فغدا نبّاحًا وتفرع قرناه وتشعّبا.

١٢ - متنان: ج متن، وهما لحمتا الظهر بجانبي فقاره. خظاتان: مكتنزتان (أنث المتن، وهذا جائز).
الزحلوف: المنحدر الأملس يتزلقون عليه، من صخر أو رمل، وميزته الملاسة والنعومة. =

١٣ ـ تَــــرَى فَــــاهُ إذا أَقْــــبــ ـلَ مِــثْــلَ الــسَّــلَقِ الــجَــدْبِ
١٤ ـ لَهُ بَــيْــنَ حَــوامِــيــهِ نُــسُــورٌ كَــنَــوى الــقَــسْــبِ
١٥ ـ حَــدِيــدُ الــطَّــرْف والــمَــنْــكِـ ـبِ والــعُــرْقُــوبِ والــكَــعْــبِ
١٦ ـ جَــوادُ الــشَّــدِّ والــتَّــقْــرِيـ ـبِ والإِحْــضــار والــعــقْــبِ
١٧ ـ يَــخُــدُّ الأَرْضَ خَــدًّا بِــ ـصُــمُــلٍّ سَــلِطٍ وَأْبِ
١٨ ـ يَــزِيــنُ الــبَــيْــتَ مَــرْبُــوطًــا ويَــشْــفِــي قَــرَمَ الــرَّكْــبِ
١٩ ـ ويُــرْدِي الــخَــاضِــبَ الأَخْــرَ جَ فــي ذِي عَــمَــدٍ صُــهْــبِ

= ظهر الجواد مكتنز اللحم أملسه ملاسة الزحلوف.

١٣ ـ السَّلَق: المكان المطمئن بين الربوتين، أو القاع المطمئن المستوي لا شجر فيه. الجدب: لا نبت فيه؛ وهذه كناية عن اتساع فمه إذا نظر إليه من يواجهه.

١٤ ـ الحوامي: ميامن الحوافر ومياسرها. نسور: جمع نسر، وهو لحمة توجد في باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة. النوى: عجو التمر. القسب: التمر اليابس.

١٥ ـ حديد الطرف: قوي النظر. المنكب: ملتقى الكتف والعضد. العرقوب: عرقوب الدابة، في رجلها، بمنزلة الركبة في يدها. فكل ذي أربع عرقوباه في رجليه، وركبتاه في يديه. الكعب: ما بين عظم الوظيف وعظم الساق.
إن القوة عنوان كبير في كل ما يتعلق بالبدوي. وفرسه القوي، كلُّ شيء قوي فيه: نظره شديد القوة يستكشف الأفق، منكبه قوي يدعم حركته، ومثل ذلك عرقوبه، وذلك يهيىء له السرعة والثبات في عده. والكعب كذلك يدعم الحافر، فقوته تجعل حافره ثابتًا في نقلته.

١٦ ـ بعد كل مظاهر القوة في مفاصله غدا من الطبيعي أن يصبح الجواد جواد الشد، أي العدو السريع، والتقريب، أي العدو برفع يديه معًا ووضعهما معًا، والإحضار، أي ارتفاع الفرس في عدوه وزيادته سرعته، والعقب، أي اتْباع الجري بجري آخر.

١٧ ـ يخد الأرض: يحدث فيها حُفرًا. الصُّمُلّ: الحافر الصلب. السلِط: الشديد. الوأْب: منضم السنابك، خفيف. مقعَّب، كثير الأخذ من الأرض.
والجري الشديد السريع يحتاج إلى حوافر صلبة، شديدة، خفيفة ومتماسكة. وحوافر هذا الجواد، فضلًا عن ذلك، مقعبة تضرب الأرض فتأخذ منها وتترك فيها حفرًا.

١٨ ـ مربوطًا: مرتاحًا عند البيت. قرم اللحم: الحاجة إلى أكل اللحوم. الركب: الراكبون.
هو، في جمال خلقته، منظر مستحب يزين البيت إذا رُبط عنده. وهو، في سرعته وقوته، ينيل راكبه مراده من الصيد ويطفىء عند عائلته شهوة اللحم.

١٩ ـ يُردي: يُصيب فيُسقط. الخاضب: المستخدم الحناء لتغيير لون الشعر. الأخرج: الذي يميل لونه إلى السواد، الأغبر. العمد: كناية عن أرجل الظليم، صهب: من الصهبة وهي=

٢٠ ـ وفَـحْـلَ الـعَـانَـةِ الـجُـونِ الـ ... خِـمـاصِ الـنُّـحُـصِ الـحُـقْـبِ
٢١ ـ يَـهُـزُّ الـعُـنُـقَ الأَجْـرَ ... دَ فـي مُـسْـتَـأْمَـنِ الـشَّـعْـبِ

١٠ ـ صعلوك فقير وصعلوك أمير
عروة بن الورد[١]

أولاً: الإطار

يحلو لعروة أن يجعل زوجَه تلومه على حياة المخاطر التي يحياها، وأن يلومها

= لون يميل إلى الاحمرار.
استكمالًا لإشباع الشهوة إلى اللحم، يشرح الشاعر كيف يتم ذلك بالصيد. فهو يدرك الظليم ويتسبب في مصرعه، الظليم الأغبر اللون، الذي احمرّت قوائمه لرعيه طويلًا النبات الطري.

٢٠ ـ الفحل: الذكر الشديد من الحيوان، وقد يكون قائد القطيع لقوته، جماعة الإناث من حُمُر الوحش. الجون: البيضاء أو السوداء، الخِماص: الضامرات الخصور أو الجائعات. النُحص: جمع النحوص، وهي الأتان لا ولد لها ولا لبن، وقد تكون حائلًا تنتظر الضِّراب. الحُقب: جمع الحقباء وهي التي في بطنها بياض.
والجواد يدرك كذلك الذكر الشديد الذي يرعى قطيع الأتن من حمر الوحش، الضامرات الخصور، الجائعات، غير الحوامل، ولا المرضعات، التي في بطنها بياض.

٢١ ـ العنق الأجرد: الخالي من الشعر. ويهز العنق: يفعل ذلك متباهيًا أمام الأناث. المستأمن: الآمن. الشَّعب: ما انفرج بين جبلين، ترتاح فيه القطعان آمنة.
يتابع وصف الفحل، فهو يختال بين إناثه، يهز عنقه القصير الشعر من زهْوٍ وخيلاء، وقد أمِن القطيع وارتاح لنزولة في منبسط أرض بين جبلين.

(١) هو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هُرَيم بن لُدَيم بن عوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس... قيس عيلان بن مضر، شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين، المقدّمين، الأجواد. كان يلقَّب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى. (الأغاني ٣/ ٧٠).
قال عبد الملك بن مروان: ما يسرُّني أن أحدًا من العرب ولدني، ممن لم يلدني، إلا عروة بن الورد... وقال: من زعم أن حاتمًا أسمح الناس، فقد ظلم عروة بن الورد (م.ن. ص ٧١).
ذُكر أنه كان، إذا شكا إليه أحد من فتيان قومه الفقر، أعطاه فرسًا ورمحًا وقال له: «إن لم تستغن بها فلا أغناك الله». (الثعالبي ـ ثمار القلوب).

هو على لومها.. وعروة، بذلك، يحقق هدفين: أولُهما إبرازُ جَزَع الزوجة وخوفِها عليه، وهذا يُرضي كل ذَكَر، إذا أتى من أنثاه. وثانيهما أن ينطلقَ، من اللوم، إلى تمجيد حياة السعي والمغامرة، جاعلًا من نفسه مثلًا، حاثًّا الآخرين على الاقتداء به والاستماع إلى صوت العقل والحاجة، لا صوتِ المرأةِ الجزوع...

وفي هذه القصيدة يقوم عروة بتصنيفٍ ومقابلة: يصنّف الصعاليك صنفين: المستكين والمغامر. ويقابل بينهما مفاضلًا: يصوّر الأول في إطار الذل والبؤس، فيما يرسم للثاني صورةً مشرقةً جذَّابة. فتكون هذه المفاضلة دعوة ضمنية إلى ترك الخمول، وطلبِ الغنى تأمينًا للعيش الكريم ولواجب الضيافة والكرم...

ثانيًا: القصيدة

وقال عُرْوَةُ بنُ الوَرْدِ: [من الطويل]

١ ـ أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ... ونامِي فإنْ لَم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي

٢ ـ ذَرِينِي ونَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ إنَّنِي ... بِها قَبْلَ أَنْ لا أَمْلِكَ البيعَ مُشْتَرِي

٣ ـ أحاديثَ تَبْقَى والفَتَى غَيرُ خالدٍ ... إذا هو أَمْسَى هامَةً تَحتَ صُبَّرِ

٤ ـ تُجاوِبُ أَحْجارَ الكِناسِ وتَشْتَكِي ... إلى كُلِّ مَعْرُوفٍ تَراهُ ومُنْكَرِ

---

١ ـ بنت منذر: زوجته سلمى الكنانية. يكنيها «أم وهب» تارة «وأم حسان» تارة أخرى.
يبدو عروةُ متبرّمًا بتدخلِ زوجته في شؤونِ عمله واكثارِها من لومه، فيدعوها إلى أن تكفَّ عن ذلك وأن تنصرفَ إلى شؤونها: أن تنامَ، وفي ذلك راحةٌ لها وله، أو أن تسهرَ، إذا لم تستشعرْ نعاسًا، أن تفعل ما يحلو لها، شرطَ أن تتركَهُ لحالِه.

٢ ـ ذريني: اتركيني. البيع والشراء: من الأضداد، وكلتاهما هنا بمعنى الشراء.
اتركيني لنفسي أتصرّفْ بها كما أُريد، قبل أن يسبقني الزمنُ وأغدوَ عاجزًا عن التصرف بها. دعيني أبذلْها ثمنًا للمجدِ والذكر الحسن.

٣ ـ أحاديث: (مفعول به لمشترٍ في البيت السابق) فأقوالُ الناس عنها (عن نفسه) هي التي يريد شراءها. الهامة: طائرٌ اعتقد الجاهليون أنه يخرُجُ من رأس المقتول غدرًا، يصرخُ: اسقوني، اسقوني؛ ويبقى على ذلك إلى أن يؤخذَ بثأره. صُبَّر: قبْر.
إن كل نفسٍ ذائقةُ الموتَ، والذكرُ الحسنُ هو الذي يبقى بعد أن يوارى الإنسانُ الترابَ ويتحولَ إلى هامة تصرخُ تحت كومةٍ من حجارة.

٤ ـ الكِناس: المغار تَكنِسُ (تستَتِرُ) فيه الظباءُ وتغيب. وقد كَنَّى به عن القبْر. المُنكَر: غير المعروف.

٥ ـ ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلادِ لَعلَّنِي   أُخَلِّيكِ أو أُغْنِيكِ عَنْ سُوءِ مَحْضَرِ

٦ ـ فإنْ فازَ سَهْمٌ لِلمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ   جَزوعًا وهَلْ عَنْ ذاكِ مِنْ مُتَأَخَّرِ

٧ ـ وإنْ فازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَن مَقاعِدٍ   لَكُمْ خلفَ أَدْبارِ البُيوتِ ومَنْظَرِ

٨ ـ تَقولُ: لَكَ الوَيْلاتُ هَلْ أَنتَ تارِكٌ   ضُبُوءًا بِرَجْلٍ تارَةً وبِمَنْسِرِ

هذه الهامةُ تلازِمُ القبرَ، تصرخُ فتجاوبُها أحجارُه، تستغيثُ بكل من يمرُّ بهِ، معروفًا منه كان أو غيرَ معروف.

٥ ـ طَوِّف في البلاد: سار فيها، دار وتنقّل. أخلّيك: اجعلُك طالقةً (إذا مُتُّ عنك) فقد كان الرجلُ في الجاهلية يقولُ لزوجته: أنت خليَّةٌ، فكانت تَطْلُق منه. (وهي، في الإسلام، من كنايات الطلاق). المَحْضَر: المرجع إلى أعداد المياه... وكلُّ من نَزَلَ على ماءٍ عِدٍّ ولم يتحولْ عنه، شتاءً ولا صيفًا، فهو حاضر. والمحضرُ هنا كنايةٌ عن المُقام الثابت (على الماء). وسوء المحضر: المُقام في ظروفٍ سيئة.

دعيني أَسِرْ في البلاد. فإذا مُتُّ، غدوتِ طالقةً، حرةً في اختيار زوجٍ آخر يناسبُكِ. وإذا نجحتُ وأصبتُ الغنى، خلّصْتُكِ من سوءِ المُقام الذي تقنعين به. وفي هذا البيت مقابلةٌ بين البقاءِ مع الفقرِ، والضربِ في الأرضِ سعيًا وراءَ الرِزق، وهي مقابلةٌ يُكثرُ عروةُ من إقامتها.

٦ ـ فاز سهم: كنايةٌ عن لعبة الحظ أو وسيلة الاقتسام التي يسحبُ فيها المرءُ سهمًا من مجموعةِ أسهم كُتبَ على كلٍ منها اسمٌ أو موضوعٌ. فيكون السهمُ المسحوبُ له، أو عليه، أو محدِّدًا لحُصَّته، أو للقرارِ الذي يتوجب عليه اتخاذُه. جزوعًا: مُشفِقًا.

يتابع عروة تفصيل الاحتمالين الواردين في البيت السابق (الموت أو الغنى) فيقول: أنا في سباقٍ دائمٍ مع الموت، ولا أخافُ أن أكون الخاسرَ لأنني لن أموتَ إلا إذا حانَ أجلِي، وما من إنسانٍ يستطيعُ تأخيرَ أجَلِهِ متى حان.

٧ ـ كَفَّكُم: صرفكُم، صانكُم، مَنَعَكُم. المقاعد خلفَ أدبارِ البيوت: الأماكنُ الخلفيةُ لبيوت الميسورين حيث يكون الخدمُ وأصحابُ الحاجات والسائلون.

أما إذا كان الفوزُ لي، وخلّفتُ الموتَ ورائي، فإن ما ينالُني من الغنى سيعودُ خيرًا يَعُمّكُمْ جميعًا، يصونُكم عن مقعدِ الفقرِ ومنظرِ الذلِّ إذ يغنيكم عن ارتيادِ الأماكنِ الخلفيةِ لبيوتِ الأغنياء.

٨ ـ لك الويلاتُ: نزلت بك المصائبُ. وهذا الدعاءُ نوعٌ من التحبب وليس للتشفّي، لأن حافزَه الخوفُ على عروة، كما يتبين من الأبيات اللاحقة. الضُّبوء: الزحفُ المتخفي بقصْدِ الختْلِ والمفاجأة. الرَّجْل: من يركبُ رِجليه. المَنْسِر: والمِنْسَر: من الخيل ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. وقيل ما بين الأربعين إلى الخمسين أو إلى الستين، وقيل ما بين المائة إلى المائتين.

تدعو عليه زوجته، دعاءَ تحبُّب، بالمصائبِ والنوائبِ، للحياةِ القلقة التي يحياها، ولما=

٩ ـ ومُسْتَثْبِتٌ في مَالِكَ العامِ إنَّنِي أراكَ عَلَى أَقْتَادِ صَرْمَاءَ مُذْكِرِ
١٠ ـ فَجُوعٍ بِهَا لِلصَّالِحِينَ مَزَلَّةٍ مَخُوفٍ رَداها أَنْ تُصِيبَكَ فاحْذَرِ
١١ ـ أَبى الخَفْضَ مَنْ يَغْشاكِ مِن ذِي قرابَةٍ ومِن كُلِّ سَوْداءِ المَعاصِمِ تَعْتَرِي
١٢ ـ ومُسْتَهْنِيءٍ زَيْدٌ أَبوهُ فَلا أَرَى لَهُ مَدْفَعًا فاقْنَيْ حَياءَكِ واصْبِرِي

= تُحِسُّه دومًا من خوفٍ عليه ومن اضطراب، وتسأله: أما آن لك أن تُقلِعَ عن الزحْفِ المتخفي المتلصِّص، مع الرجّالة، وعن عمليات الاقتحام مع الخَيّالة؟

٩ ـ ومُستَثبتٌ: (معطوفٌ على تاركٌ أي وهل أنت مستثبتٌ): متأنٍ لا تعجل. العامَ: هذه السنة. الأقتاد: أدوات الرحل. صرماء: ناقةٌ قليلةُ اللبَن لأن غُزْرها انقطع، أو هي التي تُقطَعُ أوطابُها لتشتدّ: والصرماء: الفلاة من الأرض، والمفازةُ التي لا ماء فيها. مُذكِر: شديدة، ذاتُ حول. والمُذكر: الناقة التي تلد الذكور. وكانت العربُ تكره أن تنتج الناقةُ ذَكَرًا، ويتشاءمون بذلك، فضربوا الأذكار مثلًا لكل مكروه.
وهل أنت، هذا العامَ، مستمرٌ في تبديدِ مالك؟ هلّا تأنّيتَ في الإنفاق وحسبتَ حسابًا للأيام المقبلة، فإنني أراك تركَبُ ناقةً مشؤومة شديدة (أي تستقبل أيامًا صعبة).

١٠ ـ فجوع: تصيب وتؤلم (وهي نعت ثان لصرماء) والصالحون: ذوو المعروف، لا ذوو الدين. المَزِلّة: المكان الدحض (المنزلق)، وهو موضع الزّلَل. الرَدَى: الهلاك. و«رداها» مبتدأ مؤخر خبره «مخوفٌ» المتقدم عليه.
هذه المصيبة المتوقعة (الأيام الصعبة) شديدةٌ على الصالحين، أهلِ الخيرِ والمعروف، تنالُ منهم وتؤلمُ أهلَهم، وهي منزلقٌ خَطِرٌ لا يمكن الثباتُ فيه، مخيفةٌ، يُحسَب للردى فيها ألفُ حساب، فحاذِرْ أن يُصيبَك أذاها.
وسواء كان المقصودُ أنه على ناقةٍ مقطوعةِ الأوطاب، شديدةٍ، منتجةٍ للذكور، مشؤومةٍ (وذلك كناية عن المصيبة)، أو المقصود أنه على حافة مفازةٍ شديدة الهولِ، فمهلكةٍ (كناية عن الخطر)، فإن الثابتَ أن الزوجة تستشعرُ خطرًا داهمًا يتهدّدُ زوجَها، في شخصِهِ أو مالِهِ، وتحاولُ إقناعَه بالعُدولِ عن عادتِهِ في السفر أو الإنفاق.

١١ ـ الخَفْض: الدَعَة والسكون. أبى الخفض: أبى عليّ الخفض أي منعني من الدَعَةِ والسكون. غشِيه: حَلَّ به. وغشي المكانَ: أتاه. سوداء المعاصم: مَن اسودّت يداها من العمل وتحريك النارِ والرمادِ للصِّلاء. وهي كناية عن المرأة الفقيرة ذاتِ العيال. تعتري: تغشى طالبة المعروف.
أنا لا أستطيع تلبيةَ طلبكِ بالاستكانة إلى الدَعَةِ وتركِ السعي، يمنعني من ذلك واجبُ المعروف نحو الأقرباء الذين يحلّون ببيتك، ونحو طالباتِ العطاءِ من الفقيراتِ ذواتِ العيال اللواتي اسودّت معاصمُهُنّ لكثرةِ ما يحرّكْن الرمادُ يُعلِّلْن بذلك عيالَهُنَّ الجائعين.

١٢ ـ مستهنيء: طالب الهِنْء، وهو العطاء. واستهنأ الرجلَ: استعطاه. مَدفَعًا: دفعًا، وسيلة لصده وردّه. اقني حياءَكِ: الزميه.
=

١٣ ـ لَحَى اللهُ صُعلُوكًا إذا جَنَّ لَيلُهُ مَضَى في المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجزَرِ

١٤ ـ يَعُدُّ الغِنَى مِنْ دَهرِهِ كُلَّ لَيلةٍ أصابَ قِراها مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ

١٥ ـ قَليلَ الْتِماسِ المالِ إلَّا لِنَفْسِهِ إذا هو أَضْحَى كالعَرِيشِ المُجَوَّرِ

١٦ ـ يَنامُ عِشاءً ثُمَّ يُصْبِحُ قاعِدًا يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ

١٧ ـ يُعِينُ نِساءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ فَيُضْحِي طَلِيحًا كالبَعيرِ المُحَسَّرِ

= ويمنعني من الدعةِ أيضًا طالبو العطاء من أبناء العمومَةِ المنتمين إلى زيد، إذ لا أجدُ وسيلة أصدُهم بها دون أن أخجَل. وأنتِ عليكِ أن تلزمي حياءَكِ وتعرفي حدودَ الكرامةِ فلا تشيري عليّ بما يُخجِل.

١٣ ـ لحى الله: قبّح الله ولعن. المُشاش: كل عظم لا مخّ فيه يمكنك تتبُّعهُ... ومَشَّهُ: مَصَّه ممضوغًا. المَجزِر: مكانُ الذَّبح، وفيه تُتركُ عادةً بقايا الجَزور. جَنَّ ليلهُ: ستره الليل.
لعن الله صعلوكًا، يجعلُ همَّه، إذا ما ستره الليلُ، أن يرتادَ المجازرَ، يبحثُ فيها عن العِظام التي لا مُخَّ فيها، مما يتركه الجزّارون، ليَمُصَّها ماضغًا مقتاتًا بمائها المستحلب منها.

١٤ ـ القِرى: إطعام الضيف والطارق. المُيَسَّر: ذو الغنى والسَعَة.
هذا الصعلوك بلغ الغاية، فقرًا وجوعًا، حتى إذا قُيّض له صديقٌ ذو غِنى وسَعَة، يُقدِّم له قِرى ليلةٍ، عَدَّ نفسه من الأغنياء.

١٥ ـ التمس: طلبَ. العريش: ما يُستظَلُّ به، ما يُعرش به الكرم، شِبهُ الهودج، مِظلة من جريد النخل يُطرح فوقها الثُّمام، السقف، الخيمة، البيت المصنوع من جريد النخل والثُّمام. المُجوَّر: المتهدم. والعريش المجوَّر: البيت المتهدم.
الصعلوك الذي يتحدث عنه عروة إنسانٌ أناني (وتلك صفة تعني الحقارة في عالم يمجّد الكرَمَ والإيثار) لا همَّ له إلا نفسه. يكتفي بتأمين زادِه، لا يفكر بسِواه. وهو لا فائدة منه لأهلِهِ وعيالِهِ لأنه، حين يأتي عليه المساءُ، يتهالك تَعَبًا كأنه رُكامُ بيتٍ متهدِّم.

١٦ ـ العِشاء: أولُ الظلامِ من الليل. حَتّ: فرك الشيء اليابسَ عن الثوب وغيرِه. المتعفِّر: المتمرِّغ في التراب.
هذا الصعلوك الساعي خلفَ اللقمة، يعيش حياةً بائسة ضيقة النطاق، لا سلوى فيها ولا سَمَر. ينامُ باكرًا منذ حلول الظلام، ومع ذلك يُصبحُ والنعاسُ في جفنيه: إن نومَهُ الطويل لا يحملُ الراحة إلى جسمه لأن فراشَه الأرضُ بغبارِها وحصاها، يعلق ذلك كلُّه بثوبِهِ، فيَحتُّه عنه عندما ينهض.

١٧ ـ الطليح: الذي أصابه الكَلَلُ والإعياء حتى كاد يسقُطُ. المُحسَّر: الجمل الذي تعب وكلّ أو الناقةُ التي أُتعبت حتى تُنقى (لا يبقى عليها شحم).
يفسّر عروة سببَ الإجهاد الذي وصف به الصعلوك، فإذا هو لا يعود إلى علوِّ الهمة=

١٨ ـ ولله صُعْلُوكٌ صَفِيحَةُ وَجهِهِ كَضَوْءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ
١٩ ـ مُطِلًّا عَلَى أَعدائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِساحَتِهِمْ زَجْرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ
٢٠ ـ وإن بَعُدُوا لا يَأْمَنونَ اقْتِرابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الغائِبِ المُتَنَظَّرِ
٢١ ـ فَذلِكَ إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَها حَمِيدًا وإنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فأَجْدِرِ

= والأعمالِ المجيدة، وإنما يعود إلى الأعمالِ الحقيرة التي يقوم بها، إذ يقف بين أيدي النساء يلبي طلباتهن ويقوم بأعمالهنّ؛ ومتى جاء المساءُ يكونُ الإعياء قد نالَ منه فأمسى كالبعير المُجهَد يكاد يتهاوى وقد هزُلَ وضَعُف.

١٨ ـ الشِّهاب: الكوكبُ المنقضّ، وكلُّ مضيء يتولّدُ من النار. القابِس: طالب القَبَس أو حاملُه. والقبَس: شعلةٌ من نار(جزء مأخوذ من كل) أو هي نار تؤخذ على طرف عُود، بهدف إشعال نارٍ أو إضاءةِ الطريق. ضوء شِهاب القابِس: الضوء تلقيه النارُ التي يحملُها القابسُ، حولَه وعلى وجهه. وميزةُ هذا الضوء أنه، والعَتمة تَلُفُّه، يتوهج فيُرى من بعيد، ويكون، على ضآلَتِهِ، أمرًا ملحوظًا في سواد الليل. المتنوِّر: المضيء.

بعد أن قدّم عروة المسوِّغات لحياةِ الصعْلكة، وهي مسوّغات إنسانية رفيعة، وبعد أن عَرَض لوحةً تمثل الصعلوكَ الذليلَ التافِه، يعرض لوحةً أخرى مشرقة لصعلوكٍ شريف وكأنه يريد أن يسأل امرأته: أي الصعلوكين تريدينني أن أكون؟ فهذا الصعلوك، الذي يصوّر نفسه من خلاله، أبيٌّ، للمَهابةِ على وجهِهِ نورٌ يُذكِّر بالنور المنعكس على صفحةِ وجه القابس.

١٩ ـ زَجَره: صاح به ينهاهُ أو يطرده. المَنيح: قِدْح من قِداح الميسر لا نصيب له. وسمي المنيح لأن صاحبه لا ينال شيئًا إذا خرج، إلا أن يمنَحَه الآخرون من نصيبهم. وزجْرُ القِداح: أن يحيطَ الياسرون بضارب القِداح يصرخ كلٌّ على قِدحه، مشجعًا ظهور القِدح الجيّد، طاردًا القدحَ الخاسر، كما يفعل المراهنون على خيل السباق. المُشَهَّر: المشهور، والمُشَهَّر أيضًا مِن اشتهرتُ فلانًا إذا استخففْتُ به وفَضَحْتُهُ.

إن نورَ المهابة يعلو وجهَ هذا الصعلوكِ، حين يُطِلُّ على الأعداءِ بساحتهم، فيخافونَه ويصيحون به ليطردوه، كما يفعل الأيسار بالقِدح المنيح الذي لا نصيب له: لا يرغبون في ظهوره، فيزجرونَهُ، محاولينَ طردَه، كلما أطَلَّ.

٢٠ ـ تشوَّف إلى الأمر: تطلّع إليه.

إذا زجروه وطاردوه، ثم عادوا، لا يأمنونه ولا يؤمِنون بانصرافه. إنهم يترقبونه، وينتظرون ظهورَهُ في كلِّ لحظة؛ فكأنهم، في انتظارِهم وترقُّبِهم، أهلٌ لغائبٍ يتوقعون قدومَه: يطلّون دومًا إلى الخارج يستطْلِعون الأفق.

٢١ ـ حميدًا: محمودًا. يستغني: يصيب غِنًى. فأجدِر: فأجدِرْ بِهِ، أي هو جدير بذلك.

هذا الصعلوك المَهيبُ جديرٌ بأن يُصيبَ الغِنى في يوم من الأيام، أما إذا أدركَتْهُ المنيةُ دون ذلك فإنه يموتُ شريفًا محمودًا.

٢٢ ـ أَيَـهْـلِكُ مُـعْـتَـمٌ وزَيْـدٌ ولَم أُقِـمْ ... على نَدَبٍ يَومًا ولي نَفْسُ مُخْطِرِ

٢٣ ـ سَيُفْزِعُ بَعدَ اليأسِ مَنْ لا يَخافُنا ... كَواسِعُ في أُخْرَى السَّوامِ المُنَفَّرِ

٢٤ ـ نُطاعِنُ عَنها أَوَّلَ القَومِ بِالقَنا ... وبِيضٍ خِفافٍ وقعُهُنَّ مُشَهَّرِ

٢٥ ـ ويَومًا على غاراتِ نَجْدٍ وأهلِهِ ... ويَوْمًا بِأَرضٍ ذاتِ شَثٍّ وعَرْعَرِ

٢٦ ـ يُناقِلنَ بالشُّمطِ الكِرامِ أولي النُّهَى ... نِقابَ الحِجازِ في السَّريحِ المُسَيَّرِ

---

٢٢ ـ النَّدَب: الخطر. لم أُقم على نَدَبٍ: لم أعزم على ركوب الخطر (للدفاع عنهم). المُخطر: المعرِّض نفسَه للهلاك. ولي نفس مُخطِر: أنا معروفٌ بتعرُّضي للأخطار.
أيهلِك بنو زيد وبنو مُعتمّ فلا أعزم يومًا على ركوب الخطرِ دفاعًا عنهم، مع أنني معروف بالمغامرة، وبتعريض نفسي للمخاطر؟

٢٣ ـ كواسِع: من كَسَع الدابةَ إذا ضَرَبَها على دُبْرِها لِيَحُثَّها على السير. والكواسع (هنا) الخيل التي تطرُدُ الإبل. الأخرى: الأواخر. السوام: الإبل التي أخرجت إلى الفلوات وخُلّيتْ وَسَوْمَها ترعى حيث تشاء. المنفَّر: المستنفَر. والسوام المنفَّر: الإبل التي أثيرت من مرعاها فاهتاجت وذُعرت، وانطلقت تعدو لا تلوي على شيء. (والاستيلاء على الإبل باقتيادها من المرعى أسهل منه باقتيادها من الحظائر. لأن تنفيرها في مرعاها يكفي لجعلها تعدو. فإذا ضربت الأواخر منها على أدبارها راحت تدفع التي أمامها واستمرَّ الجميعُ في العدو).
إن من لا يخافُنا لأنه يَئِس من قُدْرتِنا على الإغارة، سيُفاجَأُ بنا وتُذعِرُهْ خيلُنا، تنفّر قطيعَهُ من مرعاه، تطردُ أواخرَ الإبلِ فيه (وهذه، بدورها، تدفع الأوائل).

٢٤ ـ يُطاعن: الأصح تُطاعن. القَنا: الرماح. البيض: السيوف. المشهَّر: المشهور.
يحاول عروة شرح خطته في الإغارة قائلًا: إننا ندخلُ بين القومِ وإبلهم: فبينا يقوم بعضنا بتنفير الإبل واقتيادِها، يلاقي البعضُ الآخر طليعةَ أصحابِها فيَقاتلُهم بالرماحِ وبالسيوفِ الخفيفة التي اشتهرنا بها.

٢٥ ـ الشَثّ: من شجر الجبال (وردت «شتّ» وهذا خطأ). العرعر: شجر يقال له «الساسَم» و«الشِيزى»، ويقال إنه شجر يُعمل به القطران، أو هو شجر عظيم جبليّ لا يزال أَخضر تسمّيه الفرس «السرو».
هكذا تمضي الأيام بالصعاليك: يومٌ يغيرون فيه على بلادِ نجدٍ وأهلِ نجد، يسوقون المواشي، يقودونها إلى الجبال حيث الشث والعَرعر، وهناك يمضون يومَهم الآخر في استهلاك ما غنِموه.

٢٦ ـ يناقل: الفرسُ في جريه إذا اتّقى، في عدْوِهِ، الحجارَة، لحُسنِ نَقْله. الشُّمط: جمع أشمط، وهو الذي في شعره اختلافٌ بلونين، من سوادٍ وبياض. الكِرام: الأصيلة. والشُّمط الكرام: النوق الأصيلةُ التي يخالط السوادُ بياضَ وَبرِها. النِّقاب: جمع نِقْب وهو=

٢٧ ـ يُـريـحُ عَـليَّ الـلَّيـلُ أَضيـافَ مـاجِـدٍ كَـريـمٍ ومـالِي سَـارِحًـا مـالُ مُـقْـتِـرِ
٢٨ ـ [سَلِي السَّاغِبَ المعْتَرَّ يا أُمَّ مالِكٍ إذا ما اعتَرانِي بَينَ نارِي ومَجزَرِي]
٢٩ ـ [أأبـسُـطُ وَجْـهِـي إِنَّـهُ أَوَّلُ الـقِـرَى وأَبـذُلُ مَـعْـرُوفِـي لَهُ دُونَ مُـنـكَـرِي]

= الطريق الضيق بين جبلين. والنِّقاب أيضًا: الطريق في الغلْظ. السَّريح: السَّيْر الذي تُشَدُّ به الخَدَمَةُ فوق الرسغ. والخَدَمة: السَّيْر الغليظ المُحكم قبل الحلقة، يُشَد في رسغ البعير، ثم يُشَدُّ إليها سرائحُ نَعلها. (ويُنَعَّل خف البعير بالجلد لكي لا يخفى). مُسيَّر: فيه خطوط أو سيور. والسيور ج سَيْر وهو ما يُقَدُّ من الجلدِ طولًا.

إن الخيل الكواسع، التي طردت الإبل، تعدو بأصحاب عروة متّقيةً الحجارة لحُسن نقلها، دافعةً أمامها الإبل الكريمة التي خالط السوادُ بياضَها، القوية التي أُحْكِمت الخَدَمَاتُ فوق أرساغها وشُدّت إليها سُيورُ نعالها، فتجعلها تجتاز طرق الحجاز الضيقة الصعبة إلى معاقلهم الجبلية، حيث أرضُ الشث والعرعر.

٢٧ ـ يُريح عليّ: يعطيني، يهبني. الماجد: العظيم الكرم. المال: الإبل. سارحًا: ذاهبة إلى المرعى. مُقتر: فقير، ضيّق ذات اليد.

إن إبلي، حين تسرح في المراعي، تبدو قليلة العدد، إبلًا لإنسان فقير. لكن هذا لا يمنعني من القيام بواجب القرى نحو أضياف يحملهم إليّ الليل، هم، في كثرتهم، كأضياف أي جواد عظيم الكرم، غني.

٢٨ ـ الساغب: الجائع. المُعتَرّ: من الرجال الغليظ الضخم الكثير اللحم. وعَتَر الرمح: اضطرب وتراجع في اهتزاز. الساغب المعتر: الجائع القادم ليلًا يطلب القِرى، مضطربًا، مترددًا. قِدري: المقصود بها مكانُ إنضاج اللحم، حيث يُقدَّم مطبوخًا. مجزري: مكان النحر، حيث اللحم يُعطى نيئًا. اعتراني: قدم إليّ ليلًا يبتغي القِرى.

يخاطب عروة زوجته سلمى التي يكنيها تارةً «أم حسان» وتارة «أم مالك» وتارة «ابنة منذر»، يدعوها لتسأل عنه الضيفَ، الذي يأتي ليلًا، جائعًا، مضطربًا مترددًا، يطلب القِرى، لحمًا مطبوخًا من قِدْرِ عروة المنصوبَةِ دومًا، أو من مكانِ النحر وفيه يُقطع اللحم من الجَزُور مباشرة.

٢٩ ـ أأبسُط وجهي: المقصود: ألا أَبسُط وجهي؟ فيُسفر ويتهلل بالبشاشة. إنه أول القِرى: المقصود: لأنه (أي إسفار الوجه) أولُ القِرى. والقِرى: إكرام الضيف والإحسان إليه. معروفي: المعروف: الجود وحسن الصُحبة وغيرها من فضائل التعامل. المُنكَر: ضد المعروف، وهو كل ما قَبُح وحُرِّم.

السؤال الذي كُلِّفت أم مالكٍ بطرحه على الضيف هو: هل يتهلَّلُ وجهُ عروةَ لدى رؤيته فيلاقيه بالبشاشة والترحاب وبذلك يكون القِرى قد بدأ؟ وهل يقدم له عروةُ كلَّ معاملةٍ حسنة فيُكرِمُهُ ويُحسنُ صحبتَهُ، ويتحاشى أن يريه ما يكرَه؟

١١ ـ ماذا دواء صبابة الصب؟
أسماء بن خارجة[(١)]

أولاً: الإطار

أسماء بن خارجة شاعر غزل، وأحد الأجواد المعدودين. وشعره يبلور طبيعته. فهو، إذ يتساءل، برقة، عن دواء للحب، ويتململ من كيد العاذلات وزجره لهن، ليتساءل عن ترك المحبوبة له وبعدها عنه، لكن ذكراها، على رغم العاذلة، تعود إليه، فيتغنى بجمالها، بحسبها ونسبها، ويطفق بالعرض: عرض ما عنده مما يُعجب ويندُر:

هو من بني غطفان، وتاريخهم في الضرب والطعن معروف.

وهو القوي، الشديد، الجلود على اجتياز القفار تتجاوب في أنحائها أصداء الأصوات: أصوات الوحوش والطيور الكاسرة، وعزيف الجن.

وهو الكريم الجواد يُقري من يقصده ولو كان ذئبًا، فينحر له الناقة الكريمة ليشبع وعياله.

ثانيًا: القصيدة

وقالَ أَسماءُ بنُ خارِجَةَ: [من الكامل]

١ ـ إنّـي لـسَـائِلُ كُـلِّ ذِي طَـبٍّ: ... مـاذا دَواءُ صَـبـابَـةِ الـصَّـبِّ؟

٢ ـ ودَواءُ عـاذِلَةٍ تُـبـاكِـرُنـي ... جـعَـلَتْ عِـتـابِـي أَوْجَـبَ الـنَّـحْـبِ

---

(١) هو أسماء بن خارجة بن حِصن بن حُذيفة بن بدر الفزاري. يتصل نسبه بذبيان ثم غطفان لينتهي عند قيس عيلان بن مضر بن نزار. عاش في الجاهلية والإسلام، وعُمّر حتى التسعين. وهو من أشراف العرب، وتزوجت ابنته هند ثلاثة من ولاة الكوفة المتعاقبين، كان آخرهم الحجاج بن يوسف الثقفي. عده أبو عبيدة، مع عتّاب بن ورقاء وعِكرِمة بن رِبعي أجودَ أهل الكوفة. وهو شاعر مُجيد (توفي ٦٠ هـ).

١ ـ الطَّب (والطِّب والطُّب): معالجة المريض. الصبابة: الشوق إلى المحبوب والتعلق به. الصبّ: المحب المولع بمحبوبه.
أتوجه بالسؤال إلى كل من يعمل في معالجة الأمراض عن علاج للحب.

٢ ـ العاذلة: المرأة تعتب على المحبين وتلومهم، وقد تشارك في التفريق بينهم. (ودور العاذلة=

٣ ـ أَوَ لَيسَ مِنْ عَجَبٍ أُسائِلُكُمْ: ما خَطْبُ عاذِلَتِي وما خَطْبِي
٤ ـ أَبِها ذَهابُ العَقلِ أَمْ عَتَبَتْ فأَزِيدَها عَتْبًا على عَتْبِ
٥ ـ أَوَ لَم يُجَرِّبْنِي العَواذِلُ، أَوْ لَمْ أَبْلُ مِن أمثالِها حَسْبِي
٦ ـ ما ضَرَّها أَنْ لا تُذَكِّرَنِي عَيْشَ الخِيامِ لَيالِيَ الخِبِّ
٧ ـ ما أَصْبَحَتْ في شَرِّ أَخْبِيَةٍ ما بَيْنَ شَرْقِ الأرضِ والغَرْبِ
٨ ـ عَرَفَ الحِسانُ لَها جُوَيْرِيَةً تَسْعَى مَعَ الأَتْرابِ في إِتْبِ

= يكرّسه الشعر العربي الغزلي في جميع مراحله). تباكرني: تواجهني في الصباح الباكر بأقوالها، أو تسعى إليّ في الصباح الباكر. النحب: النذر.
وسؤاله الطبيب يطلب دواء ثانيًا يشفي من العاذلة التي، ما إن تراه في الصباح الباكر حتى تأخذ في العتب عليه وكأن عتبها نذر عليها واجب القضاء، بل أكثر النذور وجوبًا.

٣ ـ ما خطب عاذلتي: ماذا أصابها؛ ما بها؟ وما خطبي: ماذا أصابني؛ ولعله أراد من تعجبه سؤال القوم: ما شأن عاذلتي بشأني؟ ماذا تريد مني؟

٤ ـ أبِها ذهاب العقل: هل ذهب عقلها وأصيبت بالجنون؟ العتْب: هنا، الموجدة والسخط.
يتساءل هنا مجيبًا عن سؤاله في البيت السابق ماذا أصابها؛ فهل في نفسها موجدة أو حقد عليّ؟ أو هي غاضبة مني ساخطة؟ ولأزيدنّها غضبًا على غضب.

٥ ـ لم أبلُ: لم أختبر وأجرّب. حسبي: يكفيني.
بعد كل تجربتي مع العواذل، ألم يفدن من التجربة ويعرفن أنني لن أستمع إليهن ولن أنقاد؟ أم أن هذه العاذلة تظن أنها مختلفة عن الأخريات وأنني لم أجرّب مثيلًا لها؟ كفاني الله منهن.

٦ ـ ما ضرّها: ماذا يضرها. ليالي الخِبِّ: عندما كنا جميعًا نزل الخب (اسم مكان).
ماذا يضر هذه العاذلة لو أنها، عوضًا عن لومي، ذكرتني بأيام زمان الجميلة، أيام كنا ننزل جميعًا في موضع الخب؟

٧ ـ أخبية: جمع خِباء، وهو أحد بيوت العرب من وبر أو صوف، ويقوم على عمودين أو ثلاثة. ما أصبحت: قبلما أصبحت.
ما ضرّها لو ذكرتني عيشنا الجميل في منزل الخب، قبل أن يعدو علينا الزمان فيحملها التنقل إلى بقاع الأرض من شرقها إلى غربها تأوي إلى خيام مَجّها الله (لأنها أخذت منه الحبيبة ونأت بها، بعدما كانت إلى جانبه في خيام الخب).

٨ ـ عرف الحِسان لها: أي للعاذلة. (ويبدو أنها قريبة للمحبوبة، وهذا ما جعلها مميزة «لم يبل الشاعر من أمثالها»). جويرية: تصغير جارية وهي الفتية من النساء (والتصغير هنا للتحبب). تسعى: تأتي وتذهب وتمشي. الأتراب: جمع الترب، وهو المنتمي إلى فئة العمر نفسها. الإتب: بُردة تُشَق فتُلبس من غير جيب (قَبة) ولا كُمين. ولعله من لباس=

٩ ـ بِـنْـتَ الـذيـنَ نَـبِـيَّـهـمْ نَـصَـرُوا ... والـحـقَّ عِـنْـدَ مـواطِـنِ الـكَـرْبِ

١٠ ـ والـحَـيُّ مـن غَـطَـفـانَ قَـدْ نَـزَلُوا ... مِـنْ عِـزَّةٍ فـي شـامِـخٍ صَـعْـبِ

١١ ـ بَـذَلـوا لِكُـلِّ عِـمـارَةٍ كَـفَـرَتْ ... سُـوقَـيْـنِ مِـنْ طَـعْـنٍ ومِـنْ ضَـرْبِ

١٢ ـ حَـتَّـى تَـحَـصَّـنَ مِـنْـهُـم مَـن دُونَـه ... مـا شـاءَ مِـن بَـحـرٍ ومِـنْ دَرْبِ

١٣ ـ بـل رُبَّ خَـرقٍ لا أَنِـيـسَ بِـه ... نـابِـي الـصُّـوَى مُـتَـمـاحِـلٍ سَـهْـبِ

= الفتيات الصغيرات.
إذا عُدّ الحِسانُ ذكر بينهن جارية صبية لهذه العاذلة (قريبة لها) تتنقل مع الصبايا الأخريات لابسة إتبها.

٩ ـ الذين نبيّهم نصروا: الذين نصروا نبيهم. ولعل المقصود انتماءها إلى إحدى قبائل الأنصار. والحقّ: أي ونصروا الحقّ. مواطن: هنا، ظروف ومناسبات. الكرب: الضيق والغمّ.
هذه الصبية تنتمي إلى جماعات الأنصار الذين هبوا لمساعدة نبيهم وإعلاء كلمة الحق، حين كان النبي في شدة وغم.

١٠ ـ الحي من غطفان: جماعة الشاعر. (وهنا تحول إلى الفخر بالقبيلة والنسب). نزلوا: نصبوا منازلهم أو خيامهم. من عزة: من الإباء والاعتداد بالنفس. شامخ: عالٍ، مرتفع. صعب: يصعب الوصول إليه. (والمنزل هنا ليس المكان وإنما الموقع الاجتماعي).
إن قومي، من غطفان، حلّوا في مرتبة عاليةٍ جدًّا من المنعة والإباء والكبر، شامخة يصعب لأحد أن يبلغها.

١١ ـ بذلوا: أعطوا بسخاء. لكل عمارة: لكل حيّ عظيم. كفرت: لم تؤمن بدينهم (والأرجح جحدت وأنكرت قيمتهم وفضلهم). سوقين: مجالين للمتعامل. من طعن: شك الأجساد بالرماح. من ضرب: الضرب يكون بالسيوف.
وكل حي آخر، مهما عظم وبلغ من القوة، إن أنكر قيمتهم وفضلهم (أو لم يؤمن إيمانهم) يتعاملون معه بأحد أسلوبَين: طعن بالرماح أو ضرب بالسيوف.

١٢ ـ تحصّن: احتمى بقلعة أو بأي مكان منيع، والمقصود لم يستطع التحصن، أو حتى لو تحصّن. مَن دونه: من يفصلهم عنه. درب: مضيق في الجبال.
لم يستطع أعداء غطفان تحاشي سطوتهم حتى من جرّب منهم الاحتماء بمضايق الجبال المنيعة، أو الهرب إلى ما وراء البحور.

١٣ ـ الخَرق: الأرض البعيدة، مستوية كانت أو غير مستوية؛ وهو أيضًا الفلاة الواسعة، سُميت بذلك لانخراق الرياح فيها، أي لهبوبها فيها على غير استقامة (كأنها، في اتساعها تضيع فيها الرياح وتفقد وجهتها). لا أنيس به: ليس فيه ما يأنس به مجتازه (لا إنسان ولا حيوان ولا نبات). الصُّوى: جمع صُوَّة وهي حجر يكون علامة في الطريق... نابي: مرتفع. متماحل: متباعد ما بين الأطراف. السهب: المتسع على استواء. =

١٤ ـ يَنْسَى الدَّلِيلُ بِهِ هِدايَتَهُ ... مِن هَوْلِ ما يَلْقَى مِنَ الرُّعْبِ
١٥ ـ ويَكادُ يَهْلِكُ في تَنائِفِهِ ... شَأْوُ الفَرِيغِ وعَقْبُ ذِي عَقْبِ
١٦ ـ وبِهِ الصَّدَى والعَزْفُ تَحسِبُهُ ... صَدْحَ القِيانِ عَزَفْنَ لِلشَّرْبِ
١٧ ـ كابَدْتُه بِاللَّيلِ أَعْسِفُهُ ... في ظُلْمَةٍ بِسَواهِمٍ حُدْبِ

= رب فلاةٍ بعيدةٍ ما بين الأطراف، تمتد متسعة على استواء، ليس فيها أنيس من بشر أو حيوان أو نبات، ليس إلا حجارة عالية تشكل علامات على الطريق، يضيع فيها حتى الرياح.

١٤ ـ هدايته: الطريق الصحيح المعروف منه.
هذا الخرق الموحش يلقى فيه الناس من الأهوال المخيفة ما يجعل دليلهم ينسى الدرب الصحيح ويهيم بهم على غير هدى.

١٥ ـ التنوفة: الأرض القفر، المتباعدة ما بين الأطراف، لا ماء فيها ولا أنيس، (وهي، كما يبدو في الشعر من أجزاء ذلك الخرق الهائل)، وتنائف هو الجمع. يهلك: يتلاشى ويضيع هباء. الغاية (الهدف) التي يكون السبق لإدراكها. الفريغ: الفرس الواسع الخطو. العقب: الجري بعد الجري. ذو العقب: الفرس القادر على الجري بعد الجري. يزداد معه جودة.
هذا الخرق مجموعة من التنائف الواسعة، البعيدة الأطراف، الموحشة، إذا ضاع فيها الدليل فإنها مهلكة لكل قوة وسرعة وقدرة على الحركة؛ تتلاشى الغاية من أمام الفرس الواسع الخطو ويضيع الجري بعد الجري، عند الجواد القادر على ذلك. هباء.

١٦ ـ الصدى: رجع الصوت، وهو في الفلاة أصوات مبهمة تبعث الرعب في النفوس لأنه لا يُعرف صاحبها ولا يمكن تحديد مصدرها. العزف: المقصود به العزيف وهو صوت الجن. (قيل هو صوت يُسمع بالليل كالطبل؛ ولا شك في أن الإنسان، في وحشة تلك القفار يسمع أصواتًا وأصواتًا، قد تكون ناجمة عن حركة الرياح ومرورها بين الكثبان أو عن تصادمها في هبوبها من اتجاهات مختلفة حتى ليظن البعض أن فرقة موسيقية كاملة تعمل في الخفاء). صدح القيان: رفع الجواري المغنيات أصواتهن بالغناء. عزفن: قدّمن الألحان من آلات الطرب. الشَّرب: المجتمعون على الشراب في ملجس خمر وطرب.
تتردد في جوانب الخرق أصداء أصوات مبهمة، وترفع الجن أصواتها محدثة ما يشبه غناء الجواري المغنيات وعزفهن في مجلس خمر وطرب.

١٧ ـ كابدته: يقال: تكبّد الفلاة إذا قصد وسَطَها ومعظمَها. وكابد الأمر: عاناه وقاساه. أعسفه: أسير فيه ليلًا خبط عشواء. السواهم: الإبل الهزيلة من تعب وجهد. الحدب: التي برزت حراقفها وعظام ظهرها لشدة هزالها.
هذا الخرق، بصفاته السابقة، رميت نفسي فيه، أسير فيه على غير هدى في ليل مظلم، وقد هزلت نوقي وأضناها التعب حتى برزت حراقفها وعظام ظهرها.

١٨ ـ ولَقَد أَلَمَّ بِنا لِنَقْرِيَهُ بادِي الشَّقاءِ مُحارَفُ الكَسْبِ

١٩ ـ يَدْعُو الغِنَى أَن نَال عُلقَتَهُ من مَطْعَمٍ غِبًّا إلى غِبِّ

٢٠ ـ فطَوَى ثَمِيلَتَهُ فَأَلْحَقَها بِالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ

٢١ ـ يا ضَلَّ سَعْيُكَ ما صَنَعْتَ بِما جَمَّعْتَ مِنْ شُبَّ إلى دُبِّ

٢٢ ـ [لَوْ كُنتَ ذا لُبٍّ تَعِيشُ بِهِ لَفَعلْتَ فِعْلَ المَرْءِ ذي اللُّبِّ]

٢٣ ـ فَجَعَلْتَ صالِحَ ما اخترَشْتَ وما جَمَّعْتَ مِنْ نَهْبٍ إلى نَهْبِ

٢٤ ـ وأظُنُّه شغْبًا تُدِلُّ بِهِ فَلقَد مُنِيتَ بِغايةِ الشَّغْبِ

---

١٨ ـ ألَمّ بنا: قصدنا، نزل بنا. نقريه: من القِرى وهو الاستضافة أو إكرام الضيف. بادي الشقاء: من يظهر الشقاء عليه واضحًا. محارَف الكسب: هو في ضيق عيش ويلاقي شدة في كسب قوته ـ عنى بذلك الذئب ـ.
نزل بنا ذئب، طالبًا ضيافتنا، وقد بدى عليه الشقاء بعد أن كابد الشدة في كسب قوته.

١٩ ـ العُلقة: البُلغة الطعام القليل يُتَبَلَّغُ به ولا يُشبع. مَطعم: طعام. غبًّا إلى غب: يومًا بعد يوم بينهما فترة انقطاع. ورود الغب: أن يشرب الحيوان يومًا ويمتنع يومًا.
هذا الذئب الشقي بلغ به ضيق العيش وصعوبة الكسب أن صار يجد نفسه محظوظًا وغنيًّا إن استطاع الحصول على عُلقةٍ، لقمةٍ يتبلغ بها كل، يومين أو أكثر.

٢٠ ـ الثميلة: ما يكون فيه الطعام أو الشراب في جوف الحيوان. طوى ثميلته: ثناها لأنها فارغة. الصلب: عظم الظهر. والصلب، (الثانية) في الجري والعواء: الشديد، القوي. اللدونة: الليونة.
إن جوفه الخاوي، حيث يكون الطعام والماء، انطوى بعضه على بعض والتصق بظهره، بعد أن لان الشديد وضعف القوي عن الجري والعواء.

٢١ ـ يا ضلّ سعيك: (تعتُّب على الذئب) ذهب جهدك سدى. من شُبّ إلى دُبّ: تعبير يكنى عن مجمل الحياة. منذ أن شَبّ (في صغره) إلى أن دَبّ (في آخر حياته).
واهًا لك! لقد خاب سعيك وذهبت حياتك سدى. ماذا فعلت بما جمّعته منذ شبابك حتى حياتك الآن؟

٢٢ ـ اللّبّ: العقل. فعل المرء ذي اللب: تصرف الناس العقلاء.
لو كان لك عقلٌ يسيّرك في حياتك لتصرفت تصرف الناس العقلاء.

٢٣ ـ اخترشتَ: اكتسبت وجمعت. نهب: اختطاف عنوة. سلب: اعتداء على شخص وأخذ ما عنده. (ومعنى الكلمتين متقارب).
لو كنتَ من العقلاء لكنت أحسنت اختيار ما جمعت وما كسبته، بدلًا من اللجوء إلى النهب والسلب.

٢٤ ـ الشغب: مجانبة الحق، معاندة الحق والقانون. تُدلّ به: تتباهى به. مُنيت: أصبت. غاية=

٢٥ ـ إِذْ لَيسَ غَيْرَ مَناصِلٍ نعْصا بها ورحالِنا وركائِبِ الرَّكْبِ
٢٦ ـ فَاعْمِدْ إلى أَهلِ الوَقيرِ فإِنَّما يَخْشَى شذاكَ مُقَرْمِصُ الزَّرْبِ
٢٧ ـ أَحَسِبتنا مِمَّن تُطِيفُ بهِ فاختَرْتَنا للأَمْنِ والخِصْبِ
٢٨ ـ وبِغَيرِ مَعْرِفَةٍ ولا نَسَبٍ أَنَّى وشَعْبُكَ لَيسَ مِنْ شَعْبِي
٢٩ ـ لمَّا رأى أَنْ لَيسَ نافِعَهُ جِدٌّ تَهاوَنَ صادِقَ الإِرْبِ
٣٠ ـ وأَلَحَّ إِلحاحًا بِحاجَتِه شَكْوَى الضَّرِيرِ ومَزْجَرَ الكَلْبِ

= الشغب: النهاية والنتيجة التي يؤدي إليها.
أظن أن ما كنت تأتيه من نهب وسلب هو سطو على حق الآخرين ومعاندة للقانون. وإذا كنت تتباهى بذلك، فلقد وصلت الآن إلى النتيجة الحتمية لتلك المخالفات.

٢٥ ـ مناصل: جمع منصل وهو حد السيف. نعصا: نضرب بالعصا. رحال: جمع رحل وهو مركب البعير والناقة (ما يوضع على ظهرهما ليُركب عليه). الركائب: جمع ركاب أي الإبل تحمل الطعام أو المسافرين. الرَّكب: القوم المسافرون على الإبل.
يتابع خطابه للذئب وتنديده به: ماذا تظن أنك تلقى منا الآن؟ لن يصبك منا سوى السيوف نهال بها عليك كما ننهال بالعِصيّ، والجميع بعيدون عن متناولك على ظهر إبلهم.

٢٦ ـ اعمد: توجه واذهب. أهل الوقير: أصحاب الغنم. يخشى شذاك: يخاف أذاك وشرّك. الزرب: الزريبة أو حظيرة الغنم. المقرمص: الداخل في القِرماص، وهي حفرة، ضيقة الرأس واسعة الجوف، يستدفىء فيها الإنسان الصرد من البرد. وهو هنا راعي الغنم.
أنت هنا ضللتَ طريقك، فلا نخافك وإنما يخافك راعي الغنم في حظائرها الخشبية، الذي يلجأ إلى القرماص احتماء من برد الشَّمال، فتوجه إلى أصحاب الغنم.

٢٧ ـ أحسبتنا: أظننتنا. تطيف به: تحوم حوله أو تأتيه في الليل طارقًا طلبًا للضيافة.
هنا يغيّر الشاعر لهجة الحديث إلى الذئب، من التنديد والوعيد إلى اللطف؛ أم تراك غلطت فينا وظننت أننا ممن تأتيهم في الليل طارقًا، طالبًا الضيافة، وتوسمت فينا الأمن وأحسست أن عندنا الغنى والوفرة؟

٢٨ ـ وكان اختيارك لنا من غير معرفة بيننا وبينك ولا نسب يربطك بنا؟ وكيف لنسب أن يربطنا وأنت من شعب غير شعبنا؟

٢٩ ـ أن ليس نافعه جِدّ: أنه لن ينفعه الطلب بالتهديد. تهاون: تراخى، تذلّل والإرْب: الحاجة.
لما رأى الذئب أن الطلب الجدي القوي لم يجد نفعًا، غيّر من أسلوبه وأخذ في التذلل، تعبيرًا عن حاجة حقيقية ملحة.

٣٠ ـ شكوى الضرير: شكوى الصبور على الشدة ولا تكون شكواه إلا حين يطفح الكيل. مَزْجَر الكلب: أي بموقع الكلب الذي نزجره وننهره عادة. =

٣١ ـ ولَوَى التَّكَلُّحَ يَشتكِي سَغَبًا ... وأَنا ابنُ قاتِلِ شِدَّةِ السَّغْبِ

٣٢ ـ فَرأَيتُ أَنْ قَد نِلْتُه بِأَذَى ... مِنْ عَذْمِ مَثْلُبَةٍ ومِنْ سَبِّ

٣٣ ـ ورأيتُ حقًّا أَنْ أُضَيِّفَه ... إِذْ رامَ سِلْمي واتَّقى حَرْبِي

٣٤ ـ فوقَفْتُ مُعْتامًا أُزاوِلُها ... بِمُهنَّدٍ ذِي رَوْنَقٍ عَضْبِ

٣٥ ـ فعَرَضْتُهُ في ساقِ أَسْمَنِها ... فاجْتازَ بَيْنَ الحاذِ والكَعْبِ

٣٦ ـ فَتركتُها لِعِيالِهِ جَزَرًا ... عَمْدًا وعلَّقَ رَحْلَها صَحْبِي

= مع أن الإلحاح في التذلل ليس من طبع الذئاب، فقد ألحّ الذئب في طلب حاجته شاكيًا شكوى الصبور على الشدائد الذي لا تصدر عنه الشكوى إلا عندما يفوق الاحتمال طاقته، وكان منا بموقع الكلب ننهره ونزجره فلا يلبث أن يعود لنزجره مرة بعد مرة.

٣١ ـ التكلّح: تقليص الشفة عن الأسنان، نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمّرت الشفاه. لوىٰ التكلّح: حرّك شفته المتقلصة في اتجاهات مختلفة، إمعانًا في استدرار العطف. السغب: الجوع الشديد. قاتل شدة السغب: الذي أخذ على عاتقه قتل الجوع بإطعام كل جائع.
إمعانًا في استدرار عطفنا عليه، راح يلوي شفته المتقلصة يمينًا وشمالًا تعبيرًا عن جوعه، وأنا ابن الذي نذر على نفسه استئصال الجوع بإطعام كل جائع!

٣٢ ـ العذم: اللوم والتعنيف. المثلبة: تعداد المعايب.
راجعت نفسي فوجدت أنني قد قسوتُ عليه وناله مني الأذى لشدة ما عنّفتُه ولمتُه وعدّدت معايبه وشتمته.

٣٣ ـ رام سلمي: طلب مني المسالمة. اتقى حربي: تحاشى محاربتي ومهاجمتي.
عندما وجدته مسالمًا، متجنبًا التهجم عليّ ومحاربتي، أردت فعلًا أن أعامله كضيف.

٣٤ ـ وقفت معتامًا: وقفت أمام الإبل أعرضها لأنتقي منها. أزاولها: أطلبها. المهنّد: السيف الهندي. ذي رونق: ملتمع. عضب: قاطع.
وقفت أمام الإبل أعرضها لأنتقي المناسِبة منها، أطلبها وأحاولها بسيف هندي الصنع، ملتمع قاطع.

٣٥ ـ عرضته في ساق أسمنها: غيّبت عرض نصله في ساق أكثرها سمنًا. الحاذ: الفخذ.
ضربت به ساقها بين الفخذ والكعب. وهذا هو العقر عندهم، وهو تمهيد للذبح، فلا وصول إلى عنق الناقة إلا أن ترتمي أرضًا، فإذا قطعت ساقها، ارتمت فذبحت أو ضُرب عنقها بالسيف.

٣٦ ـ لعياله: لقطيعه. جزرًا: فريسة وطعامًا. الرحل: ما يوضع على ظهر الناقة لركوبها.
تركت الناقة للذئب وجماعته طعامًا، فيما عمد أصحابي إلى رحلها ينتزعونه عنها ويعلقه أحدهم خلفه.

١٢ ـ الغانيات يُقَتِّلنَ الرجال

سهم بن حنظلة الغنوي[(١)]

أولاً: الإطار

على عادة الشعراء القدماء يتجلى الشاعر في القصيدة مزيجًا من الرقة والعنفوان. فهو في رقته، يتألم ويشتاق ويتذكر يوم الفراق، وهو كذلك يضعف أمام الغانيات ويطرب للغناء والمنادمة، وهو، إلى ذلك، يتألم من العواذل ويدعو إلى خذلهن ومخالفتهن. أما في عنفوانه، فيفخر بمسيره في الأرض بحثًا عن الحظ، وطلبًا للمال بقوة الساعد، يفخر بفرسه القوي السريع الشهم الذي يوصل صاحبه إلى الغنى.

وهو يفخر بكرمه وصبره على أقربائه وجيرانه وإكرامه لهم فيما هم يكيدون له وهم يستحقون أن يذوقوا سنان رمحه.

وهو يفخر بقوته، يجابه المئات من المقاتلين ويفنيهم.

وهو يعصر التجربة ليقدمها نظرات في الناس والحياة، ونصائح لمن يسمع النصح، لينتهي إلى تعداد صفاته من اقدام وحزم وكرم منصب في قوم أعزاء عرفت مآثرهم في الشدائد والحروب.

ثانيًا: القصيدة

وقالَ رَجلٌ منْ غَنيٍّ، قلتُ: هُوَ سَهْمُ بنُ حَنْظَلَةَ الغَنَوِيُّ: [من البسيط]

١ ـ [هاجَ لَكَ الشَّوْقُ مِن رَيحانَةَ الطَّرَبا   إذْ فارَقَتْكَ وأمْسَتْ دارُها غَرَبا]

---

(١) هو سهم بن حنظلة بن جأوان بن خويلد بن جابر بن مالك بن عامر بن عبس وينتهي نسبه إلى أعصر بن غَنيّ: شاعر فارس من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام، مُجلٌ في الميدانين: الفروسية والشعر.

١ ـ ريحانة: اسم المحبوبة. الغَرَب: البُعد، الدار الغَرَب: الدار البعيدة. الطَّرَب: خفة تعتري عند شدة الفرح أو الحزن، والمقصود هنا الحزن.
يخاطب نفسه: أنت تحس بالشوق الشديد إلى ريحانة التي تركتك ونزلت في دار بعيدة، وهذا الشوق أثار فيك لواعج الحزن.

٢ ـ [ما زِلْتُ أحْبِسُ يَومَ البَيْنِ راحِلَتِي حَتَّى اسْتَمروا وأذْرَتْ دَمْعَها سَرَبا]

٣ ـ [حَتَّى تَرفَّعَ بِالحِزّانِ يَرْكُضُها مِثْلُ النِّهاءِ مَرَتْهُ الرِّيحُ فاضْطَرَبَا]

٤ ـ [والغانِياتُ يُقَتِّلْنَ الرِّجالَ إذا ضَرَّجْنَ بالزَّعْفَرانِ الرَّيْطَ والنُّقَبا]

٥ ـ [مِنْ كُلِّ آنِسَةٍ لَمْ يَغْذُها عَدَمٌ ولا تَشُدُّ لِشَيءٍ صَوْتَها صَخَبا]

٦ ـ إنَّ العواذلَ قَد أتعَبْنَنِي نَصبا وخِلتُهُنَّ ضَعِيفاتِ القُوَى كُذُبا

---

٢ ـ يوم البين: يوم الفراق، يوم رحيل المحبوبة. أحبس راحلتي: أمسك ناقتي وأمنعها من اللحاق بالراحلين. استمروا: مضوا في سيرهم الرتيب على طريقة واحدة. أذرت دمعها: ذرفت وسكبت دمعها. سربا: مسلكًا وطريقًا أي جعل الدمع لنفسه طريقًا على وجهها.
وتستمر ذكرى يوم الفراق، حين كانت المحبوبة تبتعد ويستمر قومها في مسيرهم الرتيب. فيما هو وناقته في أشد الاضطراب، يجهد ليمنعها من المسير واللحاق بهم، حتى إذا انتهى الأمر راح الدمع ينسكب من عينيها بغزارة جعلت على وجهها طريقًا له ومسلكًا.

٣ ـ حتى ترفّع: المقصود ترفّعت: كلّفت نفسها المرفوع من السير، وهو فوق الموضوع (السير الدون) والعدو. الحزان: الأرض الصلبة المرتفعة. يركضها: يدفعها، يجعلها تعدو. النهاء: أصغر محابس المطر. مرته الريح: حركته لتستنزل ماءه. اضطرب: تحرك أي أنزل ماءه.
ظلت الناقة تبكي حتى جشّمت نفسها السير على الأرض الصلبة المرتفعة، سيرًا ليس عدوًا وليس دونًا، وكأنها، في سكبها للدموع، واندفاعها في السير، يحثها مثلُ غيمة حابسة للمطر، ملأى به، حركتها الرياح فجاشت واضطربت وأنزلت ما تحبس.

٤ ـ الغانيات: جمع الغانية وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة. ضرّجن: غمسن وأشبعن. الزعفران: صبغ أصفر اللون ومادة عطرية طبية. الرَّيط: جمع الريطة والرائطة: ثوب ليّن رقيق من قطعة واحدة ونسج واحد. النُّقَب: جمع النِّقاب وهو البرقع يوضع على الوجه.
النساء الجميلات، اللواتي يغنيهن حسنهن عن الزينة، إذا ما تزيَّنَّ وغمسن بالزعفران ثوبهن اللين الرقيق ونقابهن ذهبن بعقول الرجال.

٥ ـ الآنسة: الجارية الطيبة الحديث. العَدَم: الفقر؛ ولم يغذها عدم: لم تُرَبّ في أحضان الفقر، وتلك كناية عن أنها مرفّهة رُبّيت مربى الدلال. الصخب: شدة الصوت أي رفعه. تشد صوتها صخبًا: ترفع صوتها رفعًا شديدًا.
في تحديد هوية الغانيات: هن من الفتيات، الطيبات الحديث، ربّين في رفاه ودلال، لا يرفعن الصوت شديدًا إذا أردن شيئًا، لرقتهن وتهذيبهن.

٦ ـ العواذل: جمع عاذلة، اللائمة وهي عادة تلوم على بذل المال أو السفر. نصبًا: إجهادًا.
إن العواذل أجهدنني وأتعبنني، وكنت أظنهن ضعيفات لا قوة لهن على الأذى، كاذبات.

٧ - الغادِياتُ على لَوْمِ الفَتى سَفَهًا | فِيما استفاد ولا يَرْجِعْنَ ما ذَهَبا
٨ - يا أيُّها الرّاكِبُ المُزْجِي مَطِيَّتَهُ | لا نِعْمَةً تَبْتَغِي عندِي ولا نَسَبا
٩ - اِعصِ العَواذلَ وارْمِ اللَّيلَ عن عُرُضٍ | بِذِي سَبِيبٍ يُقاسِي لَيلَهُ خَبَبا
١٠ - نابِي المَعَدَّين خاظٍ لَحمُه زِيَمٌ | سَامٍ يَجُذُّ جِيادَ الخَيلِ مُنجَذِبا
١١ - ملءِ الحزامِ إذا ما اشتَدَّ مَحزِمُهُ | ذِي كاهِلٍ ولَبانٍ يَملأُ اللَّبَبا

---

٧ - الغاديات: المبكّرات. سفهًا: جهلًا وبغيًا. يرجعن: من رجع بمعنى ثاب وارتد. الفتى: الكامل الجزل من الرجال. ذهب: استمر في سيرته.
العاذلات يبكرن إلى لوم الرجل الكامل الجزل ويبقين مستمرات في لومهن، لا يرجعن ولا يثبن طالما استمر هو في سيرته.

٨ - الراكب: من يركب ناقة أو بعيرًا. يزجي: يحضها على السير. تبتغي: تطلب. نعمة: هبة وعطاء. نسب: عصبية وصلة قربى.
يخاطب راكبًا وهميًّا، ولعله يقوم بإسقاط شخصيته على الراكب، فيقول له: أنت تسوق ناقتك وتحثها على السير، لست تطلب عطاء تخاف ألا تناله، ولا يربطك نسب تشدك العصبية إليه...

٩ - اعصِ العواذلَ: خالف ما يطلبنه ويسعين إليه. ارم الليل عن عُرُض: ادخُل في عرض الليل غير هيّاب. بذي سبيب: بفرس طويل شعر الناصية. يقاسي: يُمضي. خببًا: عدوًا ينقل فيه أيامنه وأياسره معًا.
يستكمل وصيته: إذا كنت لا تطلب عطاء تخاف فقده، ولا ترتبط بعصبية نسب تكبلك، فاعصِ العواذل وتابع السفر داخلًا في عرض الليل غير هياب، على فرس طويل شعر الناصية يمضي ليله في عدو مستمر.

١٠ - النابي: البارز. المعدّان: الجانبان حيث يصل السرج. الخاظي: الممتلىء لحمًا. اللحم الزيم: اللحم المتفرق، على امتلائه، فلا يكتنز مؤديًا إلى السمَن. السامي: العالي، المرتفع. يجذ جياد الخيل: يقطع الخيل الكريمة عن إدراكه منجذبًا: جادًّا في سيره.
يتابع وصف الفرس: جسمه يشكل بروزًا في مكان جانبي السرج (وهذا يثبت السرج على ظهره)، ممتلىء لحمًا عضليًّا حسن التوزيع، غير سمين، سام مرتفع إذا جدّ في سيره لم يمكّن الجياد من اللحاق به ولو كانت جيادًا كريمة.

١١ - ملء الحزام: عظيم الجثة. المحزِم: الحزام. الكاهل: الظهر مما يلي العنق. اللّبان: الصدر، وهو المقابل للكاهل. اللّبب: الحزام يحيط بالكاهل والصدر ويثبت السرج.
هذا الفرس ممتلىء الجسم، إذا شُد حزامه كان ملء الحزام، وإذا شُد اللبب على كاهله وصدره كانا ملء اللبب.

١٢ ـ [فـي بُـدْنِـهِ خَـظَـوانٌ لَحْـمُـهُ زِيَـمٌ وذِي بَـقِـيَّـةِ أَلْواحٍ إذا شَـسَـبـا]

١٣ ـ [شَهْمُ الفُؤادِ قَبِيضِ الشَّدِّ مُنْجَرِدِ فَوْتِ النَّواظِرِ مَطْلُوبًا وإنْ طَلَبا]

١٤ ـ يَظَلُّ يَخْلِجُ طَرْفَ العَيْنِ مُشْتَرِفًا فَوقَ الإكام إذا ما انـتَصَّ وارتَقَبا

١٥ ـ كالسِّمْعِ لَم يَنْقُبِ البَيْطارُ سُرَّتَهُ ولَم يَدِجْهُ ولَم يَضْرِبْ لَهُ عَصَبا

١٦ ـ عارِي النَّواهِقِ لا يَنْفَكُّ مُقتَعَدًا في المطنِباتِ كأَسرابِ القَطا عُصَبا

---

١٢ ـ خظَوان: كثرة اللحم. لحمه زيم: متفرق، حسن التوزيع. والتقدير: إذا كان في بدنه خظوان. الألواح: العظام في القفص الصدري. شسب: ضمر وهزل. والتقدير: إذا ضمر.

هذا الفرس عظيم التكوين في حالي الامتلاء والضمور. فإذا كان ممتلئًا كثير اللحم كان لحمه حسن التوزيع لا يتكدس في موضع معين، وإذا ضمر وهزل، كانت عظام صدره كافية لإبقاء مظهر الضخامة له.

١٣ ـ شهم الفؤاد: قوي القلب، جلد. القبيض: السريع في نقل قوائمه. الشد؛ العدو. المنجرد: القصير الشعر، الكريم، وهو أيضًا الذي يسبق الخيل وينجرد عنها لسرعته. فوت النواظر: يفوت البصر، لا تلحقه الأنظار. مطلوبًا: إذا كان ملحوقًا. وإن طلبا: كذلك الأمر إن كان لاحقًا مطارِدًا.

هذا الفرس عتيق كريم وأية ذلك قوة القلب والجلد عنده، وكذلك قصر شعره. وهو سريع في نقل قوائمه، يسبق الخيل لسرعته التي لا تدركها الأبصار، فهو يمر كالبرق، سواء كان مطارَدًا أم كان لاحقًا مطارِدًا.

١٤ ـ يخلج طرف العين: يحرك جفنيه ويطرف بهما بفتح عينيه وإغلاقهما، فعل الذي يريد الاكتشاف والتأكد. مشترِفًا: مستكشفًا، مُبَيّنًا. الإكام: المرتفعات الرملية. انتصّ: ارتفع وبرز. ارتقب: علا وأشرف.

هذا الفرس ذكي، فضلًا عن كرمه. فهو يطرف بجفنيه مستكشفًا إذا ما ارتفع فوق التلال وأشرف منها على البعيد، كالقائم في المرقبة.

١٥ ـ السِّمع: ولد الذئب من الضبع، ويُشتهر بقوة سمعه (يقال: أسمع من سمع) ويكون خفيف اللحم سريع الحركة. البيطار: الذي يداوي الحيوانات. ينقب: يثقب ويجرح (البيطار ينقُب في بطن الدابة بالمنقب في سُرّته حتى يخرج منه ماء أصفر). يَدِج من وَدَج: جرح الودج وهو عرق العنق. وهما ودجان. (وهي عملية فصد شبيهة بما يُعمل للإنسان).

هذا الفرس خال من العلل، كل ما فيه لا يزال على طبيعته، فهو كالسمع في شدة التنصت وسرعة الحركة، وجميع العلل المعروفة التي يداويها البيطار سواء بنقب السرّة. أو بقطع الودج، أو بضرب العصب، لم تصبه.

١٦ ـ النواهق: هما ناهقان: عظمان شاخصان يندران (يبرزان) من ذي الحافر في مجرى الدمع، يخرج منهما النهاق. مقتعدًا: مركوبًا. المطنِبات: الخيل التي تسير في خط بعضها خلف=

١٧ ـ [إذا أَلَحَّ حَسِبْتَ الفاسَ شاجِيَةً فاهُ وشَجْرَ صَبِيَّيْ لَحْيِهِ قَتَبا]

١٨ ـ تَرَى العَناجِيجَ تُمْرَى بَعْدَما لَغِبَتْ بِالقِدِّ مَرْيًا وما يُمْرَى وما لَغِبا

١٩ ـ يُدْنِي الفَتَى للغِنَى في الرَّاغِبينَ إذا لَيْلُ التِّمامِ أَهَمَّ المُقْتِرَ العَزَبا

٢٠ ـ حَتَّى يُصادِفَ مالًا أو يُقالَ فتًى لاقَى التي تَشْعَبُ الفِتْيانَ فانْشَعَبا

٢١ ـ [يا لَلرِّجالِ لأقْوامٍ أُجاوِرُهُمْ مُسْتَقْبِسِينَ ولَمَّا يُقْبَسُوا لَهَبا]

= بعض. القطا: من الطيور المهاجرة، مثل الحمام البري، تطير عصابات، أي أسرابًا فيها خطوط منظمة.
هذا الفرس كريم عتيق بدليل أنه عاري الناهقين، وأنه يكون دائمًا مركوبًا إذا سارت الخيل في خط طويل، بعضها خلف بعض، إذا كانت ضمن قافلة تسافر بعيدًا. وكرم الجواد هو الذي يجعلهم يستخدمونه للركوب فقط، في حين الجياد الأخرى قد تستخدم لحمل المؤونة وسائر الأغراض، (شأن البغال).

١٧ ـ ألحّ: شد على اللجام ليُمَدَّ له العنان. الفاس: الحديدة التي تعترض الشكيمة من اللجام وتكون في فم الفرس. شاجية فاه: وهي تعترض فاه. الشجر: تجويف الفم. صبيِّي لحيه: يقصد لحييه وهما حائطا الفم. العظمان اللذان فيهما الأسنان داخل الفم. القتب: أكاف للبعير صغير على قدر السنام (رحل صغير).
إذا شدّ على اللجام فاعترضت الشكيمة فاه وحائطي فمه المفتوح يبدو كل ذلك كأنه رحل صغير.

١٨ ـ العناجيج: الخيل الكريمة. تمرى: تُحث لاستخراج طاقة جديدة منها وجري جديد. لغبت: عييت وقصّرت. القد: السوط من جلد.
عندما تتعب الخيل الرائعة وتقصّر في الجري فتُستحث بالسوط، تجد هذا الجواد لم يتعب وليس بحاجة إلى أن يُمرى ويستحث.

١٩ ـ يدني: يقرّب (أي الجوار). الراغبين: الطامحين إلى الغنى. ليل التمام: ليل الشتاء الذي يطول حتى تطلع جميع النجوم، وطوله هذا يزيد في هم المهموم الأرق. المُقتِر: الفقير. العَزَبا: غير المتزوج، المتوحد.
هذا الجواد يقرب فارسه من الغنى، أكثر من سائر الطامحين، فيما يكون العازب الفقير المهموم يقاسي من بطء الزمن في ليل الشتاء الطويل.

٢٠ ـ يصادف مالًا: يحصل على مال (والمال في الصحراء هو الجمال). التي تشعب الفتيان: تفرق الأحباب والأصحاب. انشعب: مات.
هذا الجواد يقرّب فارسه من مكان وجود المال ويكون على الفارس أن يغامر، فإما يحظى بالمال فيعود غنيًّا، وإما يلقى المنية فتقتله ويقال عنه: رجل لقي التي تفرق الجماعات وتهدم اللذات.

٢١ ـ يا للرجال: يستنجد بالرجال الحقيقيين ليعينوه على أقوام يعيشون بجواره. مستقبسين: =

٢٢ ـ [يَصْلَوْنَ نارِي وأحْمِيها لِغَيْرِهِم ... ولَوْ أشاءُ لَقَدْ كانُوا لَها حَطَبا]

٢٣ ـ [إنْ لا يُفِيقُوا ولَيْسُوا فاعِلِينَ أُذِقْ ... مِنْهُمْ سِنانِي بِما لَمْ يُحْرِمُوا رَجَبا]

٢٤ ـ [عِرْضَ ابْنِ عَمِّهِم الأدْنَى وجارِهِمُ ... إذْ هُمْ شُهُودٌ وأمْسَى رَهْطُهُ غَيَبا]

٢٥ ـ [مِنَ الرِّجالِ رِجالٌ لا أُعاتِبُهُمْ ... وما تَفَزَّعُ مِنْهُمْ هامَتِي رُعُبا]

٢٦ ـ [مَن لا يَزلْ غَرَضًا أرْمِي مَقاتِلَهُ ... لا يَتَّقِي وهْوَ مِنِّي واقِفٌ كَثَبا]

٢٧ ـ [تُبْدِي المحارِفُ مِنْهُ عَظْمَ مُوضِحَةٍ ... إذا أساها طَبِيبٌ زادَها ذَرَبا]

= طالبين قبسًا، أي جذوة نار يشعلون بها حطبًا لهم. وتقال، بصورة رمزية، للمستفيدين. لما يقبسوا لهبًا: يدعو عليهم أن يصيبهم لهب يحرقهم.

٢٢ ـ يصلون ناري: يحترقون بناري. أحميها: أعيد تأجيجها.
يتابع الدعاء عليهم: ليت النار التي تحرقهم كانت ناري، وأعود فأؤججها لآخرين منهم. ولو شئت أنا أن أفعل ذلك عن إرادة لكانوا قد غدوا حطبًا لناري (وارتحت منهم).

٢٣ ـ إن لا يفيقوا: أي يستيقظوا، والمقصود يمتنعوا عن غيّهم. وليسوا فاعلين: أي لن يفيقوا. أذق منهم سناني: أجعل رأس رمحي يتذوق لحمهم. بما لم يحرموا رجبا: بعدم التزامهم الإحرام في رجب. والإحرام في رجب هو الامتناع عن القتال والصيد. وهي كناية عن مخالفتهم الأعراف وإتيانهم المحرمات في القبيلة.

٢٤ ـ ابن عمهم الأدنى: يقصد نفسه. جارهم: الذي أجارهم فنزلوا في جواره. إذ هم شهود: حين يكونون حاضرين باقين في الحي. أمسى رهطه غيبا: فيما كان هو وجماعته غائبين.
يحدد هنا المحرمات التي يرتكبها جيرانه، أبناء عمه الأدنون: ينتهكون عرضه إذا ما غاب مع جماعته عن الحي وبقوا هم فيه.

٢٥ ـ لا أعاتبهم: لا أهتم لأمرهم، فإذا أخطأوا لا أعاتبهم. تفزّع هامتي: يخاف رأسي.
من الناس رجال احتقرهم ولا أهتم لأمرهم، وأيًّا كانوا فأنا لا أخافهم.

٢٦ ـ لا يزل غرضًا: هدفًا لسهامي. مقاتله: حيث يمكن أن يتسبب السهم في موته. لا يتقي: لا يستطيع أن يحتمي من ضرباتي. واقف كثبًا: واقف قريبًا مني.
الرجل من هؤلاء الذين احتقرهم هو دومًا هدف لسهامي أصبها بها في مقاتله، وقد يكون قريبًا مني، فلا يستطيع اتقاء رمياتي.

٢٧ ـ المَحارف: جمع محراف وهو مسبار يقاس به عمق الجرح. الموضحة: الشجّة التي بلغت العظم وأوضحت عنه. أساها: عالجها ليشفيها. الذرب: الحدة.
إذا وجهت إليه ضربة أصابته بشجة عميقة، إذا أدخل المسبار فيها لامس العظم، وكل محاولة من الطبيب لعلاجها تزيدها حدة.

٢٨ ـ [ويَحتَلِبْ بِيَدَيْهِ ما يُسَلِّفُنا مِنَ النَّدامَةِ أوْ يَنهَشُهُما كَلَبا]

٢٩ ـ [إنّي امْرُؤٌ مَن يكَلَّفْ أوْ يُجارِيَني مِنَ المئِينَ يُجَشِّمْ نَفْسَهُ تَعَبا]

٣٠ ـ [نُبِّئْتُ أنَّ شَبِيهَ الوَبْرِ أوْعَدَني فَمَا قَضَيْتُ لِهذا المُوعِدِي عَجَبا]

٣١ ـ [يا أيُّها المُوعِدِي إنّي بِمَنْزِلَةٍ تعْيِي عَلَيْكَ وتَلْقَى دُونَها رُتَبا]

٣٢ ـ إنَّ انْتِيابَكَ مَوْلَى السَّوْءِ تَسْأَلُه مِثْلُ القُعُودِ ولَمَّا تَتَّخِذْ نَشَبا

٣٣ ـ إذا افتَقَرْتَ نَأَى واشْتَدَّ جانِبُه وإنْ رآكَ غَنِيًّا لانَ واقْتَرَبا

٣٤ ـ [وإنْ أتاكَ لِمالٍ أوْ لِتَنْصُرَهُ أثْنَى عَلَيْكَ الذي تَهْوَى وإنْ كَذَبا]

---

٢٨ ـ يحتلبْ (معطوف على يزلْ، أي ومن يحتلب): يجني، ما يُسلّفنا في الندامة: ما يعجّل إلينا الندم والأسف. أو يعود على يديه يمزقهما كأنما نَهَشهما كلبٌ كَلِب.

٢٩ ـ يكلّف: يقع فيما لا يعنيه، يتعرّض لأمر أكبر منه. يجاريني: ينافسني. المئين: المئات، والمقصود المئات من الإبل التي يتحملها الأسياد الأجواد، ويأتي بهدف وقف عمليات الثأر وإصلاحًا بين القبائل. يجشّم نفسه: يحملها فوق طاقتها.
إن من يحاول مجاراتي ومنافستي في دفع مئات الإبل تحملًا للديات وإصلاحًا لذات البين بين الواترين والموتورين، يكون متعرضًا لأمر أكبر منه، ويحمّل نفسه فوق طاقتها.

٣٠ ـ الوبْر: دويبة غبراء من دواب الصحراء على قدر السنور، شديدة الحياء، كنى بها عن الضّالة وقلة القدر. أوعدني: هدّدني. قضيتُ له: حكمتُ له، بمعنى أعطيته حقه من الاهتمام.
سمعت أن ذاك الشبيه بالوبر يتهددني، فما ألقيت إليه بالًا، وإنه لأمر عجيب.

٣١ ـ يا من تهداني، أنا في مرتبة عالية تقصّر عن بلوغها وبينك وبينها مراتب ومراحل.

٣٢ ـ انتيابك مولى السوء: نزولك بمولى السوء، قصدك إياه. تسأله: تطلب منه عطاء. القعود: البقاء في المكان بلا سعي في سبيل الرزق. لما تتخذ نشبًا: إذا لم يكن قد توافر عندك مال، فصاحب المال يمكنه القعود لأنه يعيش من ماله بعكس المعدم. مولى السوء: الرجل لا يقوم بالأعمال الحسنة، الرديء القول والعمل.
إذا طلبت العطاء وتوجهت إلى رجل السوء تسأله، بقيت على حالك من العدم، شأنك شأن من تخلف عن السعي في طلب الرزق وهو لا يملك مالًا.

٣٣ ـ إذا افتقرت نأى: إذا رآك في حالة فقر تخلى عنك وابتعد. اشتد جانبه: ترفّع عنك.
إذا أصابك الفقر تخلى عنك مولى السوء وعاملك بترفع، فيما إذا نلت غنًى لازمك ولاطفك وتزلف إليك.

٣٤ ـ إن أتاك: إن جاءك. لمال: طالبًا منك مالًا. لتنصره: لتقدم له عونًا وتشد إزره. أثنى عليك: مدحك. الذي تهوى: بما تُحب أن تُمدح به. وإن كذبا: ولو كذب وقال عنك ما=

٣٥ ـ وذُو القَرابَةِ عِنْدَ النَّيْلِ يَطْلُبُهُ وَهْوَ البَعِيدُ إذا ما جِئتَ مُطَّلِبا

٣٦ ـ [وماكِثٌ عُقَبَ الأَيَّامِ يَرْقُبُها وما تَرُدُّ لَهُ الأَيَّامَ والعُقَبا]

٣٧ ـ [حُلْوُ اللِّسانِ مُمِرُّ القَلْبِ مُشْتَمِلٌ على العَداوَةِ لابْنِ العَمِّ ما اصْطَحَبا]

٣٨ ـ لا يَحْمِلَنَّكَ إِقْتارٌ على زَهَدٍ ولا تَزَلْ في عَطاءِ اللهِ مُرْتَغِبا

٣٩ ـ لا بَلْ سَلِ اللهَ ما ضَنُّوا عَلَيْكَ بِهِ ولا يَمُنُّ عَلَيْكَ المَرْءُ ما وَهَبا

٤٠ ـ أَلا تَرَى أَنَّما الدُّنيا مُعَلِّلَةٌ أصحابَها ثُمَّ تَسْرِي عَنهُمُ سَلَبا

٤١ ـ بَيْنا الفَتَى في نَعِيمٍ يَطْمَئِنُّ بِهِ رَدَّ البَئِيسَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فانْقَلَبا

٤٢ ـ أَوْ في بَئِيسٍ يُقاسِيهِ وفي نَصَبٍ أَمْسَى وقَدْ زايَلَ البأْساءَ والنَّصَبا

= ليس فيك.

٣٥ ـ وذو القرابة: أي كذلك ذو القرابة، أو ذو القرابة كمولى السوء، يتزلف إليك ويلزمك. عند النَّيل: عند أخذ العطاء. يطلبه: الذي يطلبه منك. وهو البعيد: ويبتعد ويتهرب. إذا جئت مطَّلبا: إذا جئت إليه طالبًا منه أمرًا أو عطاء.

كما يلزمك مولى السوء ويمدحك، يفعل ذو القرابة إذا أراد منك عطاء وجاء يطلب منك في حين يغدو بعيدًا إذا كنت أنت الطالب.

٣٦ ـ الماكث: المقيم المنتظر. عُقُب الأيام: أواخرها، أي مرورها. يرقبها: يلاحظها، متوقعًا منها شيئًا، منتظرًا أمرًا (وما ذهب لن يرجع).

٣٧ ـ مُمر: من أَمَرّ: جعله مُرًّا. مشتمل: ممتلىء. ما اصطحبا: طالما هو معه. لسانه حلو (وكلامه كاذب)، وقلبه مر (غير صافي الود)، تمتلىء نفسه عداء لابن عمّه طالما هو يرافقه.

٣٨ ـ لا يحملنّك: لا يدفعنّك إلى. الإقتار: ضيق ذات اليد. على زهد: على الزهد في الدنيا واليأس. لا تزل: كن باقيًا. مرتغبًا: راغبًا، آملًا.

إذا ضاقت الحال بك فلا تيأس وكن على أمل بعطاء الله.

٣٩ ـ سل الله: اطلب من الله. ضنوا: بخلوا. ولا يمن عليك: لا تقبل بأن يمنّ عليك.

فما بخلوا عليك به اطلبه من الله، فلا يكون لأحد منة عليك بأنه أعطاك؛ فالله يعطي بلا منّ.

٤٠ ـ معللة أصحابها: تعطيهم آمالًا تلهيهم بها. تسري عنهم: تنزع عنهم ما أعطتهم. السلب: ما يؤخذ عنوة في الحرب أو سواها.

ألا ترى أن الدنيا تعطي الراغبين فيها الآمال تلهيهم بها ثم لا تلبث أن تنزع منهم ما أعطت غصبًا عنهم.

٤١ ـ ففيما يكون المرء في نعيم مفترًا مطمئنًا ينقلب عليه الدهر ويحول نعيمه بؤسًا.

٤٢ ـ النصب: التعب والإعياء. زايل: تخلص من. =

٤٣ ـ ومَنْ يُسَوِّي قَصِيرًا باعُهُ حَصِرًا ضَيْقَ الخَلِيقَةِ عَثَّارًا إذا رَكِبا

٤٤ ـ بِذِي مَخارِجَ وَضَّاحٍ إذا نُدِبُوا في النَّاسِ يَوْمًا إلى المَخْشِيَّةِ انْتَدَبا

٤٥ ـ لا تَكُ ضَبًّا إذا اسْتَغْنَى أَضَرَّ ولَمْ يَحْفِلْ قَرابَةَ ذِي قُرْبَى ولا نَسَبا

٤٦ ـ اللهُ يُخْلِفُ ما أَنْفَقْتَ مُحتَسِبًا إذا شَكَرتَ ويُؤْتِيكَ الذي كَتَبا

٤٧ ـ مِثْلِي يَرُدُّ على العادِي عَداوَتَهُ ويُعْتِبُ المَرْءَ ذا القُرْبَى إذا عَتَبا

٤٨ ـ [ولا أكُونُ كَوَبْرٍ بَيْنَ أَخْبِيَةٍ إذا رَأى غَفْلَةً مِنْ جارِهِ وَثَبا]

= والعكس كذلك، ففيهما يكون المرء في بؤس ومشقة إذا به قد زال عنه البؤس والتعب.

٤٣ ـ يسوّي: يساوي ويعادل. الباع: مسافة ما بين الذراعين إذا بُسِطا. وقصر الباع كناية عن الضعف والتقصير أو العجز. الحَصِر: العيّ لا يحسن النطق. عثّارًا: كثير التعثر وهي كناية عن جهل أصول الفروسية. ركب: امتطى حصانًا. الخليقة: الخُلُق، الطبيعة، السليقة، وضيق الخليقة كناية عن ضيق الخلق يمنع الحلم ويفضي إلى كثرة التبرم.
في هذا البيت والبيت الذي يليه يقيم الشاعر مقارنة ضدية: من يساوي بين الضعيف العاجز، العيّ، الكثير التعثر إذا امتطى فرسًا، الضيّق الخُلُق و. . .

٤٤ ـ ذو المخارج: الحسن التخلص في المواقف المحرجة. وضاح: حسن الوجه، مشرقه. إذا نُدبوا: إذا دُعوا. المخشيّة: المخوفة، الأمور الجليلة تبعث الخَشية في النفوس.
تتمة المقارنة: من يعادل ذاك العاجز، العيي، المتعثر، بالذكي المنفتح، حسن التخلص في المواقف الحرجة، الجريء لا يخشى الأمور الصعبة الجليلة، فإذا دُعي إليها لبّى الدعوة.

٤٥ ـ لا تك ضبًّا: لا تكن عاقًا مثل ضب. استغنى: أصاب غنى. أضر: غدا عنده ضَرَّة وهي المال الكثير. لم يحفل: لم يعد يراعي.
لا تكن عاقًا مثل ضب إن نال مالًا واغتنى لم يعد يحفل بقريب ولا نسيب.

٤٦ ـ الله يُخلف ما أنفقت: يعوِّض عليك ما أعطيت. محتسبًا إذا شكرت: يحسب لك ثواب الشكر (إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٧]. يؤتيك الذي كتبا: ينيلك ما نص عنه الكتاب للمحسنين (الحسنة بعشرة أمثالها).

٤٧ ـ العادي: المعتدي. عداوته: اعتداءه وعدوانه. يُعتب ذا القربى: يتقبل عتبه ويزيل سبب شكواه.
مثلي من يردّ اعتداء المعتدي ويلين مع ذي القربى إذا عتب عليه، فيستمع إلى عتبه ويزيل سبب شكواه.

٤٨ ـ الوبر: دويبة قريبة من السنّور، غبراء اللون. بين أخبية: بين الخيام أو البيوت. إذا رأى غفلة وثبا: كناية عن الغدر والجبن.
لا يمكن أن أكون جبانًا غدارًا كدويبة الوبر، تتستر بين الأخبية حتى إذا رأت غفلة من الناس وثبت على ما تريد اختطافه.

٤٩ ـ [وثْبَ القَعُودِ تَنادى الحادِيانِ بِهِ ... لِيُنفِراهُ وشَدًّا ثِيلَهُ حَقَبا]

٥٠ ـ [أقسَمْتُ أطلبُ ذَحْلًا كُنْتُ أطلُبُهُ ... ما مَسَحَ الزَّائِرُونَ الكَعْبَةَ الحُجَبا]

٥١ ـ [حَتَّى أحُلَّ بِوادِي مَن يُحاذِرُنِي ... فَيَسْتَفِيدُوا ولَوْ أتْعَبْتُهُمْ خَبَبا]

٥٢ ـ [ولا أسُبُّ امْرَءًا إلّا رَفَعْتُ لَهُ ... عارًا يُسَبُّ بِهِ الأقْوامُ أوْ لَقَبا]

٥٣ ـ [لا يُبْرِئُ القَطِرانُ البَحْتُ نُقْبَتَهُ ... وما تُبِينُ بِضاحِي جِلْدِهِ جَرَبا]

٥٤ ـ تَحْمَى عَلَيَّ أُنُوفٌ أنْ أذِلَّ ولا ... يَحْمِي مُناوِئُها أنْفًا ولا ذَنَبا

---

٤٩ ـ القَعود: من الدواب (هنا الإبل): ما يقتعده الرجل للركوب والحمل، ولا يكون إلا ذكرًا. تنادى الحاديان به: صرخا به يستحثانه على الإسراع. الحادي: المغني للإبل ليضبط سيرها على إيقاع صوته، أو الصارخ بها لتتجمع. نفّر البعير: استفزه ليشرد من مكانه، أفزعه. الثيل: قضيب البعير. حَقَبًا: حبسًا لبوله.
الوبر في وثوبه للانقضاض على غايته يقفز كالبعير صرخ به حادياه، ليسرع، وقد شدا قضيبه حبسًا لبوله.

٥٠ ـ أقسمت أطلب: أقسمت أني سأبقى على طلبي. ذحلًا: ثأرًا. كنت أطلبه: كناية عن ثأر قديم. ما مسح الزائرون الكعبة: طالما هناك زائرون للكعبة، يمسحون أيديهم بالأستار.
وثأري القديم سأبقى على طلبه، أقسم على ذلك، طالما هناك زائرون يقصدون الكعبة يتمسّحون بأستارها.

٥١ ـ أحلّ: أنزل. يحاذرني: يخافني ويتحاشاني، فيستفيدوا: فيهلكوا (من أفذتُ فلانًا: أهلكتُه). لو أتعبتهم: بعد أن أتعبهم. خببًا: عدوًا.
ولأنزلن بمن أطلب ثأري عندهم، وهم يخافونني ويتحاشونني، ولسوف يهربون مني فأتبعهم حتى يهلكوا من الجهد وهم يعدون مُوَلّين.

٥٢ ـ رفعت له عارًا: ألبسته عارًا مما يُسب به الناس ويُحط من شأنهم. اللقب: الصفة السيئة تلصق بصاحبها فيُعيَّر بها.
هو يُعلي من شأن لسانه، لا من شأن سيفه وحصانه وحدهما: إذا سب امرءًا ألبسه عارًا يشتهر به، مما يحط من الشأن، أو ألصقت به لقبًا من ألقاب التحقير، يلصق باسمه (وربما بعقبه أيضًا).

٥٣ ـ النُّقبة: قُرحة تخرج في الجنب، وتهجم على الجوف، ورأسها من داخل. كنّى بها عن قروح الجرب. القَطِران: سائل يُدهن به البعير الجرِب. البحث: الصافي. ما تُبين: ما تُظهر. ضاحي جلده: جلده المكشوف.
ما ألحق بمن أسبّه من عار لا خلاص له منه كالقرحة المستعصية تتغشى في ظاهر الجلد من جرب فلا يقدر القطران على شفائها.

٥٤ ـ تحمى أنوف: من رجل حميّ الأنف: إذا كان أنفًا لا يقبل الضيم. ويقصد أن قومه يأبون=

٥٥ ـ أنا ابنُ أَعْصُرَ أَسْمُو للعُلَى وتَرَى   فِيمَن أُقاذِفُ عن أعراضِهِمْ نكَبا
٥٦ ـ إذا قُتَيْبَةُ مَدَّتْنِي حَوالِبُها   بِالدُّهْمِ تَسْمَعُ في حافاتِها لَجَبا
٥٧ ـ مَدَّ الخليجِ تَرَى في مَدِّهِ تَأَقًا   وفي الغَوارِبِ مِنْ آذِيِّهِ حَدَبا
٥٨ ـ [وحالَ دُونِي مِنَ الأنْباءِ صِمْصِمَةٌ   كانُوا الأُنُوفَ وكانُوا الأكْرمِينَ أبا]
٥٩ ـ [وشَمَّرَ الخَوفُ يَومَ الرَّوْعِ مُسْبَغَةً   مِنَ المآزِرِ حَتَّى تَبْلُغَ الرُّكَبا]

= أن يصيبه ضيم. لا يحمي مناوئها: لا يستطيع عدوها أن يحمي. الأنف والذنب: أنف كل شيء أوله، وذنبه آخر. كناية عن السيد والتابع.
يأبى قومي أن يصيبني ضيمٌ أو أن أذل، فيما أعداؤهم لا يستطيعون أن يحموا رئيسًا لهم ولا تابعًا.

٥٥ ـ أعصر: هو أعصر بن سعد بن قيس عيلان، أحد جدود الشاعر من غنيّ. من أقاذف عن أعراضهم: من أحارب دفاعًا عنهم. النكَب: الميل عن الحق.
أنا من سلالة أعصر، أرتقي إلى المعالي وأقاتل دفاعًا عن قومي، لكن بين هؤلاء الذين أُنافح عنهم من عنده ميل عن الحق (يقصد بني عمه الأدنين الذين اشتكى منهم في أبيات سابقة).

٥٦ ـ إذا: ظرف شرطي، فعل الشرط مدتني وجوابه في البيت (٦١) لا يمنع الناس. قتيبة: هو قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر، بينما ينتمي الشاعر إلى عمرو بن أعصر. فالقبيلتان إذن من أبناء العم. حوالبها: روافدها، أي فروعها. الدُّهم: الخيل السوداء، والمقصود بفرسان يمتطون الجياد الدهم. اللجب: الجلبة الناتجة عن الحركة والصياح.
إذا دعمتني قتيبة بفرقة من الفرسان يمتطون الجياد السوداء، لهم صخب وجلبة لشدة التوفز عند الخيل، وكثرة التنادي عند الفرسان، . . .

٥٧ ـ مدّ الخليج: مدَّ مفعول لمدتني في البيت السابق، ومد الخليج معروف إذ يلي الجزر غامرًا مساحات كبيرة بالماء، فهو مدّ طام، عارم. التأق: الغزارة، الامتلاء. الآذي: الموج. الغوارب: أعالي الموج. الحدب: تراكب الماء في جريه.
إذا أمدتني كتيبة بفرسانها يكون مددها كمدّ الخليج عارمًا، طاميًا، غزيرًا، ممتلئًا، فيما في أعالي موجه ارتفاع، وتراكب وتدافع.

٥٨ ـ حال: وقف حائلًا، منع. الأنباء: لعلها اسم موضع. الصّمصمة: الجماعة من الناس. الأنوف: جمع أنف وهو كل متقدم، وكنى بالأنوف عن الأسياد المتقدمين.
ونزل بيني وبين الأنباء جماعة (من قومه) من الأسياد المقدَّمين، الكريمي النسب. (وهو يتابع وصف الكتيبة التي أرسلتها قُتيبة لنجدته).

٥٩ ـ شمّر الخوفُ: جعل الخوف الرجال (من الأعداء) يشمرون. يوم الروع: يوم المعركة المسبغة. المُسبغة من المآزر: الطويلة الضافية من الثياب. والتشمير يكون لثياب الرجال. =

٦٠ ـ [شَدَّ النِّساءُ سَماواتِ البُيُوتِ فَما يَنْقُضْنَ للخَوْفِ مِنْ أطْنابِها طُنُبا]

٦١ ـ لا يَمنَعُ النَّاسُ مِنِّي ما أَرَدْتُ ولا أُعْطِيهِمُ ما أرادُوا حُسْنَ ذا أَدَبا

٦٢ ـ لا تُخْفَضُ الحَرْبُ للدُّنيا إذا اسْتَعَرَتْ ولا تَبُوخُ إذا كُنَّا لَها شُهُبا

٦٣ ـ [حَتَّى تُبِيحَ العَناجِيجُ الجِيادُ بِنا أحْماءَ مَنْ يَعْبُدُ الأَصْنامَ والصُّلُبا]

٦٤ ـ [قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أنَّا مِنْ خِيارِهِم في الدِّينِ دِينًا وفي أحْسابِهِمْ حَسَبا]

= وثوب الرجل يزداد طولًا مع ازدياد عزّ صاحبه ورفاهه، حتى يصل إلى الأرض وقد يجر وراءه ذيلًا للثوب. والتشمير يكون برفع طرف الثوب لتسهيل حركة رجْلي لابسه، وذلك عند الخوف والهرب، أو عند التصميم على عمل جدي كصعود الجبال مثلًا، والمقصود هنا الهرب خوفًا. وكلما ازداد التشمير وارتفع طرف الثوب كان الخوف أكبر وطلب سهولة الحركة أشد إلحاحًا.

إذا برزت هذه الكتيبة، وتملك الخوف رجال الأعداء، فبادروا، يوم المعركة، إلى الهرب رافعين أطراف ثوبهم حتى الرُّكَب.

٦٠ ـ سماوات البيوت: سقوف الخيام. ينقضون: يزيلون. الأطناب: جمع طنُب، وهو الحبل يُشَد به البيت إلى الوتد.

هنا جواب الشرط إذا: إذا ما أمدته قتيبة بفرسانها وجاؤوا ينزلون بينه وبين البناء، وخاف الأعداء حتى شمروا أثوابهم هربًا من المعركة، لم يكن للخوف مجال عندنا، ولا حتى عند نسائنا اللواتي يعمدن إلى البيوت يثبّتن أطنابها إلى الأوتاد، لا يُزلن طنُبًا واحدًا.

٦١ ـ لا يمنع الناس مني: لا أحد يحول بيني وبين نَيلي ما أردت. ولا أعطيهم، في حين أنا لا أعطيهم. حُسْن ذا أدبًا: المسألة تتعلق بحسن الأدب.

أن لا يمنع عني ما أريد في حين أنا لا أعطيهم ما أرادوا (أمر غير سليم) تلك قضية تخالف حُسْن الأدب.

٦٢ ـ لا تخفض الحرب: لا تخف وتتراجع. استعرت: اشتد لهبها. تبوخ: تضعف. الشهب: هنا: جمع شهاب وهو شهاب القبس والجذوة تُضرم بها النار.

حربنا موجهة إلى الدنيا (لعله يقصد حرب الفتح الإسلامي) فإذا ما اشتد لهبها؛ لن تخف ولن تتراجع ولن تضعف طالما نحن جذوات نغذيها بصورة مستمرة.

٦٣ ـ العناجيج: الخيل الرائعة. الجياد: الكريمة. أحماء: جمع حمى، وهو بيت البدري وحيه وأهله مما يحميه ويدافع عنه. يبيح الحمى: يجتاحه ويعيث فيه.

(إذن) ستبقى الحرب مستعرة حتى نقود جيادنا الرائعة الكريمة إلى ديار عابدي الأصنام والصليب ونعيث فيها.

٦٤ ـ قد يعلم الناس: على الناس أن يعلموا. خيارهم: أفضلهم، ليعلم الناس جميعًا أننا من أفضلهم دينًا ونسبًا.

٦٥ ـ [لَمْ يَعلَمُوا خَلَّتَيْ صِدْقٍ فَيَسْتَبِقا إلّا انْتَمينا إلى عُلياهُما سَبَبا]
٦٦ ـ حَتَّى نَشُدَّ الأسارَى بَعْدَما فَزِعُوا مِنْ بَيْنِه مُتَّكِىءٍ قَدْ فاظَ أَوْ كَرَبا
٦٧ ـ [وحَيَّ وِرْدٍ أَلَمْ يَنْزِلْ بِعَقْوَتِهِمْ حَتَّى تَضايَقَ وادِيهِمْ بِما رَحُبا]
٦٨ ـ [مَلْمُومَةً لَمْ تَدارَكْ في سَوامِهِم حَتَّى أُبيحُوا بِها والسَّبْيَ فانْتُهِبا]
٦٩ ـ سائِلْ بِنا حَيَّ عِلْباءٍ فَقَدْ شَرِبُوا مِنّا بِكأسٍ فَلَمْ يَسْتَمْرِئُوا الشُّرُبا
٧٠ ـ إنَّا نَحُسُّهُمُ بِالمَشْرَفيِّ وهُمْ كالهِيمِ تُغْشَى بِأَيْدِي الذَّادَةِ الخَشَبا

---

٦٥ ـ خَلَّتَي صدق: صفتين شريفتين. فيستبقا: تتنافسان في الشرف. انتمينا سببًا: انتسبنا بصلة.
إذا كان الدين والحسب خلتين شريفتين، فإنه خلتين شريفتين أخريين، تتسابقان على الشرق لنكون على صلة بأعلى مستوى فيهما كليهما.
٦٦ ـ نشد الأسارى: نربطهم بالحبال. فزعوا: خافوا وهربوا وهاموا على وجوههم (حتى أنهكوا). فاظ: فاضت روحه. كرب: كاد.
وسندخل إلى ديار الكفار، ونأخذ منهم الأسرى مربوطين بالحبال بعد أن يكونوا خافوا وهربوا هائمين على وجوههم فنجدهم منهكين، مستندين، قد فاضت روحهم أو كادت.
٦٧ ـ حيّ ورد: القبيلة تسوق إبلها إلى مورد ماء. ألم ينزل بعقوتهم: ما كاد جيشنا ينزل بساحتهم. رحبا: اتسع. تضايق واديهم بما رحبا: لم يستطع واديهم، على اتساعه، أن يستوعب هذا الجيش الهائل.
وإذ كانت الجماعة المعادية تنزل على مورد ماء، جاءهم جيشنا يحتل ساحتهم، فضاق بهم الوادي على اتساعه.
٦٨ ـ ملمومةً: الجيش هو كتيبة مجموعة متماسكة. لم تدارك: ما إن أدركت. سوامهم: إبلهم السارحة في المرعى. أُبيحوا بها: صارت غنيمة لهم. السبي: النساء يؤسرن في الغزو والحرب. انتُهبا: أُخذت غصبًا.
ما إن أدركت كتيبتنا المجموعة المتماسكة إبلهم السارحة في المرعى حتى أصبحت هذه الإبل مغنمًا، فضلًا عن نسائهم اللواتي أخذن سبايا مغلوبات على أمرهن.
٦٩ ـ حيّ علباء: قبيلة عربية. شربوا منا بكأس: ذاقوا فعالنا. لم يستمرئوا الشربا: لم يعجبهم طعم ما ذاقوه، فتحاشوه بعد ذلك.
٧٠ ـ نحسّهم: نقتلهم قتلًا ذريعًا، نستأصلهم قتلًا. بالمشرفي: السيف المنسوب إلى المشارف من أرض اليمن. الهيم: الإبل الظامئة تتدافع إلى الماء. تُغشى الخشب: تُدفع إلى وادي خُشُب أو ذي خُشُب، وهو على مسيرة ليلة من المدينة.
نتتبعهم بالقتل والضرب بالسيف المشرفي، فيتراكضون على غير هدى كأنهم النوق الظامئة تُساق فتتدافع إلى وادي خُشُب القريب من المدينة.

٧١ ـ [بِكُلِّ عَضْبٍ رَقِيقِ الحَدِّ ذِي شُطَبٍ إذا تَوارَى بِقَحْفَيْ هامَةٍ رَسبا]
٧٢ ـ [تَذْرِي بِهِنَّ أكُفُّ الدّارِعِينَ كَما تَذْرِي المَناجِلُ مِنْ أوْساطِهِ القَصَبا]

١٣ ـ لا تَأْتِيَنّا بعدها اليومَ سادرا

مَقّاس العائذيّ(١)

أولاً: الإطار

كانت بين شيبان وكلب غارات متبادلة. وكانت إحدى لشيبان على كلب، وكان امرؤ القيس الكلبي حينها غائبًا بفلج.

في هذه القصيدة يفخر الشاعر بانتصار شيبان على كلب، ويتهم امرأ القيس بأنه لم يكن بفلْج صدفة، بل هرب إليها قصدًا يسابق الخيل، ولولا ذلك لكان إما قتيلًا وإما أسيرًا، ويتطرق إلى وصف فعلهم بكلب. والجدير بالذكر أن الشاعر لم يكن من بني شيبان وإنما حليفًا لهم ومجاورًا إياهم. لذا لا نجد في القصيدة فخرًا بالذات أو بالعائلة.

---

٧١ ـ العضب: السيف القوي القاطع. رقيق الحد: شفرته رقيقة، وذلك يجعله أشد قطعًا. ذي شُطب: عليه خطوط تميزه. قحفي هامة: تجويف الرأس ينقسم إلى شقين عند الضرب بهذا السيف. رسب: غاب، أي أبعد في الدخول.

٧٢ ـ تذري به: تسفيه وتطيّره. بهن: بالهامات. الدارعين: لابسي الدروع. المناجل: جمع المنجل وهو آلة الحصد. القصب: كل نبات ذي أنابيب أو سوقه أنابيب.
تلك الهامات المنغلقة، تسفيها وتطيّرها أمير الضاربين بالسيف، اللابسي الدروع كما تقطع المناجل سُوق القمح وأشباهه من أوساطها.

(١) هو مسهَّر بن النعمان بن عمرو بن ربيعة بن تيم بن الحارث بن مالك بن عبيد بن خُزيمة... وينتهي نسبه إلى مضر بن نزار... وقد لُقب مَقّاسًا لأنه كان يمقّس الشعر (يجوب فيه ويجول) كيف شاء. كنيته أبو جَلدة. ويعود نسبه العائذي إلى عائذة بنت الخمس بن قحافة بن خثعم، وهي امرأة خزيمة. يقال لها عائذة قريش.
ومقّاس جاهلي أدرك الإسلام، وهو شاعر مجيد إنما قليل الشعر. وكانت قبيلته خزيمة حليفة الشيبانيين، لذلك كان الشاعر مجاورًا لبني أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان.

ثانيًا: القصيدة

وقال مَقّاسٌ العائِذِيُّ لامرئ القَيْسِ الكَلْبِيِّ، وكان وَقَع بينَ شَيْبانَ وكَلْب مُغاوَرَةٌ: [من الطويل]

١ ـ أَوْلَى فَأَوْلَى يا امْرأَ القَيْسِ بَعدَما خَصَفْنَ بآثارِ المَطِيِّ الحَوافِرا
٢ ـ فإن كُنتَ قَد نُجِّيتَ من غَمَراتِها فَلا تَأْتِيَنَّا بعدَها اليَومَ سادِرا
٣ ـ تَذَكَّرَتِ الخَيلُ الشَّعيرَ عَشِيَّةً وكُنَّا أُناسًا يَعْلِفُونَ الأَياصِرا
٤ ـ فَواللهِ لَوْ أَنَّ امْرَأَ القَيْسِ لَم يَكُنْ بِفَلْجٍ على أَن يَسْبِقَ الخَيلَ قادِرا

---

١ ـ أَولى: تعبير توعّد وتنديد. وقد كرّره للمبالغة. خصفن: النون للخيل. وخصف: طابق، وطارق، فكل ما وُضع بعضُه على بعض فقد طُورق. وفي الجملة نقل لحرف الجر. والمقصود خصفن بالحوافر آثار المطي، أي كن يضعن حافرهن على الأثر الذي تركته المطايا في الرمال. وكل ذلك كناية عن القيام بغارة بعيدة المدى. ذاك أن القبيلة، إذا عزمت على الإغارة في مكان بعيد، لم تركب الخيل إليه لكي لا تجهدها فتصل منهوكة إلى المعركة وإنما تركب الإبل وتجنب إليها الخيل أي تقودها خلفها. فإذا ما وصلت إلى مكان الإغارة المطلوب، انتقلت إلى ركوب الخيل والهجوم بها.
والشاعر يشير هنا إلى مسير الشيبانيين في غارتهم البعيدة، مسيرًا منتظمًا إذ كانت حوافر الخيل المجنوبة خلف المطايا تقع في موقع أخفاف الإبل التي تسير أمامها.

٢ ـ نُجّيت: سلمتَ. غمراتها: غمرات المعركة وهي شدائدها ومكارهها. لا تأتينّا: لا تواجهنا. بعدها اليوم: بعد اليوم. سادرًا: مستخفًا لا مباليًا.
إذا كنت قد سلمت من شدائد المعركة ومكارهها بهربك، فغضّ طرفك خجلًا بعد اليوم ولا تواجهها بلا مبالاة واستخفاف.

٣ ـ يعلفون: يقدمون علفًا لدوابهم. الأياصر: جمع الأيصَر، وهو، مثل الإصار: ما حواه الحشّ من الحشيش.
في البيت مقارنة هازئة بين نوعين من الأقوام ونمطين من الحياة. فالكلبيون على ما يبدو من البيت اختاروا نمطًا من الحياة أقرب إلى الاستقرار والدعة بدليل إطعامهم الشعير لدوابهم. وهذا ما يجعلها، إذا ابتعدت عن معالفها، تجفل ويصيبها الاضطراب، في حين أن حياة الشيبانيين أقرب إلى البداوة بدليل إطعامهم خيلهم الحشيش، فهي تجده أينما ذهبت فلا خوف عليها. ولا شك في أن نسبة الكلبيين إلى الاستقرار والدعة هو وصف ازدراء عند البدو الأشداء.
يقول إن خيل الكلبيين تذكرت الشعير عند العشاء، فلم تجده، في حين أن الشيبانيين، قومه، يعلفون خيولهم الحشيش.

٤ ـ يقسم بالله أن امرأ القيس لو لم يكن موهوبًا في الهرب سابقًا الخيل، لاجئًا إلى فلْج، =

٥ ـ لَقــاظَ أَسِـيـرًا أو لَعـالَجَ طَـعـنـةً ... يَـرى خَـلفَـهُ مِـنْـهـا رَشاشًـا وقـاطِـرا

٦ ـ فِـدًى لأُنـاسٍ ذَكَّـرُوهُـمْ مَـعِـيـشَـةً ... تَـرَى لِلثَّـريـدِ الـوَرْدِ فِـيـهـا نَـواخِـرا

٧ ـ [فـإنَّ بَـنِـي عِـجْـلٍ هُـمُ صَـبَّـحُـوكُـمُ ... صَـبُـوحًـا يُـنَـشِّـي ذا الـلَّـذاذةِ سـاعِـرا]

٨ ـ أَجـئْتُـمْ إلـيـنـا فـي بَـقِـيَّـةِ مَـالِـنـا ... تُـزَجُّـونَ مِـنْ جَـهْـلٍ إِلـيـنـا الـمَـنـاكِـرا

= وفَلْج موضع بين البصرة وضَريّة.

٥ ـ قاظ: أمضى فصل القيظ أي فصل الحر؛ وقاظ يومنا: اشتد حرّه. وأكثر ما يشتد حر النهار عند منتصفه، أي وقت الهاجرة. وقوله: «لقاظ أسيرًا» لم يأت عليه وقتُ الهاجرة إلا وهو أسير. عالج طعنة: عانى من طعنة (يُقال: يعالج سكرة الموت). يرى خلفه منها: أي تصيبه الطعنة في صدره وتخرج من ظهره ومعها الدم خلفه. رشاشًا: موزعًا في نقط صغيرة كرشّ الماء. قاطرًا: متساقطًا في نقط عظيمة كقطرات المطر.
يتابع معنى البيت السابق؛ فلو لم يسبق امرؤ القيس الخيل هاربًا إلى فلج لما أدركته الهاجرة إلا وقد أُسر أو أُصيب بطعنة اخترقت صدره وخرجت من ظهره والدم يتدفق معها رشاشًا متناثرًا أو قطرًا غزيرًا.

٦ ـ فدًى: يقصد نفسي فداء. يفدي بنفسه، مادحًا. لأناس: يقصد بني عجل أو الشيبانيين الذين ينتمي إليهم. ذكّروهم: ذكّروا بني كلب. معيشة: عيشهم السابق للحالي، عيش بداوة وقلة، فيما هم الآن يعيشون، كما ذُكر، عيش استقرار وسعة. الثريد: خبز يُهشَم ويبلّ بماء القِدر الذي يغلي فيه اللحم. وهو أبسط أنواع الطبيخ، لكنه يغدو وليمة عند الجائع والمحروم بسبب التنقل والقلة. الورد: ذي اللون الوردي، أي المائل إلى الاحمرار، ولعله لون مرق اللحم. نواخر: جمع ناخرة، والناخرة: الطامع.
يفدّي بنفسه قومه الذين استطاعوا، بغارتهم على بني كلب، أن يعيدوهم إلى حياة القلة وعدم الاستقرار حيث يكون أقصى مطمعهم الحصول على ثريدة من خبز مهشوم في مرق لحم مائل إلى الاحمرار. (وهذا المعنى يؤكده البيت التالي).

٧ ـ بنو عجل من البكريين، وكذلك بنو شيبان، فهم أبناء عمومة. صبحوكم: في الأهل، صبح: سقى الصَّبوح وهي الخمر الصباحية، وكنّى بها هنا عن الغارة الصباحية التي شنّوها على بني كلب، وجعلها ساعرًا: أي محرقة. تنشّي ذا اللذاذة: تحدث لذة ونشوة عند المصطبح. وهو معنى ساقه إليه ذكر الصبوح، فأمعن في وصف أثرها في شاربها تهكمًا وإبرازًا لشدة سعير الغارة وفعلها في الأعداء.

٨ ـ بقية المال: أقلّه الذي يبقى على الحياة ويمنع من الغناء. تزجون: تسوقون. المناكر: جمع المنكر، يقصد البغي والظلم.
يبدو أن قوم الشاعر أصابتهم حوادث ومحن لم تُبق الكثير من مالهم. والقليل المتبقي استهدفه الكلبيون في غارة سابقة يبغونه ظلمًا وعدوانًا. فهو يستنكر ويندّد، مسوغًا هذه الغارة الماحقة.

١٤ ـ انظُري حَسبي وخيري
المنخَّل اليشكُريّ[١]

أولاً: الإطار

يقول الأصفهاني[٢]: «هذه القصيدة يقولها في المتجردة، والمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وكانت تُتهم بالمنخل اليشكري.

في هذه القصيدة يتوجه اليشكري إلى العاذلة. والعاذلة غالبًا ما تلوم الفتى العزيز الكريم على تبذير ماله. فيرد عليها بأن المال زائل إنما الباقي هو الحسب والخلقة، فإلى هذين تطلعي ولا تسألي عن المال، أما إذا صممت على متابعة عذلي فليقدِّر لك أن تسيري إلى العراق ولا ترجعي.

ثم يفخر بنسبه وبقومه الأشداء المحاربين، الفرسان على جياد مميزة يدخلون بها المعارك. وينصرف إلى الحديث عن فتياته المرفهات، ويختار منهن واحدة يدخل إليها في يوم ممطر، فتاة صبية، جميلة، مرفّهة، فيمضي يغازلها بعينه وفمه ويديه وبقلبه، واصفًا نفسه معها في حالي السكر والصحو.

ثانيًا: القصيدة

وقالَ المُنَخِّلُ بنُ عامِرِ بن رَبيعةَ بن عَمْرِو اليَشْكُرِيُّ، قالَ أبو سَعيدٍ: قرأتُها على أبي عَمرو بنِ العَلاءِ: [من مرفل الكامل]

١ ـ إنْ كُـنـتِ عـاذِلَتِـي فَـسِـيـرِي   نَـحْـوَ الـعِـراقِ ولا تَـحُـورِي

---

(١) هو المنخّل بن مسعود بن أنلت . . .بن يشكر. ويختلف النسابون في أسماء جدوده. والمنخل شاعر مقلّ من شعراء الجاهلية. اتهمه النعمان بن المنذر بامرأته المتجردة، وكان نديمًا للنعمان، خلا بمجالسته، وقد ولدت المتجردة للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخّل وكانت العرب تقول إنهما منه لأنه كان دميمًا أحر، أبرش قصيرًا. وقد ضبطه النعمان معها إذ رجع فجأة من إحدى غزواته، أو رحلات صيده، وكانت قد جعلت خلخالها في رجله وأسدلت شعرها من شدة إعجابها به. وقد دفعه النعمان إلى رجل من حرسه يقال له عِكَبّ وأمره بالتخلص منه فعذبه حتى قتله. ويقال إنه دفنه حيًا، كما يقال إنه أغرقه. والعرب تضرب به المثل فيمن هلك ولم يُعلم له خبر (الأغاني: ٢١/٣ ـ ١٠).

(٢) الأغاني: ٢١/٩.

١ ـ إن كنتِ عاذلتي: إن كنتِ باقية على لومي. فسيري نحو العراق: ففارقيني، أبعدك الله إلى=

٢ ـ لا تــسْــأَلِي عــن جُــلِّ مــا لِي وانــظُــرِي حَــسَــبِـي وخِـيــرِي
٣ ـ وإذا الــرِّيــاحُ تَــكَــمَّــشَــتْ بِـجَـوانــبِ الــبَـيْـتِ الـكَـبِـيـرِ
٤ ـ أَلْفَــيْــتِــنِــي هَــشَّ الــنَّــدَى بِـشَـريـج قِـدْحِـي أو شَـجـيـرِي
٥ ـ وفَــوارسٍ كَــأُوارِ حَــرِّ الــنَّــارِ أَحْــلاسِ الــذُّكُــورِ
٦ ـ شَــدُّوا دَوابِــرَ بَــيْــضِــهِــمْ فــي كُــلِّ مُــحْــكَــمَــةِ الـقَـتِـيـرِ
٧ ـ واسْــتَــلأَمُــوا وتَــلَبَّــبُــوا إنَّ الــتَّــلَبُّــبَ لِلمُــغِــيــرِ

= العراق. ولا تحوري: ولا تغادريه، ولا تعودي، ولا قدّر لك الله العودة.

٢ ـ جُلّ مالي: معظم مالي، كثرة مالي. انظري: اعلمي، اسألي عن ـ حسبي: أصلي ونسبي. خيري: هيئتي وشرفي.
لا تسألي عن مبلغ مالي ولكن اهتمي بمعرفة أصلي وهيئتي وشرفي.

٣ ـ تكمشت الرياح: تقبضت وجدّت. البيت الكبير: هو البيت المميز في الحي، ويكون لسيّد القوم، وتلك إشارة إلى شرف منبته.
إذا تمكنت الرياح وتجاوبت جادة في جوانب البيت الكبير، (ويكون ذلك عادةً أيام الشتاء حيث يشتد القحط).

٤ ـ ألفيتني: وجدتني. هشّ الندى: خفيفًا إلى العطاء والكرم. القدح: هو سهم بلا سنان ولا ريش، يُستخدم في لعب الميسر، ويجعل لكل قدح علامة، ولكل علامة اسم ونصيب إذا خرج السهم في عملية السحب. شريج قِدحي: سهمي الأصيل الذي هو لي. شجيري: قدحي الشجير، وهو قدح مُستعار يُتَيَمَّنُ بربحه. (المشاركة في الميسر من شيم الكرام لأنهم يتركون ما يربحونه للفقراء والمحتاجين، فتكون اللعبة مناسبة لإطعام الجائعين).
إذا ما اشتد الشتاء وعصفت الرياح متجاوبة في البيت الكبير، وجدتني خفيفًا إلى العطاء، وإلى المشاركة في الميسر، تاركًا الربح الذي يعود إليّ من قِدحي الأصيل، ومن قِدحي المُستعار.

٥ ـ وفوارسٍ: وربّ فوارس. أُوار حرّ النار: شدة اشتعالها؛ وصفهم بذلك في توقّد همتهم وجرأتهم. أحلاس: ملازمين، لا يفارقون. الذكور: جمع الذكر وهو، من الحديد، أيبسه وأجوده، وبذلك يُسمّى السيف. فأحلاس الذكور: ملازمين لسيوفهم الصارمة لا يفترقون عنها.

٦ ـ البيض: جمع البيضة، وهي كرة فولاذية تعلو الخوذة، وكنّى بها عن الخوذة. دوابر بيضهم: مؤخّر خُوَذهم. المحكمة: الحسنة السبك، المتماسكة. القتير: حلقات الدروع ومساميرها. ومحكمة القتير: درع محكمة الصناعة، متماسكة الحلقات.
تثبيتًا للخوذ على رؤوسهم، ربطوا مؤخرها بدروعهم المتماسكة الحلقات.

٧ ـ استلأموا: لبسوا اللأمة وهي الدرع تلببوا: الرجل المتلبّب: كل متحزّم بالسلاح وغيره، =

٨ ـ وعَلَى الجِيادِ المُضمَرا تِ فَوارِسٌ مِثْلُ الصُّقُورِ
٩ ـ يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبا رِ يَجِفْنَ بِالنَّعَمِ الكَثِيرِ
١٠ ـ أقررْتُ عَيْنِي مِنْ أُولـ ـئِك والفَوائحِ بِالعَبِيرِ
١١ ـ يَرْفُلْنَ، في المِسْكِ الذَّكِـ ـيِّ وَصائِكٍ كَدَمِ النَّحِيرِ
١٢ ـ يَعْكُفْنَ مِثْلَ أَساوِدِ الـ ـتَّنُّومِ لَمْ تُعْكَفْ لِزُورِ
١٣ ـ ولَقَد دَخَلْتُ على الفَتا ةِ الخِدْرِ في اليَومِ المَطِيرِ

= وكل مجمِّع لثيابه تهيؤًا لعمل عنيف. المغير: الذي يقوم بغارة.

٨ ـ الجياد المضمَرات: الجياد التي اعتُني بتضميرها. وتضميرها: أن تُعَدّ للسباق أو الركض إلى العدوّ، وذلك بأن تُشَدّ عليها سروجُها، وتُجَلَّل بالأجلّة حتى تعرق تحتها، فيذهب رَهَلُها، ويشتدّ لحمُها، ويحمل عليها غلمانٌ خِفاف يُجْرونها ولا يعنُفون بها. فإذا فُعل ذلك بها، أُمِن عليها البُهْرُ الشديد عند حُضرها (ركضها) ولم يقطعها الشدّ. فوارس مثل الصقور: يشبهون الصقور في حدة بصرهم، وجرأتهم وتصميمهم على النيل من خصمهم.

٩ ـ يخرجن: أي الجياد المضمرات. من خلل الغبار: من الفسح التي تحدث في غبار المعارك. يجفْن: من الوجيف وهو السير السريع. النَّعَم: المواشي من الإبل وغيرها.
هذه الجياد، وعليها فوارسها، حين تخرج من الفُرَج في غبار المعارك تكون قد استولت على المواشي الكثيرة، تسوقها أمامها مسرعة.

١٠ ـ أقررتُ عيني: ارتحتُ وسَعِدت. من أولئك: من تلك النسوة. الفوائح: اللواتي يفوح منهن، أي تنتشر حولهن رائحة. العبير: أخلاط من الطيب تُجمع بالزعفران.

١١ ـ يرفلن: يتهن من النعمة فيجررن ذيل ثوبهن إذا مشين، ويَمِسْن فيه. في المسك الذكي: يتطيبن بالمسك الجميل الرائحة. الصائك: أخلاط من الطيب يغلب عليها الزعفران بلونه المائل إلى الحمرة. كدم النحير: كدم الذبيح.
هؤلاء النسوة منعمات، يلبسن ثياب الحرير يجررن ذيولها تيهًا ويتضمخن بالمسك والزعفران بلونه الأحمر كدم الذبيح.

١٢ ـ يعكفن: يعطفن خصل شعرهن. الأساود: جمع الأسود، وهو العظيم من الحيّات وفيه سواد. ومثل الأساود: ضفائر طويلة من شعورهن السود كأنها الحيات السوداء العظيمة. لم تُعكف لزور: لم تعطف وتضفّر بشعر مستعار مزوّر. التنّوم: موضع تكثر فيه الحيات.
هن يضفّرن شعرهن الأسود في ضفائر ضخمة، سوداء، طويلة، كلها شعر أصلي لا تزوير فيها، تشبه حيّات التنّوم العظيمة السوداء. وتلك كناية عن غزارة الشعر وطوله واسترساله.

١٣ ـ الخِدر: البيت. اليوم المطير: اليوم الممطر. وفي أيام الضباب والمطر تحلو غزوات الشبان لخدور الفتيات.

١٤ ـ الـكـاعِـبِ الـحَـسْـنـاءِ تَـرْ فُـلُ فـي الـدِّمَـقْـسِ وفـي الـحَـرِيـرِ
١٥ ـ فَـدَفَـعْـتُـهـا فَـتَـدافَـعَـتْ مَـشْـيَ الـقَـطـاةِ إلـى الـغَـدِيـرِ
١٦ ـ وَلَثِـمْـتُـهـا فَـتَـنَـفَّـسَـتْ كَـتَـنَـفُّـسِ الـظَّـبْـيِ الـبَـهِـيـرِ
١٧ ـ فـدَنَـتْ وقَـالَـتْ يـا مُـنَـ خَّـلُ مـا بِـجِـسْـمِـكَ مِـنْ حَـرُورِ
١٨ ـ مـا شَـفَّ جِـسْـمِـي غَـيْـرُ حُـ بِّـكِ فـاهْـدَئـي عَـنِّـي وسِـيـرِي
١٩ ـ وأُحِـبُّـهـا وتُـحِـبُّـنِـي ويُـحِـبُّ نَـاقَـتَـهـا بَـعِـيـرِي
٢٠ ـ يـا رُبَّ يَـومٍ لـلـمُـنَـ خَّـلِ قَـدْ لَهـا فـيـهِ قَـصِـيـر
٢١ ـ فـإذا انـتَـشَـيْـتُ فـإنَّـنِـي رَبُّ الـخَـوَرْنَـق والـسَّـدِيـرِ

---

١٤ ـ الكاعب: الفتاة التي نهد ثدياها. ترفل: تتهادى. في الدمقس: في ثياب الديباج.
في أيام المطر والضباب أدخل خدر فتاة مرفهة، نهد ثدياها، جميل محيّاها، منعّمة تتبختر في ثياب الديباج والحرير.

١٥ ـ تدافعت: اندفعت. القطاة: من الطيور المهاجرة، تؤم الصحراء في أسراب كبيرة، وتشم ريح الماء من مسافات بعيدة. فإذا اقتربت منه، وعطشها شديد، هبطت على الأرض ومشت مسرعة يدفع بعضها بعضًا؛ مشي القطاة إلى الغدير: إسراع القطاة إلى الماء، ومشيتها معروفة بخطواتها القصيرة وتأرجحها. بهذه المشية المسرعة شبه اندفاع فتاته، ذات العجيزة الضخمة والثياب الطويلة الفضفاضة.

١٦ ـ لثمتها: قبّلتُها. تنفست: تسارعت أنفاسها من الانفعال. الظبي البهير: الذي تتتابع أنفاسه من إعياء.

١٧ ـ الحرور: ارتفاع في حرارة الجسم من حمى أو سواها.
دنت مني فأحسّت بما ينتابني من حمى (غير مَرَضية) فتساءلت (تساؤل العارف): ما سبب هذه الحمى تنتاب جسمك وترفع حرارته؟

١٨ ـ ما شفّ جسمي: ما أنهك جسمي وأمرضه. فاهدئي عني: خفّفي الضغط عليّ بالإحراج والسؤال. سيري: تابعي سيرتك معي لجهة حبي ووصلي.

١٩ ـ المعنى واضح، ودلالته هي على طول العشرة ومداومة التلاقي والتواصل، مما خلق إلفة بينهما وازاها إلفة مماثلة على مستوى بعيره وناقتها، إذ يربط بعيره، كلما أتاها، في الحظيرة قرب ناقتها.

٢٠ ـ يا رُبّ يومٍ: دعاء تحبب فيه بعض الحسرة. لها فيه: أمضاه في اللهو والشرب. قصير: نعت لليومِ. واليوم لا يطول أو يقصر إنما الإحساس بوقت السعادة هو أنه دائمًا سريع.

٢١ ـ إذا انتشيت: بلغت النشوة من السكر. الخورنق والسدير: قصران كانا للمنذر بن ماء السماء في الحيرة، والمنذر كان في قمة نفوذ اللخميين فكأنه ملك الملوك بالنسبة إلى العرب. =

٢٢ ـ وإذا صَحَوْتُ فإنَّني ... رَبُّ الشُّوَيْهةِ والبَعِيرِ
٢٣ ـ ولَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدا ... مَةِ بِالقَليلِ وبِالكَثيرِ
٢٤ ـ [وشربْتُ بِالخَيلِ الإ ... ناث وبِالمُطَهَّمَةِ الذُّكُورِ]
٢٥ ـ يا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ ... يا هِنْدُ لِلعانِي الأَسِيرِ

١٥ ـ وأُكرِمُ نفسي عن أمورٍ كثيرةٍ
مالك بن حَريم الهَمْداني(١)

أولاً: الإطار

في القصيدة عرض لمعظم اهتمامات الرجل الجاهلي. فهو يودّع الشباب جزعًا من المشيب. ومع ذلك لا ينسى سلمى ويتمنى لو تزوره عند النوم فهي الشابة المرفهة، يهيم بها هيامًا عذريًا، هيامًا بريحها يشتمُّ منه المسك، برضابها يجتلي فيه خمر فارس.

= عندما أبلغ النشوة من السكر، أشعر أنني ملك الملوك لا أحد يدانيني.

٢٢ ـ إذا صحوت: إذا ذهب عني السكر ونشوته، وعدتُ إلى الواقع وحقيقتي. فإنني رب الشويهة والبعير: أجد أن ملكي يقتصر على جمل وناقة.

٢٣ ـ المُدامة: الخمر. بالقليل وبالكثير: أي بما ملكت من ثمن، قليلًا كان أو كثيرًا.

٢٤ ـ شربت بالخيل الإناث: أي بثمن خيل إناث. المطهّمة: الكريمة، الأصيلة النسب. الذكور: المذكرة، وهي عادة أقوى من الإناث وأشدّ على العدو والتحمل.
أنفق على الخمر ما ملك من ماله قليل أو كثير، وشرب بثمن ما ملك من خيل، المؤنث منها القليل الثمن والمذكر، العتيق الأصيل، الثمين.

٢٥ ـ هند، هي، كما يقولون، بنت المنذر بن ماء السماء. من لِمُتَيَّم: من يأتي بالعون لعاشق استبدّ به العشق؛ يا هند للعاني: أي من للعاني؟. والعاني: العبدُ أو السائل.
يا هند استنجد بك فأنجديني، أنا المتيّم بك، وأنا عبدك وأسيرك.

(١) هو مالك بن حريم بن مالك بن حريم بن دألان بن سابقة ...بن نوف بن همدان. ومالك شاعر جاهلي أدرك الإسلام وكان من الفحول في الشعر، ولصًّا مشهورًا في الحياة.

ثم يتحدّث عن فضائله، عن آبائه وترفعه عن سؤال غير الكريم عن تجربته في الحياة التي أوصلته إلى أربع خِلّات:

* ألا يغفل عن إبله السارحة في المرعى.
* ألا يُسكت الكلب كي لا يجلب الأضياف.
* صون الجارة والتعفف.
* لا ستر فوق القِدر أيام الشتاء يمنع البعيد من رؤية نارها ودخانها.

بعد ذلك يعرض مظاهر فروسيته وشدة قومه ومنعتهم وغزواتهم، وكيفية قيادتهم خيلهم واختيار الطريق لها إكرامًا وحفاظًا لأنها تأخذ بثأرهم وينتهي متغنيًا برئيس كالمنارة إشعاعًا وبكرمه وبمكانته في جماعته.

ثانيًا: القصيدة

وقالَ مالكُ بنُ حَرِيمٍ الهَمْدانِيّ: [من الطويل]

١ ـ جَزِعْتَ ولم تُجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزعا   وقَـد فـاتَ رِبْـعِـيُّ الـشَّـبـابِ فَـودَّعـا

٢ ـ ولاحَ بَـيـاضٌ فـي سَـوادٍ كـأَنَّـه   صِـوارٌ بِـجَـوٍّ كـانَ جَـدْبًـا فـأَمْـرَعـا

٣ ـ وأقـبَـلَ إخـوانُ الـصَّـفـاءِ فـأَوْضَـعُـوا   إلـى كُـلِّ أَحْـوَى فـي الـمَـقـامَـةِ أَفْـرَعـا

---

١ ـ جزعتَ مجزعًا: خفت وحزنت حزنًا شديدًا. لم تُجزع: لم تجد من يُسليك ويزيل حزنك وخوفك. وقد فات: بعد أن مضى. ربعيّ الشباب: الشباب في ربيع العمر، أي أوله. (الشاعر يخاطب نفسه).
حين ولى الشباب وودعت ربيع العمر أصابني خوف شديد وحزن لم أجد من يسليني عن فقده ويزيل حزني.

٢ ـ لاح: بدا وظهر. صُوارٌ: قطيع من بقر الوحش وهو أبيض اللون غالبًا. جو: أرض منخفضة. كان جدبًا: كان أجرد قاحلًا. أمرعا: أخصب وغطاه الكلأ الأخضر. والعرب تطلق السواد على المساحات الخضراء الواسعة، ومن ذلك قولهم: سواد العراق لبساتينه الخضراء.
بدا في الرأس بياض يخالط السواد (وهو أول الشيب) كأنه بياض قطيع من بقر الوحش يرعى في منخفض من الأرض أخصب وغطاه الكلأ بعد أن كان مجدبًا.

٣ ـ إخوان الصفاء: رفاق المرح والليالي الملاح. أوضعوا: تحولوا وأسرعوا. الأحوى: يقصد صاحب الشعر الأحوى، أي الأسود. الأمرع: المقصود الشعر الأمرع: أي التام الكثيف. المقامة: مقام الجماعة. =

٤ ـ تَذَكَّرْتُ سَلْمَى والرِّكابُ كأَنَّها ... قَطًا وارِدٌ بَيْنَ اللِّفاظِ ولَعْلَعا

٥ ـ فَحدَّثْتُ نَفْسِي أنَّها أو خَيالُها ... أتانا عِشاءً حِينَ قُمْنا لِنَهجَعا

٦ ـ فَقلتُ لَها بِيتِي لَدَيْنا وعَرِّسِي ... وما طَرَقَتْ بعدَ الرُّقادِ لتَنْفَعا

٧ ـ مُنَعَّمَةٌ لَم تَلْقَ في العَيشِ تَرْحَةً ... ولَم تَلْقَ بُوسًا عندَ ذاكَ فتَجْدَعا

٨ ـ أَهِيمُ بِها لَم أقضِ مِنها لُبانَةً ... وكُنتُ بِها في سالِفِ الدَّهْرِ مُوزَعا

٩ ـ كأَنَّ جَنا الكافُورِ والمسكِ خالِصًا ... وبَرْدَ النَّدَى والأُقحُوانَ المُنَزَّعا

= إن رفاق المرح وليالي السمر يقبلون مسرعين في المجلس إلى كل ذي شعر أسود تام مكتمل.

٤ ـ الرِّكاب: الإبل تُستعمل للركوب. قطا: طيور مهاجرة شبيهة بالحمام؛ يُعرف عنها تنسّمها للماء من مسافة بعيدة، تطير متجهة إليه، فإذا ما اقترب وِردها كانت سرعتها كبيرة جدًا يشبه بها العرب سرعة مطاياهم. وارد: مقبل على الماء. اللفاظ ولعلع: اسم مكانين، ولعلهما من مواقع المياه.

تذكرت محبوبتي سلمى، فيما كانت مطايانا من النوق تسرع بنا سرعة القطا اقترب من الماء.

٥ ـ حدثت نفسي: خُيّل إليّ. لنهجعا: لننام.

خُيّل إليّ، وناقتي تعدو بي سريعة كالقطا، أنني؛ بالأمس، حين توجهت للنوم، تلقيت زيارة منها، أو لعلها من خيالها.

٦ ـ بيتي لدينا: بيتي: من المبيت وهو قضاء الليل في مكان. عرّسي: انزلي في آخر الليل. طرقت: جاء ليلًا. بعد الرقاد: بعد النوم. لتنفع: لتشبع رغبة.

فقلت لها: هيا انزلي بنا في آخر الليل، واقضي الليلة عندنا. لكن هيهات أن تفعل، فما كانت لتأتينا ليلًا، وبعد أن نِنام، لو أنها أرادت نفعنا وإشباع رغبة لنا.

٧ ـ منعّمة: مرفهة، وهي عادة من نساء أشراف القوم. ترحة: فقر وحزن. بوس، بؤس: شقاء. تجدع: تضعف ويهزل جسمها.

هي منعمة، ممتلئة الجسم، اعتادت الرفاه، ولم تعرف في حياتها فقرًا أو شقاء يضعف ويُهزل جسمَها.

٨ ـ اللُّبانة: الحاجة، الغَرَض. لم أقض لبانتي: لم أنل حاجتي. سالف الدهر: الزمن الماضي. موزع: متعلق، خاضع للإغراء.

كنت في الزمن الماضي (أيام الشباب) متعلقًا بها، هائمًا بحبها. خاضعًا لإغرائها، ولم أنل منها حاجة تشبع رغبتي. (ويشير طبعًا إلى تعففه وإلى كون حبه خالصًا مجردًا عن الأهواء).

٩ ـ الكافور: أخلاط تُجمع من الطيب، تركّب من كافور الطلع (وهو وعاء الزهرة الذي ينشق=

١٠ ـ وقَلْتًا قَرَتْ فيهِ السَّحابةُ ماءَها ... بِأَنيابِها، والفارِسيَّ المُشَعْشَعا

١١ ـ وإنِّي لأَسْتَحْيي منَ المَشْيِ أَبْتَغِي ... إلى غَيرِ ذي المَجْدِ المُؤَثَّلِ مَطْمَعا

١٢ ـ وأُكْرِمُ نَفْسِي عن أُمورٍ كَثِيرةٍ ... حِفاظًا وأَنهَى شُحَّها أَنْ تَطَلَّعا

١٣ ـ وآخُذُ لِلمَوْلَى إذا ضِيمَ حَقَّهُ ... مِنَ الأَعْيَطِ الآبِي إذا ما تَمنَّعا

١٤ ـ فإنْ يَكُ شابَ الرَّأْسُ مِنِّي فإِنَّنِي ... أَبَيْتُ على نَفسِي مَناقِبَ أَرْبَعا

= عنها عندما تتفتح). المسك خالصًا: غير ممزوج. برد الندى: نعاشه. الأقحوان: زهر معروف، أوراقه بيضاء منتظمة حول دائرة صفراء، به تشبَّه الأسنان السليمة المنتظمة. المنَزَّع: المقطوف.

إنه ثغر الحبيبة: رائحته كافور ومسك خالص، ريقه منعش كالندى الرطب، أسنانه بيضاء منتظمة متقاربة كأوراق الأقحوان الذي قُطف على الفور.

١٠ ـ القلت: نُقرة في الجبل، إذا امتلأت من ماء المطر، ومرّ عليها الليل فبردت، كانت أصفى ماءً وأعذبه. قرت: وضعت. بأنيابها: أنياب المحبوبة. الفارسي: الخمر الفارسية. المشعشعا: الممزوج بالماء، ويتغنون بأن يكون الماء تمزج به الخمر ماء النُقر الصخرية.

ما يترقرق بين أنيابها ويتخلل أسنانها (أي ريقها) هو من العذوبة كالخمر الفارسية مُزجت بالماء الذي تستودعه الغيوم النُّقَر الصخرية العالية.

١١ ـ المشي: هنا القصد في طلب ما. ذو المجد المؤثل: ذو المجد القديم الموروث أبًا عن جد. مطمعًا: رغبةً.

تأبى نفسي أن أقصد من ليس أصيل النسب، وارثًا للمجد عن آبائه، لأطلب تحقيق رغبة.

١٢ ـ حفاظًا: حفاظًا على كرامتي. الشحّ: البخل، وهو نقيصة عند البشر، منهم من يكبتها ومنهم من يطلقها. أنهى شحَّها: أمنع شحَّ نفسي. أن تَطلّعا: أن يتطلع، أي يبرز ويظهر.

أكرم نفسي وأجِلُّها عن الكثير من الأقوال والأعمال صونًا لكرامتي، وخصوصًا البخل، أكبته وأمنع نفسي من إظهاره.

١٣ ـ إذا ضيم: إذا ظُلم. المولى: الجار وله حق على من يجاورهم أن يكرموه ويحموه. الأعيط: الطويل العنق، كناية عن المتعالي المتعجرف. الأبي: المتكبر. امتنع: كان في غاية المنعة والسطوة.

إذا ظُلم جاري آخذ له حقه من المتعجرف المتكبر ولو كان في غاية العز والمنعة.

١٤ ـ أبيت على نفسي: حرّمت على نفسي أن أمتنع. مناقب: جمع منقبة: كَرَم الفعل مما يُحمَد. =

١٥ ـ فَـواحِـدةٌ: أَن لا أَبـيـتَ بِـغِـرَّةٍ إذا ما سَوامُ الحَيِّ حَوْلِي تَضَوَّعا

١٦ ـ وثـانـيـةٌ: أن لا أُصَـمِّـتَ كَـلْبَـنـا إذا نَـزَلَ الأَضـيـافُ حِـرْصًـا لِنُـودَعـا

١٧ ـ وثـالـثـةٌ: أَنْ لا تُـقَـذَّعَ جـارَتِـي إذا كـانَ جـارُ الـقَـومِ فِـيـهـمْ مُـقـذَّعا

١٨ ـ ورابـعـةٌ: أن لا أُحَـجِّـلَ قِـدْرَنـا عَلَى لَحمِها حِينَ الشِّتاءِ لِنَشْبَعا

١٩ ـ وإنِّي لأُعْدِي الخَيلَ تُقْدَعُ بِالقَنا حِفاظًا على المَولَى الحَرِيدِ لِيُمْنَعا

٢٠ ـ [ونَحنُ جَلبْنا الخَيلَ من سَرْو حِمْيَرِ إلى أَنْ وَطِئْنا أَرْضَ خَثْعَمَ أَجْمَعا]

= إذا كان الشيب أدركني فقد عشت حياتي كلها محرّمًا على نفسي أن تتجاهل أربع خصال.

١٥ ـ الغِرّة: الغفلة. السوام: الإبل السارحة في المرعى. تضوّع: انتشر. أولى هذه الخصال ألا أترك عيني تغفل وتنام إذا كانت إبل الحي قد انتشرت في المرعى حولي.

١٦ ـ أصمّت كلبنا: أمنع كلبنا من النباح خوفًا من أن يسمعه ضيف فيقصدنا. إذا نزل الأضياف. حرصًا: من البخل. لنودع: لنُترك وحالَنا.
وثاني هذه الخصال ألا أمنع كلبي من النباح بخلًا وخوفًا من أن يسمعه الأضياف فينزلوا بنا.

١٧ ـ تُقذَّع: تتعرض للقول الفاحش.
والثالث ألا أسمح بالنيل من جارتي بالقول الفاحش، فيما يكون جار سوانا معرضًا للذم وقبيح القول.

١٨ ـ حجّل القدر: وضع فوقها ستارة كي لا يُرى دخانُها ونار قدرها من بعيد. الشتاء: فصل الشتاء وفيه يشتد البرد، وينعدم الكلأ وتنفُق الماشية ويتمسّك المرء بالقليل الذي عنده. فالشتاء محل لكرم الكريم. لنشبع: لنأكل وحدنا ونشبع دون الضيف والفقير.
والخصلة الرابعة ألا أضع ستارة فوق قدرنا العامرة باللحم في فصل الشتاء لكي لا يراها جائع أو ابن سبيل فيأتي طالبًا لضيافة. فأنا لا أقبل أن نشبع وفي الجوار جائع.

١٩ ـ أعدي الخيل: أركض بها، أعدو بها. تُقدَع بالقنا: كناية عن كونها كريمة جياشة، تحتاج إلى القدْع لتكفّ بعض جريها. والقدع: ضرب أنفها بالرمح. المولى: ابن العم الحريد: البعيد، المنفرد. ليمنع: ليكون منيعًا لا يُعتدى عليه.
بعد فخره بصفات العفة والكرم والضيافة، يفخر هنا بالنجدة. فإذا احتاج ابن العم الذي يعيش بعيدًا عن الحي إلى نجدة هب على فرس كريم جامح يُضرب بالرمح على أنفه ليكفّ عن بعض جريه، ليساعد ابن العم ويمنع عنه أي اعتداء. (ولعلها رسالة موجهة إلى من يسمع مفادها أن أي فرد من القبيلة منيع، محميّ، مدعوم، ولو كان وحيدًا).

٢٠ ـ جلبنا الخيل: أخذناها. السرو: ما ارتفع من الوادي وانحدر عن غلظ الجبل. وسرْو حمير: محلّتها في اليمن، ويُضرب بها المثل في البعد والعزلة. =

٢١ ـ [فَمَن يَأْتِنا أَو يعْتَرِضْ بِسبِيلِنا يَجِدْ أَثَرًا دَعْسًا وسَخْلاً مُوَضَّعا]

٢٢ ـ ويَلْقَ سَقِيطًا مِنْ نِعالٍ كَثِيرةٍ إذا خَدَمُ الأَوْساغِ يَوْمًا تَقَطَّعا

٢٣ ـ إذا ما بَعيرٌ قامَ عُلِّقَ رَحْلُهُ وإنْ هو أَبْقَى أَلْحَمُوهُ مُقَطَّعا

٢٤ ـ نُرِيدُ بَنِي الخَيْفانِ إنَّ دِماءَهُمْ شِفاءٌ وما والَى زُبَيْدٌ وجَمَّعا

= يصف غارة لهم بعيدة المدى. أخذوا الخيول من سرو حمير وساقوها إلى أرض خثعم فداسوها عن آخرها.

٢١ ـ من يأتنا: من يهاجمنا. يعترض بسبيلنا: يقف في طريق غزواتنا. يجد أثرًا دعسًا: يجد طريقنا موطأة لكثرة ما تدوسها حوافر خيولنا، وتلك كناية عن دأبهم على الإغارة. السخل: أولاد الإبل والخيل. موضّعًا: متفرق المواضع، أي أن الخيل والإبل، أثناء غزواتهم، تضع صغارها في مواضع متفرقة. وتلك كناية عن الابتعاد في الغارة حتى يطول الزمن، وتضع الحوامل صغارها دفعة وراء دفعة.
من يجرب الوصول إلينا أو الوقوف في طريقنا يجد تلك الطريق معبدة لكثرة وطئنا أرضها جيئة وذهابًا في غارات قد تبعد حتى لتضع الحوامل من الإبل والخيل خلالها صغارًا في أمكان متفرقة.

٢٢ ـ سقيطًا من نعال: ما يتساقط من نعال الخيل والإبل. الخدم: السير من جلد يُشَد في رسغ البعير ليثبت النعل على الخف الأوساغ: لعلها الأوساغ. وخدم الأرساغ: السيور التي تربط حول الأرساغ.
ومن يعترض طريقنا يجد على تلك الطريق، فضلًا عن آثار وضع السّخال، بقايا من نعال الجمال تساقطت عندما تقطعت سيور الجلد التي تمسكها ملتفة حول الأرساغ.

٢٣ ـ قام البعير: توقف عن السير. علّق رحله: كناية عن الاستغناء عنه وتركه فيما ينزع عنه الرحل ويعلق خلف بعير آخر. والرحل: ما يوضع على ظهر الجمل للركوب. أبقى: روي في شرح الأنباري: أنقى. ولعله هو الصحيح ومعناه: سمن وصار فيه شحم ومخ العظام. ألحموه مقطعًا: قطعوه لحمًا وأطعموه الناس.
في الغارة البعيدة أيضًا قد يصاب بعير بالإجهاد فيتوقف عن السير. عند ذلك يُستغنى عنه وينزع عنه الرحل ليعلَّق خلف بعير آخر، ثم يُترك إذا كان ضعيفًا لا غناء منه، أما إذا كان سمينًا ذا شحم ولحم فإنه يذبح ويقطع ويُطْعَم الناسَ لحمُه.

٢٤ ـ نريد بني الخيفان: نقصد هذه القبيلة. إن دماءهم شفاء: كناية عن كونهم أشرافًا إشارة إلى المثل: دم الأشراف يشفي من الكَلَب. ما والى: ما اصطنع من أولياء. زبيد: اسم قبيلة.
نقصد بني الخيفان وزبيد وما لهم من أولياء وجيران، فهم أشراف، دماؤهم شافية.

٢٥ ـ يَقودُ بِأَرْسانِ الجِيادِ سَراتُنا ... لِيَنْقِمْنَ وِترًا أو لِيدْفَعْنَ مَدفَعا

٢٦ ـ تَرَى المُهْرَةَ الرَّوْعاءَ تَنْفُضُ رأسَها ... كَلالًا وأَيْنًا والكُمَيْتَ المُقَزَّعا

٢٧ ـ ونَخْلَعُ نَعْلَ العَبْدِ مِن سُوءِ قَوْدِهِ ... لكَيْما يَكونَ العبدُ للسَّهلِ أَضْرَعا

٢٨ ـ وقد وَعَدُوه عُقبَةً فَمَشَى لَها ... فَما نالَها حتَّى رَأى الصُّبحَ أَدْرَعا

٢٩ ـ وأَوْسَعْنَ عَقْبَيْهِ دِماءً فأَصبحتْ ... أصابعُ رِجْلَيْهِ رَواعِفَ دُمَّعا

٣٠ ـ طَلَعْنَ هِضابًا ثُم عالَيْنَ قُنَّةً ... وجاوَزْنَ خَيْفًا ثُمَّ أَسْهَلنَ بَلقَعا

---

٢٥ ـ أرسان: جمع رسن، وهو الحبل أو السير من جلد تقاد به الدابة. سراتنا: الأشراف والرؤساء منا. نقم الوِتر: انتقم لمقتول وأخذ بثأره. يدفعن مدفعًا: يردون عدوانًا.
الرؤساء منا يقودون الجياد إلى عمل مجيد: أخذ بثأر أو دفاع عن عرض.

٢٦ ـ المُهرة: وليدة الفرس والرمكة (الفرس أو البرذون يخصص للنسل). الروعاء: التي بها مثل الفزع، لذكائها وخفة روحها. تنفض رأسها: تحركه بعصبية. كلالًا: تعبًا. أينًا: إعياءً. والكميت: وكذلك الجواد الأحمر في سواد. المقزَّع: الشديد السريع.
نحن نجهد مطايانا بكثرة غاراتنا وبعد مداها حتى ترى المهرة الذكية الخفيفة تحرك رأسها بعصبية من الكلال والتعب، ومثلها الجواد الأحمر في سواد.

٢٧ ـ من سوء قوده: من سوء قيادته للإبل. أضرع: أدنى وأقرب.
إذا أساء العبد قيادة الإبل واختار لها الطرق الوعرة، يجعلونه يخلع نعليه ويمشي حافيًا، وبهذا يكون أقرب وأشد ميلًا إلى اختيار الأرض السهلة الوطء.

٢٨ ـ وعدوه عقبة: وعدوه أن يجعلوا له نوبة ركوب: فمشى لها: فظل يمشي آملًا الحصول عليها. أورع: فيه بياض وسواد، والمقصود الصبح أول طلوعه، وهو يختلط ببقايا الليل.
وعدوه أن يجعلوا له نوبة في الركوب، فكان هذا أملًا ظل يمشي له طيلة الليل، وما تحقق إلا عندما انصرم الظلام وبدأت تباشير الصبح.

٢٩ ـ أوسعن: الخيل أوسعت. وأوسعت عقبيه دماء: ملأت بالدماء عقب رجلي العبد. رواعف؛ تنزف دمًا، كأنها تبكي ألمًا. (استعار للأصابع تعابير للأنف والعين).
إن مسيرة الخيل والإبل الطويلة، الجادّة، ملأت عقبي العبد دماء وجعلت أصابع رجليه تبكي دمًا.

٣٠ ـ هضابًا: مرتفعات. عالين: صعدن إلى أعلى. قنة: قمة الجبل. الخيف: مكان متوسط يرتفع عن موضع مجرى السيل وينحدر عن غلظ الجبل. أسهلن: مشين في سهل، أرض منبسطة. بلقع: مقفر.
تنوعت طبيعة الأرض التي تسير عليها الخيل: هضاب ترتقيها، وقمة جبل تصعد إليها، وأرضًا متوسطة بين الجبل والوادي تجتازها، ثم تدرك الأرض المنبسطة المستوية المقفرة.

٣١ ـ وتَـهْـدِي بـيَ الـخَـيـلَ الـمُـغِـيـرةَ نَـهْـدَةٌ إذا ضَـبَـرَتْ صَـابَـت قَـوائِـمُـهـا مَـعـا

٣٢ ـ إذا وَقـعَـتْ إحْـدَى يَـدَيـهـا بِـثَـبْـرَةٍ تَـجـاوَبَ أثْـنـاءُ الـثَّـلاثِ بِـدَعْـدَعـا

٣٣ ـ فـأَصْـبَـحْـنَ لَم يَـتْـرُكْـنَ وِتْـرًا عَـلِمْـنَـهُ لِهَـمْـدانَ فـي سَـعْـدٍ وأَصْـبَـحـنَ ظُـلَّعـا

٣٤ ـ مُـقَـرَّبَـةٌ أَدْنَـيْـتُـهـا وافْـتَـلَـيْـتُـهـا لـتَـشْـهَـدَ غُـنْـمًـا أَوْ لِـتَـدْفَـعَ مَـدْفَـعـا

٣٥ ـ تشَكَّيْنَ من أعْضادِها حِينَ مَشْيِها أَمِ القَضُّ مِنْ تَحْتِ الدَّوابِرِ أَوْجَعا

---

٣١ ـ تهدي الخيل: تسبقها. نهدة: فرس عالية مرتفعة الظهر. ضَبَرت: وثبت بعد جمع قوائمها. صابت قوائمها معًا: وقعت معًا.
أنا أركب فرسًا مرتفعة تسير في مقدمة الخيل المغيرة، فإذا ما جمعت قوائمها ووثبت، عادت إلى الأرض فوقعت قوائمها جميعًا في وقت واحد، لا تخلّف، ولا انثناء.

٣٢ ـ ثبرة: هوة. دعدع: نداء تشجيعي ودعاء لمن يقع في مشكل، أو في عثرة. (في الأصل دع دع). أثناء الثلاثة: معاطف القوائم الثلاث الأخرى.
وهذه الفرس متماسكة تتعاون قوائمها معًا بتجاوب، فإذا سقطت إحدى القوائم في هوة تنادت لها قوائمها الثلاث الأخرى، كأنها تشجعها بـ دعدع، (تطلب لها الإقالة من عثرتها).

٣٣ ـ أصبحن: أي الخي أصبحت. الوتر: الثأر. همدان: قبيلة الشاعر. سعد: قبيلة سعد العشيرة اليمنية، ويبدو أن ثارات الشاعر وغزواته كلها في اليمن. ظلّع: بها ظلع، أي عرج يصيب الدابة من التعب وطول السير.
لم تترك هذه الخيل ثأرًا لنا معروفًا لقبيلتنا في بني سعد العشيرة إلا مكّنتنا من الأخذ به، حتى غدت تعرج من تعب وجهد.

٣٤ ـ المقرّبة (من الخيل): الكريمة المفضّلة. أدنيتها: جعلتها مقربة إليّ. افتليتها: فصلتُها عن أمها، وهذه كناية عن كرم أصلها لأنها ليست غريبة وصلت إليه من طريق شراء أو سلب، وإنما أصيلة من أم معروفة، موروثة أبًا عن جدّ في العائلة. لتشهد غُنمًا: لتوصلنا إلى مكاسب ومغانم. المدفع: الصد، رد الهجوم، الدفاع عن الجماعة.
هذه الخيل (التي تحمل هموم الشاعر وتنيله أغراضه) كريمة مفضلة، أدناها منه وجعلها أثيرة لديه لأنه يعرف أصلها وفصلها: ولدت عنده من أم معروفة الأصل، موروثة في العائلة؛ وهو إنما اختارها لتكون رفيقة له في غزواته التي تحقق المغانم، أو في الدفاع عن نفسه وأهله.

٣٥ ـ أعضاد: جمع عضد، وهو ما بين المرفق والكتف. القَضّ: حجارة صغار رجدًا أو رمل الدوابر: لعلها من الدَّبَرَة وهي قرحة الدابة. =

٣٦ ـ ومِنَّا رَئيسٌ يُسْتَضاءُ بِنُورِه سَناءً وحِلْمًا فيهِ فاجْتَمعا مَعا

٣٧ ـ وسارَعَ أقوامٌ لِمَجْدٍ فقَصَّرُوا وقارَبَها زيدُ بْنُ قَيْسٍ فأَسْرَعا

٣٨ ـ ولا يَسْأَلُ الضَّيفُ الغَريبُ إذا شَتا بِما زَخَرَت قِدْري لَهُ حِينَ وَدَّعا

٣٩ ـ فإنْ يَكُ غَثًّا أو سَمِينًا فإنَّني سأَجْعَلُ عَيْنَيْهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعا

٤٠ ـ إذا حَلَّ قَومِي كُنتُ أَوْسَطَ دارِهِمْ ولا أَبْتَغي عندَ الثَّنِيَّةِ مَطْلَعا

= يعود إلى ظلع الخيل ويتساءل عما إذا كان سبب وجع في العضد أم أن قرحة من شد السيور على الجلد تؤلمها كأنها شُدّت على تراب أو حجارة صغيرة.

٣٦ ـ يُستضاء بنوره: يشعّ خيرًا على من حوله. سناء: إشراقًا في الوجه حلمًا: سعة صدر وعفوًا.
يمتدح رئيس جماعته لإشراق وجهه وسعة صدره، وهما، في اجتماعهما عنده جعلاه مصدر خير يشع على من حوله.

٣٧ ـ سارع أقوام لمجد: دخل أقوام في سباق لنيل المجد. قاربها: أدركها يتنافس الأقوام على نيل المجد ويدركه زيد بن قيس قبلهم جميعًا. (وزيد بن قيس هو سيد القبيلة).

٣٨ ـ الضيف الغريب: غير المعروف منا كناية عن أنهم يستضيفون أي طارق، معروفًا كان منهم أو غريبًا عنهم وهذه غاية في الكرم. إذا شتا: إذا نزل بنا في الشتاء، وهذه كناية أخرى عن شديد كرمه، لأن الشتاء فصل البرد. تنفق فيه المواشي من البرد والقحط ويحافظ الناس على ما تبقّى منها. فإذا ذبحت للضيوف كان في ذلك حرمان للذات والأهل. من هنا رمزيتها في الضيافة. زخرت به: ملئت به.
إن الضيف الغريب، الذي ينزل بنا في الشتاء، لا يحتاج إلى السؤال عما نضعه في القِدر لنطبخه له.

٣٩ ـ غثًا: هزيلًا. سمينًا: ممتلئًا شحمًا. أجعل عينيه مقنعًا: أجعل يقتنع بما يراه أمام عينيه.
إذا لم يحتج الضيف إلى التساؤل عما في القدر من لحم أغثٌ هو أو سمين، فذلك لأنني أملأ القِدر أمام عينيه، وبناء لاختياره.

٤٠ ـ حل قومي: نزل قومي للإقامة في مكان. كنت أوسط دارهم: كان خبائي في وسط أخبيتهم، وهو المكان المحفوظ للرؤساء والأشراف. الثنيّة: الطريق العالي في الجبل أو العقبة فيه، والتغلب عليها في الصعود مشقة كبيرة، لذا يكنّى بذلك عن الجلَد واستهداف الأمور العظام.
إذا نزل قومي للإقامة كنت فيهم بموقع الرؤساء والأشراف، في أوسط دارهم، وإذا صادفت ثنية في الجبل لا أتحايل لإيجاد مطلع آخر، بل أقتحمها وأتغلب عليها لأنني قوي، جَلْد، أستهدف الأمور العظام.

١٦ ـ نقفو الجياد من البيوت

الأجدع بن مالك الهمداني(١)

أولاً: الإطار

كان الأجدع بن مالك بن أمية قد غزا بني الحارث بن كعب، وكانت امرأته منهم. ومن بني الحارث كان الحُصين ذو الغُصّة بن يزيد بن شداد الذي رَأَسَهم مائة سنة. وكان يقال لبنيه فوارس الأرباع. والأرباع هي أرض المعركة التي دارت بينهم وبين همدان، وفيها قَتَل الأجدع، من بين من أصاب وقتل، الفوارس أبناء الحصين.

عند عودة الحصين من غزاته، سألته امرأته الحارثية: أين الإبل والغنيمة؟ فقال: أسألتِني بركائبٍ...

ثانيًا: القصيدة

وقالَ الأَجْدَعُ بنُ مالكٍ الهَمْدَانِيّ والدُ مَسْرُوقِ بنِ الأجدع: [من الكامل]

١ ـ أَسَأَلْتِنِي بِرَكَائِبٍ ورِحَالِهَا ... ونَسِيتِ قَتْلَ فَوارِسِ الأَرْبَاعِ

٢ ـ والحارِثَ بنَ يَزِيدَ وَيْحَكِ أَعْوِلِي ... حُلْوًا شَمَائِلُهُ رَحِيبَ البَاعِ

---

(١) هو الأجدع بن مالك بن أمية... يصل نسبه إلى خيران بن ذوف بن همدان. كان من الشعراء الفرسان ومن السادة المبرّزين في الجاهلية. دخل في الإسلام وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب الذي سماه عبد الرحمٰن.

١ ـ أسألتِني بركائب: أتطالبينني بمطايا، بنوق. رحالها: جمع رحل وهو ما يوضع على ظهر الجمل للركوب. فوارس الأرباع: بني الحُصين الأربعة.
أتسألينني عن إبل ورحال وتتجاوزين السؤال عن الأمر الجلل وهو قتل الفوارس الأربعة في أرض الأرباع؟

٢ ـ ويحك: لفظ تعنيف. أعولي: أبكي عليه بصوت عال. الشمائل: الصفات الطيبة. رحيب الباع: واسع الذراع، ممدود اليد وهي كناية عن الكرم.
(اتركي السؤال عن المغانم) وابكي بأعلى الصوت الحارث بن يزيد، السيّد، الطيّب الخصال، غاية الكرم.

٣ ـ فَلَوَ انَّنِي فُودِيتُهُ لَفَدَيْتُهُ بأنامِلِي وأجَنَّهُ أضْلاعِي
٤ ـ [ونَفَعْتُ غَيْرَهُ في اللِّقاءِ وفاتَهُ نَفْعِي وكُلُّ مَنِيَّةٍ بِجِماعِ]
٥ ـ تِلْكَ الرَّزِيَّةُ لا رَكائِبُ أُسْلِمَتْ بِرِحالِها مَشْدُودَةَ الأنْساعِ
٦ ـ أبْلِغْ لَدَيْكَ أبا عُمَيْرٍ مُرْسَلًا فَلَقَدْ أنَخْتَ بِمَنْزِلٍ جَعْجاعِ
٧ ـ ولَقَدْ قَتَلْنا مِنْ بَنِيكَ ثَلاثَةً فَلَتَنْزِعَنَّ وأنْتَ غَيْرُ مُطاعِ
٨ ـ [والخَيْلُ تَعْلَمُ أنَّنِي جارَيْتُها بأجَشَّ لا ثَلِبٍ ولا مِظْلاعِ]
٩ ـ [يَصْطادُكَ الوَحَدَ المُدِلَّ بِحُضْرِهِ بِشَرِيجِ بَيْنَ الشَّدِّ والإيضاعِ]

---

٣ ـ المفاداة والفداء: تبادل الأسرى. والفداء أيضًا: التضحية بالذات أو بالغالي لمنع الأذى عن عزيز. لو أنني فوديته: لو كان طُلب مني فداءٌ له. لفديته بأناملي: لقبلت أن تُقطع أناملي ولا يصيبه أذى. أجنّه: احتواه وستره وحماه. ولعله يقصد وما أجنّه أضلاعي أي قلبي.
لو كان بإمكاني فداؤه بقطع أناملي لقبلت بقطعها، ولكنت احتويته في صدري لتحميه أضلاعي. (وقد يقصد بأناملي وبقلبي الذي تحتويه أضلاعي).
٤ ـ نفعتُ غيره: هنا ساعدت غيرَه. اللقاء: صدام الفوارس في المعركة. فاته نفعي: غابت عنه مساعدتي، لم يدركه عوني. المنية: الأجل، الموت. بجِماع: بلقاء، فكأنها موعد مضروب.
كنت أساعد غيره وأدفع عنهم ولم أدركه لأساعده، ولكن هكذا هو الأمر، يكون الإنسان على موعد مع منيته، يلاقيها لحتفه.
٥ ـ تلك الرزيّة: تلك هي المصيبة. الأنساع: سير من جلد تُشد به الرحال.
المصيبة الكبرى والخسارة الحقيقية هي هنا وليست في فقد إبل عليها أرحالها مشدودة بسيور جلدية.
٦ ـ أبلغ مُرسَلًا: أوصل رسالة. أبا عمير: الحصين والد فرسان الأرباع... أنخت: نزلت، حططت الرحال. منزل: مكان النزول. جعجاع: ضيق، كالحبس، يصعب الخروج منه.
يخاطب رسولًا وهميًا يحمّله رسالة إلى الحصين أبي عمير، مؤداها أنه وضع نفسه في موقف صعب، ونزل في محبس ضيق.
٧ ـ لتنزعنّ: لترجعنّ وتكفّ عن القتال. وأنت غير مطاع: لا قوة لك ولا هيبة (وكانت قوته في أبنائه الفوارس الثلاثة المقتولين).
٨ ـ جاريتها: نافستها في الجري. أجش: لجريه صوت حفيف خشن، أو هو مبحوح الصوت، وهي من صفات العتق. ثَلِب: صاحب عيوب. مظلاع: في سيره عرج.
سابقت الخيل في الجري وأنا على جواد كريم يُسمع لجريه حفيف.
٩ ـ يصطادك: يصطاد لك. الوَحَد: المتفرد من الثيران والبقر. المُدِلّ: المتفاخر، المتباهي. =

١٠ ـ [يَهْدِي الجِيادَ وقَدْ تَزايَلَ لَحْمُهُ بِيَدَيْ فَتًى سَمْحِ اليَدَيْنِ شُجاعِ]
١١ ـ نَقْفو الجِيادَ مِن البيوتِ ومَنْ يَبِعْ فَرسًا فَلَيْسَ جَوادُنا بِمُباعِ
١٢ ـ إنَّ الفَوارِسَ قَدْ عَلِمْتَ مَكانَهُم فانْعِقْ بِشاتِكَ نَحْوَ أهلِ رداعِ
١٣ ـ حَيَّانِ مِنْ قَوْمِي ومِنْ أعْدائِهِمْ خَفَضُوا أسِنَّتَهُمْ فكُلٌّ ناعِي
١٤ ـ [خَفَضُوا الأسِنَّةَ بَيْنَهُمْ فَتَواسَقُوا يُسْقَوْنَ في حُلَلٍ مِنَ الأدْراعِ]

= الحُضر: العدو الشديد. بشريج: بخليط. الشَدّ: العدْو. الإيضاع: من الوضْع وهو أهون سير الدواب والإبل.

يتابع حديثه عن جواده الكريم، وأهم ما في الجواد قدرته على العدو والثبات فيه دون تعب. وهذا الجواد يهيىء لفارسه أن يصل إلى الثور المتفرد، المتباهي بشدة عدوه، ويجعله يصطاده فيما هو لا يكون قد تكبد مشقة إذ لم يفعل أكثر من الركض ركضًا يخلط بين العدو وأهون السير.

١٠ ـ يهدي الجياد: يتقدمها. تزايل لحمه: انحسر لحمه عن أطراف العظام، لأنه بعيد عن السِّمَن. سمح اليدين: معطاء.

إذا سار مع الجياد يكون دائمًا في المقدمة يقوده رجل قوي كريم شجاع (يعني نفسه).

١١ ـ نقفو: نختار. البيوت: الأشراف من قولهم بيوتات العرب أي أشرافهم، وكلا اللفظين جمع بيت. واختيار الخيل من خيل الأشراف يكون لأن خيلهم أصيلة ذات عتق وكرم ومعروفة النسب، مكرَّمة.

يقول إن جيادهم لا يشترونها من الأسواق وإنما يختارونها من جياد البيوتات، الأشراف، فهي أصيلة، معروفة النسب، لذلك فهم لا يمكن أن يبيعوا جيادهم ولو كان الآخرون يقومون ببيع كهذا.

١٢ ـ انعِق بشاتك: ازجر غنمك وسقها. دار رداع: منطقة باليمن، لعلها ديار أبي عمير.

أنت تعلم الآن أن أرضنا أرض الفوارس وأنه ليس لك مكان هنا. فدع الفروسية وتحوّل إلى رعي الغنم تزجرها وتصيح بها لتسوقها إلى ديار رداع (حيث أهلك وقومك).

١٣ ـ خفضوا أسنتهم: أنزلوا رماحهم واستخدموها للطعن. ناع: يبكي أموته.

قامت قبيلتنا وقبيلة أعدائنا باستخدام الرماح في الاقتتال، وكانت النتيجة قتلى من الجانبين.

١٤ ـ تواسقوا: طرد بعضهم بعضًا من وَسَقَ الإبل: طَرَدَها. يُسقون: يُصبغون من سقى الثوب: أشربه صبغًا. والصبغ هنا هو الدم. ويُسقون في حُلل: يصطبغون بالدم في لباسهم، أي يصطبغ لباسهم بالدم. الأدراع: جمع الدرع، وهي اللباس الذي عناه.

أنزلنا الرماح واستخدمنا أسنتها في الاقتتال فيما بيننا، فطرد بعضنا بعضًا حتى أُشرب الدماءَ لباسُنا من الدروع.

١٥ ـ والـخَـيْـلُ تَـنْـزُو فـي الأعِـنَّـةِ بَـيْـنَـهُـم نَـزْوَ الـظِّـبـاءِ تُـحُـوِّشَـتْ بـالـقـاعِ
١٦ ـ [فَـكـأنَّ قَـتْـلاهـا كِـعـابُ مُـقـامِـرٍ ضُـرِبَـتْ عـلى شُـزُنٍ فَـهُـنَّ شَـواعِـي]
١٧ ـ [وَهِـلَـتْ فَـهُـنَّ يَـسِـرْنَ فـي أرْمـاحِـنـا ورَفَـعْـنَ وهْـوَهَـةَ صَـهِـيـلَ وِقـاعِ]
١٨ ـ [ولَحِـقْـنَـهُ بـالـجِـزْعِ جِـزْعِ حَـبَـوْنَـنٍ يَـطْـلُـبْـنَ أذْوادًا لأهْـلِ مَـلاعِ]
١٩ ـ [فَـفِـدَى لَـهُـمْ أُمِّـي وأُمُّـهُـمُ لَـهُـمْ فَـبِـمِـثْـلِـهِـمْ فـي الـوِتْـرِ يَـسْـعَـى الـسَّـاعِـي]

---

١٥ ـ الخيل تنزو: الخيل تتواثب. نزو الظباء: كما تتواثب الظباء. تُحُوِّشت: حوصرت. القاع: المنخفض المستوي من الأرض. والقاع إذا كان محاطًا بهضاب أو صخور يصبح كالسجن للظباء التي تدخل إليه. ويكون تواثبها طريقتها في محاولة التخلص من الحصار. ويتم ذلك بعصبية شديدة.
تشد الخيل على الأعنة وتتواثب فيما بينهم بعصبية وقوة كما تتواثب ظباء حوصرت في قاع شبه مغلق.

١٦ ـ قتلاها: الخيول المقتولة. الكعاب: عظام صغيرة تستخدم في كشف الحظ وفي المقامرة (تقابل حجارة الفرد). وللكعب حروف غير متساوية، له بطن وظهر وأعلى وأسفل. فإذا رمى المقامر كعابه انتشرت واقعة على حروفها المختلفة، فكانت أشكالها غير متقاربة. ضربت على شُزُن: ألقيت فوقعت على حروفها المتنوعة. شواعي: متفرقة.
إن الخيول المقتولة، الملقاة على أرض المعركة، بعضها على بطنه والآخر على ظهره والثالث على جنبه... إلى ما هنالك... تشبه كعاب مقامر ألقاها فوقعت متفرقة على مختلف جوانبها.

١٧ ـ وهِلت: فزعت. يسرن في أرماحنا: يسرن مع اتجاه رماحنا. وهوهة: صوت متردد غامض. وِقاع: مواقعة، اقتتال؛ وصهيل وقاع: صهيل خيل في معركة اقتتال، لا خيل سارحة في مرعى.
فزعت خيولنا، وهي تسير في الاتجاه المناسب لرماحنا، فتعالت منها، لخوفها، همهمة وأصوات هي مما تصدره الخيول في المعارك.

١٨ ـ لحقنه: لعله يقصد جياد قومه تلحق بجواده. الجزع: الجانب المتسع من الوادي. حَبَوْنن: مكان، لعله في اليمن، بلاد الأعداء. يطلبن: يريدون استرجاع. الأذواد: القطعان من الإبل. لأهل ملاع: أهل الشاعر على ما نرجح.
لحقت جوادي خيول قومي في الجانب المتسع من وادي حبونن، سعيًا وراء قطعان من الإبل سُلبت من أهل ملاع، جماعته.

١٩ ـ فدًى لهم أمي: أفديهم بأمي. وأمهم لهم: وتبقى أمهم سالمة لهم. الوتر: الثأر، وفي الوتر: في الأخذ بالثأر.
أفديهم بأمي وتبقى لهم أمهم، لأنهم أهل نجدة وعصبية، بمثلهم يستطيع صاحب الثأر أن=

٢٠ ـ [ولَقَـدْ شَـدَدْتُـمْ شَـدَّةً مَـذْكُـورَةً ولَقَـدْ رَفَـعْـتُـمْ ذِكْـرَكُـمْ بِـيَـفـاعِ]

٢١ ـ [فَلَتَبـلُغَـنْ أهْـلَ الـعِـراقِ ومَـذْحِـجًـا وعُـكـاظَ شَـدَّتُـنـا لَدَى الإقْـلاعِ]

٢٢ ـ [أبَنِي الـحُـصَيْنِ ألَمْ يَحِنْكُمْ بَغْيُكُمْ أهْـلَ الـلِّواءِ وسـادَةَ الـمِـرْبـاعِ]

٢٣ ـ [شَهِدُوا الـمواسِمَ فانْتَزَعْنا ذِكرَهُمْ مِـنْـهُـمْ بـأمْـرِ صَـرِيـمَـةٍ وزَمـاعِ]

٢٤ ـ [أبْـلِغْ قَـبـائِلَ مَـذْحـجٍ ولَفِـيـفَـهـا أنّـي حَـمَـيْـتُ مَـحـامـيَ الأجْـراعِ]

٢٥ ـ [وتَـرَكْـتُ أكْـتَـلَ والـمُـخـزَّمَ وابْـنَـهُ رَهْـنًـا لِوِرْدِ لَعـاوِسٍ وضِـبـاعِ]

٢٦ ـ [فَـلَكُـم يَـدايَ بِـيَـوْمِ سَـوْءٍ بَـعْـدَهـا مُـتَـكَـفِّـلٍ بِـتَـفَـرُّقٍ وضَـيـاعِ]

= يسعى للأخذ بثأره.

٢٠ ـ شددتم: حملتم على الأعداء، هجمتم. شدة مذكورة: هجمة تلهج بذكرها الألسن. رفعتم بيفاع: أعليتم إلى مكان عالٍ جدًا. ذكركم: سمعتكم.
لقد حملتم حملة تتناقل ذكرها الألسن، ورفعتم سمعتكم عاليًا جدًا.

٢١ ـ مَذحِج: قبائل مالك وطيىء. عكاظ: سوق مشهورة للعرب قرب مكة. كان العرب يجتمعون فيها يتناشدون الشعر. شدّتنا: هجمتنا. الإقلاع: الانجلاء.
تأخذ الشاعر فورة عصبية تجعله يعتقد أن بإمكان جماعته تطويع بلاد العرب جميعها فيقول لتبلغ هجمتنا، بعد انجلائها أهل العراق ومذحج في اليمن وعكاظ في الحجاز.

٢٢ ـ ألم يُحِنْكم: ألم يهلككم. بغيكم: تجبركم وتسلطكم وظلمكم. أهل اللواء: حاملي اللواء، وهم عادةً الأسياد. سادة المرباع: القادة وكان لهم ربع الغنائم في المعارك.
ألا ترون، يا بني الحصين أن طغيانكم وظلمكم السادة ممن يحملون اللواء، والقواد الذين يحصلون على ربع الغنائم، قد أدى بكم إلى الهلاك.

٢٣ ـ كانوا يحضرون الأسواق العربية في أوقاتها إلى أن أطفأنا ذكرهم بعزيمة صادقة وثبات ومضيّ في الأمر.

٢٤ ـ لفيفها: من يلتفّ حولها من قبائل. حميت: منعتُ ودافعتُ عن. محامي الأجراع: أماكن الحمى في أرضنا الصلبة العالية.

٢٥ ـ أكتل والمخزّم: اسمان. رهنًا لورد: عرضة لمجيء. لعاوس: ذئاب. ضباع: جمع ضبع.
تركت أكتل والمخزّم وابنه فريسة سهلة تأتيها الوحوش من ذئاب وضباع.

٢٦ ـ يوم سوء: يوم يلحقهم فيه ضرر كبير. متكفّل: واعد، آخذ على عاتقه.
يعود إلى قبائل مذحج يعدهم بأن يصيبهم منه، وبيديه بالذات، يوم ضُرّ عظيم، ويكفل لهم بنتيجته التفرق والضياع.

٢٧ ـ [وتَـظَـلُّ جَـالِعَـةَ الـقِـنـاعِ خَـرِيـدَةٌ لَمْ تَـبْـدُ يَـوْمًـا غَـيْـرَ ذاتِ قِـنـاعِ]

٢٨ ـ [أَبَـنِـي مُـنَـسَّـفَـةِ اسْـتِـهـا لا تـأْمَـنُـوا حَـرْبًـا تُـقِـضُّ مَـضـاجِـعَ الـهُـجَّـاعِ]

٢٩ ـ [حَـتَّـى تُـلَـفَّ أصـارِمٌ بـأصـارِمٍ ويُـلَـمَّ شَـتُّ تَـفَـرُّقِ الأَوْزاعِ]

٣٠ ـ [وَتَـرَى أبـا الأبْـداءِ يَـسْـحَـبُ هِـدْمَـهُ حَـيْـرانَ مُـلْـتَـجِـئًا إلـى الأكْـمـاعِ]

٣١ ـ [ولَقَـدْ بَـلا جُـعَـلُ الـمَـخـازِي بـأْسَـنـا ومِـحـالَـنـا فـي كَـبَّـةِ الـوَغْـواعِ]

٣٢ ـ [فَـنَـجـا ومُـقْـلَـتُـهُ يُـقَـسِّـمُ لَـحْـظَـهـا فَـنَّـيْـنِ بَـيْـنَ أخـادِعٍ ونِـخـاعِ]

---

٢٧ ـ خريدة: فتاة خفرة حيية. لم تبد غير ذات قناع: لا تخرج من بيتها إلا مقنعة. تظل جالعة القناع: تبقى سافرة الوجه بلا قناع. وسفورها يكون لأحد سببين: إما موت عائلها من والد أو أخ أو زوج فتسفر لتلطم وجهها وتندبه، وإما حين تقع في الأسر حيث لا تعود لخفرها وحيائها حرمة.

٢٨ ـ المنسَّفة: الكثير النفض. استها: مؤخرتها. لا تأمنوا حربًا: توقعوا حربًا. تُقِضّ المَضاجع: تقلق النوم. الهجّاع: النائمون ليلًا.
يا أبناء التي تُكثر من تنقيض مؤخرتها (وهذه مَسَبّة) توقّعوا منا حربًا تقلق مضاجعكم وتجعلكم لا تعرفون للنوم طعمًا.

٢٩ ـ الأصارم: السيوف القاطعة. ولف السيوف؟ السيوف يكون في لقاء قتالي عنيف، لأن المعركة تبدأ بالرماح، فإذا ما انتقلوا إلى السيوف يكون الالتحام على أشده. يُلَم شت: تُجمع أجزاء. تفرق الأوزاع: الجماعات المتفرقة، وهي كناية عن الالتحام.
حربنا سيكون من نتائجها أن تلتف السيوف على السيوف وتلتحم أجزاء الجماعات المتفرقة.

٣٠ ـ الأبداء: جمع البدأة وهي الربع (في الغنائم)، وأبو الأبداء أبو فوارس الأرباع وهو الحُصين العدو الأول للشاعر في القصيدة. يسحب هدمه: يجرّ ثيابه الممزقة. حيران: هائمًا على وجهه. الأكماع: الأراضي المطمئنة المحاطة بأطراف مرتفعة، تصلح ملجأ.
وبنتيجة الحرب يفر أبو فوارس الأرباع، متحيرًا، هائمًا على وجهه، باحثًا عن ملجأ في أرض مطمئنة تحيط بها مرتفعات.

٣١ ـ بَلا: جَرَّب واخْتَبَر. جُعل: حشرة سوداء كالخنفسة ترمز إلى الحقارة. المخازي: أنواع العار التي تقلل من قيمة الإنسان. بأسنا: قوتنا وبطشنا. المِحال: المكر بالحق. الكبة: التلاحم. الوعواع: الجماعات في الحروب تلتقي على جلبة وأصوات.
إن جُعَل المعرّات (الحُصين) اختبر بأسنا ومكرنا عند التقاء الجماعات في الحرب.

٣٢ ـ مقلته: عينه. يقسّم لحظَها: يقسّم نظراتها. فَنّين: ضربين ونوعين من النظرات. أخادع: جمع أخدع، وهو عرق في مكان الحجامة من العنق. النخاع: هو النخاع الشوكي الموجود في داخل العمود الفقري.

=

١٧ ـ قرّبا مَرْبَطَ النعامةِ منّي

الحارث بن عُباد(١)

أولاً: الإطار

قتل كليب سيدُ بني تغلب سراب وهي ناقة كانت لأحد الجرميين، النازل بجوار البسوس عمة جساس بن مرة الشيباني من بني بكر. وكان الحيّان بكر وتغلب أولاد عم وينزلون في مكان واحد، وقد تزوج كليب جليلة بنت مرة، أخت جسّاس.

ثارت ثائرة البسوس بسبب ما أصاب ناقة جارها واستصرخت بني بكر، فعمد جساس إلى قتل كليب ثأرًا لشرف البسوس. ونشبت الحرب بين الحيين بكر وتغلب، ودامت أربعين عامًا، وسميت حرب البسوس.

والحارث بن عباد (أو الحرث)، من رجالات بكر وساداتها، اعتزل يوم قتل كليب قائلًا: «لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عِدلي... وخذل بكرًا عن تغلب؛ واستعظم قتل كليب، لسؤدده، في ناقة»(٢).

= لقد نجا لكن الرعب الذي كان يتملكه تجلى في عينيه الزائغتين لا تستقران وهما تنظران حولهما إلى القتلى على نوعين: من قُطعت أوداجهم ومن طارت رؤوسهم فظهر النخاع من فقراتهم.

(١) هو الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس ...بن بكر بن وائل، وينتهي نسبه إلى نزار بن معدّ بن عدنان.

كان الحارث شاعرًا مجيدًا، وفارسًا همامًا وحكيمًا مجرّبًا. وقد استنكر قتل كليب، السيد العظيم، بناقة، فكان اعتزاله الحرب، وقد جاراه في ذلك كثير من عقلاء البكريين... لكن غطرسة المهلهل وطيشه وقتله من صادفه من البكريين، إلى أي حي انتمى، جمّع البكريين ضده، ومنهم الحارث بن عباد الذي أصبح بعد مقتل بجير قائد جيوش البكريين. فوقعت معارك كثيرة كان أعظمها يوم قِضّة وكان لبكر على تغلب، وفيه أسر الحارث المهلهل وهو لا يعرفه فأطلقه، في حديث طويل، وفيها قال قصيدته الدالية ومنها:

والخيلُ تعلمُ أني من فوارسها ... يومَ الطِّعانِ، وقلبُ القِرنِ يرتعدُ
وقد حلفتُ يمينًا لا أصالحهُمْ ... ما دام منّا ومنهم، في المَلَا، أَحَدُ

(٢) الأغاني ٥/٣٩.

ثم إن الحارث أرسل بُجيرًا ابنه أو ابن أخيه في مسعى للصلح، إلى بني تغلب، فكان أن قتله المهلهل، أخو كليب وقائد بني تغلب، قائلًا كلمته الحاقدة المشهورة: «بُؤْ بِشِسْعِ نَعْل كليب»(١). فلما بلغ ذلك الحارثَ، غضب ونادى بالركوب، ودَعا بالنعامة فرسه، وقال: قرّبا مربط النعامة... الشعر.

ثانيًا: المقطوعة

وقال الحارثُ بن عُبادٍ: [من الخفيف]

١ ـ قَـرِّبـا مَـرْبَـطَ الـنَّـعـامَـةِ مِـنِّـي لَـقِـحَـتْ حَـربُ وائِلٍ عَـنْ حِـيـالِ

٢ ـ [قَـرِّبـا مَـرْبَـطَ الـنَّـعـامَـةِ مِـنِّـي إنَّ بَـيْـعَ الـكِـرامِ بِـالـشِّـسْـعِ غـالِي]

٣ ـ [قَـرِّبـا مَـرْبَـطَ الـنَّـعـامَـةِ مِـنِّـي شـابَ رأسِـي وأنـكـرَتْـنِـي رجـالِي]

٤ ـ [قَـرِّبـاهـا فَـإنَّ كَـفِّـيَ رهْـنٌ أنْ تَـزُولَ الـجِـبـالُ قَـبـلَ الـرِّجـالِ]

٥ ـ لَمْ أَكُـنْ مِـنْ جُـنـاتِـهـا عَـلِمَ الـلَّـهُ وإنِّـي بِـحَـرِّهـا الـيَـوْمَ صَـالِ

٦ ـ لا بُـجَـيـرٌ أَغْـنَـى فَـتِـيـلًا ولا رهْـطُ كُـلَـيْـبٍ تَـزاجَـرُوا عَـنْ ضَـلالِ

---

(١) م.ن، ص ٤٠، شسع النعل: قبالُها الذي يُشدّ إلى زمامها. بُؤْ بِهِ: كن معادلًا له.

١ ـ مربَط الفرس: المكان الذي يُربَط به، والمقصود اللجام الذي به يُربَط وبه يُقاد. النعامة: اسم فرس كان للحارث. لقحت الناقة: حملت. الحيال: ألا تحمل الناقة عامًا أو أكثر فيجعلها ذلك أكثر استعدادًا للحمْل. كنى بذلك عن الحرب التي امتلأت بسرعة أحقادًا وقتلًا. وائل: والد بكر وتغلب.
يخاطب رفيقين حقيقيين أو وهميين: ناولاني عنان فرسي النعامة، فقد امتلأت حرب ابني وائل بسرعة حقدًا واقتتالًا.

٢ ـ يشير إلى قول المهلهل لبجير عندما أراد قتله: «بؤ بشسع نعل كليب». وهو يستهول أن تُعادَل قيمة إنسان كريم بقيمة طرف النعل.

٣ ـ يشير إلى اعتزاله الحرب فترة طويلة حتى شَابَ رأسُه. أنكرتني رجالي: استنكرت سلوكي وموقفي لأنه لا ينسجم مع ما هو معروف عني.

٤ ـ يتعهد أنه، بدخوله الحرب، سيجعل إزالة الجبال أهون من القضاء على الرجال (من بكر).

٥ ـ لم أكن من جناتها: لم أكن من الذين ارتكبوا الجنايات التي أشعلتها. صال: ملذوع.
أنا لم أسهم في إشعال نار الحرب، ومع ذلك، أجد نفسي أتلظّى بحرّ نارها.

٦ ـ أغنى فتيلًا: ترك أثرًا، أدّى إلى نتيجة حسنة. رهط كليب: جماعة التغلبيين. تزاجروا: زجر بعضهم بعضًا: ردّ وردع. ضلال: سلوك خاطىء. =

١٨ ـ عَدْوان كانوا حيَّةَ الأرض
حُرثان بن السموأل ذو الإصبع العَدْوانيّ[(١)]

أولاً: الإطار

نزلت عدوان على ماء، فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أعزل (لم يُختَن) سوى من كان مختونًا، لكثرة عددهم.

ثم وقع بأسُهم بينهم فتفانوا. فقال ذو الإصبع: عذير الحي... وهو يأسف لما أصابهم بسبب بغيهم واعتداء بعضهم على بعض، فيما كانوا سابقًا قبلة الأنظار، منهم السادات الكبار ومنهم الهادي والقدرة، ومنهم الحكَم لا يُرَدّ له قضاء...

ثانيًا: المقطوعة

وقال حُرْثانُ بنُ السَّمَوْأَل، وهو ذو الإِصْبَعِ العَدْوَانِيُّ، [وعَدْوانُ بن عمرو بن قيس بن عيلانَ بن مُضَرَ بن نِزار]: [من الهزج]

١ ـ عَــذِيــرَ الــحَــيِّ مِــنْ عَــدْوَا نَ كَــانُــوا حَــيَّــةَ الأَرْضِ

= لم يفد مقتل بجير أي فائدة في وقف الحرب، ولم يقم عقلاء بين التغلبيين يردّونهم عن السلوك الخاطىء (الذي يمعنون فيه).

(١) هو حُرثان بن الحارث بن مُحرِّث بن ثعلبة بن سيّار بن ربيعة بن هُبيرة ...بن يشكر بن عَدْوان... ويتصل نسبه بقيس عيلان بن مضر بن نزار. شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية، وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة. (الأغاني ١٣/ ٨٥). عُمِّر طويلًا حتى خُرِف وأُهْتِر وصار يتوكأ على «رُمَيح» وهو عصًا كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يطاعنهم بها كالرمح، فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا. وفي ذلك يقول:

إمَّـا تَـرَيْ شِـكْـتـي رُمَـيْـحَ أبـي سَعْدٍ فقد أَحملُ السلاحَ معا»

وله وصيّة قيّمة زود ابنه بها عند موته منها: «أَلِنْ جانبكَ لقومك يحبّوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسُط لهم وجهَك يطيعوك... وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرِّمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسْمَحْ بمالك واحْمِ حريمَك وأعززْ جارك...». الأغاني ١٣/ ٩٤.

١ ـ عذير الحي من عدوان: يا من تفتش عن عذر لهذا الحي من عدوان. حية الأرض: الحية تكون بناحية من الأرض فتحميها ويخافها الناس، كنى بذلك عن عنفوان هذا الحي قديمًا وعن شدته وبأسه، يحمي أرضه ويخافه الآخرون.

٢ ـ بَـغَـى بَـعْـضُـهُـمْ بَـعْـضًـا فَـلَمْ يُـرْعُـوا عَـلَى بَـعْـضِ
٣ ـ [فَـقَـدْ أَضْـحَـوْا أحـادِيـثَ بِـرَفْـعِ الـقَـوْلِ والـخَـفْـضِ]
٤ ـ ومِـنْـهُـم كـانَـتِ الـسَّـادا تُ والـمـوفُـونَ بـالـقَـرْضِ
٥ ـ ومِـنْـهُـمْ حَـكَـمٌ يَـقْـضِـي ولا يُـنْـقَـضُ مـا يَـقْـضِـي
٦ ـ ومِـنـهـمْ حـامِـلُ الـنَّـاسِ عَـلَى الـسُّـنَّـةِ والـفَـرْضِ
٧ ـ [وهُـمْ إنْ وَلَدُوا أَشْـبَـوْا بِـسِـرِّ الـحَـسَـبِ الـمَـحْـضِ]
٨ ـ [وهُـمْ بَـلَغُـوا عـلى الـشَّـحْـنـا ءِ والـشَّـنَـآنِ والـبُـغْـضِ]
٩ ـ مَـبـالِغَ لَمْ يَـنَـلْهـا الـنَّـا سُ فـي بَـسْـطٍ ولا قَـبْـضِ]

---

٢ ـ بغى: اعتدى وظلم. أرعى (على أخيه): أبقى عليه وصانه.
(كأنه يجيب بأسى: وأي عذر لهم؟ كانت قوتهم في تآلفهم واتحادهم، واليوم) اعتدى بعضهم على بعض وظلمه، فلم يبق عليه ولم يصنْه.
٣ ـ صاروا أحاديث: صاروا أمثولة للناس، ومجرد ذكرى، بعد أن كانوا يملأون الأرض. برفع القول والخفض: الأحاديث تقال بصوت عال مرتفع أو بصوت خفيض أو سرًا.
فبعد أن كانوا يملأون الأرض هيبة، أصبحوا أحاديث، مجرد ذكر يأتي عليه الناس جهرًا أو سرًا.
٤ ـ الموفون بالقَرض: يسددون ديونهم: يلقى من يحسن إليهم جزاء إحسانه، ويلقى المسيء إليهم عاقبة إساءته.
٥ ـ الحكم: يقصد عامر بنَ الظَّرِب العدواني، وكان حكمًا للعرب تحتكم إليه، وبقي كذلك إلى أن كبرَ وصار ابنه يخاف عليه أن يخطىء أو يغفل، فتوافق وإياه على أن يختفي الولد خلفه، فإذا ما حاد عن الصواب قرع ابنه العصا على جفنه، فتنبّه. فعُرف بالحكم الذي كانت العصا تُقرع له.
٦ ـ حامل الناس على. . . : حافر الناس على. السنة والفرض: ما هو مستحب وما هو مُلزِم.
ومنهم من يُلزم الناس القيام بما هم مجبرون على القيام به. كما يحفزهم على إتيان ما هو مستحب إتيانه بحسب التواضعات الاجتماعية.
٧ ـ أشبوا: جاؤوا بأولاد تشبههم. بسر: بحسب قانون. الحسب المحض: النسب الخالص.
وهم عندما يخلّفون أولادًا يأتون بأولاد تشبههم، بحسب قانون التوارث في النسب الخالص. (يتحول الآن إلى هجاء قومه ولومهم).
٨ و٩ ـ وهم أي الأهل الذين ينجبون أولًا يشبهونَهم. الشحناء: الحقد. بلغوا مبالغ: وصلوا إلى درجة. لم ينلها: لم يصل إليها. في بسط ولا قبض: في يسر ولا في عسر.
يأتون بأولاد يشبهونهم، وهم الذين بلغوا، في الحقد والبغض، مستوى لم يبلغه الناس في يسر أو في عسر.

١٩ ـ لستُ بِمُبْدٍ للرجالِ سريرتي
كعب بن سعد الغنويّ(١)

أولاً: الإطار

العاذلة هي عين تراقب ولسان يلسع، وهي حاضرة في الشعر العربي القديم، حاضرة بين العاشقَين، حاضرة أمام الكرماء المبذّرين، حاضرة خلف مكثري السفر والغزو تحاول شدهم وكبح حركتهم. والعاذلة أتعبت الشاعر بلومها: تلومه على كثرة أشعاره، فهو يعرّض نفسه للأخطار بصورة مستمرة. وجوابه بسيط: المنية تدرك الإنسان أنى كان ولا يدفعها بقاؤه في مكانه.

وينطلق الشاعر معدّدًا مآثره: أركب زميله خلفه، آثر رفيقه بالطعام، وكلمة سيئة تجاهلها بحلمه، لا يصرّح بما في نفسه لأحد ولا يطلب معرفة أسرار الآخرين، وهو سيّد في قومه، قائد، يوقظ رقادهم يوم الرحيل، وهو يمتطي فرسًا أصيلًا متدلي شعر الناصية في الليل المدلهمّ.

ثانيًا: القصيدة

وقال كعبُ بن سعدٍ الغَنَويُّ: [من الطويل]

١ ـ لَقَد أَنصَبَتْنِي أُمُّ قَيس تَلومُنِي ... وما لَوْمُ مِثلي باطِلًا بِجَمِيلِ

٢ ـ تَقولُ: ألا يا اسْتَبْقِ نَفْسَك لا تكُنْ ... تُساقُ لِغَبراءِ المَقامِ دَحُولِ

(١) هو كعب بن سعد بن عمرو بن عقبة بن عوف بن رفاعة ويتصل نسبه ببني غنم بن غنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان... وهو شاعر إسلامي من الفحول.

١ ـ أنصبتني: أتعبتني. لوم مثلي باطلًا: لومي بالباطل، بما ليس صحيحًا. بجميل: بجيد، مقبول.
أرهقتني أم قيس باللوم ومثلي لا يُلام بالباطل والافتراء.

٢ ـ ألا يا استبق نفسك: هلا أبقيت على نفسك؟. تساق: تدفَع على رغمك. غبراء المقام: المقام في أرض. دحول: وصف للبئر عادة بأنها قد تآكلت جوانبها وكثر فجواتها.
هلا أبقيت على نفسك يا هذا، فلا تتركها تساق إلى المقام في أرض مقفرة جوفاء متآكلة الأطراف. كنى بذلك عن الموت والقبر.

٣ ـ كَمُلْقَى عِظامٍ أو كمَهْلَكِ سالِمٍ ... ولَستَ لِمَيْتٍ هالِكٍ بِوَصيلِ

٤ ـ أَراكَ امرءًا تَرْمِي بِنفسك عامدًا ... مَرامِيَ تَغتالُ الرِّجالَ بِغُولِ

٥ ـ ومَن لا يَزَلْ يُرْجَى بِغَيْبٍ إيابُه ... يَجُوبُ ويَغْشَى هَوْلَ كلِّ سَبيلِ

٦ ـ على قَلَتٍ يُوشِكْ رَدى أَنْ يُصِيبَه ... إلى غيرِ أَدْنَى موضعٍ لِمَقيلِ

٧ ـ أَلَمْ تَعلمِي أَنْ لا يُراخِي مَنِيَّتِي ... قُعُودِي ولا يُدْنِي الوفاةَ رَحيلي

٨ ـ معَ القَدَرِ المَوقوفِ حتَّى يُصيبَنِي ... حِمامِي لَوَ انَّ النَّفْسَ غيرُ عَجُولِ

٩ ـ فإنَّكِ والموتَ الذي تَرْهَبِينَه ... عَليَّ وما عَذَّالَةٌ بِغَفُولِ

١٠ ـ كداعِي هَدِيلٍ لا يُجابُ إذا دَعا ... ولا هُوَ يَسْلُو عن دُعاءِ هَدِيلِ

---

٣ ـ مُلقى عظامٍ: ما لقي عظام وهو رجل. مهلك سالم: كما هلك سالم. لست... بوصيل: ليس عليكَ أن تصل مصيرك بمصير ميت.
فتلقى ما لقي عظام، وتهلك كما هلك سالم، وأنت لست مجبرًا أن تصل مصيرك بمصير ميت فتلقى الموت مثله.

٤ ـ عامدًا: عن قصد وتصميم ترمي مرامي: تقذف نحو أهداف. تغتال: تقتل غدرًا. غول: كل ما يغتال ويهلك.
أنت ترمي بنفسك عامدًا في مجالات كل ما فيها مُهلِكٌ يهدد بقتلك غدرًا، كما يُقتل سواك من الرجال.

٥ و٦ ـ يُرجى غيابه: يؤمل في عودته. بغيبٍ: يرجم بالغيب، تخمينًا لا تأكيدًا. يجوب: يجتاز ويتجول. على قلَتٍ: على هلاك. ردى: موت. غير موضع: مواضع كثيرة. المقيل: الاستراحة، أو الإغفاءة، ظهرًا.
إن الذي يعيش أهلُه دائمًا على أمل عودته التي لا وقت محددًا لها، بل هي نوع من الرجم بالغيب، والذي يجتاز الطرق معرَّضًا لأهوالها، متنقلًا من هلاك إلى آخر فالموت بانتظاره وعلى أهبة إصابته في أي مكان من الأمكنة التي يرتادها وهي ليست أماكن الراحة والأمان القريبة، يأوي إليها وقت القيلولة.

٧ ـ يراخي: يُبعِد. منيّتي: موتي. قعودي: بقائي في مكاني.
يردّ هنا على العاذلة ويلقّنها درسًا في القدر: ألا تعلمين أن بقائي في الحي وعدم سفري لا يبعد الموت عني؟ وأن رحيلي ليس هو الذي يدني أجلي؟

٨ ـ القدر الموقوف: القدر المخصص لكل فرد. حمامي: موتي.
أنا مع القدر المكتوب لي، إلى أن تحين ساعتي ويصيبني الموت، إذا لم تكن نفسي نزقة تستعجل الأمور.

٩ و١٠ ـ ترهبينه: تخافينه. أنت والموت علي: أنتما متفقان على ملاحقتي. غفول: تغفل وتنسى. داعي الهديل: الحمام الذي يديم الهدير (يقولون إنه لا يزال يبكي صغيره الذي=

١١ ـ وذِي نَدَبٍ دامي الأَظَلِ قَسمْتُهُ مـحـافَـظَـةً بَـيـنِـي وبَـيـنَ زَمِـيـلـي
١٢ ـ وزادٍ رَفَـعْـتُ الـكَـفَّ عَـنـهُ عَـفـافَـةً لأُوثِـرَ فـي زادِي عَـلَـيَّ أَكِـيـلـي
١٣ ـ وشخصٍ دَرَأْتُ الشَّمْسَ عَنه براحَتِي لأَنْـظُـرَ قَـبْـلَ الـلَّـيـلِ أَيـنَ نُـزُولي
١٤ ـ ومُنْشَقٍّ أَعْـطـافِ الـقَـمـيـصِ دَعَـوْتُـهُ وقَـدْ سَـدَّ جَـوْزُ الـلَّـيـلِ كُـلَّ سَـبـيـلِ

= فقده أيام نوح، فكل حمامة تبكيه). يسلو: يتعزى وينسى.
أنت تجمعين والموت الذي تخافينه عليّ وعلى متابعتي، وليست العاذلة بناسية من تعذله، شأنها شأن الموت. فأنت في مثابرتك على ملاحقتي، والموت معك، كالحمام مثابر على بكاء صغيره الذي فقده أيام نوح، ومناداته، فلا الصغير يرجع، ولا الحمام ينسى ويتعزى فيسكت.

١١ ـ ذي ندب: بعير يحمل آثار الجروح من مشقات الطريق. الأظل: باطن خف البعير. زميلي: معادلي على ظهر البعير، وهو الشخص الذي يركب خلفي. محافظة: مواظبة وبشكل منتظم.
ورُبّ بعير تحمّل مشقات السفر حتى بدت في قوائمه آثار الجروح، ودمي باطن أخفافه، قسمت الركوب عليه بيني وبين زميلي بصورة منتظمة وبمواظبة، (رحمة به أن يحمل الاثنين).

١٢ ـ زاد: طعام المسافر. أكيلي: المشاركي في الأكل.
ورب طعام لي في السفر لم أمد كفي إليه لأتركه إلى شريكي في الأكل، (مؤثرًا ضيفي على نفسي).

١٣ ـ درأت: منعت. النزول: هو ترك الركوب إما لراحة سريعة وقيلولة، وإما لإقامة موقتة أو طويلة. والبدو، إذا نزلوا عن رواحلهم نهارًا، يكون ذلك للاستراحة، فلا ينصبون خيامهم إذ ذاك، وإنما ينصبونها للمبيت ليلًا. فإذا كانت الشمس حارة في النهار يعمدون إلى وسائل للاحتماء منها، ويكون الأسياد والأخيار أصحاب مبادرات كأن يشك السيد رمحه في الأرض ويلقي عليه رداءه الفضفاض. جاعلًا منه شبه خيمة بين جماعته وبين الشمس.
والشاعر هنا لا يجعل من ردائه حاميًا وإنما يبعد الشمس عن رفيقه، ولا بد من أن يكون عزيزًا عليه، بكفيه، وذلك بانتظار أن يأتي الليل ويحدد مكان نزوله ونزول رفيقه ضيفًا عليه. إنما ذلك كله كناية عن إيثار المقتدر ورعايته للمستضعف، وهو كرم ونجدة حبيبان إلى قلب الكريم.

١٤ ـ أعطاف القميص: جوانب الثوب وثنياته. وانشقاق الأعطاف كناية عن مشقة صادفها في طريقه مزقت ثيابه. جوز الليل: معظم الليل. سد كل سبيل: غطى كل طريق.
ورُبّ شخص جهد من المشي على طرق غطاها الليل، فتمزقت أطراف ثوبه ناديته لأساعده.

١٥ ـ فَقلت لَهُ: قَد طالَ نومُكَ فارتَحِلْ وما ذاقَ طَعْمَ النَّومِ غَيرَ قَليلِ

١٦ ـ سُحَيْرًا وأَعْجازُ النُّجُومِ كأنَّها صِوارٌ تَدَلَّى من سَواءِ أَمِيلِ

١٧ ـ وقَد شَالتِ الجَوْزاءُ حتَّى كأنَّها فَساطِيطُ رَكْبٍ بِالفَلاةِ نُزُولِ

١٨ ـ ومَن لا يَنُلْ حتَّى يَسُدَّ خِلالَهُ يَجِدْ شَهَواتِ النَّفْسِ غَيرَ قَليلِ

١٩ ـ وعَوْراءَ قَد قِيلَت فَلَمْ أَسْتَمِعْ لَها وما الكِلْمَةُ العَوْراءُ لي بِقَبُولِ

٢٠ ـ وما أنا لِلشَّيءِ الذي لَيس نافِعِي ويَغْضَبُ مِنهُ صاحِبِي بِقَؤُولِ

---

١٥ ـ فارتحل: اركب الراحلة يدعوه ليركب معه راحلته.
هذا الشخص كان بلا مركب، وقد مر عليه معظم الليل، فقلت له هيا اركب معي راحلتي، لقد نمت طويلًا (طالما أن الليل تقدم)، ولكن أنّى له أن ينام طويلًا وهو وحيد في طريق مقفر، في ليل دامس؟

١٦ ـ سحيرًا: في السحر عند اقتراب الصبح. أعجاز النجوم: النجوم في آخر الليل. كأن النجوم جمل يسير في السماء نرى وجهه ومقدمته في أول الليل، ويتوالى مسيره حتى تمر بنا أعجازه في آخر الليل. صِوار: قطيع من بقر الوحش. أميل: ما ارتفع من الرمل. وهو أيضًا اسم مكان بعينه. سواء: وسط.
كان الليل قد تقدم حتى قارب السَّحَر، وكانت بقايا النجوم، المتخلفة في السماء، متفرقة كأنها قطيع من بقر الوحش ينتشر على منحدر هضبة رملية.

١٧ ـ شالت: علت وارتفعت، والمقصود أنها أخذ مكانها المرتفع في قبة السماء. الجوزاء: أحد بروج السماء. فساطيط: جمع فسطاط، وهو بيت واسع من الشعر. ركب: قوم مسافرون على الإبل. الفلاة: الأرض الواسعة لا نبات فيها. نزول: من نزل: توقف عن المسير ونصب الخيام للإقامة.
في متابعة تحديد زمن الحدث المذكور، يذكر ارتفاع برج الجوزاء ويبدو أنه، آنذاك، يتألق في آخر الليل، ويشبه نجوم هذا البرج في ترتيبها على صفحة السماء بخيام قوم مسافرين على الإبل، نزلوا في فلاة ونصبوها للإقامة.

١٨ ـ لا ينل: لا يعطي. يسد خلاله: يشبع حاجاته.
إن الذي لا يعطي إلا ما يبقى عنده بعد إشباع حاجاته ومتطلباته، لن يعطي أبدًا لأنه سيجد حاجاته وشهوات نفسه لا تنتهي.

١٩ ـ العوراء: الكلمة السيئة. لي بقبول: بمقبولة عندي.
كم من كلمة سوء سمعتها فلم أعرها اهتمامًا لأن كلمة السوء لا تجد عندي قبولًا.

٢٠ ـ هو لا يكتفي بتنزيه سمعه عن التقاط كلمات السوء، وإنما ينزّه لسانه أيضًا عن قول أي شيء يغضب صاحبه فيما لا ينتفع هو منه.

٢١ ـ وأُعْرِضُ عن مولايَ لَو شِئتَ سَبَّنِي وما كلُّ يَومٍ حِلمُهُ بِأَصِيلِ

٢٢ ـ ولَنْ يلبَثَ الجُهَّالُ أن يَتَهَضَّمُوا أَخا الحِلْمِ ما لَم يَسْتَعِنْ بِجهُولِ

٢٣ ـ وأَذْكُرُ أَيَّامَ العَشِيرة بَعدَ ما أُمَيِّلُ غَيْظَ الصَّدْر كلَّ مَمِيلِ

٢٤ ـ ولَستُ بِمُبْدٍ للرِّجالِ سَرِيرتِي وما أنا عن أَسرارِهِمْ بِسَؤُولِ

٢٥ ـ وقَومٍ يجُرُّونَ الثِّيابَ كأَنَّهمْ نَشاوَى وقَدْ نَبَّهْتَهمْ لِرَحِيلِ

٢٦ ـ وعافي الجَبا طامِي الجِمامِ وَرَدْتُهُ بِذِي خُصَلٍ ضَافي السَّبِيبِ رَجِيلِ

---

٢١ ـ أعرض عنه: صَدّ عنه، أتجاهله. الحُلم: سعة الصدر والتسامح. أصيل: ثابت لا يتغير. مولاي: جاري أو تابعي.
قد يسبني جاري أو تابعي فأتجاهله، لكن سعة الصدر تكون أصيلة ثابتة في جميع الأيام.

٢٢ ـ الجهال: جمع الجاهل وهو الطائش والباغي. يتهضّموا: يظلموا. أخا الحلم: السريع إلى العفو، الواسع الصدر. جهول: جاهل.
إن البُغاة الظالمين، إذا وجدوا الإنسان الواسع الصدر السريع إلى العفو، لن يتأخروا في إلحاق الظلم به، وسيكون عليه، لردّهم، أن يستعين بمن هو جاهل مثلهم.

٢٣ ـ أيام العشيرة: أمجادها ووقائع عزها. أميّل: هنا بمعنى أُبعِد وأزيح (مال إليه: أقبل ومال عنه: انحرف). كل مميل: كناية عن مشقة تلك الإمالة.
أريد التغنّي بأمجاد العائلة ووقائع عزها، إنما لكي أفعل ذلك أجدني مضطرًا لإبعاد إساءاتها إليّ وما أورثته في صدري من غيظ ونقمة، وذلك ليس بالأمر الهيّن.

٢٤ ـ سريرتي: داخل نفسي، ما أحس به وأفكر. سؤول: مستفسر. مستقصٍ.
أنا لا أفضح خفايا نفسي للآخرين ولا أسعى لمعرفة أسرارهم وما يخفون.

٢٥ ـ يجرون الثياب: كان الأثرياء والمرفهون من الجاهلين يطيلون الثوب حتى يصل إلى الأرض ويتركون له ذيلًا يجرونه خلفهم. نشاوى: دبت فيهم نشوة السكر. وكان دبيب النشوة يجعل الشاربين المرفهين يقفون ثم يتبخترون يجرون ذيل ثوبهم من الاعتزاز ومن الانتشاء. نبهتهم لرحيل: كانوا نائمين فأيقظتهم ليشدوا الرحال إذ أزف المسير.
يعود إلى فكرة القيادة التي يفخر بها، فهو، عند استحقاق الرحيل، يوقظ رفاقه النائمين ليتأهبوا. وقد نبه هؤلاء الرفاق، فقاموا يسيرون متمايلين، والنوم لم يفارق أجفانهم تمامًا، وقد لبسوا بعض ثيابهم، فيما يجرون البعض الآخر، فكأنهم جماعة شراب من علية القوم، دبت فيهم نشوة الخمر فوقفوا يتمايلون ثم يسيرون متبخترين، يجرّون خلفهم أذيال ثيابهم.

٢٦ ـ عافي: ممحوّ، دارس. الجبا: فتحة البئر وجوانب الفتحة. طام: مرتفع، غزير. الجمام: الماء المتعاظم. ذو الخصل: شعره غزير يتجمع في خصل. ضافي: طويل. السبيب: شعر الذنب والعرف والناصية. رجيل: الرجيل من الخيل: الذي لا يحفى. =

٢٧ ـ وقَد نفَّرَ اللَّيلُ النَّهارَ وأُلبِسَتْ سَماوةَ جَوْنٍ مُجْنِحٍ لأَصِيلِ

٢٠ ـ مُحِبّ كإحباب السقيم
أبو الطُّفَيل الكِنانيّ(١)

أولاً: الإطار

المقطوعة ذات موضوع واحد: طريدة من حمر الوحش أُدْرِكَت وقد أُنهكت، واقتضى التشبيه وصف أسد ذي شبلين يفتقد من يواثبه.

ثانيًا: المقطوعة

[قال أبو سعيد: أنشدنيها أبو عمرو بن العلاءِ].

وقَالَ أَبُو الطَّفَيل الكِنَانِيُّ: [من الطويل]

١ ـ ومُسْتَلْحَمٍ يَخْشَى اللَّحاقَ وقد تَلا بِه مُبْطِىءٌ قَد مَنَّهُ الجَرْيُ فاتِرُ

= وربّ بئر قديمة دَرَست فتحتها وانمحت جوانبها، غزيرة الماء يرتفع فيها ويتعاظم، وردتُها على ظهر فرس أصيل بدليل طول شعر ذنبه وعرفه وناصيته وغزارته حتى ليتجمّع خصلًا خصلًا، وبدليل قوة حوافره التي لا تحفى.

٢٧ ـ نفّر الليل والنهارَ: طارَدَه وأبعده. أُلبست: ألبست البئر التي كنى عنها في البيت السابق بما في الجبا. السماوة: ماء في الصحراء. الجون: النهار ولونه البياض. مجنح الأصيل: يميل نحو الغروب، واللون السائد في الأصيل هو الاحمرار. الأصيل: وقت بين العصر والمغرب.
كان ورودي البئرَ في المساء وكان النهار يتراجع تحت هجمات الليل، وانعكس على صفحة مائها لون النهار الأبيض وقد أُشرب حمرة من لون الأصيل.

(١) أبو الطفيل (في بعض النسخ: أبو الفضل) الكتاني: عامر بن واثلة بن عبد اللّه بن جابر بن حميس . . .بن كنانة . . .بن مضر.
شاعر إسلامي، قد يكون وُلد في الجاهلية. توفي عام مائة للهجرة.

١ ـ مُسْتَلْحَم: من استُلْحِم: لوحق وأُرهق فأُحيط به. اللَّحاق: مصدر لحِق: أدرك. تلا به: خذله وتركه وسبقه. مبطىء: من هو أقل سرعة. مَنّه الجري: أنهكه الركض.
رب حمار وحشي، (متفرد)، لوحق وأُرهق فأحيط به، وهو الذي يخاف أن يُدرَك. وقد تخلى عنه وسبقه من كان أبطأ منه وقد أنهكه الركض ففترت حركته.

٢ - ضَعِيفُ القُوَى رِخوُ العِظام كأَنَّها حِبالٌ، نَضَتْهُ مُبْطِئات مَحامِرُ
٣ - [عَلَى صَلَوَيْهِ مُرْهَفاتٌ كَأَنَّها قَوادِمُ دَلَّتْها نُسُورٌ نَواشِرُ]
٤ - فَنَهْنَهْتُ عَنه القَومَ حتَّى كأَنَّما حَبَا دُونَه لَيْثٌ بِخَفَّانَ خادِرُ
٥ - شَتِيمٌ أبو شِبْلَيْنِ أَخضَلَ مَتنَهُ من الدَّجْن يَومٌ ذو أهاضِيبَ ماطِرُ
٦ - يَظَلُّ تُغَنِّيهِ الغَرانِيقُ فَوْقَهُ أَباءٌ وغِيلٌ فَوْقَه مُتَآصِرُ
٧ - مُجِبٌّ كإِخْبابِ السَّقيم وما بِهِ سِوَى أَسَفٍ أَنْ لا يَرَى مَنْ يُشاوِرُ

---

٢ - رِخو العظام: يقصد ارتخت مفاصل عظامه. كأنها حبال: كالحبال قابلة للالتواء. نضته: سبقته. مبطئات: قليلات السرعة. محامر: المهجّنة من الحمير.
هذا الحمار بلغ به الضعف أن ارتخت مفاصل عظامه فغدت قوائمه، في تلوّيها، كالحبال. وقد سبقته الحمير حتى المبطئات منها.

٣ - على صَلَوَيْه: الصلوان: ما عن يمين الذنب وشماله. مرهفات: سنان الرماح الحادة، عنى بها الرماح. القوادم: أربع ريشات في مقدّم الجناح. دَلَّتها: أسبلتها، أرسلتها. نواش: نشرت أجنحتها.
أُحيط به وأشرعت الرماح باتجاهه، فكأنها، على جانبيه ريشات في مقدّم جناحي نسر أسدلها بعدما نشر جناحيه.

٤ - نهنهت: زجرت وكففت. حبا دونه: اعترض سبيله. خفان: موضع قرب الكوفة معروف بأسوده. خادر: ساكن.
زجرت الناس المحيطين بالحمار الوحشي وكففتهم عنه، وكان، في شدة خوفه، كأنما اعترضه أسد من الأسد المقيمة في خفان.

٥ - شتيم: كريه، لا يُطاق، عابس. أبو شبلين: له ولدان والشبل هو ابن الأسد. أخضل: بلّل. متنه: ظهره. الدّجن: المطر. ذو أهاضيب: ذو دفقات من المطر.
والأسد المفترض كريه عابس وشرس لأن له ولدين يطعمهما، ويدافع عنهما، وقد بلّل ظهرَه يومٌ ممطر تساقط مطره دفقات دفقات.

٦ - الغرانيق: طيور مائية مهاجرة من فصيلة الكركيات. فوقه آباء: يغطي مأواه القصب. الغيل: الشجر الملتف. المتآصر: المتقارب، المتداخل.
يتابع وصف مسكن الأسد فهو في أجمة من القب الكثيف، تحت سماء من الشجر الملتف الشديد التقارب والتداخل، وطيور الماء تغنّيه.

٧ - مُجِبّ: حسير، لا يغادر مكانه. إحباب السقيم: إقامة المريض ولزومه مكانه. يشاور: يواثب، يساور، يقاتل.
هذا الأسد، قابع في مكانه ملازم له، حسير، ملازمة المريض سريره، لكنّ ما به ليس مرضًا، أنه ليس إلا حسرة على انعدام فرص القتال، فلا ندّ له يواثبه ويساوره ويقاتله.

٢١ ـ لا يصدفون عن الوغى بخدودهم
بشر بن سوادة[١]

أولاً: الإطار

القصيدة قيلت في يوم ذي قار. فإذا استثنينا العتب في مطلعها، وجدناها تسجيلًا للوقعة يحدد المشتركين فيها: بني مرّة، بني محلِّم، بني ذُهل، بني يشكر، بني حبيّب، وكلهم من شيبان.

هذه الوقعة كانت بين هذه القبائل العربية وبين الفرس. ولأول مرة واجه العرب جيشًا منظمًا، وهم المعروفون بالغزوة والكرّة، وجيشَ الفرس بالذات، بكل عدته، وتدريبه، ومساعدة حلفائه. وكان الانتصار للعرب، فسجل التاريخ هذا اليوم.

لكن الشاعر ينقل إلينا صورة عما كان يجري بين الأبطال، داخل أتون المعركة، عن الخوف، عن الإقدام، عن النجدات، والكر والفر والهرب.

ثانيًا: القصيدة

[قال أبو سعيد: قال أبو عمرو بن العلاء].

قال بِشْرُ بنُ سوادةَ: [من الكامل]

[هذه القصيدةَ يومَ ذي قارٍ].

١ ـ ولَقَد أَمَرْتُ أَخاكِ عَمْرًا أَمْرَهُ ... فعصَى وضَيَّعَهُ بِذاتِ العُجْرُمِ

٢ ـ فإذا أَمَرْتُكِ بعدَها فَتَبَيَّنِي ... أَوْ أَقْدِمي يَومَ الكَرِيهةِ مُقْدَمي

---

(١) بشر بن سوادة، (وفي بعض النسخ: عمرو بن الأسود): هو تغلبي ويُعرف بابن شكوة.

١ ـ أمرتُ أخاك أمره: وجّهتُه وجهتَه الصحيحة. ضيّعه: ضيّع أمره. ذات العُجرم: اسم موضع، وفيه ينبت العجرم.
لعل هناك امرأة تلومه بشأن ما جرى لأخيها عمرو ولعلها زوجته، فالشاعر يشرح لها ما قام به بالضبط: أمر أخاها أن يقوم بشأنه بطريقة معينة، لكن عمرًا أبى، وعصى الأمر، وضيّع فرصته في أرض ذات عُجرم.

٢ ـ تبيّني: تفحَّصي الأمور جيدًا لتعرفي الحقيقة. أقدمي: اهجمي. يوم الكريهة: في الحرب. =

٣ ـ وجعلتُ نَحْري دُونَ بَلْدَةِ نَحرِهِ ولَبانَ مُهْري إذْ أَقُولُ لَه اقْدُمِ
٤ ـ في حَوْمَةِ المَوتِ التي لا تَشْتَكي غَمَراتِها الأَبطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ
٥ ـ وكأَنَّما أَقدامُهمْ وأَكُفُّهمْ كَرَبٌ تَساقَطَ من خَليجٍ مُفْعَمِ
٦ ـ لمَّا سَمعتُ نِداءَ مُرَّةَ قَد عَلا وابْنَي رَبيعةَ في الغُبارِ الأَقْتَمِ
٧ ـ ومُحَلِّمًا يَمْشُون تَحتَ لِوائِهم والمَوتُ تَحتَ لِواءِ آلِ مُحَلِّمِ

= مُقدمي: هجومي، كما أهجم، جرأتي.
اعتبري مما جرى لأخيك: فلا تعصي أمري كما فعل، فإذا أمرتك بعد الآن، تفحّصي الأمور جيدًا؛ وإذا أبيتِ عليك أن تفعلي فعلي، أي أن تكوني مثلي لك قوة وخبرة ورأي.

٣ ـ النحر: العنق. بلدة النحر: ثغرة العنق وما حولها. ولبان مهري: وصدر جوادي. اقدُم: اهجم، تقدّم.
يعود إلى حديثه عن الأخ: جعلت عنقي قبل عنقه، وصدر فرسي كذلك، عندما قلت له: اهجم، تقدّم.

٤ ـ حومة الموت: ساحة الحرب. الغمرات: جمع غمْرة، وغمرة كل شيء: شدته. تغمغم: أصوات مبهمة يخرجها الإنسان في بعض المواقف، كموقف الشدة أو التعب الشديد وما إلى ذلك.
في ساحة الحرب حيث الموت متربص، وحيث يقاسي الأبطال الشدة والمكاره، فلا يشتكون بسوى أصوات مبهمة، تخرج عفويًا من أفواههم.

٥ ـ أقدامهم وأكنهم: أقدام الأبطال. الكَرَبُ: أصول سعف النخل، الغلاظ، العراض إذا قطعت ويبست كانت كالكف. الخليج: قطعة من النهر أو البحر داخلة في اليابسة. المفعم: الممتلىء حتى الحافة. من خليج: في خليج.
حين يسيرون يخوضون في الدماء الغزيرة فيسمع لأقدامهم صوت كصوت أصول سعف النخل الغلاظ إذا سقطت في خليج عالي المياه.

٦ ـ مُرّة: بني مرّة من شيبان. ربيعة: من شيبان أيضًا. الغبار الأقتم: الغبار المائل إلى السواد، وهو الغبار المتصاعد من أرض المعركة.
لما سمعت بني مرة يتنادون ويستصرخون طلبًا للمساعدة ونداء بني ربيعة، في ساحة المعركة التي يغطيها الغبار الداكن.

٧ ـ ومحلّم: من بني شيبان. تحت لوائهم: تحت رايتهم.
وسمعت محلمًا وهم قادمون ترفرف رايتهم فوق رؤوسهم، فيما يكمن الموت تحت تلك الراية، لقوتهم وشدة بأسهم.

٨ ـ وَسَمِعتُ يَشْكُرَ تدَّعِي بِحُبَيِّبٍ ... تَحتَ العَجاجَةِ وهْيَ تقْطُرُ بِالدَّمِ

٩ ـ وحُبَيِّبٌ يُزْجُونَ كُلَّ طِمِرَّةٍ ... ومِنَ اللَّهازِمِ شَخْتُ غَيْرِ مُصَرَّمِ

١٠ ـ والجَمْعُ من ذُهْلٍ كأنَّ زُهاءَهُمْ ... جُرْبُ الجِمالِ يَقودُها ابْنا شَعْثَمِ

١١ ـ قذَفُوا الرِّماحَ وباشَروا بِنُحورِهِم ... عِندَ الضِّرابِ بِكلِّ لَيْثٍ ضَيْغَمِ

١٢ ـ والخيلُ يَضْبِرْنَ الخَبارَ عَوابِسًا ... وعلى مَناسِجِها سَبائِبُ من دمِ

---

٨ ـ يشكر: من قبيلة بكر التي ينتمي إليها الشيبانيون. تدّعي بحُبيِّب: تصرّح بالنسب الذي يربط بها بني حبيّب لتستنجد بهم. العجاجة: واحدة العجاج، أي الغبار الكثيف. تقطر بالدم: تسيل منها الدماء، دماء جراحها ودماء الأعداء التي أصابهم رذاذها.

وسمعت نداء يشكر إلى بني حبيّب، وهو فخذ من أفخاذها، فيما الغبار الكثيف يلفها، والدّماء تغطيها وتتساقط منها قطرات.

٩ ـ يزجون: يسوقون ويدفعون. طِمِرّة: فرس نشيطة كثيرة الوثب. اللهازم: بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة حلفاء بني عجل. الشخت: اللبن الخارج من الضرع. المصرّم: الذي حُلِب بعد الحلبة الغزيرة، يكون ذلك للضرورة وهو شحيح.

وجاء بنو حبيّب يسوقون خيولهم النشيطة الوثّابة، وجاء من اللهازم دفقٌ غزير لا شحيح ولا مقتّر.

١٠ ـ ذهل: حي من شيبان. زهاءهم: أعدادهم الغفيرة. جرب الجمال: جمال جرباء. ابنا شعثم: من بني عامر بن ذهل، ويبدو أن إبلهم كانت كثيرة وأن الجرب يتفشى فيها.

إن ذهل بن شيبان، بأعدادهم وتدافعهم كالجمال الجرباء يقودها ابنا شعثم.

١١ ـ قذفوا الرماح: تستعمل الرماح في المعركة للهجوم عن بعد. باشروا بنحورهم: عرضوا نحورهم (أعناقهم) والمقصود صدورهم. عند الضراب: عند القتال بالسيف ويكون ذلك عند الالتحام. بكل ليث ضيغم: بكل أسد شجاع، يقصد بكل فارس جريء كالأسد الشجاع.

باشروا باستخدام الرماح يقذفون بها الأعداء ما دامت بينهم مسافة، حتى إذا التحمت الفرسان وتقاربت الصدور وكان الضرب بالسيوف، كانوا كالليوث الجريئة.

١٢ ـ يضبرن: من ضبر الفرس إذا وثب وعادت يداه إلى الأرض مجموعتين. الخبار: الأرض اللينة. عوابسًا: منهمكة بالأمر الجدّي الذي هو المعركة. المناسج: ما بين اللبد والعرف. سبائب: خطوط (جمع سبيبة: طريقة).

تثب الخيل وتعود إلى الأرض اللينة مجموعة اليدين وهي عابسة لشدة انهماكها وجدّها، وقد وشحت رأسها خطوط من دم الأعداء.

١٣ - لا يَصْدِفون عن الوَغَى بِخُدُودِهم ... فـي كُـلّ سـابِـغَـةٍ كَـلوْنِ الـعِـظْـلِمِ

١٤ - نَـجّـاكَ مُـهْـرُ ابْـنَـيْ حُـلامٍ مِـنـهُـمُ ... حتَّى اتَّقَيْتَ المَوتَ بابْنَيْ جِذْيَم

١٥ - ودَعـا بَـنِـي أُمِّ الـرُّواعِ فَـأَقْـبَـلوا ... عِـنـدَ الـلِّـقـاءِ بِـكُـلّ شـاكٍ مُـعْـلِـمِ

١٦ - يَمْشُون في حَلَقِ الحَديدِ كَما مَشَتْ ... أُسْدُ الـغَـريـفِ بـكـلّ نَـحْسٍ مُظلِمِ

١٧ - فَنَجَوْتَ مِنْ أَرماحِهِمْ مِنْ بَعْدِما ... جاشَتْ إِليكَ النَّفْسُ عِندَ المَأْزِمِ

---

١٣ - لا يصدفون: لا يُعرضون، لا يُشيحون. الوغى: الحرب. السابغة: الدرع التامة الطويلة. العظلم: نبات أخضر اللون في سواد، وهو لون الصدأ، كنى به عن لون الدرع.

هم يقبلون على المعركة بجرأة، لا ينكصون، ولا يشيحون بوجوههم، لابسين الدروع التامة ذات اللون الأخضر الكدِر.

١٤ - نجّاك مهر ابنَي حُلام: يبدو أنه أصيب فوقع عن فرسه فجاءه ابنا حلام بفرس لهما وأنقذاه.

أصبت وكاد يُقضى عليك لولا فرس ابني حلام حملاك عليه وخلّصاك فيما دفع عنك الموت وحماك ابنا جِذْيَم.

١٥ - عند اللقاء: عند احتدام المعركة. الشاكي: الفارس المحارب الكامل العُدّة. المُعلم: الفارس المعتدّ بنفسه، يبرز في المعركة بعلامة خاصة به ليُعرف ويُقصد. وهي كناية عن الاعتداد المفرط بالنفس، لأن كثيرًا من الفرسان المعروفين يتقنعون كي لا يقصدهم أصحاب الثارات أو تتألب عليهم جموع الأعداء.

ويبدو أن هذه الدعوة لبني أم الرواع هي استنجاد بالدعم للعدو.

١٦ - حلق الحديد: الدروع تُسمى حلْقة؛ والحلْقة اسم لجملة السلاح والدروع وما أشبهها، وغلّبوا استعمالها للدروع. أُسد الغريف: أسد الأجمة ذات الشجر الملتفّ. نحس: غبار. مظلم: داكن اللون.

يمشون بسلاحهم تغطيهم دروعهم ويثيرون حولهم الغبار الداكن، مثلما تمشي أسود الأجمة الملتفة الشجر.

١٧ - جاشت النفس: فاظت، غلت، ارتفعت من حزن أو فرح حتى كادت تخرج الروح. المأزم: الضيق.

بلغ بك الخوف أن نفسك كادت تفيض وتخرج من جسدك في موقف الضيق، لكنك نجوت من أرماحهم.

٢٢ ـ وأترك ما هَوِيت لما خَشيتُ
سَغيَةُ بن العُرَيْض اليهوديّ[١]

أولاً: الإطار

مقطوعة تلخص مثالية من المثاليات العربية. فإلى جانب مثالية القوة الشائعة في معظم الشعر الجاهلي تأتي مثالية العفة والإباء والحلم. ولئن كانت هذه المثالية ذات مكانة عند معظم الحكماء من العرب، فقد عُرفت على مستوى عال في شعر السموأل الذي غدا رمز الإباء فحفظ العهد. وسعيّة أخو السموأل، يضيف إلى المثالية السابقة فضائل التواضع واحترام الأكبر والأكثر علمًا والتسامح وضبط أهواء النفس.

ثانيًا: المقطوعة

وقالَ سَعْيَةُ بنُ العُرَيض اليَهوديُّ: [من الوافر]

١ ـ أَلا إنِّـي بَـلِيـتُ وقَـد بَـقِـيـتُ ... وإنِّـي لَن أَعـودَ كَـمـا غَـنِـيـتُ

٢ ـ فـإنْ أَوْدَى الـشَّـبـابُ فَـلَم أُضِـعْـه ... ولَم أَتْـكِـلْ عـلى أَنِّـي غُـذِيـتُ

٣ ـ إذا مـا يَـهْـتَـدِي حِـلْـمِـي كَـفـانِـي ... وأَسْـأَلُ ذا الـبـيـان إذا عَـيِـيـتُ

٤ ـ ولا أَلْحَـى عـلى الـحَـدَثـانِ قَـوْمـي ... عـلى الـحَـدَثـانِ مـا تُـبْـنَـى الـبُـيُـوتُ

---

(١) سَعْيَة بن العُريض بن عادياء، أخو السمؤال، الشاعر الجاهلي اليهودي المعروف بالوفاء والإباء. عاش في الجاهلية ولم يدرك الإسلام، له ولدان: ثعلبة وأسد أدركا الإسلام فدخلا فيه وحسُن إسلامهما وماتا أيام النبي ﷺ.

١ ـ بليتُ: هرمت وضعفت. بقيت: طال عمري. غنيت: كنت.
لقد طال عمري حتى هرمت وضعفت وإني لن أعود إلى ما كنت عليه.

٢ ـ أودى الشباب: ذهب وولّى. لم أضعه: تمتعت به. أني غُذيت: أني أكلت وشربت.
إذا كان الشباب قد ولّى فإنني لم أضعه سدى، لقد تمتعت به ولم أكتف فيه بالأكل والشرب.

٣ ـ حلمي: عقلي. إذا ما يهتدي: إذا اهتدى إلى الحقيقة. كفاني: أغناني عن سؤال سواي.
إذا عييت: إذا قصّرت. ذا البيان: العارف، الفصيح.
إذا هداني عقلي إلى الحقيقة في مواجهة الأمور أغناني عن سؤال سواي. لكنني لا أتردد في سؤال صاحب المعرفة والفصاحة إذا قصّرت.

٤ ـ لا ألحى: لا ألوم. الحدثان: نوائب الدهر. ما تبنى: غالبًا ما تبنى. =

٥ ـ أُيَاسِرُ مَعْشَرِي فِي كُلِّ أَمْرٍ بِأَيْسَرِ مَا رَأَيْتُ وَمَا أُرِيتُ
٦ ـ وَدَارِي فِي مَحَلِّهِمُ وَنَصْرِي إِذَا نَزَلَ الأَلَدُّ المُسْتَمِيتُ
٧ ـ وَأَجْتَنِبُ المَقَاذِعَ حَيْثُ كَانَتْ وَأَتْرُكُ مَا هَوِيتُ لِمَا خَشِيتُ

٢٣ ـ لكلٍّ من رزقه ما قضى الله

السموأل أخو سَعْيَة(١)

أولاً: الإطار

من العرب في الجاهلية من آمن بدين سماوي، فتجلى ذلك في أشعارهم تمجيدًا لقدرة الخالق، وإيمانًا بالقدر والمصير. وبالموت والبعث والحساب يوم

= أنا لا أنحى باللوم على قومي إذا ما وقعت مصيبة من مصائب الدهر. والمصائب دروس، إذا أفيد منها، كانت أساسًا متينًا لبناء الأسر والمجتمعات.

٥ ـ أياسر: أعامل بيسر ورفق. معشري: من أعيش معهم. بأيسر ما رأيت: بأكثر رفق أستطيعه. ما أُريت: ما علمتُ به.
أعامل من أعيش معهم برفق وسهولة، بأشد ما أستطيعه من رفق أو ما علمت به.

٦ ـ وداري في محلهم: داري هي دارهم. ونصري: ونصري مقدم لهم. الألد: الخصم الجدل الذي لا يريغ إلى الحق. المستميت: الذي لا يتراجع ولا يردعه شيء.
داري في وسطهم مفتوحة لهم، وأنا ناصر لهم إذا جاء الخصم الذي لا يتراجع ولا يردعه رادع.

٧ ـ المقاذع: جمع مقذع، وهو ما بذؤ وساء من قول أو فعل. ما هويت: ما أحببت وأردت. لما خشيت: لما لا أحبه وإنما أخشى اللوم إن تجنّبته.
أبتعد عن كل فاحش في القول والفعل، وأترك ما أحببته وأردته إلى ما أخشى اللوم إن أنا تجنبته.

(١) هو السموأل بن عُريض بن عاديا بن جيا. قيل: إن أمه كانت من غسان. وكلهم قالوا إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، المشهور بالوفاء. وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران (اليهودي). وكان هذا الحصن لجده عاديًا. واحتفر فيه بئرًا روية عذبة... وكانت العرب تنزل به فيضيفها، وتمتار من حصنه، وتقيم هناك سوقًا. به يُضرب المثل في الوفاء لتركه ابنه يُقتل أمام عينيه مقابل رفضه خيانة أمانته في أدراع امرىء القيس وابنته وابن عمه، إذ قال المحارث بن ظالم الذي جاء يطلبها ويهدده بقتل ابنه إن لم يفعل: «شأنك به، فلست أخفر ذمتي ولا أسلّم مال جاري»، عن الأغاني ٢٢/١٠٨ وما بعد.

القيامة، وتغنيًا بفضائل الأخلاق من صدق ووفاء وتسامح وترفع عن الأذى وعن حقير القول والعمل. واعترافًا بأن الله هو مالك كل شيء وواهب كل شيء؛ الرزق رزقه، يعطي الرزق من يشاء.

والسموأل اليهودي تطرّق في مقطوعته إلى معظم هذه المعاني

ثانيًا: المقطوعة

وقالَ السَّمَوْألُ أَخُو سَعْيَة: [من الخفيف]

١ ـ نُـطْـفَـةٌ مـا مُـنِـيـتُ يَـومَ مُـنِـيـتُ ... أُمِـرَتْ أَمْـرَهـا وفـيـهـا وُبـيـتُ

٢ ـ كَـنَّـهـا اللهُ فـي مَـكـانٍ خَـفِـيٍّ ... وخَـفِـيٌّ مَـكـانُـهـا لَو خَـفِـيـتُ

٣ ـ أنـا مَـيْـتٌ إذْ ذاكَ ثُـمَّـتَ حَـيٌّ ... ثـمّ بـعـدَ الـحَـيـاة لـلـبَـعْـثِ مَـيْـتُ

٤ ـ إنَّ حِـلْـمِـي إذا تَـغَـيَّـبَ عَـنِّـي ... فـاعْـلَـمِـي أَنَّـنِـي كَـبِـيـرٌ رُزِيـتُ

٥ ـ فـاجْـعَـلَنْ رِزقِـيَ الـحَـلالَ مـن الـكَسْـ ... ـبِ وبِـرًّا سَـرِيـرَتـي مـا حَـيِـيـتُ

---

١ ـ النطفة: نقطة الماء الصافي، والنطفة: ماء الرجل؛ ونطفة ما: إحدى نطف كثيرة. مُنِيتُ: خرجتُ من مائه. يوم مُنيت: يوم قُدِّرت للحياة أو قدِّرت لي الحياة. أُمِرت أمرها: أي النطفة أمرها الله أن تكون بشرًا. وُبيت: وُبِئْتُ مخففة. ووبأ: عبّأ.
كنت نقطة صغيرة جدًا من نطف كثيرة خرجت من ماء رجل عندما قُدّرت لي الحياة. وقد أمرها الله أن تُحقق ما اختيرت له، فكنت فيها معبأً.

٢ ـ كنّها: سترها وخبّأها. لو خفيت: لو قُدّر لي الاختفاء أي لو لم تقدّر لي الحياة.
خبّأها الله في مكان خفيّ تتكوّن فيه، ولو لم تقدر لي الحياة لكانت الآن في مكان خفي لا خروج منه، شأنها شأن سائر النطف التي لا تظهر.

٣ ـ ثُمّت: ثمّ. للبعث: حتى موعد البعث.
إذ ذاك لم أكن شيئًا حيًا ثم دبّت فيّ الحياة، وبعد هذه الحياة سأكون ميتًا إلى أن يكون البعث.

٤ ـ حلمي: عقلي. إذا تغيب عني: إذا خذلني وغاب عني أحيانًا. رُزيت: رُزِئت مخففة، أي أصابتني رزية من مصائب الدهر.
إذا كان عقلي يخونني أحيانًا ويغيب عني، فاعلمي أنها مصيبة الكبر (أصبت بها كما يصاب كل كبير).

٥ ـ الكسب: جني المال بالعمل. وبِرًّا سريرتي: صالحَ الطويّة (ما تنطوي عليه نفسي).
أقسمت لأجعلن رزقي حلالًا أجنيه من تعبي، وأجعلن طويتي صالحة لا أضمر إلا الخير، طالما أنا حيّ.

٦ ـ ضَيِّقُ الصَّدْرِ بِالخِيانةِ لا يَنـ ـقُصُ فَقْرِي أمانَتِي ما بَقِيتُ
٧ ـ رُبَّ شَتْمٍ سَمِعْتُه فَتصامَمْـ ـتُ وَغَيٍّ تَرَكْتُه فَكُفِيتُ
٨ ـ لَيتَ شِعْري وأَشْعُرَنَّ إذا ما قِيلَ اقْرَأْ عُنْوانَها وقَرَيْتُ
٩ ـ أَلِيَ الفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إذا حُو سِبْتُ، إنِّي على الحسابِ مُقِيتُ
١٠ ـ مَيْتَ دَهْرٍ قَد كُنتُ ثُمَّ حَيِيتُ وحَياتِي رَهْنٌ بأَنْ سَأَمُوتُ
١١ ـ وأَتَتْنِي الأَنباءُ أَنِّي إذا ما مِتُّ أَوْ رَمَّ أَعْظُمِي مَبْعُوتُ
١٢ ـ هَل أَقُولَنْ إذا تَدارَكَ حِلْمِي وتَداكا عَلَيَّ: إنِّي دُهِيتُ

---

٦ ـ ضيق الصدر بالخيانة: لا أطيق الخيانة. لا ينقص فقري أمانتي: لا أخون الأمانة بداعي الحاجة. (وهذا منتهى العفة).
لا أطيق الخيانة ولا أخون الأمانة بداعي الحاجة، ما كنت حيًا.
٧ ـ تصاممت: أصممت أذني. الغَيّ: الضلال والفساد. كُفيت: أي كُفيت شرّ العواقب.
قد أسمع الشتم لكنني أصم أذني عنه، وقد تنتابني رغبة في ضلال أو عمل طائش فأكتبها وأتجاوزه، فذاك يكفيني كل شر يرده عني ويمنعه.
٨ ـ ليت شعري: بمعنى واحسرتي. وأشعرنّ: وما أشعر به. اقرأ عنوانها: عنوان صحيفة أعمالك. قَرَيت: قرأت، مخففة.
واحسرتي، ما سيكون شعوري عندما يقال لي: هذه صحيفة أعمالك اقرأ عنوانها فأقرأ؟!
٩ ـ ألي الفضل: هل الزيادة (في وزن الأعمال) لصالحي. المُقيت: الموقوف على الشيء؛ ومقيت هنا بمعنى أن مصيري موقوف على الحساب.
ما ستكون نتيجة القراءة؟ هل يميل ميزان الأعمال لصالحي أو يميل ضدي عند الحساب؛ إن مصيري موقوف على هذا الحساب، رهن له.
١٠ ـ قبل مجيئي إلى الدنيا؛ مرّ حين طويل من الدهر كنت فيه لا شيء، كنت ميتًا، ثم بعثت فيّ الحياة لكن حياة مرهونة بالموت.
١١ ـ أتتني الأنباء: علمت، بُلِّغت. رمّ عظمي: بلي. مبعوث: راجع إلى الحياة.
وعلمت أنني إذا ما مت وبليت عظامي سأُبعث حيًا من جديد.
١٢ ـ الحِلم: العقل. تدارك: لحق آخره بأوله؛ ولعل المقصود بتدارك حلمي التداخل والاختلاط الذي يصيب المسنين. تداكا: مخفف من تداكأ: تدافع وتزاحم. دُهيت: أصابني البلاء.
إذا أصابني اختلاط بعقلي فخرج عن سيطرتي الكاملة يتداخل أحيانًا ويتدافع ويتزاحم أحيانًا، هل أقول إن البلاء حلّ بي؟

١٣ ـ أَبفضْلٍ مِنَ المَليكِ ونُعْمَى أَمْ بِذَنْبٍ قَدَّمْتُهُ فَجُزِيتُ

١٤ ـ يَنفَعُ الطَّيِّبُ القَليلُ من الرِّز قِ ولا يَنفَعُ الكَثِيرُ الخَبيتُ

١٥ ـ وأَتَتني الأَنباءُ عن مُلْكِ داو دَ فقَرَّت عَيْني بِه ورضِيتُ

١٦ ـ لَيس يُعْطَى القَوِيُّ فضلًا من الرِّز قِ ولا يُحْرَمُ الضَّعيفُ الخَتِيتُ

١٧ ـ بَلْ لِكلٍّ مِنْ رِزقِهِ ما قَضَى اللَّ ـهُ وإن حَكَّ أَنفَهُ المُستَميتُ

---

١٣ ـ المليك: هنا هو الإله.

يتابع الفكرة في البيت السابق: هل اختلاط العقل والتضييع داهية وبلاء وعقاب لي على ذنب اقترفته، أو هو نعمة من الله وفضل؟

١٤ ـ الخبيت: الخبيث الرديء، الخسيس.

يكفي المرء قليل من الرزق من مورد طيب، ولا يغنيه الرزق الكثير من مورد سيىء خسيس.

١٥ ـ أتتني الأنباء: سمعت، علمت. قرّت عيني: سكنت وكفّت عن البحث. وذلك علامة الاقتناع.

سمعت بقصة الملك داود فأورثتني قناعة ورضى. (لعله يشير إلى داود الملك النبي، ابن اشعيا، ووالد سليمان الحكيم الذي كان في أول حياته يرعى قطعان أبيه، وغضب عليه الملك شاول فهرب إلى صحراء يهوذا، ثم لجأ إلى الفلسطينيين حتى غدا ملكًا بعد موت شاول ودعم مملكة يهوذا. ذاك أنه، من صغره، مسحه صموئيل النبي فغدا مهيئًا للنبوة. وبذا وصله من الله ما هو مقدر له على رغم ضعفه وقوة عدوه).

١٦ ـ يعطى فضلًا من الرزق: زيادة وفيضًا. الختيت: الضعيف. المهزول الذي لا يقدر على التصرف.

لكل إنسان رزقه، يصل إليه، ضعيفًا كان أو قويًا، فلا القوي يعطى زيادة في الرزق لقوته، ولا الضعيف يُحرَم الرزق لعدم قدرته. (وهذه هي العظة التي أفادها من قصة الملك داود).

١٧ ـ المستميت: الذي يقاتل غير هيّاب للموت. يقصد به المصمم على الوصول إلى هدفه أيًا كان الثمن. حكّ أنفه: اشتد غضبه وغيظه لأنه يُقال للمتغيظ: ورِم أنفُه. فهو في هذه الحال يرعاه فيحكّه.

الله هو واهب الرزق، وهو الذي يقسمه بين الناس، وكل إنسان سيحصل على ما قسم له الله، ولو اغتاظ الطامع (ورم أنفه فحكّه).

٢٤ ـ إنّا معشرٌ صُبُرُ
أعشى باهلة[1]

أولاً: الإطار

كان للأعشى أخ من أمه هو المنتشر بن وهب بن سلمة بن كراثة بن هلال بن عمرو بن سلامة. . . وكان بطاشًا وسيدًا مرهوب الجانب معتدًا بنفسه. في رحلة له إلى الحج ترقبه بنو نفيل وكانوا أعداء له ويعرفون أن لبني الحرث بن كعب ثارات عليه فدلوهم عليه، وكان طريقه إلى الحج على مكانهم. فكادوا له وقتلوه، في قصة طويلة.

كانت الصدمة هائلة عند الأعشى وقد وصف في قصيدته كيف جاءه الخبر فكادت نفسه تفيض جزعًا، وطفق يعدد صفات المنتشر فهو مُقري الضيف في أيام الشتاء والقحط، وهو القائم بأمر الضيوف ومطاياهم. وهو صاحب المجازر في النوق الكريمة حتى باتت تجفل لمرآه. إلا أن فضائل المنتشر لا تنحصر في دياره، فالدنيا كلها تعرفه، وكل محتاج وكل من يوجد في ضيق ينتظره ليزيل كربه، أنه كل خير على الصديق، يدخل الحروب ويهب الرغائب ويأبى الظلم، لا يتعب، ولا يأكل، يبات على الطوى فلا يسمن موفرًا الزاد للضيف، أمامه يلين الصعب، وعينه تعف عن الجارة، وهو مرهوب مشهور في غزواته، إذا تأخر انتظروه.

ثم يأخذ في تفصيل وقع المصيبة على جماعته.

هذه القصيدة من عيون شعر المراثي.

ثانيًا: القصيدة

وقالَ أَعشَى باهِلَة، واسمه عامرُ بنُ الحارث، أحدُ بني وائلٍ: [من البسيط]

١ ـ قَد جاءَ مِنْ عَلُ أنباءٌ أُنَبَّؤُها إلَيَّ لا عَجَبٌ مِنها ولا سَخَرُ

---

(١) هو العامر بن الحارث بن رباح بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة. . . ويتصل نسبه بمضر بن نزار.
والأعشى شاعر جاهلي، بوّأته قصيدته هذه، مرتبة مجلية بين شعراء المراثي المعروفين من أمثال الخنساء وكعب بن سعد الغنوي ومتمم بن نويرة.

١ ـ من علُ: من عالم السماء الخفي. أنبّؤها: أتنبأ بها، توحَى إليّ. لا عجب منها ولا سخر: =

٢ ـ فَظَلْتُ مُرْتَفِقًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُه حَرَّانَ مُكْتَئِبًا لَو يَنْفَعُ الحَذرُ

٣ ـ وجاشَتِ النَّفسُ لمَّا جاءَ جَمعُهُمُ وراكبٌ جاءَ من تثلِيثَ مُعتَمِرُ

٤ ـ يَأْتِي على النَّاسِ لا يَلوِي على أَحدٍ حتَّى الْتَقيْنا وكانَتْ دونَنا مُضَرُ

٥ ـ إنَّ الذي جِئتَ من تثليثَ تَندُبُهُ مِنه السَّماحُ ومِنه النَّهْيُ والغِيَرُ

٦ ـ نَعَيْتَ مَن لا تُغِبُّ الحَيَّ جَفنَتُه إذا الكَواكبُ أخطا نَوْءَها المطَرُ

= لا أعجب منها ولا أسخر، كأنها حقيقة واقعة.
يقول الشاعر إن إحساسًا غامضًا بمصيبة خَامَرَهُ، وكأن نبأ جاءه من عالم السماء، لم يسخر منه ولم يعجب فكأنه حقيقة واقعة.

٢ ـ ظِلت: ظللت، بقيت. مرتفقًا للنجم: مرافقًا له. أرقبه: أمعن فيه النظر، متوقعًا أَمارة. حرّان: أحس بحرارة في داخلي تلهبني. مكتئبًا: أحس بكآبة وهي إحساس غامض بالحزن. لو ينفع الحذر: إشارة إلى المثل «الحذر لا يمنع القدر».
هِمتُ في عالم السماء، بعيدًا عن عالم الأرض، أرافق النجم وأمعن النظر فيه مرتقبًا علامة، والحزن الغامض يملأ نفسي ويشعل فيها نارًا تلذعني، هل أستطيع أن أمنع حدوث مصيبة؟ ومن يستطيع ذلك؟ لا ينفع الحذر في منع القدر.

٣ ـ جاشت: اضطربت. جمعهم: جمع الناس من القبيلة. تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. معتمر: معتّم، يضع العمامة على رأسه.
رأيت جمعًا قادمًا باتجاهي، فتنبهت واضطربت نفسي أنهم يأتون نحوي بينهم راكبٌ ناقة مُعْتَمٌّ، قادم من تثليث.

٤ ـ يأتي على الناس: يمر بالناس. لا يلوي على أحد: لا يتحول إلى أحد ليقف عنده. حتى التقينا: إلى أن وصل إليّ. كانت دوننا مضر: كانت الجموع على مسافة منا وهي جموع قبائل مضرية (منها باهلة).

٥ ـ السماح: العطاء والجود. النَّهي: الردع، أي وجوده يمنع الاعتداء كما يمنع المنكَر. الغيَر: جمع الغِيرة وهي الاسم من فعل غار (يَغور ويَغير) غيرًا: وداه، أي دفع عنه الدية أو تحمّلها عنه، وذلك من عمل الأسياد العقلاء.
كأنه يخاطب حامل الخبر: أتدري من هو الذي جئت تحمل نَعْيه؟ منه العطاء والجود، منه النهي والردع. ومنه تحمّل الديات عن الواترين وقفًا لأعمال الثأر.

٦ ـ تُغِبّ: تكون يومًا وتغيب يومًا. جفنته: قصعته الكبيرة التي يقدَّم فيها الطعام للجميع. أخطا المطرُ نوءها: لم يسقط المطر عند تغير مواقعها، وذاك كناية عن وقت قحط.
أنت أعلنت موت من تبقى قصعته الكبيرة مقدمة الطعام لأهل الحي جميعًا. يوميًا وبصورة دائمة، لا تختفي يومًا، حتى في أيام إمساك المطر عن السقوط مخلفًا القحط والجدب. والعرب تفخر دائمًا بإطعام الناس، لا في أيام الخير وإنما في أيام الجدب والقحط حيث يقل المال ويغدو إطعامُ الآخرين يقتضي حرمان الذات.

٧ ـ وراحتِ الشَّوْلُ مُغبَرًّا مَباءَتُها شُعْثًا تَغَيَّر مِنها النَّيُّ والوَبَرُ

٨ ـ وأَجْحَرَ الكلبَ موضوعُ الصَّقِيع بِه وأَلْجأَ الحَيَّ من تَنفاحِهِ الحُجَرُ

٩ ـ عَلَيْه أَوَّلُ زادِ القَوم إنْ نَزلُوا ثُمَّ المَطِيَّ إذا ما أَرْمَلوا جَزرُوا

١٠ ـ لا تأْمَنُ البازلُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَه بِالمَشرَفِيِّ إذا ما اخْروَّط السَّفَرُ

---

٧ ـ راحت: عادت مساء. الشَّول: النوق التي مرت سبعة أشهر على وضعها ولدها أو على حملها فخفّ لبنُها. المباءة: معطِن القوم للإبل، حيث تُناخ في الموارد. المغبّرة: المغطاة بالغبار. والمباءة المغبّرة: كناية عن الجدب لأن لون الغُبرة هو لون الأرض القاحلة، ولأن المباءة تكون في الموارد وتكون الموارد ذات ماء وكلأ ولا غبار فيها، أما في أيام الجدب، حين ينضب الماء ويجف العشب، فالغبرة تغطي كل شيء. شُعثًا: متلبدة الوبر، على اغبرار في اللون. النَّيّ: شحم السنام، وهو ينقص مع سوء التغذية وهزال الناقة.

يتابع وصف أيام القحط التي يكثّف فيها الممدوحُ كرَمَه. ففيها تعود النوق التي مرت سبعة أشهر على ولادتها إلى معطنها في الموارد وقد جف لبنها وتلبّد وبرها واغبرّ لونها، وهزلت فتضاءل شحم سنامها.

٨ ـ أجحر الكلبَ: أدخل الكلبَ إلى جحره. موضوع الصقيع به: نزول البردِ به. ألجأ الحيّ الحُجَرُ: عَصَمَ أهل الحي من البرد الفُرَق (البيوت). تنفاحه: لفحه وشدة هبوبه.

وهنا كذلك متابعة لوصف شدة أيام القحط التي يرتاح فيها الممدوح إلى الكرم. ففيها يشتد الصقيع ببرده فيجبر الكلب على دخول جحره، ولا يعصم أهل الحي من شدة لفحه سوى لجوئهم إلى البيوت.

٩ ـ أرملوا: نفد زادهم. جزروا: ذبحوا الجَزور وهي النوق المخصصة للأكل.

إن أول ما يهتم به عند نزول قوم به هو تأمين الزاد لهم، ثم إطعام مطاياهم. وكلما نفد الزاد منهم ذبح لهم من جديد من النوق المخصصة للأكل (وهي غير المستخدمة في الركوب ونقل الأمتعة).

١٠ ـ البازل: من الإبل ما بزل (ظهر وبرز) نابه، ويكون ذلك عند إتمامه السنة التاسعة من عمره. الكوماء: العظيمة السنام، وهي أثمن النوق. المشرفي: السيف. اخْرَوَّط: امتدّ. السَّفَر: بياض النهار[1]؛ امتد السفر: طلع الصبح وامتدّ ضوؤه (البياض هو النور عند العرب).

إذا طلع النهار امتدّ ضوؤه (وهو وقت التفكير بإطعام الأضياف) كانت النوق الكريمة، البازل منها والعظيمة السنام، معرّضة لضربة من سيفه ثم للنحر.

(١) لسان العرب. مادة [سفر]، ٤/٣٦٩.

١١ ـ وتفزَعُ الشَّوْلُ مِنه حِينَ يَفجَؤها حتَّى تَقَطَّعَ في أعناقِها الجِرَرُ

١٢ ـ لَم تُرَ أَرْض ولَم يَسْمَعْ بِها أَحَدٌ إلّا بِها مِن نَوادِي وَقعِهِ أَثَرُ

١٣ ـ ولَيسَ فِيه إذا استَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ ولَيسَ فِيه إذا ياسَرْتَهُ عَسَرُ

١٤ ـ إمَّا يُصِبْكَ عَدُوٌّ في مُناوأَةٍ يَومًا فَقَد كُنت تَسْتَعْلي وتَنتَصِر

١٥ ـ مَنْ لَيس في خَيْره شَرٌّ يُكَدِّرُه على الصَّدِيقِ ولا في صَفوِهِ كَدَرُ

١٦ ـ أخو حروبٍ ومِكْسابٌ إذا عَدِمُوا وفي المَحافِلِ مِنهُ الجِدُّ والحَذَرُ

١٧ ـ أخو رغائِبَ يُعطِيها ويُسْأَلُها يأْبَى الظُّلامَةَ مِنه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

---

١١ ـ الشّول: الناقة شال ضرعها (خفّ لبنها بعد انقضاء سبعة أشهر على حملها). تقطّع: تتقطع أي تتوقف. الجِرر: جمع الجَرّة، وهي ما يخرجه البعير من كرشه ليمضغه.
لأن الإبل عرفت ما يصيبها منه، فقد غدت تتوقع ذلك كلما شاهدته، لذا فهي، حين تفاجأ به يبلغ بها الخوف أن تتوقف اللقم المجترّة في بلعومها.

١٢ ـ النوادي: الشوارد. الوقْع: الحصى الصغار؛ ونوادي وقعه: الشوارد من الحصى الصغار (كل ضرب بمنسم أو بحافر على الحصى يطيّر منها شوارد إلى الأقاصي).
إن أعماله لم تكن مقصورة على جماعته، بل كان منها شوارد تصل إلى الأقاصي، لا يُستثنى منها أرض رؤيت أو أرض سُمع عنها.

١٣ ـ إذا استنظرته: إذا استمهلته. إذا ياسرته: إذا لاينته.
إنه من الحلم والدماثة على درجة تجعله لا يتعجل إذا طلبت منه التمهل، ولا يشتد أو يصعُب إذا لاينته.

١٤ ـ إما يصبك: أما إذا أصابك عدو. في مناوأة: في معارضة، مواجهة. تستعلي: تترفّع وتتكبر. وتنتصر: تتغلب عليه.
مع الحلم والدماثة المشهور بهما، هو نزق معتدّ بذاته، فإذا حاول عدو المتعرض له، استعلى وتكبر وتغلب عليه.

١٥ ـ من ليس: أنت يا من ليس. يكدّره: يعكّره. صفوه: شفافيته. كدر: ما يعكر الصفاء.
أنت للصديق خير كلُّك، لا تعرف الشر، صفوٌ كامل لا يَشُوبه كدَر.

١٦ ـ أخو حروب: محارب لا يتفادى خوض المعارك. مكساب: كثير الكسب، أي الحصول على المال. عدموا: افتقروا إلى الزاد. المحافل: اجتماع القوم. الجد: يقول كل ما هو جاد بعيد عن الهزل. الحذر: يراقب أقواله كي لا يخطىء.
إذا كانت ضرورة إلى حرب فهو لا يتردد، وإذا افتقر قومه وفقدوا الزاد كان هو من يكسب لهم المال، وكثيرًا ما يفعل، وإذا توسط الجموع في النوادي قال ما هو جاد بعيد عن الهزل، وتحاشى الخطأ في القول.

١٧ ـ أخو رغائب: صاحب أعطيات. يعطيها: أي يقدمها تلقائيًا. يُسألها: تُطلب منه فيقدمها. =

١٨ ـ لا يَغمِزُ السَّاقَ من أَيْنٍ ومن وَصَبٍ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ
١٩ ـ لا يَتَأَرَّى لِما في القِدْرِ يَرْقُبُهُ ولا يَزالُ أَمامَ القَومِ يقْتَفرُ
٢٠ ـ طَاوِي المَصِيرِ على العَزَّاءِ مُنصَلِتٌ بِالقَومِ لَيلةَ لا ماءٌ ولا شَجرُ
٢١ ـ مُهَفهَفٌ أَهْضَمُ الكَشحَيْنِ مُنخَرِقٌ عَنه القَمِيصُ لِسَيْرِ اللَّيلِ مُحتقِرُ

= الظُّلامة: ما يؤخَذ ظلمًا. النوفل: البحر وتستعار للسيّد المعطاء. الزُّفر: السيد القوي على الجمالات أي على احتمال الديات في إصلاح ذات البين.
هو صاحب إعطيات يقدمها لمن يطلبها ويعطيها بلا طلب، يأبى ظلم أحد بأخذ ما عنده، يمنعه من ذلك أنه بحر العطاء والسيد القادر على احتمال الديات.

١٨ ـ يغمز، من الغمز: العصر والكبس باليد. الأين: التعب. الوصب: الألم. الشرسوف: الضلع الذي يلي البطن. الصفر: دويبة كالحية يقال إنها تعض على الشراسيف في حال الجوع فيشعر الجائع بالألم.
يقول إنه متمرس بالمشي الشاق، فإذا مشى وأطال لا يصيب رجله تشنج ولا إرهاق فيضطر إلى التوقف لعصرها وكبسها تخفيفًا للألم، وهو متمرس بضبط رغبات الجسد وتعويده الحرمان (وتلك من آيات الكرم لأنه يفضل الآخرين على نفسه)، لذلك لا يشعر بألم في بطنه إذا جاع واشتد جوعه.

١٩ ـ يتأرّى: يقف منتظرًا. ما في القدر: اللحم يُنضَج. يرقبه: ينتظر نضجه. (وهذا فعل الفقراء والشرهين). يقتفر: يقفو الأثر ليقود القوم في وجهتهم الصحيحة.
يتابع وصفه بالترفع عن المطعم، فلا يجعل همه الوقوف بجانب القدر منتظرًا نضج اللحم، كما يفعل المحتاجون والشرهون. ثم يصفه بصفة القيادة، إذ يسند إليه الجميع مهمة تتبع الأثر وتفحص الطريق بحثًا عن الوجهة الصحيحة.

٢٠ ـ المصير: واحد المصران وهي الأمعاء، وطي المصير هو انطواؤه على نفسه لكونه خاليًا من الطعام. وتلك كناية عن حالة الجوع الإرادي الدال على الصبر. العزاء: الشدّة، وسنة القحط، وفيها يجوع الناس بصورة لا إرادية. فمن كان عنده المال وطبيعته الكرم يفرض على نفسه جوعًا إراديًا لتوفير ماله لإطعام الجائعين، وهذه قمة في الكرم. منصلت: ممعن، متمادٍ. منصلت بالقوم: ممعن في العناية بقومه وإطعامهم. ليلة لا ماء ولا شجر: في سنة الجفاف.

٢١ ـ مهفهف: دقيق الخصر، ضامر البطن. أهضم الكشحين: مضموم الجنبين ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف (وكلا الوصفين دليل على قلة تناول الطعام فهما كناية عن الكرم).
منخرق عنه القميص: قميصه يتمزق عليه، دليل على عنف حركته في السير وتحمل المشقات. محتقر سير الليل: مستصغر السير في الليل، مستهين به، على ما فيه من مشقة ومخاطر. وكلا الصفتين كناية عن الجرأة والقوة والتمرس بالمشقات.

٢٢ ـ لا يُصْعِبُ الأَمْرَ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُه وكُلَّ أَمْرٍ سِوَى الفَحشاءِ يَأْتَمِرُ

٢٣ ـ [لا يَهْتِكُ السّترَ عَنْ أُنْثَى يُطالعُها ولا يُشَدُّ إلى جاراتِهِ النَّظَرُ]

٢٤ ـ لا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْساهُ ومُصْبَحَهُ مِن كلِّ فَجٍّ إذا لَم يَغْزُ يُنتَظرُ

٢٥ ـ تَكْفِيه حُزَّةُ فِلْذٍ إِنْ أَلَمَّ بِها مِن الشِّواءِ ويُرْوي شُرْبَه الغُمَرُ

٢٦ ـ كأَنَّهُ بعدَ صِدْقِ القومِ أنفسَهمْ باليأسِ يَلمَعُ من قُدَّامِهِ البُشُرُ

٢٧ ـ لا يُعْجِلُ القَومَ أَنْ تَغْلِي مراجِلُهم ويُدْلِجُ اللَّيلَ حتَّى يَفسُحَ البَصَرُ

---

٢٢ ـ لا يُصعِبُ الأمرَ: لا يجد الأمرَ صعبًا. ريث يركبه: إلى أن يواجهه. ائتمر الأمرَ: همّ به. الفحشاء: الفعل القبيح.
كل صعب يهون عنده، فالصعب لا يكون كذلك إلا ريثما يواجهه ويباشر، فلا يعود صعبًا، وهذه صفة حسن التخلص والجلد. وهو كذلك يتصف بالعفة مع الإقدام: إنه يواجه كل أمر، ولا يتحاشاه، إلا إذا كان فعلًا قبيحًا.

٢٣ ـ هتك الستر: مزق الستارة، وهي كناية عن اقتحام المخدع. يطالعها: يديم التحديق فيها. شُدّ النظر: ثُبِت.
والعفة، في أهم تجلياتها، هي مع النساء، إنه لا يقتحم مخدع المرأة ليديم التحديق فيها، وإذا ظهرت جاراته لا يثبّت نظره عليهن (بل يكُفُّه).

٢٤ ـ مُمساه: مماساتهم لهم، أي أن يأتيهم مساء. مصبحه: أن يأتيهم في الصباح، من كل فج: من كل طريق (أو ناحية) بعيدة.
أَلِف الناس حتى في أبعد الأنحاء والطرق أن يغزوهم، فإذا تأخر في غزوه، تساءلوا وترقبوا، وهم في قلق من أن يصبحهم أو يماسيهم.

٢٥ ـ الحُزَّة: القطعة المأخوذة طوليًا. الفِلذ: كبد البعير. إن ألَمَّ بها: إن وصل إليها أو حصل عليها. الغُمَر: أصغر قدح يُعرف.
هو في رياضة دائم للجسد على الجوع والعطش. فإذا أصاب قطعة من كبد البعير المشوي، كفته، ويرتوي إذا شرب بأصغر قدح معروف.

٢٦ ـ بعد صدق القوم أنفسهم: بعد اقتناع القوم. باليأس: بانقطاع كل أمل. البُشُر: التبشير، الإخبار عن أمر سار يورث الأمل.
إنه أمل القوم. كأنه؛ حين يصيبهم اليأس ويقتنعون بانقطاع الرجاء تلتمع البشائر أمامهم قادمة منه.

٢٧ ـ يُعجل القوم: يستعجلهم. أن تغلي مراجلهم: عن أن يغلي ماء الطبخ في قدورهم الكبيرة. يُدلج الليل: يقضي الليل سائرًا. يَفْسُحَ البصَر: تنقشع الظلمة وتُمكن الرؤية.
هو رفيق بجماعته، فإذا نزلوا في مكان يتركهم ريثما يطبخون ويأكلون، فلا يستعجلهم للمسير قبل أن تغلي القدور وينضج اللحم. وهو متمرس بالسير ليلًا على ما فيه من مشقة=

٢٨ ـ عِشْنا بِذلكَ دَهرًا ثُمَّ فارَقَنا كَذلكَ الرُّمْحُ ذو النَّصْلَيْنِ يَنكسِرُ
٢٩ ـ فإن جَزِعْنا فَقَد هَدَّتْ مُصِيبتُنا وإنْ صَبَرْنا فإنَّا مَعْشَرٌ صُبُرُ
٣٠ ـ [إنِّي أَشُدُّ حزِيمي ثُمَّ يُدْرِكُني مِنكَ البَلاءُ ومن آلائِكَ الذِّكَرُ]
٣١ ـ أَصبْتَ في حَرَمٍ مِنَّا أخا ثِقَةٍ هِنْدَ بنَ أَسْماءَ لا يَهْنِيءُ لكَ الظَّفَرُ
٣٢ ـ إمَّا سَلَكْتَ سَبيلًا كُنتَ سَالِكَها فاذْهبْ فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مُنتشِرُ
٣٣ ـ لَو لَم تخُنهُ نُفَيْلٌ وهِيَ خائِنةٌ أَلَمَّ بِالقَومِ وِرْدٌ مِنه أو صَدَرُ

= ومخاطر، إنه يسير الليل بطوله إلى أن تنجلي الظلمة.

٢٨ ـ دهرًا: فترة طويلة. الرمح ذو النصلين: ذو النصل والزج. فالنصل هو السنان الحديدي. والزج هو مؤخر الرمح الخشبي يمكن استخدامه في الطعن فيكون الرمح كأنه بنصلين.
عشنا زمنًا معه، آنسين إليه، مفيدين منه حماية ورعاية وضيافة، وعزًا، ثم تركنا ورحل. هكذا هي الأمور، كل رمح سينكسر يومًا، حتى الرمح ذو النصلين، على متانته وقوته.

٢٩ ـ إن جزعنا: إن أصابنا الهلع. هدّت مصيبتنا: مصيبتنا هدّت كياننا. صُبُر: معتادون على الصبر.
إن أصابنا الجزع فمصيبتنا هائلة هدت كياننا، وإن استطعنا الصبر فنحن قوم معروفون بالصبر، معتادون عليه.

٣٠ ـ الحزيم: موضع الحزام من الصدر؛ وأشد حزيمي، أستعد للسفر وأشمّر له. آلائك: نِعمَك. الذِّكرُ: مجرد الكلام.
إني أشد حزامي على صدري مشمرًا للسفر إليك (رغبة في نوالك). إنما يصيبني بلاؤك فيما تبقى نِعمُك مجرد ذكر وكلام. (الخطاب لشخص على علاقة بمقتل المنتشر).

٣١ ـ في حرم منا: في مكان مقدس عندنا. أخا ثقة: من هو محور ثقة الناس. هند ابن أسماء: يا هندَ ابن أسماء (وهو الذي أسره المنتشر من بني الحرث بن كعب وهو الذي قتل المنتشر فيما بعد). لا يهنأ لك الظفر: لا سعِدتَ بانتصارك.

٣٢ ـ لا يبعدنْك الله: لا تخلّى عنك الله، ولا أبعدك من رحمته. منتشرُ: يا منتشرُ لقد سلكت طريقًا لا بد لك من سلوكها فاذهب في حفظ الله، لا أبعدك الله عن رحمتك يا منتشر.

٣٣ ـ نفيل: قبيلة نفيل وهي التي رصدت مرور المنتشر وأخبرت به الأعداء. ألَمّ: أصاب. الوِردُ: الإبل القادمة إلى المورد، والوِرد: الجيش. الصَّدَر: الإبل التي تترك المورد وترجع إلى الحظائر، وهو أيضًا المسافر يعود من مقصده.
إن قبيلة نفيل الخائنة أوقعت به، ولو لم تفعل لعرفت منه جيوشًا تأتي إليها وأخرى تعود.

٣٤ ـ [وأَقْبلَ الخيلَ منْ تَثليثَ مُصْغِيةً ... أوْ ضَمَّ أعيُنَها رغوانُ أوْ حَضَرُ]

٣٥ ـ وَرَّادُ حَرْبٍ شهابٌ يُسْتَضاءُ بِهِ ... كَما يُضِيءُ سَوادَ الطُّخيَةِ القَمَرُ

٢٥ ـ الخُطوبُ تُشيبُ

كعب بن سعد الغَنويّ(١)

أولاً: الإطار

كان أبو المغوار الغنويّ فارس بني أعصر يدافع عنهم، وعنوانًا للكرم والجود بينهم. فلما قُتل في ذي القار الآخر. وقتل معه اثنان من إخوته هما جبل والمقداد، رثاه أخوه كعب بقصيدة غدت من عيون شعر الرثاء، وقدّمها بعض النقاد، حتى قال عنها الأصمعي: «ليس في الدنيا مثلها».

---

٣٤ ـ أقبل الخيل: جاء بالخيل. تثليث اسم موضع، وقيل هو وادٍ عظيم. أصغى الحافر: بلغ الصفا فارتدع. ضم أعينها: عاينت. رغوان وحضر: موضعان لعلهما في ديار نفيلة.
يتابع وصف أعمال المنتشر لو لم تخنه نفيل؛ فهو كان سيقود الجيوش، يأتي بها من وادي تثليث فلا تتوقف إلا عند صخور دياركم أو إلا عندما تعاين رغوان وحَضَر من بلادكم.

٣٥ ـ ورّاد حرب: كثير الذهاب إلى الحرب (كأن به عطشًا دائمًا إليها لا يرويه إلا خوض غمارها). شهاب: كوكب. أو كتلة نارية منسلخة عن كوكب، تمرّ سريعًا وتضيء كثيرًا. يُستضاء به: يُنير ظلام حياة الآخرين. الطخية: الظلمة.
وفي تلخيص شخصية المنتشر تبدو شخصية المحارب المتعطش إلى خوض المعارك، وشخصية السيد الذي يشع على من حوله، رأيًا منيرًا ودفاعًا وعطاء، كذا القمر يشع نورًا يبدده سواد الظلمات.

(١) هو كعب بن سعد بن الصعل بن قراد بن غني من قيس عيلان. وكعب شاعر مخضرم. يقول عنه الأصمعي: «ليس من الفحول إلا في المرثية، . . . وكان يقال له كعب الأمثال» (فحولة الشعراء ٢٧).
وقصيدته في معظم نسخ الأصمعيات. قسم من القصيدة الكاملة يبدأ من البيت ٢٤: أخي، ما أخي. . . في حين أن القسم الثاني، وهو مطلع القصيدة، ويبدأ من البيت: تقول سليمى. . . ورد منسوبًا إلى غُريقة بن مُسافع العبسي. والمؤكد أن القسمين قصيدة واحدة وقد شرحناهما مجموعين على هذا الأساس لكعب بن سعد.

في هذه القصيدة يجيب المرأةَ التي سألته عن سبب شحوب جسمه قائلًا: إن تتابع الأحداث التي أودت بإخوته شيّبته. ويستدرك: لئن مات أخوه (أبو المغوار) فقد كان الحليم المترفعَ عن الجهل، وكان المعينَ في النوائب، وكان مجموعةً من خلال الخير، كسوبًا وهوبًا.

ويقر كعب أن الموت قدرٌ يصيب جميع الناس، ويتمنى لو أمكنه افتداء أخيه بنفسه، بعينيه أو بيُمنى يديه.

ثم يعود إلى تفصيل ما كان عليه من صفات الهيبة والحلم والعفة الجريء على الأعداء، والكرم والضيافة، وإلى ذكر علاقاته بالأصدقاء الذين كانوا يحبون زيارته في داره، ويؤكد في النهاية أن من سيبكيه ويفتقده هو من يرفع الصوت داعيًا إلى الغوث فلا يلقي من يجيبه، والجائع الغريب.

ثانيًا: القصيدة

[كعبُ بنُ سَعْدِ الغَنَويُّ].

قال أبو سعيد: عن حبيب بن شَوْذب، رجل من أهل نجد مُسِنٌّ، عن أبيه قال: أنشدنيها كعبُ بنُ سعدٍ الغنويُّ مواقفًا لي براذان: [من الطويل]

١ ـ تَقُولُ سُلَيْمَى ما لِجِسْمِكَ شاحِبًا ... كأنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرابَ طَبِيبُ
٢ ـ فقُلتُ ولَم أَعْيَ الجَوابَ ولَم أُلِحْ ... ولِلدَّهرِ في صُمِّ السَّلامِ نَصِيبُ
٣ ـ تَتابُعُ أحداثٍ تخَرَّمْنَ إخوتي ... وشيَّبْن رَأْسِي والخُطُوبُ تُشِيبُ
٤ ـ أتَى دُونَ حُلْوِ العَيْشِ حَتَّى أَمَرَّهُ ... نُكُوبٌ على آثارِهِنَّ نُكُوبُ

---

١ ـ يحميك الشرابَ طبيب: يمنعك الطبيب عن الشراب لعلة في جسمك.
تسألني سليمى عن سبب شحوبي، وهو مثل شحوب مريض يحميه الطبيبُ الشرابَ.
٢ ـ لم أعْيَ: لم يصبني الحصر، فأعجز عن الجواب. لم أُلِحْ: لم أستَحِ. السلام: الصخور؛ صم الصخور: الصخور القوية. للدهر نصيب: له أثر.
فقلت بلا حصر أو عجز، بلا تردد وبلا استحياء: إن للدهر في الصخور الصلبة أثرًا بيّنًا (فمرور الزمن يفتتها أو يزيحها).
٣ ـ تخرّمن: اجتزأن، وتخرمن إخوتي: اجتزأن منهم وأخذن. الخطوب: المصائب.
فالأحداث المتتابعة اختطفت من إخوتي، وشيبت شعر رأسي، فالمصائب تُشيب.
٤ ـ أتى دون حلو العيش: أتى من وراء حلو العيش. أمرّه: جعله مرًّا. نكوبٌ: نكبات، مصائب.

=

٥ ـ لَعَمْرِي لَئِنْ كانَتْ أصابَتْ مُصِيبَةٌ أَخِي والمَنايا لِلرِّجالِ شَعُوبُ

٦ ـ لَقَدْ كانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرَوَّحٌ عَلَيْنا وأَمَّا جَهْلُهُ فعَزِيبُ

٧ ـ أخي كانَ يَكفِيني وكانَ يُعِينُني على نائباتِ الدَّهرِ حِينَ تَنُوبُ

٨ ـ [لَقَد عَجَمَتْ مِنِّي المُصِيبةُ ماجِدًا عَرُوفًا لِرَيبِ الدَّهرِ حِينَ يَرِيبُ]

٩ ـ هَوَتْ أُمُّهُ ماذا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ مِنَ الجُودِ والمَعرُوفِ حِينَ يَنوبُ

١٠ ـ جَمُوعُ خِلالِ الخَيْرِ مِن كُلِّ جانِبٍ إذا جاءَ جَيَّاءٌ بِهِنَّ ذَهُوبُ

= كنا في حلو عيش، فتسللت من ورائه مصائب تجر مصائب وراءها فحولت عيشنا الحلو إلى عيش مرّ.

٥ ـ أصابت مصيبة: وقعت مصيبة. المنايا: الموت. للرجال شَعوب: تفرّق الرجال.
إن كانت مصيبة قد نزلت بأخي، والمنايا معروفة بتفريق الرجال.

٦ ـ حلمه: سعة صدره وتسامحه. مروَّح علينا: يعود علينا. جهله: بطشه وطيشه. عزيب: بعيد عنا.
(يتابع الشرط في البيت السابق) فقد كان حلمه وتسامحه يعود علينا فيما كنا بعيدين عن بطشه وطيشه.

٧ ـ كان يكفيني: كان يكفل لي في تأمين ما أحتاجه. نائبات الدهر: مصائبه. تنوب: تصيبني.
كان أخي كفيلي في تأمين حاجاتي، وكان درعي يدفع عني مصائب الدهر، ويعينني على تحملها إذا نزلت بي.

٨ ـ عجمت مني: اختبرتني وصلّبتني. الماجد: السيد الكريم الشريف النسب. عروفًا: صبورًا، متمرسًا. ريب الدهر: صرف الدهر وحوادثه. يَريب: يَقع (المصيبة أو ريب الدهر).
لقد عركتني المصيبة لتختبرني، وهي قد عركت سيدًا كريمًا أصيلًا، متمرسًا بنوائب الدهر، صبورًا عليها حين تقع.

٩ ـ هوت أمُّه: ثكلته أمُّه. وهو دعاء في العادة، وهنا تَفَجُّع. تضمن قبره: احتوى القبر، يقصد أخاه. الجود: الكرم. المعروف: العمل الطيب. ينوب: يحدث ويصيب، يقصد ينوب الناس ضُرٌّ.
ثكلته أمه، ويل أمه! لقد دفنوه في قبر. هل يعرف القبر ماذا احتوى من الكرم والعمل الطيب اللذين كانا يقدّمان للناس حين يمسّهم الضُرّ؟

١٠ ـ الخِلال: الصفات الحسنة. جيّاء: كثير المجيء. وهنا كثير الإتيان (بالفضائل). ذَهوب: من ذهب بالشيء: تفرد به وحده، احتكره.
إذا وُجد من يأتي حاملًا خصال الخير، متفردًا بها وحده من دون الناس، يكون هذا أخي، فهو الجامع لها من كل جانب ومن أي نوع كانت.

١١ ـ مُـفِـيـدٌ مُـلَقًّـى الـقـائِداتِ مَـعَـوَّدٌ ... لِفِعْلِ النَّدَى لـلمُعْـدماتِ كَسُـوبُ

١٢ ـ فَتًى لا يُبالِي أَن يَكُونَ بِجِسْمِهِ ... إذا نـالَ خَـلَّاتِ الـكِـرامِ شُـحُـوبُ

١٣ ـ غنِينـا بِـخَيْـرٍ حِقْبَـةً ثُـمَّ جَلَّحَتْ ... عَـلَيْنـا الـتي كُـلَّ الـرِّجـالِ تُـصِيبُ

١٤ ـ فـأَبْـقَـتْ قَـلِيـلًا ذاهِبًـا وتَـجَـهَّـزَتْ ... لآخَـرَ والـرَّاجِـي الـحَـيـاةَ كَـذُوبُ

١٥ ـ وأَعْـلَمُ أنَّ الـبـاقِـيَ الـحَـيَّ مِـنْـهُـمـا ... إلـى أَجَـلٍ أَقْـصَـى مَـداهُ قَـريـبُ

١٦ ـ فَـلَو كـانَ مَـيْـتٌ يُـفْـتَـدى لَفَـدَيْـتُـهُ ... بِـما لَـمْ تكُـنْ عَنْـهُ النُّفُـوسُ تَطِيبُ

١٧ ـ بِـعَـيْـنَـيَّ أَوْ يُـمْـنَـى يَـدَيَّ وقِـيـلَ لِي ... هُـوَ الـغـانِـمُ الـجَـذْلانُ حِـيـنَ يَـؤُوبُ

---

١١ ـ مُفيدٌ: مؤثر سواه بماله. يقال: أفدتُ المال أي أعطيته غيري. مُلَقًى: كثير التلقي. للمكاره، القائدات من الإبل: التي تتقدم، كنّى بها عن المكاره المسرعة. وملقى القائدات: يجعل من نفسه درعًا يتلقى المكاره عن قومه. فعل الندى: العطاء. للمعدمات كسوب: يقال فلان يكسب المعدوم، إذا كان مجدودًا (محظوظًا) يكسب ما يُحرَمُه غيرُه. فهي كناية عن حسن الحظ. (وعادة ما يقترن حسن الحظ بالعطاء في أقوال العرب. منها: هو أكسبكم للمعدوم، وأعطاكم للمحروم).

١٢ ـ خلّات الكرام: صفات الأشراف الأصيلين.
فتًى لا يهتم بالشحوب والنحول في جسمه (بسبب حرمانه ذاته) إذا كان ذلك يحفظ عليه صفات الكريم الأصيل.

١٣ ـ غنينا بخير: عشنا بِخير. حقبة: فترة. جلّحت علينا: أتت علينا. التي تصيب كل الرجال: المنية، الموت.
لقد عشنا زمنًا بخير إلى أن أتت علينا المنايا التي لا ينجو منها رجل.

١٤ ـ أبقت قليلًا: أبقت على عدد قليل منا (يقصد المنية المشار إليها في البيت السابق). ذاهبًا: لن يطول به المقام. تجهزت: تهيأت. الراجي الحياة: المؤمل في حياة دائمة.
هذه المنية أخذت الكثيرين منا ولم تبق إلا على قليل منا، هو على طريق الذهاب ولن يطول به المقام، فهي تهيأت لعدد آخر. وهذه طبيعة الأمور. فمن يأمل بدوام الحياة يكذب على نفسه.

١٥ ـ الباقي الحي منهما: الذي يبقى حيًا من بين الذين ذهبت بهم، والذين تتهيأ لاختطافهم (والحديث عن المنية). إلى أجل: بقاؤه إلى أجل. أقصى مداه: مهما بَعُد مداه.
وأنا أعلم أن الباقي، بعد الذين اختطفتهم المنية والذين تتهيأ لاختطافهم، سيكون بقاؤهم إلى أجل قريب، مهما بَعُد مداه.

١٦ ـ لو كانت فدية تمنع الموت عن ميْت لفديته بكل عزيز لا تتخلى عنه النفس بطيب خاطر.

١٧ ـ الغانم: الرابح. الجذلان: الفرح، الطرِب. يؤوب: يعود. =

١٨ ـ فـإنْ تَـكُـنِ الأيَّـامُ أَحْـسَـنَّ مَـرَّةً إلـيَّ فَـقَـدْ عـادَتْ لَهُـنَّ ذُنُـوبُ
١٩ ـ كَـثـيـرُ رَمـادِ الـقِـدْرِ رَحْـبٌ فِـنـاؤُهُ إلـى سَـنَـدٍ لَم تَـحـتَـجِـنْـهُ غُـيُـوبُ
٢٠ ـ قَـريـبٌ ثـراهُ لا يَـنـالُ عَـدُوُّه لَه نَـبَـطًـا عـنـدَ الـهَـوانِ قَـطُـوبُ
٢١ ـ لَقَدْ أفْسَدَ المَوْتُ الحَياةَ وقَدْ أتَى عـلى يَـوْمِـهِ عِـلْقٌ إلـيَّ حَـبِـيـبُ
٢٢ ـ حَـلـيـمٌ إذا مـا الـحِـلـمُ زَيَّـنَ أهـلَه مَعَ الحلمِ في عينِ العَدُوِّ مَهِيبُ

= يتابع تفصيل الفداء وشروطه: يفديه بعينيه، أو بيده اليمنى، إذا تأكد له أنه، حين يعود بين الأحياء، سيعود منتصرًا، فرحًا، طربًا.

١٨ ـ يجري هنا حسابًا مع الدهر: أحسن إليه فترة ثم انقلب عليه.
فإذا كان الدهر أحسن إليه مرة، فقد عاد عليه وارتكب تجاهه أخطاء كثيرة. (ذنوب: جمع ذنْب).

١٩ ـ كثير رماد القدر: كثرة الرماد كناية عن كثرة إشعال النار لإنضاج اللحم للأضياف، فهي تعني الضيافة والكرم. الفِناء: الفسحة خلف البيت تربط فيها المطايا. والفِناء الرحب: الفسحة الواسعة وذلك كناية عن كثرة النازلين بالبيت من أضياف وأهل. السَّنَد: ما ارتفع عن الوادي وسفل عن الجبل، وهو مكان بارز للعيان. وتلك كناية عن الكرم والرغبة في اجتلاب الأضياف في حين ينزل البخلاء في المنخفض لكي لا يلفتوا نظرًا إليهم. لم تحتجنه: لم تحتوِهِ؛ والمقصود: لم تُخْفِه. غُيوب: جمع غَيْب، وهو ما اطمأنّ من الأرض، يُغيِّب من يوجد فيه.
إنه عنوان الكرم والضيافة: فرماد قدره كثير، وفناؤه واسع، ومنزله في مكان بارز، ليس من العلو بحيث لا يُطال، ولا في منخفض من الأرض يغيّبه عن الأنظار.

٢٠ ـ قريب ثراه: خيره بمتناول الجميع. النَّبَط: الماء الذي يخرج من قعر البئر إذا حفرت؛ والبئر التي يحتفرها الرجل تغدو حمًى يدافع عنه، فإذا ما امتُهن، فذلك هو الذل؛ لا ينال عدوه له نبطًا: منيع لا يستطيع عدوّ له الوصولَ إلى بئره وأخذ مائها. عند: تدل على حضور الشيء ودنوّه، ويقصد بها هنا الدنوُّ؛ عند الهوان: إذا دنا الهوان، أي اقترب ما يورث الذلَّ والصغار. قطوب: يزوّي ما بين حاجبيه دليل الغضب.
يتابع وصف خصاله فينسب إليه الكرم مرة أخرى، ويضيف إليه الإباء. فخيره في متناول الجميع، وهو في منعة لا يستطيع عدوُّه اقتحام حماه وأخذ ماء بئره، وإذا اقترب ما يورث الذل والصغار كان غاضبًا مقطبًا ما بين حاجبيه.

٢١ ـ أفسد الموت الحياة: أفسد موت أخي عليّ حياتي. أتى على يومه: انقضت أيام حياته. عِلْق: المميَّز النفيس، استعارها لأخيه.
لقد أفسد موتُ أخي عليّ حياتي؛ فهو الإنسان النادر المميز، انقضت أيام حياته.

٢٢ ـ حليم: مسامح، واسع الصدر. مهيب: ذو هيبة، يورث رهبة في نفس من يراه. =

٢٣ ـ [إذا ما تَراءاه الرِّجالُ تَحَفَّظوا فَلم تُنطَقِ العَوْراءُ وهْوَ قَريبُ]

٢٤ ـ أَخِي ما أَخِي لا فاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ ولا وَرَعٌ عِنْدَ اللِّقاءِ هَيُوبُ

٢٥ ـ هُوَ العَسَلُ الماذِيُّ حِلمًا ونائِلًا ولَيْثٌ إذا يَلْقَى العَدُوَّ غَضُوبُ

٢٦ ـ حَليمٌ إذا ما سَوْرَةُ الجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبَى الشَّيْبِ للنَّفْسِ اللَّجُوجِ غَلُوبُ

= إنه دمث قريب إلى القلب، مسامح واسع الصدر حليم والحلم زينة أهله، لكنه، بالمقابل، ذو هيبة تورث عدوَّه رهبة.

٢٣ ـ تراداه الرجال: التقاه الرجال فرأوه ورآهم. تحفّظوا: تصرفوا بحذر. العوراء: كلمة السوء والقباحة.

إذا التقاه الرجال جعلوا على أنفسهم رقابة، فتكلموا بحذر، لهذا لا تقال الكلمةُ القبيحة بقربه.

٢٤ ـ لا فاحش عند بيته: العفة والنقاء شيمته وشيمة من حوله. الوَرَع: الجبان؛ لا ورع عند اللقاء: في المعركة وعند لقاء الفرسان ليس بجبان. هيوب: يهابه الناس.

أخي. وأي أخ هو! إنه قمة العفة؛ فهي شيمته وشيمة من حوله، فلا فعل شَين يُرتكب في بيته، وهو شجاع جريء لا يجبن عند لقاء الفرسان، وهو هيوب، يهابه الناس.

٢٥ ـ العسل الماذي: العسل الخالص، الليّن. نائلًا: عطاء. ليث: جريء كأسد. غضوب: يغضب، أي يهيج، يهاجم عدوه بعنف.

إنه جامع النقيضين في الفضائل العربية فهو عند الحلم والعطاء كالعسل الخالص لِينًا. وهو، عند لقاء العدو أسد غاضب، جريء يهاجم بعنف.

٢٦ ـ سورة الجهل: حدّته وغليانه. والجهل: الطيش والتجبر والكبر. الحُبى: الثوب يُحتبى به وهو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليها. وعملية الاحتباء يمكن أن تكون كناية عن ضبط النفس والسيطرة على نزعاتها، وهي من خصال الرجال الناضجين، بينما الجهل من خصال الشباب. أطلقت حُبى الشيب: تشبيه للثوب يُحتبى به بالشيب يضبط النفس، وإطلاق الحبى هو فكّ للكبت الذي يمارسه تعقل الشيب، وترك الحرية لسورة الجهل أن تسيطر. . النفس اللجوج: نزعات النفس التي لا تهدأ. غلوب: يغلبها.

التركيز في هذا البيت على فضيلة الحلم التي تكرر وصف القتيل بها، وعلى شدة سيطرته على أهوائه في أصعب الظروف.

فإذا ما فقد الرجل الشائب المتعقل سيطرته على نفسه وأُطلقت الحرية لشدة الجهل من طيش وتكبر، ترى أخي الحليم المسامح الهادىء. فهو قادر دائمًا على ضبط نفسه والتغلب على الأهواء التي تلحّ ولا تهدأ.

٢٧ ـ هَوَتْ أُمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غادِيًا ... وماذا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يَؤُوبُ

٢٨ ـ كعالِيَةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ يَكُنْ ... إذا ابْتَدَرَ الخَيْلَ الرِّجالُ يَخِيبُ

٢٩ ـ [حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ ... مِرارًا ويَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ]

٣٠ ـ أَخُو شَتَواتٍ يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ ... سَيَكْثُرُ ما في قِدْرِهِ ويَطِيبُ

٣١ ـ تَرَى عَرَصاتِ الحَيِّ تُمْسِي كأَنَّها ... إذا غابَ لَمْ يَحْلُلْ بِهِنَّ عَرِيبُ

٣٢ ـ إذا حَلَّ لَم يُقصِ المحلَّةَ بَيتَه ... ولكِنَّهُ الأَدْنَى بِحَيثُ تَنوبُ

---

٢٧ ـ هوت أمه: ثكِلت أمُّه. ما يبعث الصبحُ غاديًا: ما يأتي به الصباح. وماذا يؤدي: والذي يؤديه. يؤوب: يعود ويرجع.
عندما ثكلته أمه، ثكلت (فقدت) كل ما كان يأتي من خير مع الغدو في الصباح، وما كان يأتي مع العودة والرجوع في الليل، أي فقدت كل خير في نهار أو ليل.

٢٨ ـ كعالية الرمح: رأس الرمح، ووجه الشبه: حسن الوجه، بريق الشباب وسرعة المضيّ. الرديني: المنسوب إلى ردينة، وكانت تثقف الرماح بهجر. ابتدر الخيلَ الرجالُ: أسرع الرجال إلى الخيل. ويكون ذلك لردّ غارة أو لهجوم. يخيب: لا يصيب هدفه، يخطئه.
كان، إذا أسرع الرجال إلى الخيل للقيام بهجوم أو لدخول معركة، لا يخطىء هدفه قط كأنه رأس رمح رديني.

٢٩ ـ حالف الكرم وتقمصه، إذا دعا الكرم أجابه، وإذا دعاه الكرم لبّى النداء.

٣٠ ـ الشتوات: سنوات الشتاء المجدبة، فإذا امتنع المطر فُقد الماء والعشب فكان قحط ومجاعة. والعرب تحب المدح بالكرم في أيام الشتاء هذه. وأخو شتوات: يرتبط اسمه بسنوات الجدب.
هو معروف بكرمه وضيافته في أيام الشتاء المجدبة لأن الضيف، حين يأتيه، يعلم أن اللحم في قدره سيزداد، وسيُحسن إنضاجه فيطيب.

٣١ ـ عَرَصات: جمع عَرْصة وهي كل فسحة واسعة ليس بها بناء، وسط الدار، أو بين الدور، وهي مُناخ لمطايا الأضياف والزائرين. لم يحلل بهن عَرِيبُ: يقال: ليس في الدار عريب أي ليس فيها أحد.
هو مقصد الأضياف والزوّار، فإذا غاب لا ينزل أحد في عرصات الحي.

٣٢ ـ إذا حل: إذا كان نازلًا في الحي. لم يقص: لم يُبعد. محلّة بيته: مكان إقامته بيته. ينوب: يقصد الضيف وينزل.
حين يكون نازلًا في الحي، لا يختار المكان البعيد لإقامة بيته، وإنما يقيمه في المكان الأقرب، حيث ينزل الضيف حين يقصد الضيافة.

٣٣ ـ حَبِيبٌ إلى الخِلّانِ غِشْيانُ بَيْتِهِ جَمِيلُ المُحَيَّا شَبَّ وهوَ أَدِيبُ
٣٤ ـ يَبِيتُ النَّدَى يا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعَهُ إذا لَمْ يَكُنْ في المُنْقِياتِ حَلُوبُ
٣٥ ـ إذا نَزَلَ الأَضيافُ أَو غِبْتَ عَنهمُ كَفَى ذاكَ وَضَّاحُ الجَبِينِ أَرِيبُ
٣٦ ـ وداعٍ دعا: يا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى فَلَم يَسْتَجِبْهُ عندَ ذاكَ مُجِيبُ
٣٧ ـ فَقلتُ ادْعُ أُخرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ دَعْوَةً لَعَلَّ أَبا المِغْوارِ مِنْكَ قَرِيبُ
٣٨ ـ يُجِبْكَ كَما قَدْ كانَ يَفْعَلُ إنَّهُ بِأَمْثالِها رَحْبُ الذِّراعِ أَرِيبُ
٣٩ ـ كأنَّ أبا المِغْوارِ لَمْ يُوفِ مَرْقَبًا إذا رَبأَ القَوْمَ الغُزاةَ رَقِيبُ

---

٣٣ ـ الخلّان: الأصحاب المقربون. غشيان بيته: دخول بيته، ارتيادُ بيته. وهو أديب: وهو ذو أدب وخُلُق. جميل المحيا: حسن الوجه.
يحب الأصحاب المقربون زيارته في بيته لأنه يلقاهم بوجهه الحسن وبالبشاشة الدالة على حسن أدبه وخلقه، وقد شَبّ على ذلك.
٣٤ ـ يبيت: يقضي الليل. ضجيعه: شريكًا له في فراشه. المُنقيات: النوق السِّمان. حلوب: ناقة مرضع تعطي الحليب.
إذا لم يكن بين نوقه السمان مرضع تُحلَب، فإن هم إكرام الضيف يقضي الليل معه في فراشه وهو كناية عن أرقه وقلقه لتقصيره غير الإرادي في حق الضيف، إذ لم يقدم له حليبًا.
٣٥ ـ نزل الأضياف: حلّوا عندهم. وضاح الجبين: مشرق الجبين، متهلّل. أريب: فهيم، عاقل. أو غبت عنهم: إلى أن غبتَ عنهم.
كان الأضياف، إلى أن غبت عنهم، يكفيهم عندما ينزلون بكم تهلُّل جبينك المُشرق، الذي ينم عن فهم وتعقل.
٣٦ ـ وبعد أن غبت، صار الداعي يصرخ طالبًا من يجيبه إلى فعل الكرم والضيافة، فلا يجد من يستجيبه إلى ندائه.
٣٧ ـ قلت للداعي: ارفع الصوت وادع دعوة أخرى عسى أن يكون أبو المغوار قريبًا منك فيستجيب.
٣٨ ـ كما قد كان يفعل: كما كان ينتظر منه أن يفعل. بأمثالها: بأمثال هذا الفعل. رحب الذراع: طويل الباع في القوة والعطاء. أريب: فهيم، عاقل.
إذا سمعَكَ أبو المغوار سيجيبك كما كان ليفعل في حياته، فهو متمرّس بأعمال كهذا، طويل الباع في القوة والعطاء، عاقل فهيم.
٣٩ ـ لم يوف: لم يتسلق حتى يصل. المرقب: المكان في أعلى تل أو جبل يُتخذ موضعًا للمراقبة؛ والتسلق مهمة شاقة عند البدوي، يفخر بها. ربأ: راقب. =

٤٠ ـ ولَمْ يَدْعُ فِتيانًا كِرامًا لِمَيْسِرٍ إذا اشْتَدَّ مِن رِيحِ الشِّتاءِ هُبوبُ

٤١ ـ فإنِّي لَباكِيهِ وإنِّي لَصادِقٌ عَلَيْهِ وبَعْضُ الباكِياتِ كَذُوبُ

٤٢ ـ فَتًى أَرْيَحِيًّا كانَ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَما اهْتَزَّ مِن ماءِ الحَدِيدِ قَضِيبُ

٤٣ ـ وحَدَّثْتُماني أنَّما المَوْتُ في القُرَى فَكيفَ وهاتا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ

٤٤ ـ وماءُ سَماءٍ كانَ غَيْرَ مُخَمَّرٍ بِبَرِّيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبُ

= ذهب أبو المغوار وتلاشت أعماله، فكأنه لم يكن يتسلق الطرق الوعرة ليصل إلى مركز مراقبة يرصد منه الأعداء الغزاة.

٤٠ ـ الميسر: لعبة قمار خاصة بعرب الجاهلية إذ يقسمون جزورًا (ناقة مذبوحة) ويجعلون لأجزائها سهامًا، كل سهم بقيمة. ويشتري المتياسرون السهام التي يرغبون بحسب قيمتها. ثم يجري سحب على السهام. فمن خرج سهمه ربح. ولم لم يخرج سهمه خسر والخاسرون هم الذين يدفعون ثمن الجزور.
والميسر كان لعبة الشبان الكرام لأن الرابحين لم يكونوا يأخذون نصيبهم، بل يتركونه للفقراء. إذا اشتد هبوب رياح الشتاء: أكثر ما يجري الميسر في الشتاء زمن القحط والقلّة، ليكون في لحم الجزور عون للمحتاجين.

٤١ ـ إني أبكيه وسأظل أبكيه، وأنا صادق في بكائي عليه، ولو أن بعض اللواتي يبكين يتصنّعن الحزن ويكذبن في بكائهن.

٤٢ ـ فتى أَرْيَحيًّا: سريعًا إلى المعروف. يهتز للندى: ينفعل وتأخذه النخوة عند العطاء. من ماء الحديد قضيب: قضيب من ماء الحديد، لعله يقصد قضيب من الحديد المسقيّ وهو الفولاذ، فاهتزازه سريع وعنيف.
كان فتًى سريعًا إلى المعروف ينشط للعطاء وتأخذه به نشوة يهتز لها كما يهتز القضيب من الفولاذ.

٤٣ ـ الموت في القرى: الموت في البيئات السكنية الثابتة حيث تكتظ الأنفاس ويكون التلوث، فالمرض. هضبة: مرتفع من الأرض. قليب: بئر منفردة في مكان بعيد.
قلتما لي إن جو القرى هو المؤدي إلى المرض فإلى الموت، فكيف يموت هنا بين هضبة وبئر منفردين في مكان بعيد؟

٤٤ ـ ماء سماء: ماء المطر المتساقط مباشرة من السماء. المخمَّر: المستور المغطى. والماء الواقع في الأماكن المظللة أكثر تعرضًا للفساد. البرية: الفلاة الواسعة غير المزروعة. تجري عليه جنوب: تمر فوقه. وريح الجنوب هي عادة الريح الممطرة.
يتابع وصف المكان الصحي الذي قُتل فيه أخوه، فيتحدث عن غدير، ماؤه يتجمع من تساقط الأمطار، في مكان غير مظلل، معرّض لأشعة الشمس وللَمَسات ريح الجنوب إذ تمرّ فوقه.

٤٥ ـ [ومَـنـزِلَـةٌ فـي دارِ صِـدْقٍ وغِـبْـطَـةٍ   وما اقـتـالَ مِنْ حُكمِ عَلَيَّ طَبِيبُ]

٤٦ ـ لِيَبْكِكَ داعٍ لَمْ يَجِدْ مَن يُعِينُهُ   وطاوِي الحَشا نائِي المَزارِ غَرِيبُ

٤٧ ـ تَـرَوَّحَ تَـزْهـاهُ صَـبًـا مُـسْـتَـطِـيـفَـةٌ   بِـكُـلِّ ذَرًا والـمُـسْـتَـرادُ جَـدِيـبُ

٢٦ ـ كل حَيٍّ ذاهبٌ فمودِّعُ

سُعدى بنتَ الشَّمَرْدَل الجَهْنية

أولاً: الإطار

هي مرثية أخرى في الأخ. فأسعد بن مجدعة قتلته بُهز فطفقت أخته سُعدى ترثيه.

لقد روّعتها الحوادث وأبكتها المنون، واستبدّ بها الجزع، مع أنَّها تعلمت أن كل هذا لا ينفع، وأن الحياة مستمرة وأن الآخرين يسيرون على درب الأولين، والموت في نهاية الطريق، والفراق يبدد التَجمعات.

---

٤٥ ـ منزلة: منزل، إقامة. دار صدق وغبطة: دار أصالة يرفرف عليها الفرح. ما اقتال عليّ: ما تحكّم بي. من حكم: بأمرٍ أو برأي.
وكان نزولنا في دار أصالة ومسرّات، لم يصبنا مرض فنخضع لتحكم طبيب في رأي أو أمر.

٤٦ ـ داعٍ: مظلوم أو مُعتدى عليه يطلب النجدة. طاوي الحشا: الذي برّح به الجوع. ناعي المَزار: بلاده بعيدة، فهو عابر سبيل.
سيبكيك من يحتاج إليك ولن يجد بديلًا عنك: المظلوم أو المعتدى عليه يستصرخ طالبًا النجدة، (وكنت أنت من يلبّي)، والجائع، عابر السبيل القادم من بلاد بعيدة، وقد برّح به الجوع (وكنت أنت من يستضيفه).

٤٧ ـ تروّح: سار. تزهاه: تستحثه. صبًا: ريح تهب من الشرق قد تكون لطيفة منعشة، لكنها في الشتاء، مثلًا، باردة. مستطيفة بكل ذرا: مارة بالمرتفعات، ملتفّة عليها، وهذه يعطيها البرودة. والمستراد: المكان المطلوب لإرواء العطش، مكان الورود. جديب: جاف قاحل.
في المساء عادة تعود الإبل إلى حظائرها من الموارد وقد ارتوت، أما هذا العابر فإنه ظل يسير تستحثه تلفحه ريح صبًا بردها مرورها بكل ذروة جبل. لكن عطشه لن يرتوي، فالمورد جفّ بعد موت أبي المغوار.

ولا بد في المرثية من تعداد صفات الراحل، ويكون ذلك بذكر من يفتقده ويشقى لغيابه: أنهم الفتية الجياع فقدوا الزاد.

ومن صفاته حماية الحمى وصون الإبل، والجرأة على القفار، يعتني بأصحابه حتى أبعد واحد فيهم، ويلبي دعوة المكروب، ويشارك في الميسر بأكبر قِدح، يسبق إذا ركب الخيل، ويهدي الجماعة في مسير الليل، ويقاتل ببطولة.

إن قتلتْه بهزٌ فقد حققت بذلك مجدًا... وتكرّر وصف أسعد بالاستضافة وإطعام الجائعين، والجرأة في اجتياز الممرات الصعبة، في وقت الليل الصعب، أنى لها أن تنساه، وأن ترتاح من الأرق والهمّ بعده!

ثانيًا: القصيدة

وقالت سُعْدَى بنتُ الشَّمَرْدَلِ الجُهنِيَّة، [ترثي أَخاها، قَتَلتْهُ بهزٌ من بني سُلَيم بن منصور]: [من الكامل]

١ ـ أَمِنَ الحَوادِثِ والمَنُونِ أُرَوَّعُ ... وأَبِيتُ لَيْلِي كُلَّه لا أَهْجَعُ

٢ ـ وأَبِيتُ مُخْلِيَةٌ أُبَكِّي أَسْعَدًا ... ولِمثلِه تَبْكِي العُيونُ وتَهْمَعُ

٣ ـ وتَبَيَّنُ العَيْنُ الطَّلِيحَةُ أَنَّها ... تَبكِي من الجَزَعِ الدَّخِيلِ وتدْمَعُ

٤ ـ ولَقَد بَدا لِي قَبْلُ فِيما قَد مَضَى ... وعَلِمتُ ذاكَ لَوَ انَّ عِلْمًا يَنْفَعُ

---

١ ـ الحوادث: أحداث الدهر، مصائبه. المنون: الموت. أُرَوَّع: أحسّ بالهلع. لا أهجع: لا أنام.
تتساءل عن سبب أرقها وجفاء النوم عينيها. هل هو الموت ومصائب الدهر؟

٢ ـ أبيت: أقضي الليل. مخلية: وحيدة. تهمع: تسيل دموعها.
وهل الموت والمصائب هي التي تجعلني أقضي ليلي وحيدة أبكي أسعدًا؟ إنه لجدير بالبكاء عليه، ولمثله خلق البكاء وسيلان دموع العين.

٣ ـ الطليحة: المجهدة، الكليلة. تبيّن: تتبيّن. الجزع: الخوف، اللهفة. الدخيل: الداخلي، الكائن في النفس.
ويتبين للعين المجهدة من البكاء والسهر أن بكاءها هو من خوف وهلع في داخل النفس (على حياة سريعة الانقضاء).

٤ ـ في الزمن الماضي، وقبل أن يجري ما جرى، ظهر لي، وعلمت، ولكن ماذا ينفع العلم في هذا المجال؟

٥ ـ أَنَّ الحَوادِثَ والمَنُونَ كليهما لا يُعْتِبانِ ولَو بَكَى من يَجْزَعُ
٦ ـ ولَقَد علمتُ بأَنَّ كُلَّ مُؤَخَّرٍ يَوْمًا سَبِيلَ الأَوَّلين سَيَتْبَعُ
٧ ـ ولَقَد علمتُ لَوَ انَّ علمًا نافِعٌ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ ذاهبٌ فَمُوَدَّعُ
٨ ـ أَفَلَيْسَ فيمن قَد مَضَى لِيَ عِبْرَةٌ هَلَكُوا وقَد أيقنتُ أَنْ لَنْ يَرْجعُوا
٩ ـ وَيْلُ مِّ قَتْلَى بِالرِّصافِ لَوَ انَّهم بَلَغُوا الرَّجاءَ لِقومهم أو مُتِّعُوا
١٠ ـ كَم مِن جَميعِ الشَّمْلِ مُلْتئِمِ الهَوَى كانُوا كَذلكَ قبلَهم فَتَصَدَّعُوا
١١ ـ فَلتَبْكِ أَسْعَدَ فِتيةٌ بِسَباسِبِ أَقْوَوْا وأَصبحَ زادُهم يُتَمزَّعُ

---

٥ ـ لا يُعتِبان: لا يعودان عن الإساءة ولا يصلحان أخطاءهما.
الذي ظهر لي وعلمته هو أن مصائب الدهر والموت، لا يعودان عن إساءتهما ولا يحاولان إصلاح خطئهما ولو بكى من خاف وهلع.

٦ ـ المؤخَّر: الذي يأتي في الزمن الأخير. سبيل الأولين: طريق السابقين.
والذي علمته أن كل من أتى في الزمن الأخير سيسير على الدرب التي سلكها السابقون الأولون.

٧ ـ والذي علمته، وليت العلم ينفع، أنه لا حيّ باق مخلد، كل مخلوق حي سوف يودّع يومًا ما ويذهب بلا رجوع.

٨ ـ لماذا أجزع إذن؟ ألا أعتبر بتاريخ الماضين؟ ألا أرى أنهم هلكوا وأنهم لن يعودوا ثانية؟ إنها سنة الطبيعة.

٩ ـ ويلُ مِّ: ويل أم، وهي لفظ استهجان لا لفظ دعاء. الرِّصاف: اسم مكان. بلغوا الرجاء لقومهم: حققوا ما كان قومهم يرجونه منهم. مُتّعوا: تمتعوا بالحياة، والإشارة واضحة إلى كونهم في شرخ الشباب ومقتبل العمر.
لله قتلى بالرّصاف، في مقتبل العمر! ليتهم حققوا ما كان قومهم يرجونه منهم، أو ليتهم تمتعوا بالحياة!

١٠ ـ جميع الشمل: شمل مجموع؛ جماعة متلاحمة. ملتئم الهوى: أهواء أفراده متوافقة، متماسكة. تصدعوا: تفككت لحمتهم وتهدم تماسكهم.
كم من جماعة قبلهم، كانت متلاحمة الرغبات، متقاربة الأهواء، ثم أصابها التصدّع فتفككت.

١١ ـ لتبك: لسوف تبكي. السباسب: الصحارى الرملية الواسعة. أَقْوَوْا: أقفرت دارهم، نفد منها الزاد. يُتمزَّع: يُتقاسم.
لسوف تبكي أسعد فتية تهيم في الصحارى الواسعة المقفرة، نفد منها الزاد، والقليل الباقي منه يوزع بينهم توزيع القلة.

١٢ ـ جادَ ابنُ مَجْدَعَةَ الكَمِيُّ بِنفسِه ولَقَد يَرَى أَنَّ المَكَرَّ لأَشْنَعُ

١٣ ـ وَيْلُمِّهِ رجلًا يُليذُ بِظَهْرِهِ إِبِلًا، ونَسَّالُ الفَيافِي أَرْوَعُ

١٤ ـ يَرِدُ المِياهَ حَضِيرَةً ونَفيضَةً وِرْدَ القَطاةِ إذا اسْمَأَلَّ التُّبَّعُ

١٥ ـ وبِهِ إلى أُخرَى الصِّحابِ تلَفُّتٌ وبِهِ إلى المكرُوبِ جَرْيٌ زَعزَعُ

١٦ ـ ويُكَبِّرُ القِدْحَ العَنودَ ويَعْتَلِي بِأُلَى الصِّحابِ إذا أَصاتَ الوَعْوَعُ

---

١٢ ـ جاد بنفسه: استُشهد. ابن مجدعة: هو أسعد المقتول، الكمي: الفارس الشديد الشكيمة، الكامل التسليح. المكر: مكان الكر، وهو أرض المعركة. أشنع: أفظع، أو أكثر جدية.
إن ابن مجدعة الفارس ضحى بنفسه لكنه كان يعرف أن أرض المعركة أكثر جدية وأشد فظاعة.

١٣ ـ وَيْلُمّه رجلًا: يا له من رجل!. يُليذ بظهره: يجعل خلفه بمكان حماية. نسّال: كثير النَّسْل، والنسل: المشي السريع؛ وسرعة السير في الصحاري أمر شاق ومحمود، وموضوع مدح أو فخر. الفيافي: الصحاري الواسعة. أروع: رجل كريم، ذو جسم وجهارة وفضل وسؤدد.
يا له رجلًا كريمًا ذا جسم وجهارة وفضل وسؤدد، يحمي الإبل فيمنعها، يجتاز بها الصحاري في مشي شديد سَريع.

١٤ ـ يرد المياه: يأتي إلى الماء بالإبل. حضيرة: جماعة من عشرة فما دون. نفيضة: طليعة، من يسبق الجماعة ليستكشف الطريق أو موقعًا. القطاة: طائر معروف، قريب من الحمام البري، سمي كذلك لثقل مشيه؛ وقطا في مشيته: قارب الخطو؛ ورد القطا: كما ترد القطا في خطوها المتقارب ومشيها الثقيل. ذلك مشية الحذِر. اسْمألّ: قصُر. التُّبَّع: الظل.
يرد بالإبل الماء ضمن جماعة من الرجال، أو يكون طليعتهم فيأتي مستكشفًا، يسير سير القطاة بخطى ثقيلة وخطو متقارب حذر، والوقت منتصف النهار حيث يتقاصر الظل. (وهو أسوأ وقت للتسلل لأن الرؤيا تكون أوضح ما تكون. وذلك، إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على الجرأة والاعتداد بالقوة).

١٥ ـ أخرى الصحاب: آخر الأصحاب، الأصحاب الأبعدون، أو الأقل شأنًا يسيرون آخر الناس. تلفّت: نظرة عناية، تفقُّد. المكروب: من أصابه الضُرّ والضيق. جري: إسراع. زعزع: شديد النشاط.
يتمتع بأحلى مزايا القائد، فهو يهتم حتى بأقل الجماعة قيمة وأبعدهم عنه، وهو يلبي دعوة من أصابه الضر أو وقع في ضيق فيسرع إليه في جري حثيث غاية في النشاط.

١٦ ـ القدح: السهم من سهام الميسر، وهي سهام لا سنان لها ولا ريش، لكل منها اسم، ولكل=

١٧ ـ سَبَّـاقُ عـادِيَـةٍ وهـادِي سُـرْيَـةٍ ومُـقـاتِـلٌ بَـطَـلٌ وَداعٍ مِـسْـقَـعُ

١٨ ـ ذَهـبَـتْ بِـه بَـهْـزٌ فـأصبـح جَـدُّهـا يَـعْلو وأَصبـحَ جـدُّ قَـوْمِـي يَـخْشَـعُ

١٩ ـ أَجَـعَـلـتَ أَسْـعَـدَ لـلرِّمـاحِ دَرِيـئَةً هِـبِـلَتْـكَ أُمُّـكَ أَيَّ جَـرْدٍ تَـرقَـعُ

٢٠ ـ يـا مُـطْعـمَ الـرَّكْـبِ الـجـيـاعِ إذا هُـمُ حثُّوا المَطِيَّ إلى العُلَى وتَسَرَّعُوا

= منها، إذا خرج، نصيب، وبعضها لا نصيب له. القدح العنود: القدح الذي يكثر من الخروج، الذي يخرج فائزًا على غير جهة سائر الأقداح. ويكبّر القدح: يكبّر الرهان عليه، ليزداد المكسب في حال الفوز، فتزداد فائدة المحتاجين لأن الربح ذاهب إليهم. يعتلي: يعتلي صهوة خيله. أُلى الصحاب: أولى الصحاب وهم أوائل الأصحاب وأقربهم إليه، وأهمهم في الجماعة. يسيرون في المقدمة، وهو، معهم، يسرجون الخيل ويعتلون صهوتها عند الحاجة. أصات: رفع الصوت. الوعوع: الضعيف، الجبان. وهو يصرخ من هلعه عند الملمة، فيما يهرع الفرسان إلى جيادهم وسلاحهم.

١٧ ـ سباق: كثير السبق. العادية: الخيل الجارية. الهادي: الذي يدل على الطريق. السُّرْية: الجماعة تسير ليلًا. داع: الذي يخاطب الآخرين داعيًا إلى فكرة أو مبدأ أو موقف. مسقع: بليغ مؤثّر.
إذا جرت الخيل وتسابق الفرسان، كان السبّاق؛ وإذا سار مع الجماعة ليلًا كان هاديها يدلها على الطريق الصحيح؛ وإذا وقعت معركة كان المقاتل البطل؛ وهو فصيح بليغ، إذا خطب الناس ودعاهم كان مؤثّرًا.

١٨ ـ بهز: هي القبيلة التي قتلت أسعد. جدُّها: حظها والتوفيق. يخشع: يخضع، يذل، يُنكس.
أودت به قبيلة بهز، فارتفع نجم حظها ارتفاع قيمة المقتول، في حين أن حظ جماعتنا راح يضعف ويتناقص.

١٩ ـ دريئة: ترسًا يردّ الضربات. هبلتك أمك: دعاء عليه بأن تفقده والدته ويموت. الجرد: الثوب الخلق، البالي لا ينفع فيه الرقع.
الخطاب لشخص مجهول قد يكون مرافقًا للقتيل: هل جعلت من أسعد ترسًا يستقطب الضربات؛ وما تستطيعه اليد الواحدة أمام جماعة كبيرة؟ إن الثوب لبالٍ، والرقعة لا تنفع فيه.

٢٠ ـ الركب: راكبو الإبل. حثوا المطي: جعلوا مراكبهم من الإبل تسرع. إلى العُلى: إلى عمل مجيد. تسرّعوا: بادروا إلى المسير بسرعة فلم يتزودوا.
إذا ركبت الجماعة إبلها على عجل، فلم تستطع استحضار الزاد، وجعلت إبلها تزيد سرعتها، في سبيل عمل مجيد، فأنت تطعم هؤلاء إذا جاعوا.

٢١ ـ وتَجاهدُوا سَيرًا فَبعضُ مَطيِّهِمْ حَسْرَى مُخلَّفَةٌ وبعضٌ ظُلَّعُ

٢٢ ـ جَوَّابُ أَودِيَةٍ بِغيرِ صَحابَةٍ كَشَّافُ داوِيِّ الظَّلامِ مُشَيَّعُ

٢٣ ـ هذا على إِثْرِ الذي هو قَبْلَه وهيَ المَنايا والسَّبيلُ المَهْيَعُ

٢٤ ـ هذا اليقينُ فَكيفَ أَنْسَى فَقْدهُ إِنْ رابَ دهرٌ أو نَبا بيَ مَضْجَعُ

٢٥ ـ إِنْ تَأتِهِ بعدَ الهُدُوِّ لِحاجةٍ تَدعُو يُجِبْكَ لَها نَجِيبٌ أَرْوَعُ

---

٢١ ـ تجاهدوا سيرًا: تنافسوا في بذل الجهد في مسيرهم. حسرى: عيية لا يمكنها متابعة السير. مخلّفة: تخلّف (تترك) وراء الجماعة، لتموت على الطريق. ظُلَّع: في مشيها عرج مما يصيب أخفافها.

هؤلاء الجماعة الذين ركبوا على عجل وساروا طالبين المجد، وتنافسوا في بذل الجهد لمسيرهم، باتت إبلهم تشتكي: بعضها أعيا فسقط فخلفوه على الطريق لمصيره، وبعضها أصيبت منه الأخفاف فغدا يعرج في مشيه. (إنها الصورة المجسدة للإعياء).

٢٢ ـ الجواب: الكثير التنقل والاجتياز. بغير صحابة: منفردًا. الداويّ: جمع الداويّة، وهي الفلاة؛ وداوي الظلام: فلوات الظلام، الظلام الممتد كالصحارى. المشيَّع: الذي يتبعه آخرون. (المقصود في البيت «وهو مشيَّع»).

إذا كان وحيدًا فهو يتنقل بين الأودية ويجتازها جريئًا غير هيّاب، وإذا كان خلفه أصحابه كان القائد لهم في صحارى الظلمة يكشف لهم الطريق.

٢٣ ـ هذا: هذا الذاهب. على إثر الذين قبله: يذهب وراء الذين سبقوه. المنايا: الموت. السبيل المهيع: الطريق البيّنة الواضحة.

هذا الذاهب يسير على الدرب الذي سار عليه السابقون، إنه طريق بيّن واضح: إنه الموت.

٢٤ ـ هذا اليقين: هذا الأمر الذي لا شك فيه. راب دهر: جاء بنوائبه وأحداثه. نبا بي مضجع: لم أستطع الرقاد.

إن الموت حق ويقين، إنما هل أستطيع أن أنسى أخي عند الشدائد، إذا ما نزلت بنا نوائب الدهر أو حلّت بي هموم أقلقتني وسلبت الرقاد من عينيّ؟

٢٥ ـ بعد الهدوّ: بعد الهدوء، انقضاء أول الليل وخلود الناس إلى النوم. حاجة تدعو: ضرورة ملحّة. يجبك: يستجيب لك. النجيب: الكريم ذو الحسب يخرج خروج أهله في الكرم. الأروع: الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤدد، هي النفس، ذكي.

إذا جئته بعد انقضاء أول الليل والناس نيام، تسأله حاجة ملحة، لم ينقم عليك إزعاجه بل يستجيب دعوتك استجابة رجل كريم من سلالة آباء ذوي كرم، ويلبيك بكل ما هو عليه من=

٢٦ ـ مُتَحَلِّبُ الكَفَّيْنِ أَمْيثُ بارِعٌ   أَنِفٌ طُوالُ السّاعدَيْنِ سَمَيْدَعُ

٢٧ ـ سَمْحٌ إذا ما الشَّوْلُ حارَدَ رِسْلُها   واسْتَروَحَ المَرَقَ النّساءُ الجُوَّعُ

٢٨ ـ مِن بَعْدِ أَسْعَدَ إذْ فُجِعْتُ بِيومِه   والمَوتُ مِمّا قد يَرِيبُ ويَفْجَعُ

٢٩ ـ فَوَدِدْتُ لَو قُبِلَتْ بِأَسْعَدَ فِدْيَةٌ   مِمّا يَضنّ بِه المُصابُ المُوجَعُ

٣٠ ـ غادَرْتَه يَومَ الرِّصافِ مُجَدَّلًا   خَبَرٌ لعمرُكَ يَومَ ذلك أَشْنَعُ

= قوة وفضل ونفس حيّة.

٢٦ ـ متحلّب الكفّين: يسيل العطاء من كفيه كما يسيل الحليب من الضرع. أميث: دمث، سهل. بارع: ماهر. أنف: أبيّ يترفع عن الفاحشة ويرفض الظلم. طُوال الساعدين: كناية عن طوله وعن قدرته الحربية لأن طول الساعد في ضرب السيف له قدرة أكبر في الوصول إلى الخصم. السميدع: الشجاع.

في هذا البيت تكرار لمجموعة من صفات المثالية العربية للرجل: إنه كريم، يعطي في يسر وسهولة كما يعطي الضرع الحليب، دمث، أبيّ، بارع في الحرب، شجاع، قادر على الغلبة لطول ساعديه.

٢٧ ـ سمْح: جواد، معطاء. الشَّول: النوق التي خَفّ لبنُها ويكون ذلك زمن الجدب. رسلها: لبنها. حارد رسلها: تعثّر تدفق لبنها. استروح: تتبع الرائحة. المَرَق: ماء اللحم المطبوخ في القدر.

إنه جواد معطاء في أيام الجدب والقحط حين يصعب العطاء، ويقل اللبن في ضروع النوق ويتعثر تدفقه عند الحلب؛ ويبلغ الجوع بالنساء أن يتنسمن رائحة اللحم المطبوخ (عسى أن يتجهن إليه ويسعدن بالنيل منه).

٢٨ ـ من بعد أسعد لن تجد النساء رائحة اللحم ولن يتذوقن المَرَق. ولقد فُجعت بموته، ولطالما فَجَع الموتُ. وأحدث النوائب.

٢٩ ـ يضَنّ به: يبخل به.

وتمنيت لو قبلت عنه فدية لفديته ولو كانت مما يبخل به عادة من يُصاب ويوجعه مصابه.

٣٠ ـ الرصاف: الموضع الذي قُتل فيه. مُجدَّلًا: طريحًا على الأرض... لعمرُك: وحياتك. الأشنع: الأكثر بشاعة.

تركته طريحًا على الأرض صريعًا، يوم معركة الرِّصاف، وكان ذلك الخبرَ الأكثر بشاعة.

٢٧ ـ أمرتهُمُ أمري بمُنعَرَجِ اللِّوى
دريد بن الصِّمَّة(١)

أولاً: الإطار

غزا عبد الله بن الصمّة غطفان ومعه بنو جُشم وبنو نصر أبناء معاوية، فظفر بهم وساق أموالهم، وسميت هذه الغزوة يوم اللوى. ولما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا، فقال له أخوه دريد: نشدتُك الله ألا تنزِل فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها، فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعه، فيأكل ويطعم ويقسم البقية بين أصحابه. فبينما هم كذلك، وقد سطعت الدواخن، إذا بغبار قد ارتفع، وإذا عبس وفزارة وأشجع قد أقبلت.

فتلاحقوا بالمنعرَج من رُميلة اللوى. فقُتل عبد الله بن الصمّة، وجُرح دُريد فسقط فكفوا عنه؛ وهم يرون أنه قُتل، واستنقذوا المال، ونجا من هرب، أما دريد فإنه جرح وتظاهر بالموت فكتبت له الحياة، والحياة الطويلة(٢). وفي رثاء أخيه عبد الله قال هذه القصيدة. ولم ينس الإشارة إلى نجاته وإلى بعد نظره حين نصح بعدم التوقف وأن الثمن رُفع غاليًا لمخالفة رأيه.

وبعد إغداق صفات الجرأة والقوة والكرم والضيافة والتمتع بالعيش في عمر الشباب ثم بالرزانة بعد ذلك. ويتوقف أخيرًا أمام شخصه هو.

---

(١) هو دريد بن معاوية الأصغر (الصمة) بن الحارث بن معاوية الأكبر... من خزاعة بن غزية، ويصل النسب إلى بكر بن هوازن.
ودريد فارس شجاع، شاعر فحل، جعله ابن سلّام أول شعراء الفرسان.
وقد كان أطول الشعراء الفرسان غزوًا وأبعدَهم أثرًا، وأكثرهم ظفَرًا وأيمنهم نقيبة عند العرب... كان ميمون النقيبة. غزا نحو مائة غزوة ما أخفق في واحدة منها. أدرك الإسلام فلم يُسلم. (الأغاني ١٠/٣) وكان دريد من المعمّرين، ويقال إنه عاش ما يقارب مائتي عام.

(٢) الأغاني ١٠/٥.

ثانيًا: القصيدة

قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة، [يرثي أخاه عبدَ الله]: [من الطويل]

١ ـ أَرَثَّ جَديدُ الحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعبَدِ ... بِعاقِبَةٍ وأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ

٢ ـ وبانَتْ ولَمْ أُحْمِدْ إلَيْكَ جِوارَها ... ولَمْ تَرْجُ فِينا رِدَّةَ اليَوْمِ أَوْ غَدِ

٣ ـ [مِنَ الخَفِراتِ لا سَقُوطًا خِمارُها ... إذا بَرَزَتْ ولا خَرُوجَ المُقَيَّدِ]

٤ ـ [وكُلَّ تَبارِيحِ المُحِبِّ لَقِيتُهُ ... سِوَى أَنَّنِي لَمْ أَلْقَ حَتْفي بِمَرْصَدِ]

---

١ ـ رثّ: صار رثًا أي باليًا. الحبل: كناية عن الصلة والرابطة. الجديد: كناية عن القوة والمتانة. أم معبد: زوجة دريد. طلّقها لأنها رأته شديد الجزَع على أخيه وعاتبته على ذلك مصغّرة شأن القتيل، ثم سبّته. أخلفت كل موعد: لم تف بوعد من وعودها. بعاقبة: في النهاية (نهاية الأمر).
هل صلتُنا القوية المتينة بأم معبد تحولت رثة بالية في نهاية الأمر، فلم تف بأي من مواعدها؟

٢ ـ بانت: من البين وهو البعد والفراق. الجوار: القُرب. أُحمِد جوارها: يصبح قربُها محمودًا عندي. ردة: رجوعًا؛ لم ترج فينا ردة: لم تأمل العودة إلينا.
فارقتنا أم معبد وابتعدت عنا وأنا لما أحس بقربها المحمود مني. وهي لم تعط الأمل بالعودة إلينا لا اليوم ولا غدًا.

٣ ـ الخفرات: شديدات الحياء من النساء. خمارها: قناعها، ستار وجهها، والخمار السقوط أو إسقاط الخمار كناية عن الابتذال عند المرأة إذ تتظاهر بأنه يسقط وأنها تلتقطه، لتكشف خلال لحظات عن وجهها لفتًا للنظر، وفتنة للرجال. والمرأة العفيفة لا تفعل ذلك. برزت: خرجت من بيتها. المقيّد: موضع الخلخال من رجل المرأة. والخروج: الذي يُكشف عنه ويظهر، وهي محاولة أخرى للإغراء بإظهار الخلخال من تحت الثوب، والمرأة الحيية تتحاشى ذلك.
إنها من النساء الحييّات العفيفات، لا تفتعل حركات الإغراء ولفت نظر الرجال عند خروجها من بيتها، كالتظاهر بسقوط الخمار والتقاطه، وإبراز الرجل ذات الخلخال من تحت الثوب الطويل.

٤ ـ التباريح: الشدائد، والآلام من معاناتها. لم ألق حتفي: لم أمت. مرصد: موضع الرصد والترقب، ولعله يشير إلى كمين.
لقد عانيت من الحب شدائده وبجميع آلام معاناته، لكنني لم ألق الموت في الكمين. (قد تكون إشارة إلى بقائه حيًا بعد سقوطه في معركة اللوى واعتقاد أعدائه بأنهم قتلوه).

٥ ـ [وأنّي لَمْ أَهْلِكْ خُفاتًا ولَم أَمُتْ خُفاتًا وكُلّا ظَنَّهُ بِيَ عُوَّدِي]

٦ ـ [كأنَّ حُمولَ الحيِّ إذْ تَلَعَ الضُّحى بِناصِفَةِ الشَّجْناءِ عُصْبَةُ مِذْوَدِ]

٧ ـ [أَوِ الأَثْأَبُ العُمُّ المحَزَّمُ سُوقُهُ بكابَةَ لَم يُخْبَطْ ولَم يَتَعَضَّدِ]

٨ ـ أعاذِلَ إنَّ الرُّزْءَ في مِثْلِ خالِدٍ ولا رُزْءَ فيما أَهْلَكَ المَرْءُ عن يَدِ

٩ ـ وقُلتُ لِعَرَّاضٍ وأَصْحابِ عارِضٍ وَرَهطِ بَنِي السَّوداءِ والقَومُ شُهَّدِي

١٠ ـ عَلانِيَةً: ظُنُّوا بألْفَيْ مُدَجَّجٍ سَراتُهُمُ في الفارِسِيِّ المُسَرَّدِ

---

٥ ـ الخفات: الاغتيال، الموت المباغت. لم أهلك: لم يُقض عليّ. وكلًا ظنّه: وكلا الأمرين ظنه الزائرون الذين أتوا يتفقدونني.
يؤكد استقصاءه على الموت، فهو لم يقض عليه اغتيالًا، ولم يمت موتًا مفاجئًا، كما ظن زائروه الذين جاؤوا يتفقدونه بعد إصابته.

٦ ـ حمول الحي: الإبل المحملة للرحيل. تلع الضحى: ارتفع الضحى وهو أول النهار. الناصفة: موضع يتسع من الوادي. ولا تكون ناصفة إلا ولها شجر. الشجناء: اسم موضع. العصبة: العصابة، الجماعة ما بين النشرة والأربعين. المِذود: قرن الثور استعمله مجازًا للثور. عصبة مذود: جماعة من ثيران الوحش.
عندما طلع الصبح وارتفع النهار، بدت الإبل بأحمالها في رحبة الوادي، كقطيع من ثيران الوحش.

٧ ـ الأثأب: شجر ضخم يشبه شجر التين يستظل تحتها العديد من الناس. عُمّ: جمع عميمة وهي الطويلة. حزم الشجر: عصبه، وهو أن يُضم ما تفرق من أغصان الشجرة بحبل، ثم تُخبط ليسقط ورقها. كابة: اسم مكان. لم يُخبط: جُمع ولم يُخبط، فلا يزال محتفظًا بورقه. لم يتعضّد: لم يُقطع.
يعود إلى تشبيه الإبل المحملة حمولتها العالية فيرى أنها تشبه شجر الأثأب الضخم، العالي، إذا حزم ما تفرق من سوقه، فلم يخبط ولم يقطع، فغدا عظيمًا ضخمًا من فوق، مجموعًا من تحت. (لذلك الإبل على قوائمها الضعيفة بأحمالها الضخمة).

٨ ـ أعاذل: يا عاذلة، والعاذلة غالبًا ما تكون المرأة، وغالبًا ما يكون عذلها الرجل بسبب إتلافه المال في العطاء والضيافة. الرزء: المصيبة. خالد: هو أخ ثان لدريد، وقُتل هو أيضًا. أهلك: أنفق وأتلف. عن يد: مما يملك.
يخاطب زوجته التي تلومه على إنفاق المال في العطاء ويقول. ليس فيما يتلفه المرء مما تملكه يده أية مصيبة، إنماء المصيبة الحقيقية في فقد رجل مثل أخي خالد.

٩ ـ عَرّاض وعارض وبنو السوداء: أقوام من بني جشم، جماعة دريد. القوم شهّدي: القوم يرونني ويسمعونني، يشهدون على ما قلت.

١٠ ـ علانية: قلت جهرًا. ظُنّوا: توقّعوا. مدجج: فارس مكتمل السلاح. سراتهم: أشرافهم، =

١١ ـ [فَمـا فَـتِـئُوا حـتَّـى رَأَوْهـا مُـغِـيـرةً كرِجْلِ الدَّبَى في كُلِّ رَبْعٍ وفَدْفَدِ]

١٢ ـ [وقُـلـتُ لَهُـمْ: إنَّ الأحـالِيـفَ هـذه مُـطَـنِّـبـةٌ بَـيـنَ الـسِّـتـارِ وثَـهْـمَـدِ]

١٣ ـ [ولَمَّـا رأيْـتُ الـخَـيـلَ قُبْلًا كـأنَّـهـا جَرادٌ تَبارَى وجهةَ الرِّيحِ مُغْتَدِي]

١٤ ـ أَمَـرتُـهُـمُ أَمْـرِي بِـمُـنْـعَـرَجِ الـلِّوَى فَلَم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلَّا ضُحَى الغَدِ

١٥ ـ فَلمَّا عَصَوْنِي كُنتُ مِنهُمْ وقَدْ أَرَى غَـوايَـتَـهُـمْ وأنَّـنـي غَـيـرُ مُـهْـتَـدِ

١٦ ـ ومـا أَنـا إلَّا مِـنْ غَـزِيَّـةَ إنْ غَـوَتْ غَـوَيْـتُ وإنْ تَـرْشَـدْ غَـزِيَّـةُ أَرْشَـدِ

١٧ ـ [دعـانـي أخي والـخيلُ بَيْنِي وبَينَهُ فـلـمَّـا دَعـانِـي لَمْ يَجِـدْنِي بِقُـعْـدُدِ]

= قادتهم، الفارسي: الدرع المصنوعة في بلاد فارس. المسرّد: المتماسك الحلقات.
إن ما قلته كان جهرًا وهو: توقّعوا ألفين من الفرسان المكتملي العدة، يلبس قادتهم الدروع المحكمة الحلقات، المصنوعة في فارس.

١١ ـ فما فتئوا: فلم يلبثوا. مغيرة: هاجمة عليهم. رجل الدّبى: السرب الكبير من الجراد. الربع: المنازل المأهولة. الفدفد: الفلاة والصحراء.
لم يلبثوا طويلًا حتى رأوهم يهجمون عليهم بأعدادهم الهائلة تغطي الديار والفلوات كأسراب الجراد.

١٢ ـ الأحاليف: القبائل المتحالفة. مطنّبة: شدت أطناب خيامها أي خيّمت. الستار وثهمد: موضعان.

١٣ ـ قُبلًا: مقبلة. تبارى: تتدافع. وجهة الريح: في اتجاه الريح. مغتدي: في الصباح.
لما رأيت الخيل مقبلة كأنها جراد يتدافع في اتجاه الريح، عند الصباح.

١٤ ـ منعرج اللوى: حيث ينعطف الرمل ويتعرج. الرشد: الرأي السديد.
حين تبيّنت الحظر الهائل المحدق بالقوم أمرتهم ألا ينزلوا في منعرج اللوى وأن يغذوا السير حتى لا يُدرَكوا.

١٥ ـ كنت منهم: وافقتهم في موقفهم. غوايتهم: ضلالهم وبعدهم عن الهداية. غير مهتدٍ: لست في الطريق الصحيح.
فلما عصوني ولم يستمعوا إلى نصحي بقيت معهم وأنا أرى ضلالهم وأنني لست في ذلك على الطريق الصحيح. (إنما الهدف كان موافقة الفرد للجماعة).

١٦ ـ غزية: قبيلة الشاعر الأم. غوت: ضلّت. ترشد: تكون على صواب.
هذا البيت يلخص فلسفة العصبية القبلية وقوامها ذوبان الفرد في الجماعة، وحماية الجماعة للفرد بصرف النظر عن الصواب والخطأ في المواقف. يقول: ما أنا إلا فرد من غزية تابع لها كليًا، إن كانت على صواب كنت كذلك وإن كانت على ضلال، فأنا مثلها على ضلال.

١٧ ـ والخيل بيني وبينه: وهو محاصر بفرسان الأعداء. قعدد: متقاعس. جبان. =

١٨ ـ [أخي أرضَعَتْني أُمُّهُ بِلِبانِها بِثَدْيِ صَفَاءٍ بَينَنا لَم يُجَدَّدِ]

١٩ ـ غَداةَ دَعاني والرِّماحُ يَنُشْنَهُ كَوَقْعِ الصَّياصِي في النَّسِيجِ المُمَدَّدِ

٢٠ ـ وكُنْتُ كَذاتِ البَوِّ رِيعَتْ فأَقْبَلَتْ إلى جِذَمٍ مِن مَسْكِ سَقْبٍ مُجَلَّدِ

٢١ ـ فَطاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وحَتَّى عَلانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِ

٢٢ ـ طِعانَ امْرِئٍ آسَى أخاهُ بِنَفْسِهِ وأَعْلَمُ أنَّ المَرْءَ غَيرُ مُخَلَّدِ

٢٣ ـ وهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّما هُوَ فارِطٌ أَمامي وأَنِّي وارِدُ اليَوم أَوْ غَدِ

٢٤ ـ تَنادُوا فَقالُوا: أَرْدَتِ الخَيْلُ فارِسًا فَقُلْتُ: أَعَبْدَ اللهِ ذلِكُمُ الرَّدِي

= استنجد بي أخي عندما حاصرته خيل الأعداء، فلبيته على الفور لأنني لست جبانًا متقاعسًا.

١٨ ـ لم يجدد: لم يقطع. وثدي صفاء: كنى به عن رابطة خالصة صافية، إنه أخي وقد رضعنا معًا من ثدي واحد فأقام بيننا رابطة خالصة وهي مستمرة لا يمكن قطعها.

١٩ ـ ينشنه: ينلن منه، يجرحنه. الصياصي: القرون. النسيج الممدد: القماش المشدود.
بيته يوم استنجد بي والرماح تنال منه وتمزق جسده كما تمزق القرون قماشًا مشدودًا.

٢٠ ـ ذات البو: الناقة المرضع، يذبح صغيرها ويسلخ جلده ثم يحشى ويقرب منه لتشمه فتحن عليه فتستمر في إدرار الحليب. ريعَت: استثيرت وأُخيفت على فقد ولدها. جِذَم: قِطع. مسك: جلد. السقب: ولد الناقة. مجلّد: مسلوخ ومحشي.
كنت في لهفتي عليه واندفاعي لنجدته كالناقة المرضع أُخذ منها صغيرها فهلعت وثارت ثم اتجهت بكل عاطفتها إلى جلد مسلوخ. مقطع ومحشي، تدرّ له لبنها.

٢١ ـ طاعنت الخيل: طاعنت الفرسان على الخيل. تبددت: تفرقت. علاني: غطاني. حالك اللون أسود: الدم، إذا تجمد وتخثر لطول تعرضه للهواء مال لونه إلى السواد. وهو كناية عن الوقت الطويل الذي استغرقته المعركة.
رحت أطعن الفرسان حوله حتى فرقتهم فيما غطاني دمهم الذي حال إلى السواد لشدة ما طالت المعركة.

٢٢ ـ آسى: ساوى. غير مخلّد: ميّت لا محالة.
كان دفاعي عنه دفاع امرىء ساوى بين أخيه وبين نفسه في المصير وأنا على قناعة بأن الموت يدرك كل الناس، وما من شخص يخلد إلى الأبد.

٢٣ ـ هوّن وجدي: خفّف لوعتي. الفارط: الذي يتقدم القوم يكتشف لهم الطريق، فيتبعونه إلى المورد. وارد: قادم إلى المورد.
إن ما خفّف لوعتي، عند مصرع أخي، قناعتي بأنه الدليل المستكشف يتقدم إلى المورد، وأنني سأتبعه اليوم أو غدًا. (فلن يطول فراقنا).

٢٤ ـ أردت: أوقعت ميتًا. الرّدي: الذي أصابه الردى أي الموت. تنادوا: نادى بعضهم بعضًا، =

٢٥ ـ وإنْ يَكُ عَبْدُ اللهِ خَلَّى مَكانَهُ | فَما كانَ وَقَّافًا ولا طائِشَ اليَدِ
٢٦ ـ ولا بَرَمًا إذا الرِّياحُ تَناوَحَتْ | بِرُطْبِ العِضاهِ والضَّرِيعِ المُعَضَّدِ
٢٧ ـ ويُخْرِجُ مِنهُ صَرَّةُ القَوْمِ مَصْدَقًا | وطُولُ السُّرَى دُرِّيَّ عَضْبٍ مُهَنَّدِ
٢٨ ـ كَمِيشُ الإزارِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ | صَبُورٌ عَلَى العَزَّاءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ

= لأن سقوط فارس مهم يغير في سير المعركة فترتفع الأصوات عند الأعداء مبشرة بذلك. فعندما سمعت نداءاتهم بسقوط فارس تساءلت: هل عبد الله هو الفارس القتيل؟ (كأن إحساسًا عنده داخليًا يدله).

٢٥ ـ وقّاف: يقف مترددًا هيّابًا. طائش اليد: طائش ضربات اليد، أي يضرب فلا يصيب.
إذا كان عبد الله قد أصيب فما ذلك لأنه جبان، هيّاب، متردد، وما ذلك لأنه يضرب فتطيش ضرباته ولا تصيب.

٢٦ ـ البَرَم: البخيل لا يشارك في الميسر، والميسر هو مراهنة على أجزاء من الجزور أي الناقة تُذبح ويراهن على أجزائها، إنما الرابح لا يأخذ نصيبه بل يتركه للفقراء. وأكثر ما يُستَحب أيام الشتاء والقحط. تناوحت الرياح: تعالت أصواتها من كل اتجاه عندما تتخلل الأشجار. العضاه: شجر شوكي عظيم. الضريع: نبت شوكي المعضّد: الذي نُثر ورقهُ لإطعام الإبل. وذلك كله كناية عن الشتاء البارد.
إنه كريم، ليس ممن يبخل فلا يدخل الميسر أيام الشتاء حين تتصادم الرياح من مختلف الاتجاهات وتُسمع أصواتها تتخلل شجر العضاه الضخم ونبات الضريع الذي نُثرت أوراقه لتقتات بها الإبل.

٢٧ ـ صَرَّة القوم: صراخهم ونداءاتهم. المصدق: (ذو) مصدق، أي صادق الحملة، يقال ذلك للفارس الشجاع المقدام (كأنه يصدق فيما يُنتَظَر منه). طول السُّرى: كثرة السفر ليلًا، وهو من المشقات التي يفخر العربي بتجشمها. دُرّيَّ: أي يُخرج منه طُول السرى دُرّيَّ عضب. العضب هو السيف، والدريّ هو المتلألىء والمشرق كالكوكب. المهند: السيف القاطع من صناعة الهند؛ وهذا الإشراق والتلألؤ كناية عن إشراق الوجه وتهلّله عند المساعدة.
إذا صرخ القوم ونادوه لنجدتهم سيجد نداؤهم فارسًا شجاعًا مقدامًا صادق الحملة، ووجهًا مشرقًا متهلّلًا للمساعدة ولو اقتضاه ذلك تحمل مشقات السير الطويل ليلًا.

٢٨ ـ كميش الإزار: مشمّر ثوبه، والعربي يفعل ذلك عند العمل الجدي كالقتال أو صعود المرتفعات. خارج نصف ساقه: يشمر ثوبه إلى نصف ساقه. العَزّاء: الشدة. طلّاع: كثير الطلوع أي التسلق. الأنجد: جمع النجد وهو الأرض المرتفعة الغليظة.
هو في غاية النشاط والسعي الدائم لتحقيق الأهداف السامية، لذلك فإنه دائم التشمير لثوبه حتى نصف ساقه. وهو في غاية الجلد يصبر على الشدائد، ويتحمل مشقات الطلوع الكثير إلى الأماكن المرتفعة الغليظة.

٢٩ ـ صَبُورٌ على رُزْءِ المصائِبِ حافِظٌ ... مِنَ اليَومِ أَدْبارَ الأَحادِيثِ في غَدِ
٣٠ ـ صَبا ما صَبا حتّى عَلا الشَّيْبُ رَأْسَهُ ... فلمَّا علاهُ قالَ للباطِلِ: ابْعُدِ
٣١ ـ [إذا هَبَطَ الأرضَ الفَضاءَ تَزَيَّنَتْ ... لِرُؤْيَتِهِ كالمَأْتَمِ المُتَبدِّدِ]
٣٢ ـ رَئيسُ حُروبٍ لا يَزالُ رَبِيئَةٌ ... مُشِيحًا على مُحْقَوْقِفِ الصُّلْبِ مُلْبِدِ
٣٣ ـ وغارَةِ بَينَ اليَومِ واللَّيْلِ فَلْتَةٍ ... تَدارَكْتُها رَكْضًا بِسِيدٍ عَمَرَّدِ
٣٤ ـ سَليمِ الشَّظا عَبْلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسا ... طَويلِ القَرا نَهْدٍ أَسِيلِ المُقَلَّدِ

---

٢٩ ـ صبور على رزء المصائب: يتحمل ما تأتي به المصائب بصبر لأن الملمات عركته. أدبار الأحايث: ما يُعلّق به على الأحداث والمواقف.
هو متمرس بالمصائب صابر على ما تأتي به من آلام، وهو واعٍ في تصرفاته يحسب اليوم حساب التعليقات التي يأتي بها الغد على ما يقوم به.
٣٠ ـ صبا ما صبا: جهل كثيرًا وتمتّع بشبابه. الباطل: الغيّ والجهل.
تمتع ما قَدّر له أن يتمتع بشبابه إلى أن غطى الشيب رأسه، حينذاك قال للغواية: إليك عني. بعدًا لك.
٣١ ـ المأتم: النساء اجتمعن لحزن أو لفرح. وقصد هنا الفرح. المتبدد: المنتشر. واختار منظر النساء في الفرح وقد انتشرن بملابسهن المختلفة الألوان.
إنه مصدر خير تتمنى الجماعات نزوله فيها، حتى الأرض الفضاء المقفرة، إذا نزل فيها تزينت فرحًا به بأزهار مختلفة الألوان، كأنها نساء اجتمعن لفرح وتوزّعن فيه بملابسهن الملونة.
٣٢ ـ رئيس حروب: قائد جماعاته في حروب. ربيئة: طليعة يتقدم الجماعة ليكتشف الطريق ويحدد مواقع الأعداء. مشيحًا: حذرًا. محقوقف الصلب: محدودب الظهر (يقصد الفرس). مُلْبِد: تلبد الروث والبول على جانبي فخذيه من ضرب ذنبه، وتلك كناية عن طول مدة امتطائه في الأسفار أو الحروب وبُعْدِ عهده بالحظائر حيث العناية والنظافة.
٣٣ ـ غارة ما بين اليوم والليل: يقصد غارة في آخر النهار عند اقتراب الليل. الفلتة: آخر ساعة من آخر يوم من جمادى الآخرة، وما لم تغب الشمس، وإن طلع هلال رجب. وهذه الساعة يختارها العرب ليغزوا فيها. تداركتها: التحقت بها. سيد: ذئب واستعاره للفرس تشبيهًا لسرعته بسرعة الذئب. العمرد: الطويل.
ورُبّ غارة تتم ساعة الفلتة في آخر يوم من جمادى الآخرة، أدركتها والتحقت بها بفضل ركض جواد، طويل، كالذئب في سرعته.
٣٤ ـ الشظا: عظم يكون في باطن الرسغ، لاصق بالذراع. وسلامته مهمة لأن إصابته تسبب الظَّلَع، أو العرج. عبل الشوى: غليظ القوائم. شنج النسا: منقبض عرق النسا، وهذا=

٣٥ ـ [يَفُوتُ طَويلَ القَومِ عَقْدُ عِذارِهِ مُنِيفٌ كجِذْعِ النَّخْلةِ المُتَجَرِّدِ]

٣٦ ـ وكُنْتُ كأنِّي واثِقٌ بِمُصَدَّرٍ يُمَشِّي بِأكْنافِ الجُبيبِ فَمَحْتِدِ

٣٧ ـ [لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ واحِدًا وإنْ يَلْقَ مَثْنَى القَوْمِ يَفْرَحْ ويَزْدَدِ]

٣٨ ـ وهَوَّنَ وَجْدِي أنَّنِي لَمْ أقُلْ لَهُ: كَذَبْتَ ولَمْ أبْخَلْ بِما مَلَكَتْ يَدِي

٣٩ ـ وإنْ تُعْقِبِ الأيّامُ والدَّهْرُ تَعْلَمُوا بَنِي قارِبٍ أنّا غِضابٌ بِمَعْبَدِ

= العرق يخرج من الورك، فيستبطن الفخذ ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. وانقباض هذا العرق محمود. القرا: الظهر. نهد: عالي الصهوة. المقلَّد: مكان القلادة من العنق. الأسيل: الأملس، الطويل.

يتابع وصف فرسه الذئب، فهو قوي متين لأن شظاه سليم، وقوائمه غليظة، وعرق النسا عنده منقبض يساعد على متانة الخطو، عالي الصهوة، طويل الظهر، طويل العنق، أملسه.

٣٥ ـ العذار: من اللجام ما كان على خد الفرس؛ يفوت طويلَ القوم: كناية عن ارتفاع رأسه نتيجة لعلو صهوته وطول عنقه. منيف: عال، مشرف.

إن ارتفاعه وطول عنقه يجعلان رأسه عاليًا حتى ليتجاوز مفصل عذاره أطول الرجال. إنه مشرف كجذع النخلة المعرى من السّعف.

٣٦ ـ واثق: ممسك. مصدَّر: عظيم الصدر وهو نعت للفرس والأسد والذئب. والمقصود به هنا هو الأسد على سبيل التشبيه. يمشّي: يمشي. حفايا: جوانب. جُبيب: اسم واد. محتد: اسم موضع.

كنت أحس أنني ممسك بأسد عظيم الصدر يمشي في جوانب وادي جبيب حتى موضع محتد.

٣٧ ـ واحدًا: متفردًا، فردًا. مثنى القوم: اثنين منهم. له كل: (يخضع) له كل.

إذا لقي فردًا من القوم انجرد له، وإذا ما لقي اثنين معًا فرح وتنامى فرحه. (عودة إلى ذكر الأخ المقتول).

٣٨ ـ هوّن وجدي: خفف هلعي وحزني. لم أقل له كذبت: لم أواجهه. ولم أتحدّه. لم أبخل: لم أبخل عليه.

لقد خفف من حزني أنني كنت له نعم الأخ في حياته، لم أقصّر بحقه: لم أتحده قط فأقولَ له: كذبت، ولم أبخل عليه قط بما كان عندي.

٣٩ ـ إن تُعقب الأيام: إن امتدت بنا الأيام. بني قارب: يا بني قارب وهم قوم القاتل. غضاب بمعبد: ثائرون موتورون بمعبد، ومعبد هو أحد ألقاب عبد الله.

إن طالت بنا الأيام وتلاقينا من جديد سوف تعلمون يا بني قارب كيف نغضب لمقتل معبد.

٢٨ ـ قتلتُ بعبدِ اللهِ خيرَ لِداتِهِ
دريد بن الصمة

أولاً: الإطار

أغار دريد بن الصمة، بعد مقتل أخيه عبد الله، على غطفان يطالبهم بدمه، فاستقراهم (تتبّعهم) حيًا حيًا، وقتل من بني عبس ساعدةَ بن مرّ، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، أسره مُرّةُ بن عوف الجُشميّ. فقالت بنو جُشم: لو فاديناه! فأبى ذلك دريد عليهم، وقتله بأخيه عبد الله (وكان قاتل عبد الله من بني قارب من عبس)، وقتل من بني فَزارة رجلًا يقال له حِزام وإخوة له، وأصاب جماعة من بني مُرّة ومن بني ثَعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان، وذلك في يوم الغدير. في هذا اليوم وفي من قُتل فيه منهم يقول[1]:

ثانيًا: القصيدة

وقال: [من الطويل]

١ ـ يـا راكِـبًـا إمّـا عَـرَضْـتَ فَـبَـلِّـغَـنْ	أَبـا غـالـبٍ أنْ قَـدْ ثَـأَرْنـا بِـغـالِـبِ
٢ ـ وأَبْـلِغْ نُـمَـيْـرًا إنْ مَـرَرْتَ بِـدارهـا	عـلى نَـأْيِـهـا فـأَيَّ مَـولًـى وطـالِـبِ
٣ ـ قَـتَـلْـتُ بـعـبـدِ اللهِ خَـيْـرَ لِداتِـهِ	ذؤابَ بـنَ أَسـمـاءَ بـنِ زَيـدِ بـنِ قـارِبِ

(١) الأغاني، ١٠/١١.

١ ـ يا راكبًا: يا أيها الذي يمتطي ناقته مسافرًا. إما: إذا ما. عرضت: بلغت العُروض: وهي منطقة تشمل مكة والمدينة وما حولهما. بلِّغَنّ: خبِّر. غالب: لعله أحد أسماء عبد الله المتعددة. ثأرنا بغالب: أخذنا بثأره.
يا أيها المسافر، إذا أتيت العروض فأخبر أبا غالب أنا أخذنا بثأر غالب.

٢ ـ أبلغ نميرًا: أي أبلغها بأنا ثأرنا لعبد الله. على نأيها: على بُعدها. فأيَّ مولًى: وأبلغ أي مولًى لنا، والمولى هو ابن العم، وهو التابع بالولاء. طالب: طالب ثأر.
كذلك أبلغ نميرًا في ديارها البعيدة، وأبلغ كل مولًى لنا وكل من يشارك في طلب الثأر لعبد الله، بأنا قد ثأرنا له.

٣ ـ لداته: أترابه ممن هم في سنه.
إذا كان القتيل مهمًا وعزيزًا لا يشفي غليل صاحب الثأر أن يقتل القاتل أو أي شخص من=

٤ ـ [وعَبْسًا قَتَلْناهُمْ بِحُرِّ بلادِهِمْ   بِمَقْتَلِ عبد الله يَومَ الذَّنائبِ]
٥ ـ [جَعَلْنَ بَنِي بَدْرٍ وشَمْخًا ومازنًا   لَنا غَرَضًا يَزْحَمْنَهُمْ بِالمناكِبِ]
٦ ـ فلليَوْمِ سُمِّيتُمْ فَزارةُ فاصبِرُوا   لِوَقْعِ القَنا تَنْزُون نَزْوَ الجَنادِبِ
٧ ـ تَكُرُّ عَلَيهم رِجْلَتِي وفوارِسِي   وأُكْرِهُ فِيهم صَعْدَتي غَيرَ ناكِبِ
٨ ـ فإن تُدْبِرُوا يَأْخُذْنَكُمْ في ظُهورِكُمْ   وإن تُقْبلوا يَأْخُذْنَكُمْ في التَّرائِبِ
٩ ـ وإنْ تُسْهِلُوا للخَيلِ تُسْهِلْ عَليكُمُ   بِطَعْنٍ كإيزاغِ المَخاضِ الضَّوارِبِ

= عائلته، وإنما يتوجه إلى أهم شخص في العائلة ليقتله ويفخر بذلك. وهنا نجد دريد بن الصمة يعلي من شأن ذؤيب ليغدو جديرًا بأن ينال الثأر منه. وهو، في قصيدة أخرى يفصل في ميزانه واصفًا إياه بأنه «خير شباب الناس لو ضُمّ أجمعا» وبأنه «فتى مثل متن السيف يهتز للندى».

٤ ـ حرّ بلادهم: في صميم ديارهم. الذنائب: اسم مكان جرى فيه قتل عبد الله.
وتتبعنا عبسًا إلى وسط ديارهم نمعن فيهم قتلًا انتقامًا لمقتل عبد الله في معركة الذنائب.

٥ ـ بدر وشمخ ومازن، بطون من فزارة بن ذبيان بن بغيض. جعلن: الضمير يعود إلى الخيل (على الأرجح). غرضًا: هدفًا يُنال. يزحمنهم بالمناكب: تدوس ديارهم وتصدمهم بأجسادها، أي تكون وسطهم.
جعلنا بطون فزارة هدفًا لنا، أدركتهم خيلنا وتوسطت ديارهم وأخذت تصدمهم بمناكبها.

٦ ـ لِليومِ سُمّيتم: هذا اليوم على اسمكم، هذا يومكم، الدور دوركم اليوم. فزارةُ: يا فزارة وفزارة بطن من ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وقع القنا: طعن الرماح. تنزون: تثبون. الجنادب: نوع من الجراد يصرّ.
هذا اليوم لكم يا بني فزارة فاصبروا، إن استطعتم، على طعن رماحنا التي ستجعلكم تثبون وثب الجنادب.

٧ ـ تكُرّ عليهم: تهجم. رجلتي: المُشاةُ من محاربينا. فوارسي: الراكبون الخيل. أكره فيهم: أَزُجّ فيهم، أدخل فيهم بقوة. صعدتي: رمحي. ناكب: عادل، منثن، متراجع.
تهاجمهم فوارسنا والراجلون من مقاتلينا، وأزج في أجسادهم رمحي، مصممًا، غيرَ متراجع ولا منثنٍ، ولا مخطىء في الإصابة.

٨ ـ تدبروا: تفروا وتعطونا أدباركم، أي ظهوركم. تقبلوا: تتقدموا نحونا وتعطونا صدوركم. الترائب: النحور. جمع التريبة، وهي موضع القلادة من العنق.
رماحنا مصممة لا تخطئكم، فإن هربتم كان وقعها في ظهوركم، وإن أقبلتم في اتجاهنا كان وقعها في ترائبكم.

٩ ـ تُسهلوا: تنزلوا السهل. تسهل عليكم: تهاجمكم في السهل. الإيزاغ: هو أن تقذف الناقة ببولها وتضربه بذنبها، فيتطاير رشاشُه. بالرشاش المتطاير شبّه الدم المتطاير من طعن=

١٠ ـ إذا أَحزَنُوا تَغْشَى الجبالَ رِجالُنا كما استَوفزَتْ فُدرُ الوُعُولِ القَراهِبِ

١١ ـ ومُرَّةَ قَد أَخْرَجْنَهم فتَرَكْنَهُمْ يرُوغونَ بِالصَّلعاءِ رَوْغَ الثَّعالبِ

١٢ ـ وأَشْجعَ قَد أَدْرَكنَهم فتَركنَهُمْ يَخافُونَ خَطفَ الطَّيرِ من كُلِّ جانِبِ

١٣ ـ وثَعلَبَةَ الخُنثَى تَرَكْنا شَرِيدَهم تَعِلَّةَ لاهٍ في البِلادِ ولاعِبِ

١٤ ـ ولَولا جَنانُ اللَّيلِ أَدْرَكَ رَكْضُنا بِذِي الرِّمثِ والأَرطَى عِياضَ بنَ ناشِبِ

= الرماح. المخاض: النوق الحوامل. الضوارب: التي ضربها الفحل فلقحت.
إن نزلتم السهل تتابعكم رماحنا إلى السهل تطعنكم طعنًا يتطاير له رشاش من دمائكم كرشاش بول النوق الحوامل والملقَّحة حين تضربه بذنبها.

١٠ ـ أحزنوا: ارتقوا المرتفعات الصلبة. تغشى: تغطي. استوفزت: عجّلت وأسرعت. فُدْر الوعول: الوعول الشابة الفتية. (والوعل من حيوان الجبال يعتاد أرضها ويسرع عليها حيث تعجز عن ذلك حيوانات السهول).
إذا تسلقوا المرتفعات الغليظة كنا خلفهم وغطينا الجبال بسرعة الوعول الشابة، القوية، الضخمة.

١١ ـ مُرّة: هم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض، من غطفان. أخرجنهم: أخرجنهم من ديارهم هاربين. والنون للخيل أو للرماح. يروغون: يذهبون في اتجاه ثم يغيّرونه إلى آخر، كناية عن الهلع والاضطراب. الصلعاء: موقع بين حاجر والنقرة، وهو من أرض بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان.
وأخرجت رماحنا بني مرة من ديارهم هاربين، يروحون ويرجعون في أرض الصلعاء كما يروغ ثعلب يحاول تضليل الصياد.

١٢ ـ أشجع: بنو أشجع بن الريث بن غطفان. أدركنهم: وصلت إليهم رماحنا. الخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة؛ وخطف الطير: الموت يأتيهم منا بسرعة كأن الطير تختطفهم.
وأدركت رماحنا بني أشجع فغدوا في ذعر وهلع ينتظرون الموت يأتيهم منا سريعًا كأن الطير تختطفهم.

١٣ ـ الخنثى: الذي لا يخلُص لذكر ولا أنثى. وهو، عند الرجال، للّيونة والميوعة، وهو ضد الرجولة والقوة. وثعلبة: بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض من غطفان. تعلّة لاهٍ ولاعب: وسيلة سلوى لمن يريد اللهو واللعب.
وبنو ثعلبة المخنثون تركناهم سيدهم مشردًا في الأرض يتسلى به من يبحث عن موضوع لهو ولعب.

١٤ ـ جنان الليل: ستر الليل (جنّ وأجنّ: سَتَر). الرمث: مرعى الإبل من الحمضيات. وذو الرمث اسم واد لبني أسد. الأرطى: من أشجار البادية. والأرطى: موضع ماء. عياض بن=

١٥ ـ فَليتَ قُبورًا بِالمَخاضَةِ أَخْبَرَتْ فَتُخْبِرَ عَنَّا الخُضْرَ خُضْرَ مُحارِبِ

١٦ ـ رَدَسْناهُمُ بِالخَيلِ حتَّى تَمَلأَتْ عَوافِي الضِّباعِ والذِّئابِ السَّواغِبِ

١٧ ـ ذَرِينِي أُطَوِّفْ في البِلادِ لَعَلَّنِي أُلاقِي بِإِثْرٍ ثُلَّةً مِن مُحارِبِ

١٨ ـ [تَمنَّيتَنِي زيدَ بنَ سَهلٍ سَفاهَةً وأنتَ امرؤٌ لا تَحتَويكَ مَقانِبُ]

١٩ ـ وأَنْتَ امرؤٌ جَعْدُ القَفا مُتَعَكِّسٌ مِن الأَقِطِ الحَوْلِي شَبْعانُ كانِبُ

= ناشب: هو أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، من غطفان. وكان دريد قد أسره ثم أنعم عليه وأطلقه. وطالبه بعد ذلك بثوابه (مكافأته على إنعامه عليه) فأرسل إلى دريد وعاءً نصفه لبن ونصفه بول. فغضب دريد وأغار على بني ثعلبة واستاق إبلَ عياض وأفلت عياض منه جريحًا.

يشير بالاسم هنا إلى المشرد المذكور في البيت السابق وهو عياض بن ناشب الذي كادت ملاحقتهم له أن توقعه في قبضتهم، في ذي الرِّمث والأرطى، لو لم يأت الليل ويستره بسواده.

١٥ ـ المخاضة، موضع في ديار بني ذبيان. خضر محارب: هم بنو الخضر بن خلف بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان سُمّوا الخضر لخضرة ألوانهم. والخضرة عند الجاهليين تعني السُّمرة المقاربة للسواد. وكان لدريد وجماعته من جشم يومٌ على محارب في موضع الخَربة.

لو كانت القبور في المخاضة تتكلم لأخبرت عنا بني الخضر من محارب.

١٦ ـ ردسناهم بالخيل: دسناهم بحوافر خيلنا. تملأت: امتلأت بطونها وشبعت. العوافي: العافية وهي من تطلب المعروف. السواغب: الجائعة.

دسناهم بحوافر خيلنا حتى امتلأت بطون الضباع التي تسعى إلىٰ الرزق، وشبعت الذئاب الجائعة.

١٧ ـ ذريني: اتركيني. أطوّف في البلاد: أتنقل من بلد إلى آخر. إثر: اسم موضع. ثلة: جماعة من الناس. فحارب: قبيله محارب.

اتركيني (والخطاب للعاذلة) أتنقل في البلاد علني أصل إلى موضع إثر وألقى فيه جماعة من بني محارب.

١٨ ـ تمنيتني: تمنيت القضاء عليّ. زيدَ بن سهل: يا زيد بن سهل. وزيد بن سهل هذا من بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان. سفاهة: طيش وجهل وخفة لا تحتويك المقانب: لا تضمك الجيوش إليها.

تمنيتَ النيل مني يا زيد بن سهل، وهذا طيش منك وجهل وقلة عقل. فأنت امرؤ ضعيف لا تضمك الجيوش إلى صفوفها.

١٩ ـ جعد القفا: متثني غضون القفا، وهي إشارة إلى إطالة الجلوس والراحة. متعكّس: هو=

٢٩ ـ أحمي أُناسي أن يُباحَ حريمُهم
عبد الله بن جِنْح النُّكريّ(١)

أولاً: الإطار

مقطوعة أخرى تلخص المثالية الفخرية العربية وفيها: الأنفة ورفض الضيم عن طريق الحفاظ على الحمى، والتمسك بالعصبية كدرع للفرد داخل جماعة وللجماعة من مجموع أفرادها، وكالحفاظ على الجار، وكالقوة التي تداني التجبر والظلم، إذ يأخذون بثاراتهم ولو في أقصى الأرض، ولا أحد ينال ثأرًا منهم.

ثانيًا: المقطوعة

وقال عبدُ الله بن جِنْحِ النُّكْرِيّ، [نُكْرَة بن لُكَيز بن أَفصَى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. قال الأصمعيّ: أنشدنيها خلفٌ الأحمر]: [من الكامل]

١ ـ زَعَمَ الغَوانِي أَنْ أَرَدْنَ صَرِيمَتِي	أَنْ قَدْ كَبِرْتُ وأَدْبَرَتْ حاجاتِي
٢ ـ وضَحِكْنَ مِنِّي سَاعَةً وسأَلْنَنِي	مُذْ كَم كَذا سَنَةً أَخَذْتُ قَناتِي
٣ ـ ما شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ ولَكِنِّي امرُؤٌ	أَغْشَى الحُرُوبَ وما تَشِيبُ لِداتِي

= الجعد القفا. شبعان من الأقط الحولي: شبعان من اللبن السنوي اليابس، (لعله يشير إلى نوع من اللبنة تجفف وتحفظ فتدوم عامًا لذا سماه الحولي). الكانب: المتخم.
كيف تحارب وأنت امرؤ اعتاد الراحة فتهدلت ثنيات قفاه، تشبع من أكل اللبن اليابس حتى التخمة. (العربي يفخر بأكل اللحم وشرب حليب الإبل الفوري).

(١) ينتمي إلى نكرة بن لُكَيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي. . . أسد بن ربيعة بن نزار.

١ ـ صريمتي: هجري والانصراف عني. والغواني: النساء الجميلات. أدبرت: تراجعت وذهبت. حاجاتي: متطلبات جسدي.
ادعت الغواني أنني كبرت وضعفت وولّت رغباتي، وأنهن قد صممن على تركي وهجري.

٢ ـ مذ كم كذا سنةً: كم سنة مضت عليّ. أخذت قناتي: حملت رمحي.
ضحكن مني (وكأنه كان لا يزال يطمع بوصلهن) وسألنني: كم سنة مضت عليّ مذ حملت رمحي آخر مرة؟ (وعن هذا السؤال يأتي الجواب في البيت التالي).

٣ ـ ما شبت من كبر: الشيب هنا لا يعني بياض الشعر وإنما الضعف والعجز. يقول: لم=

٤ ـ أَحْمِي أُناسِي أَنْ يُباحَ حَرِيمُهُمْ وهُمُ كَذاكَ إذا عُنِيتُ حُماتِي

٥ ـ مِنْ مَعْشَرٍ يَأبَى الهَوانَ أَخُوهُمُ شُمُّ الأُنُوفِ جَحاجِحٍ ساداتِ

٦ ـ عَزُّوا وعَزَّ بِعِزِّهِم مَنْ جاوَرُوا وهُمُ الذُّرَى وغَلاصِمُ الهاماتِ

٧ ـ إنْ يَطْلُبُوا بِجَرِيرَةٍ يَنْأَوْنَها أَوْ يُطْلَبُوا لا يُدرَكُوا بِتِراتِ

= يصبني الضعف والعجز بسبب كبر السن. ولكني: وعلى العكس فإني. . . أغشى الحروب: أؤمها، أدخل فيها. لِداتي: جمع لِدة: وتعني الأتراب في سن مماثلة. وهنا يعني أمثالي.

لم يصبني العجز والضعف بسبب الكبر، إنما أنا، على العكس، لا زلت أدخل في الحروب، فأمثالي لا يشيبون (لا يعجزون ولا يضعفون).

٤ ـ أحمي أناسي: أحمي أهلي وجماعتي. يُباح: يُعرّض لسطو الآخرين. حريمهم: ما تبعهم وانتمى إليهم فحرُم بحرمتهم من مرافق وحقوق، وما دخل في دارهم مما يُغلق عليه بابها، كحريم الدار. من هنا إطلاق كلمة «الحريم» على نساء الرجل من أم وزوجة وأخوات؛ ويُباح حريمهم: يُنتَهك حماهم أو تؤخذ نساؤهم.

أحمي جماعتي من أن يتعرض حريمهم لسطو الآخرين وانتهاكهم، وإذا كنت أنا المعني وتعرضت مع حريمي للانتهاك، كانوا هم حماتي وإياه. (شعار الفرد للجماعة والجماعة لكل فرد، هو شعار العصبية الجاهلية).

٥ ـ يأبى الهوان: يرفض الذل. أخوهم: الفرد منهم. شم: مرتفعو الأنوف، كناية عن الإباء والتكبّر. جحاجح: جمع جحجاح وهو السيد الكريم.

أنا وجماعتي ننتمي إلى معشر يرفض الفرد منهم الذل، أباةٍ متكبرين، ساداتٍ، كرام.

٦ ـ عزّوا: كانوا منيعي الجانب. من جاوروا: من نزل بجوارهم وكان جارهم. همُ الذرى: هم السادات (من الذروة وهي القمة) الرؤساء. الغلاصم: يقال: إنه لفي غلصمة من قومه أي في شرف وعلو. الهامات: جمع هامة ويقصد بها الرأس، والرأس في الجماعة كناية عن القيادة والرئاسة والشرف. وغلاصم الهامات تعني أعظم الشرف وسادة السادة.

بلغوا في المنعة والعنفوان درجة جعلت لهم هيبة تحميهم وتعمّ معهم جيرانهم، فهم السادات وفي قمة الشرف بين الأشراف.

٧ ـ الجريرة: الجناية. يطلبوا بجريرة: يطلبون الانتقام لجناية ارتُكبت فيهم. ينأونها: يُبعدون في طلبها ويتابعون إلى أن يحققوا الثأر. يُطلبوا: إذا ارتكبوا جناية عند آخرين وطلبهم هؤلاء. لا يُدركوا: لا يمكن الوصول إليهم للانتقام منهم. ترات: جمع وِتر، وهو الثأر.

إذا كان لهم ثأر طلبوه وأمعنوا في ذلك إلى أن ينالوه، ولو تتبعوه إلى آخر الأرض، وإذا وتروا غيرهم لم يستطع هؤلاء الوصول إليهم لأخذ الثأر.

٣٠ ـ دعوتَ طريفُ، دعوةَ جاهلٍ
عمرو بن حُنيّ التغلبيّ[1]

أولاً: الإطار

هذه المقطوعة هي من شعر التحدي، وهو لون معروف في الجاهلية حيث كثر الغزو والأسر والسلب والقتل، وحيث كانت القوة فضيلة أولى يدّعيها حتى من لا يمتلكها ليجعل من صورته المهيبة رادعًا؛ لذا كان للشعر دوره الكبير في الصراع: يحث الهمم ويجمع المتفرقين وينبّه ذكر الغافلين، وكم من تحدٍ أدّى إلى ترصّد، فاغتيال، أو إلى مبارزة شريفة يبقى فيها الأقوى فعلًا لا قولًا.

في هذه المقطوعة يرد الشاعر تحديًا بتحدٍ وتهديد: فمن استهدفهم المتحدي المغرور الجاهل قومٌ يعيشون في ساحة المعارك، وأبوهم يُستنجد باسمه في اللحظات الحاسمة، كتائبهم تملأ الأرض. ويقال إن الشاعر قتل المهدِّد وهو طَريف العنبري فيما بعد.

ثانيًا: المقطوعة

وقال عَمْرُو بن حُنَيٍّ التَّغلبيُّ، [يُجيبُ طَرِيفًا العَنبَرِيَّ]: [من الكامل]

١ ـ ولَقَـد دَعَـوْتَ طَـريـفُ دَعْـوَةَ جـاهـلٍ　　　سَـفَـهًـا وأَنـتَ بِـمَـنْـظَـرٍ لَو تَـعْـلَـمُ

٢ ـ ولَقِـيتَ حَـيًّـا فـي الـحـرُوبِ مَـحَلُّهُـمْ　　　والـجَـيْـشُ بـاسـم أَبـيـهِـمُ يُـسْـتَـهْـزَمُ

---

(١) هو عمرو بن حُنيّ التغلبي. وتُنسب المقطوعة في بعض المصادر إلى حمصيصة الشيباني، وهو قاتل طريف العنبري.

١ ـ طريف: هو طريف العنبري الذي كان تهدّد الشاعر وادعى أنه لن يمرّ الحول دون أن يلقاه. دعوة جاهل: دعوة طائش، وهو ادعاؤه بقتل الشاعر قبل حلول الحول. سفهًا: غرورًا وجهلًا. أنت بمنظر: أنت بمعزلٍ، وفي غنًى عن هذا الادعاء.
لقد ادعيت، يا طَريف ادعاء جهل، غرورًا منك وطيشًا، وكنت في غنى عن ذلك وبمنأى عما سيصيبك لو تعلم.

٢ ـ لقيت حيًّا: تطاولت على قبيلة. في الحروب محلُّهم: يمضون حياتهم في الحروب حتى غدت المعارك مكانها المعروف. باسم أبيهم: الأب هو الجد الأكبر الذي تنتسب إليه القبيلة، والذي يستنجد به أبناؤها لِلَمّ الشمل أو في وقت الضيق كأن ينادى: يا لتغلب، يا=

٣ ـ فإذا دَعَوْا بِأَبي رَبيعةَ أَقْبَلُوا بِكتائِبٍ دُونَ النِّساءِ تَلمَّمُوا
٤ ـ فَلقيتَ فِيهِمْ هانِئًا وسِلاحَهُ بَطَلًا إذا هابَ الفَوارسُ يُقدِمُ
٥ ـ سلبُوكَ دِرْعَكَ والأَغرَّ كِلَيهِما وبَنو أُسَيِّدَ أَسْلمُوكَ وخَضَّمُ

٣١ ـ من يسألُ الصعلوك أين مذاهبه؟
أبو النَّشناش النهشليّ(١)

أولاً: الإطار

للصعاليك، منذ العصر الجاهلي، عالمهم الخاص، ولهم مذهبهم في الحياة. وأبو النشناش يلخص هنا أسباب الصعلكة وبعض قناعاتها. أما الأسباب فهي: الفقر

= لبَكر.. يُستهزَم: يستعان به على هزيمة الأعداء. فإذا سمع الأعداء النداء باسم أبيهم أصيبوا بالهلع وانهزموا.
لقد تطاولت على حي من العرب جعلوا الحروب مقامًا لهم حتى عُرفوا وخيف منهم، فإذا سمع الأعداء اسم أبيهم ينادى في المعركة، أُصيبوا بهلع وانهزموا.

٣ ـ أبو ربيعة: إليه ينتمي بطن من شيبان وهو أبو ربيعة بن ذهل بن شيبان. تلمّموا: تجمعوا جموعًا كثيرة. دون النساء: حماية للنساء، دفاعًا عن العِرض.
إذ علا الصراخ «يا لأبي ربيعة» جاؤوا فرقًا كثيرة تتجمع دفاعًا عن العِرض.

٤ ـ هانيء: هو هانيء بن مسعود، قائد أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان في يوم مبايض. إذا هاب الفوارسُ: في الشدة التي تجعل الأبطال يخافون فيحجمون. يقدم: يهجم.
ووجدت مع هذه الكتائب الكثيرة الأبطال، ومنهم هانيء بن مسعود وسلاحه المعروف، وهو بطل لا كالأبطال، يهجم ويقدم في المواقف التي تجعل الأبطال الآخرين يخافون ويحجمون.

٥ ـ الأغرّ: فرس طريف. بنو أُسيد وبنو خَضَّم من بني عمرو بن تميم، قوم طريف.
أخذوا منك درعك عنوة وأخذوا فرسك الأغرّ، حين تخلى عنك قومك بنو أسيد وبنو خَضَّم.

(١) أبو النشناش النهشلي كان من ملاصّ (لصوص) بني تميم. وكان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. ظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيّده مدة، ثم أمكنه الهرب في وقت غِرّة. فمر بغراب على بانة ينتف ريشه ويتعب، فجزع من ذلك، ثم مرّ بحي من لهب، (فسألهم عن تفسير الظاهرة) فقال له اللهبي: إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده، ويطول ذلك به، ويُقتَل ويُصلَب. فقال له: بفيك الحجر. قال: لا، بفيك. وأنشأ يقول: وسائلة...

وتخلي الأهل. وأما القناعات فهي رفض الاستبداد والبعد عن مجتمع الأقرباء والضرب في الأرض بحثًا عن الرزق. ثم ينطلق أبو النشناش لينفي عن الصعلوك صفة الحقارة والضعة وليصوّره أبيًا، مغامرًا لإيمانه بأن الموت كأس يشرب منه الناس جميعًا.

ثانيًا: المقطوعة

وقال أبو النَّشْناشِ النَّهْشَليُّ اللِّصُّ: [من الطويل]

١ ـ وسائِلةٍ أَيـنَ الـرَّحـيلُ وسائـلٍ ... ومَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَين مَذاهِبُهْ

٢ ـ وداوِيَةٍ يَهماءَ يُخْشَى بِها الرَّدَى ... سَرَت بأَبِي النَّشْناشِ فِيها رَكائِبُهْ

٣ ـ لِيُدْرِكَ ثَأْرًا أو لِيُدْرِكَ مَغْنَمًا ... جَزِيلًا وهذا الدَّهْرُ جَمٌّ عَجائِبُهْ

٤ ـ إذا المَرءُ لَم يَسْرَحْ سَوامًا ولَم يُرِحْ ... سَوامًا ولَم تَعْطِفْ عَليه أقارِبُهْ

---

١ ـ الصعلوك: مَن ترك قومه وقبيلته وعاش في البراري مع الوحوش يقطع الطرق على المسافرين، أو يهاجم أطراف الأحياء المأهولة أو يسطو على ما يستطيع. بعض الصعاليك كانوا عدّائين أي يسبقون الخيل، وكانوا مقاتلين شرسين ويتغنون بقيم الشجاعة والكرم والضيافة في حين هم في فقر مدقع. وهناك صعاليك خاملون يعيشون من فضلات الناس ومن خدمتهم في أفناء البيوت. لكن هؤلاء لا ذكر لهم في الشعر أو في البطولات. المذاهب : جمع مذهب، وهو المقصَد.

إن مَن اعتنق الصعلكة لا يعرف موطنًا ولا يجد مستقرًّا.

٢ ـ داوية: صحراء واسعة. يهماء: مقفرة، لا ماء فيها ولا معالم حياة، ولا ما يُهتدى به. الردى: الموت. سرت: سارت ليلًا. ركائبه: نوقه.

رُبّ صحراء متباعدة الأطراف، لا ماء فيها ولا دليل، تهدد بالموت من يقتحمها، سارت فيها ركائب أبي النشناش ليلًا.

٣ ـ الثأر: قتل القاتل أو بديل عنه انتقامًا لمقتول. جَمّ: كثير.

وهدف المسير كان الأخذ بثأر أو الحصول على مغنم كبير، ودهرنا يأتينا بالعجائب الكثيرة.

٤ ـ السوام: كل ما رعى من المال (الإبل) في الفلوات (السوم: الرعي). لم يسرح: =

٥ ـ فَلَلْمَوْتُ خَيرٌ لِلفَتَى مِنْ قُعُودِهِ ... فَقِيرًا ومِن مَوْلًى تَدِبُّ عَقارِبُهْ

٦ ـ ولَم أرَ مِثْلَ الهَمِّ ضاجَعَهُ الفَتَى ... ولا كَسَوادِ اللَّيلِ أَخْفَقَ طَالِبُهْ

٧ ـ فَمُتْ مُعدِمًا أو عِشْ كَرِيمًا فإنَّنِي ... أَرَى المَوتَ لا يَنْجُو من الموتِ هارِبُهْ

٨ ـ ولَو كانَ شيءٌ ناجِيًا من مَنِيَّةٍ ... لَكانَ أُثَيْرٌ يَومَ جاءَتْ كَتائِبُهْ

= لميرسل، أي لم يترك الإبل محلولة العقال، تتنقل في المرعى. لم يُرح: من الرواح، وهو أن تأوي الإبل بعد غروب الشمس إلى مُراحها الذي تبيتُ فيه. وأراح الإبل: ردّها إلى المراح.

إذا لم يكن للمرء إبل يتركها تسرح نهارًا في المراعي حيث تشاء، ثم تُرَدُّ مساء إلى مُراحها فهو مُعدَم. فإذا تخلى عنه أهله ولم يجد عندهم عوضًا عما أصابه الدهر به، (فلا مفرّ له من حياة التشرد).

٥ ـ المولى: تعني ابن العم والعم والأخ والابن... فهي ترمز إلى الأهل الأقربين. العقارب: المنّة، والعقارب: النمائم؛ وتدبّ عقاربُه: أي ينمّ ويسيء.

يتابع فكرته في البيت السابق؛ إذا لم يملك مالًا ولم يعطف عليه أهله، بل أساء المقربون معاملته بالتنكر له والنمّ عليه، فليمتْ ذلك خير له من قعوده مقعد الذل.

٦ ـ ضاجعه الفتى: رافقه في ليله. أخفق طالبه: لم ينجح من يعتمد طلب المال فيه.

ما من مصيبة أكبر من الهم يلازم الرجل ويرافقه إلى فراشه فيحرمه النوم، وما من عائق يحول دون المرء وتحقيق طلبه مثل الليل.

٧ ـ مت معدمًا: إذا لم تتخلص من الفقر، فالموت أفضل لك. عش كريمًا: عش محترمًا أبيًا (وهذا مستحيل مع الفقر). لا ينجو من الموت هاربه: لا يستطيع الهارب من الموت النجاة منه.

أمّن لنفسك العيش الكريم، وإذا بقيت على العُدْم فالموت خير لك، وفي كل حال الموت نهاية الجميع ولا مفرّ ولا نجاة للهارب منه.

٨ ـ منية: موت. أُثَير: هو أثير بن عمرو السكوني، طبيب مشهور تولى معالجة الإمام علي من طعنه الخارجي. وهو رمز للتحكم بالحياة والموت. يوم جاءت كتائبه: يوم جاءته كتائب الموت (لم يستطع لها ردًا ولا منها نجاةً).

لو استطاع كائن النجاة من الموت لكان الناجي أُثير، الطبيب البارع الذي كان يطرد الموت بعلاجاته، والذي عجز عن رد كتائب الموت عندما جاءته، فلم ينج منها.

٣٢ ـ من نال الغنى فَلْيصطنِعْهُ
أُحَيحة بن الجُلاح(١)

أولاً: الإطار

الحرب والمرأة محوران متوازيان في حياة الجاهلي، لا يعادلهما إلا الخمر؛ ولئن كانت الحرب بما فيها من شدة ومخاوف تتلاءم والقوة، فإن القوة غالبًا يلبسها البدوي دفاعًا عن المرأة، ويفخر بها تقربًا من المرأة. هذا إذا كانت المرأة كريمة أصيلة. أما النساء الغانيات فهن والخمر صنوان، يقدّمن الوصال بثمن من مال، فهنّ متعطّشات إليه، لا نفوذ عليهن لسواه. والمرأة في المقطوعة من هؤلاء النسوة، إذا جاءها ممتلىء الجيب أشبعته عناقًا وتقبيلًا، فمن أرادها فليطلب الغنى، ومن نال الغنى فليحافظ عليه، نصيحة يقدمها بالمجان وهو عن الإفادة منها بعيد.

ثانيًا: المقطوعة

وقال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلاحِ: [من الوافر]

١ ـ إذا ما جِئتُها قَد بِعْتُ عِذْقًا تُعانِقُ أو تُقَبِّلُ أو تُفَدِّي

---

(١) هو أُحَيحَةُ بن الجُلاح بن الحَريش بن جحجبا بن كُلفة بن عوف... من الأوس. كان له مع تُبّع الأخير أبي كرب بن حسّان الحميري ملك اليمن قصة طويلة استطاع فيها أن ينأى بنفسه عن أذى الملك، بحكمته وصواب رأيه، وبالالتجاء إلى حصنه المنيع. وكان له أُطُمان (حصنان). أحدهما الضحيان والثاني يدعى المستَظل وهو الذي تحصّن فيه من تُبّع. وكان أحيحة سيدَ قومه من الأوس، إلا أنه كان صنعًا للمال، شحيحًا عليه، يتبع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم. وكانت عند أحيحة سلمى بنت عمرو بن زيد، إحدى نساء بني عدي بن النجار. له منها عمرو بن أحيحة، وهي أم عبد المطلب بن هاشم، خلف عليها هاشم بعد أحيحة؛ وكانت امرأة شريفة، لا تنكِح الرجالَ إلا وأمرُها بيدها، إذا كرهت من رجل شيئًا تركته.

١ ـ العِذق: القنو من النخل، بما فيه من الرُّطَب؛ وبعت عذقًا كناية عن جيب عامر بالمال، إذ باع موسم التمر. تفدّي: تقول: فداك أبي، أمي...
إذا ما جئتها وجيبي مليء تندفع إليّ تعانقني، تقبلني، وتفدّيني بكل عزيز عندها.

٢ ـ أَهَنْتُ المالَ في الشَّهَواتِ حتَّى أَصارَتْني أَسِيفًا عَبْدَ عَبدِ

٣ ـ فَمَنْ نالَ الغِنَى فَلْيَصْطَنِعْهُ صَنيعَتَهُ وَيَجْهَدْ كُلَّ جَهْدِ

٤ ـ أُعَلِّمُكُمْ وقَد أَرْدَيْتُ نَفسِي فَمَنْ أَهْدِي سَبيلَ الرُّشدِ بَعْدِي

٣٣ ـ أقاتل عن أبناء جَرْم وفَرَّتِ
عمرو بن مَعديكَرِب[1]

أولاً: الإطار

عندما تكاثرت بطون بني قضاعة قامت بينهم مناوشات وثارات وحروب أضعفت الجميع وفرقتهم، فذهبوا شتاتًا. من قضاعة بنو نهد بن زيد، وقد حالفوا بني

---

٢ ـ أهنت المال: بذلتُه رخيصًا. أصارتني: جعلتني، حوّلتني. الأسيف: السريع الحزن: السريع التأثر والبكاء، الجَزع على ما فات. عَبْدَ عبْدِ: عبدًا للشهوات. فعبد الأولى ترمز إلى الشاعر، وعبْد الثانية ترمز إلى الشهوات وهي من أهواء النفس التي يتعيّن ضبطها والتحكم بها فتكون كالعبد للإنسان.
بذلت مالي رخيصًا في سبيل الشهوات، حتى صارت هذه الشهوات، التي هي بتحكُّم الإنسان وفي تبعية له. تستعبدني، وأنا لذلك في حزن وحسرة (على المال الذي بذّرته).

٣ ـ ليصطنعْه: ليجعلْه صنيعته، ليتخذْه لنفسه، ليحفظه لنفسه. يجهد كل جهد: يبذل أقصى جهده لذلك.
من حصل على المال فليحفظه لنفسه، وليبذل في سبيل ذلك أقصى جهده.

٤ ـ أرديت نفسي: أوقعت نفسي في التهلكة. من أهدي... بعدي: إذا لم أهد نفسي، فهل بإمكاني أن أهدي الآخرين؟.
أحاول أن أهديكم إلى السلوك الصحيح، لكن، بعد أن أوقعت نفسي في التهلكة ولم أستطع تعليمها، هل بإمكاني هداية الآخرين إلى السبيل القويم؟.

(١) هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبيد... ويمر نسبه بسعد العشيرة بن مَذحج ثم بزيد بن كهلان ليصب عند يعرب بن قحطان. فهو من القبائل اليمنية. يُكنّى أبا ثور، وأمه امرأة من جرم.
وعمرو من فرسان العرب المعدودين، ولقب فارس زبيد وفارس اليمن. عُمّر طويلًا، دخل في الإسلام ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام وحسُن إيمانه. ويُقال إنه اشترك في معركة القادسية وهو ابن مائة وست سنين. ويقال إنه هو الذي قتل رستُم قائد قوات الفرس فيها. عمرو ضخم الجسم؛ وكان عمر بن الخطاب يقول إذا نظر إليه: الحمد لله الذي خلَقَنا وخلق عَمْرًا، تعجبًا من عظم خلقته.

الحارث بن كعب، فيما بنو جرم، وهم مناوئون للنهديين قد التحقوا ببني زبيد قوم معديكرب. وحين ارتكبت جرم جريمة في بني الحارث إذ قتلت أحد أشرافهم، كان لا بد للحرب أن تقع بينهم، ومعهم حلفاؤهم بنو زبيد، وبين بني الحارث ومعهم حلفاؤهم بنو نهد. وكان عمرو بن معديكرب على بني زيد فوزع الأدوار على أن تواجه جرم بني نهد، فيما ينصرف بنو زبيد لمواجهة بني الحارث. لكن جرمًا تقاعست وفرّت تاركة عَمْرًا يواجه المتحالفين، مما تسبب بهزيمة شنيعة لبني زبيد. وقد انتصف عمرو فيما بعد من بني الحارث، لكن فعلة جرم أثّرت فيه أي تأثير، وقال قصيدته التائية يذكر أفعاله في المعركة وجبن جرم الذين أدى بهم إلى الفرار.

ثانيًا: المقطوعة

وقال عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكرِبَ: [من الطويل]

١ ـ ومُـرْدٍ عَـلَى جُـرْدٍ شَـهِـدْتُ طِـرادَهـا قُبَيْلَ طُلوعِ الشَّمسِ أَوْ حِينَ ذَرَّتِ

٢ ـ صَبَحْتُـهُـمْ بَـيضـاءَ يَبْرُقُ بَـيْضُـهـا إذا نَـظَـرَت فـيـهـا الـعُـيُـونُ ازْمَـهـرَّتِ

٣ ـ ولـمَّـا رأَيْـتُ الـخَـيـلَ رَهْـوًا كَـأنَّـهـا جَـداوِلُ زَرْعٍ أُرْسِـلَتْ فـاسـبَـطَـرَّتِ

---

١ ـ المُرد: جمع أمرد، وهو الشاب الصغير السن، طرّ شاربه ولم تنبت لحيته. الجرد: جمع الأجرد، وهو الفرس القصير الشعر، وتلك صفة للكرم الأصل. شهدت طرادها: راقبتها وهي تتقابل في معركة، ما بين كر وفر. حين ذرّت: حين بزغ قرنها، في أول ظهورها.
وربّ خيل أصيلة، قصيرة الشعر، يمتطيها فرسان حديثو السن، راقبتها تتقابل في معركة كرًّا وفرًّا، قبل طلوع الشمس بقليل، أو عند أول طلوعها.

٢ ـ صبحتهم: فاجأت الأعداء بغارة صباحية. بيضاء: بكتيبة بيضاء. وبياضها ناجم عن شدة التماع السلاح الكثير فيها. بيضها: كرات الفولاذ على خوذ فرسانها. ازمهرت: احمرّت.
فاجأتهم في غارة صباحية، بكتيبة مدججة بالسلاح ابيضّ لونها من التماعه، تنعكس أشعة الشمس على بيض الحديد فوق رؤوس فرسانها فيشتد التماعها ويتضاعف حتى إذا ما نظرت إليها العيون بُهرت وتهيّجت فاحمرّت.

٣ ـ رهوًا: سراعًا، متتابعة. جداول زرع: مسائل ماء حُوِّلت من النهر إلى الحقول المزروعة، تسيل بين أتلام الزرع وتسقيها. وأتلام الزرع تكون عادة مستقيمة متوازية، فشبه بها صفوف الخيل المنتظمة في سيرها أو جريها. أرسلت: أُطلقت. اسبطرّت: امتدت وابتعدت.
لما رأيت الخيل (وعليها فرساننا) تنطلق سراعًا ما متتابعة، في صفوف متوازية منتظمة، كأنها مسارب الماء حوِّلت من النهر وأُطلقت بين أتلام المزروعات المتوازية، فامتدت متدافعة، مبتعدة.

٤ ـ وجاشَتْ إليَّ النَّفسُ أوّلَ وَهْلَةٍ ... ورُدَّتْ على مَكْرُوهِها فاستَقَرَّتِ
٥ ـ عَلامَ تَقولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ عاتِقِي ... إذا أنا لَم أطعُنْ إذا الخَيلُ وَلَّتِ
٦ ـ عَقَرْتُ جَوادَ ابنَيْ دُرَيْدٍ كِليهِما ... وما أخَذَتْنِي في الخُتُونَةِ عِزَّتِي
٧ ـ لَحا اللهُ جَرْمًا كُلَّما ذَرَّ شارِقٌ ... وُجُوهَ كِلاب هارَشَتْ فازْبَأَرَّتِ
٨ ـ ظَلِلْتُ كأنِّي للرِّماحِ دَرِيئةٌ ... أُقاتِلُ عن أبناءِ جَرْمٍ وفَرَّتِ

---

٤ ـ وجاشت إليّ النفسُ: الواو قد تكون زائدة فيغدو فعل جاش جوابًا لمّا في البيت السابق. جاشت نفسي: غَلَت في داخلي وفاظت وكدت أصابُ بالغثيان (من الخوف). أول وهلة: في اللحظة الأولى، في أول الأمر. رُدّت على مكروهها: ضُبطت وأعيدت إلى طبيعتها، مواجهةً حالتها الصعبة. استقرت: هدأت.

لما رأيت الخيل الكثيرة والسلاح الملتمع، شعرت بخوف أول الأمر وأحسست بغثيان فأطت له نفسي، لكنني ضبطتها وأجبرتها على التماسك ومواجهة الوضع الصعب الكريه، فهدأت.

٥ ـ علام: هي على ما وتُحذف الألف من ما الاستفهامية إذا سُبقت بحرف جر، أي لأجل ماذا؟. تقول: أي النفس تقول (وكأنها يعاتبها أو يناقشها الحساب). يُثقل عاتقي: يشكّل حملًا ثقيلًا على كتفي. إذا لم أطعُن: إذا لم أستعمله في الطعن. إذا الخيل ولّته: إذا غدت الخيل مدبرة في حالة الفرّ (والحرب كرّ وفرّ).

لإقناع نفسه بالهدوء والثبات يناقشها: لأي سبب تقولين لي دائمًا. إن هذا الرمح حِملٌ يُثقل كتفي إذا لم يكن ليُستعمل في الكر والفر، فأطعن به ظهور الأعداء حين يولّون مدبرين أمامي؟

٦ ـ عقرت الجواد: قطعت قوائمه بالسيف. ابني دُريد كليهما: أي جواد كل من ابني دريد. وابنا دريد قريبان لعمرو من جهة امرأته. ما أخذتني عزتي: ما ضعفت عزتي أي عنفواني. في الختونة: في القربى من جهة الزوجة.

ضربت قوائم جواد كل من ابني دريد ولم تضعف عزتي أمام القرابة التي تصلني بهما من جهة زوجتي، (لأنني أتبع عصبيتي وانتمائي إلى قومي).

٧ ـ لحا اللهُ: قبّح ولعن. جرمًا: قبيلة جرم. ذرّ شارق: بزغت شمس. وجوه كلاب: وجوههم وجوه كلاب. هارشت: دخلت في مصارعة، إذ إن المهارشة هي مصارعة الكلاب. ازبأرّت: انتفش شعرها.

هو يلعن بني جرم: قبّحهم الله من أناس! وجوههم كريهة، شعورهم منفوشة، كأنها وجوه كلاب تهارشت فخرجت من المصارعة زرية، منتفشة.

٨ ـ ظللت: بقيت. كأني للرماح دريئة: كأني لهم دريئة من الرماح، أي كأني الحاجز للرماح يدفعها عنهم. فرّت: هربت.

=

٩ ـ فَلَم تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَها إذْ تَلاقَتا ولَكِنَّ جَرْمًا في اللِّقاءِ ابْذَعَرَّتِ

١٠ ـ فَلو أَنَّ قَوْمِي أَنطَقَتْنِي رِماحُهُمْ نَطَقْتُ ولَكِنَّ الرِّماحَ أَجَرَّتِ

٣٤ ـ الله بالمرء المُضافِ بصيرُ

أبو مهديّة الكلابي(١)

أولاً: الإطار

فيما كان أبو مهدية ذاهبًا للقاء محبوبته اعترضه ثعبان مرقش كان، لو أراد، قادرًا على قتله لكن الله دفع عنه البلاء إذ مر الثعبان ولم يلق بالًا إلى الشاعر المرتجف خوفًا. في وصف هذا الثعبان قال أبو مهدية مقطوعته.

ثانيًا: المقطوعة

وقال أَبو سَعيد: أَنشدني أَبو مَهدِيَّةَ يصفُ حيَّة: [من الكامل]

١ ـ قَد كادَ يَقْتُلُنِي أَصَمُّ مُرَقَّشٌ من جُبِّ كَلْثَمَ والخُطوبُ كَثِيرُ

= يشرح سبب لعنه لبني جرم، فهو كان يحميهم، يرد عنهم ضربات الرماح وحيدًا، في حين كانوا هم يهربون.

٩ ـ لم تغن جرمٌ نهدها: لم تغن جرم غناء بني نهد. وأغنى غناءه: كفاه أي لم تكف جرمٌ نفسها في رد بني نهد. ابذعرّت: تفرقت.
حين تلاقت جرم ونهد، لم تتمكن نهد من أن تكفي نفسها دفع النهديين، وإنما تفرقت وتشرذمت.

١٠ ـ أنطقتني رماحهم: أبلت بلاء حسنًا أنطق لساني بمدحهم. أجرت: أجرّتني، أي قطعت لساني عن الكلام (إذ هربوا ولم يستخدموها) فكنت كالفصيل المجرور الذي يُشق لسانه ليُمنع من الرضاع.

(١) أبو مهدية الكلابي من فصحاء الأعراب، ممن كان يستشهد بهم في صحة كلام أو خطئه عند علماء البصرة. روى عنه الأصمعي في كتاب الإبل.

١ ـ الأصم من الحيّات: ما لا تنفع فيه الرُّقْيَة. المرقش: المنقط فيه سواد وبياض. جُبّ كلثم: بئر معينة، يبدو أنها كانت وكرًا معروفًا للأفاعيّ. الخطوب: الحوادث، المصائب.
كاد الثعبان المرقش الذي لا يقبل الرقية، أن يقتلني. فهو متسلل من بئر كلثم. وحوادث الدنيا كثيرة.

٢ ـ حــتَّــى أَصَــدَّ اللهُ عَــنِّــي رَأسَــهُ   واللهُ بِـالـمـرءِ الـمُـضـافِ بَـصِـيـرُ
٣ ـ خُـلِقَـتْ لَهـازِمُـهُ عِـزِيـنَ ورَأْسُـه   كـالقُرْصِ فُلْطِحَ من طَحِينِ شَعِيرِ
٤ ـ وكــأَنَّ شِــدْقَــيـهِ إذا مــا أَقْـبَـلا   شِـدْقـا عَـجـوزٍ مَـضْـمَـضتْ لِطُـهُـورِ
٥ ـ ويُـدِيـرُ عَـيْـنًـا لـلوِقـاعِ كـأَنَّـهـا   سَـمـراءُ طـاحَـتْ مِـن نَـفِـيـضِ بَـرِيـرِ

٣٥ ـ إنّا معشرٌ صُبُرٌ
ذو الخِرَق الطُّهَويّ(١)

أولاً: الإطار

طموحُ الزوجة، وخوفها من الفقر وحثها الرجل على إمساك اليد والبحث عن الغنى، وشكوى الزوج من عذلها ولومها، ظاهرة معروفة في الشعر الجاهلي.

---

٢ ـ أَصَدَّ عني رأسه: صرف عني رأسه، أمال عني رأسه. المُضاف: الواقع في الشدة. بصير: مبصر، متعرف على أحوالهم.
كاد هذا الثعبان يقتلني لو لم يتبصر الله بحالي فيميل رأسه عني ويصرفه، والله عارف بأحوال عباده. مشفق على الواقع في الشدة منهم.

٣ ـ اللهازم: أصول الحنكين. عِزين: متفرقة. فُلطح: ضُغط فسُطِح.
كأن أصول حنكيه خلقت متفرقة فهو فاغر شدقيه باستمرار، أما رأسه فكأنه قرص معجون من طحين الشعير ضُغط فتسطّح.

٤ ـ الشدق: جانب الفم مما تحت الخد. أقبلا: صارا في مواجهة الناظر. مضمضت لطهور: تمضمضت في الوضوء، وأخرجت الماء من فمها وقد فتحته. فبان فكّاها أَدْرَدَيْن خاليين إلا من سنَّين أماميّين.

٥ ـ الوقاع: المواقعة في الحرب؛ ويدير عينًا للوقاع: ينقل نظره كمحارب يبحث عن نقطة ضعف عند الخصم، قبل أن يواقعه. سمراء: عَنَى سوداء. وهي البريرة، أو الواحدة من البرير (ثمر الأراك) إذا بلغ. نفيض: ما تساقط بالنفض أي بهز الأغصان.
يدير عينيه فيما حوله كأنه محارب يبحث عن نقطة ضعف خصمه قبل أن يهاجمه، فكأن عينه في حركتها حبة من تمر الأراك الناضج المسودّ تتدحرج وقد سقطت من غصن نُفض.

(١) هو خليفة بن حمل بن عامر بن حميريّ . . .بن حنظلة بن طُهيّة، عاش في الجاهلية وكان من الشعراء الفرسان، ومن أبطال طهيّة المعدودين. وقد لُقِّب ذا الخرق لقوله في عجز بيت:

«عـجـافًـا عـلـيـهـا الـريـش والـخِـرَق»

فالحياة غير مستقرة، والمرأة قليلة الصبر، قليلة التحمل، على عكس الرجل، فهو يصبر ويفخر بأنه يصبر، يجوع ويفخر بأنه يجوع، وينفق المال في المكرمات بلا تفكير في غد، فللغد مشروع آخر. وهذه القصة تتمثل واضحة في قصيدة الطُّهوي.

ثانيًا: المقطوعة

وقال ذُو الخِرَق الطُّهَويُّ: [من البسيط]

و[إنَّما سُمِّيَ - ذا الخِرَق - بهذا البيت:

* عِجافًا عَليها الرِّيشُ والخِرَقُ *

و«الورَق» أيضًا. وذلك أنَّ البَعيرَ إذا دَبِرَ وضَعوا على دَبَره الرِّيشِ والورَق لئلا يَقْرَبَه الطَّيرُ والغِربانُ].

١ - [ما بالُ أمِّ حُبَيْشٍ لا تُكَلِّمُنا ... لمَّا افْتَقَرْنا وقَدْ نُثْرِي فَنَتَّفِقُ]

٢ - [تُقَطِّعُ الطَّرْفَ دُونِي وهي عابِسَةٌ ... كَما تَشاوَسَ فيكَ الغائِرُ الحَنِقُ]

٣ - لَمَّا رأتْ إبِلِي جاءَتْ حَلُوبَتُها ... هَزْلَى عِجافًا عَليها الرِّيشُ والوَرَقُ

٤ - قالَتْ: ألا تَبتَغِي مالًا تَعِيشُ بِهِ ... مِمَّا تُلاقِي وشَرُّ العِيشَةِ الرَّمَقُ

---

١ - أم حبيش: زوجته؛ ما بال أم حبيش: ماذا أصابها. لما افتقرنا: عندما قل مالُنا. نُثري: نصبح أغنياء. نتفق: نكون في أحسن حالة من التفاهم.
ما بال زوجتنا تقاطعنا فلا تكلمنا، إذا ما افتقرنا، بينما نكون في غاية التفاهم إذا ما اغتنينا؟

٢ - تُقطِّع الطرف دوني: تقصر نظرها عني. تشاوس: نظر بمؤخر عينه تكبّرًا وتغيّظًا. الغائر: الذي يغار (على زوجته). الحنق: الغاضب، المغتاظ.
تقصر طرفَها، عني، وتبقى عابسة تنظر إليّ شزرًا، نظرة الغيران بطرف العين تغيُّظًا.

٣ - حَلُوبتُها: النوق التي تحلب. عجافًا: هزلى. (وتكرار النعت للمبالغة). عليها الريش والورق: كناية عن إصابتها بالدَّبَرة، وهي قرحة تصيب الدابة والبعير في الظهر، فتُغطَّى بالريش والخِرَق أو الورق كي لا يقربه الطير والغربان.
عندما رأت إبلي الحلوبة قد هزلت وضمُرت وأصابها الدَّبَر أي القروح في ظهرها فغطيت بالريش والورق.

٤ - ألا تبتغي: ألا تطلب. الرمق: الحفاظ على الرمق وهو أقل الحياة. وشر العيشة الرمق: العيش على ما يمسك الرمق هو أسوأ عيش.

٥ - فِـيـئِي إلـيـكِ فـإنَّـا مَـعـشَـرٌ صُـبُـرٌ   فـي الـجَـدْبِ لا خِـفَّـةٌ فِـيـنـا ولا نَـزَقُ

٦ - إنَّـا إذا حَـطْـمَـةٌ حَـتَّـتْ لَـنـا ورَقًـا   نُـمـارِسُ الـعُـودَ حـتَّـى يَـنْـبُـتَ الـوَرَقُ

٣٦ - وشِعْبٍ كَشَلِّ الثوب

تأبط شرًا(١)

أولاً: الإطار

إن معظم الشعراء الجاهليين وصفوا الطرق الصعبة، لا سيما الجبليّ منها، وفخروا باجتيازها وتحمُّل صعوبات ذلك. لكنّ للصعلوك شأنًا آخر مع الطريق. فهو يجتازه على قدميه الحافيتين، يتجسس كل نأمة فيه ويتعرف إلى كل ثنيّة.

في المقطوعة يصف تأبط شرًا الصعلوك، طريقًا اجتازه مع جماعته (وهم غالبًا من الصعاليك).

---

٥ - فيئي إليك: عودي إلى صوابك. إنا معشر صُبُر: نحن قوم نصبر. في الجدب: أيام القحط والقلّة. لا خفة فينا: لا قلة عقل فينا. ولا نزق: ولا طيش وقلة تحمل.
عودي إلى صوابك، يا امرأة. نحن قوم نصبر عند الشدة، زمن الجدب والقلة، لا تضطرب عقولنا ونخف من هلع، ولا نسرح إلى الغضب والأعمال الطائشة.

٦ - الحطمة: السنة الشديدة، لا تحمل مطرًا، وتأتي ببرد شديد (شتاء). حتت الورق: جرّدت منه الشجر. نمارس العود: نتعهد الجذع الأجرد.
نحن من الصبر والمعرفة بمجاري الأمور بشكل أنه لو نزلت بنا سنة شديدة جردت الشجر من ورقه وأيبست عوده، لا نفقد الأمل، بل نتعهد العود بالعناية إلى أن يورق من جديد.

(١) ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل . . .بن تيم بن سعد . . .بن مضر بن نزار. من صعاليك العرب العدائين، الفرسان، الشعراء، يصفه أحد القيسيين فيقول: إن تأبط شرًا كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين. وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء، فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله. . . إنما سمي تأبط شرًا أنه لقي الغول في ليلة ظلماء في بلاد هذيل، فلم يزل بها حتى قتلها، وبات عليها، فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه، فقالوا: لقد تأبط شرًا. الأغاني، ٢١/١٤٦.

ثانيًا: المقطوعة

وقال تَأبَّطَ شَرًّا: [من الطويل]

١ ـ وشِعْبٍ كَشَلِّ الثَّوْبِ شِكسٍ طَرِيقُه مَجامِعُ صَوْحَيْهِ نِطافٌ مَخاصِرُ

٢ ـ بِه مِن سُيُول الصَّيفِ بِيضٌ أَقَرَّها جَبارٌ لِصُمِّ الصَّخْر فيهِ قَراقِرُ

٣ ـ تَبَطَّنْتُه بِالقَومِ لَم يَهدِني لَهُ دَليلٌ ولَم يُثْبِتْ لِيَ النَّعْتَ خابِرُ

٤ ـ بِه سَمَلاتٌ مِن مِياهٍ قَدِيمَةٍ مَوارِدُها ما إنْ لَهُنَّ مَصادِرُ

---

١ ـ الشعب: الطريق الجبلي الضيق. شل الثوب: خياطته خياطة خفيفة. وتشبيه الطريق بخط الخياطة في الثوب كناية عن ضيقه وتعرّجه. شَكس: سيىء، ضيق. مجامع: جمع مجمع، وهو مكان الاجتماع أو الالتقاء. صوحَيه: جانبيه المرتفعين كحائطين (كذا تكون الطرق في الجبل أحيانًا). نطاف: جمع نُطفة، وهي الماء الصافي. مخَاصر: من المُخاصرة: أن يأخذ واحد في طريق وآخر في غيره إلى أن يلتقيا.

رُبَّ طريق جبلي ضيق، يشبه الخياطة على الثوب، وهو، على ضيقه سيىء للمشي، صعب للسالك، تحده من الجانبين حفّتان مرتفعتان كحائطين، وهما أحيانًا يلتقيان، كالماء الصافي يسيل من هنا وهناك ويلتقي المسيلان في نقطة تجمعهما.

٢ ـ بِيض: جمع أبيض. والأبيض هو الماء، وقصد بالبيض هنا تجمعات الماء. أقرّها: خلّفها وراءه، تركها. جُبار: سيل جارف. صم الصخر: الصخور الصلبة. قَراقِر: أصوات هادرة.

السيل الجارف، الناجم عن أمطار الصيف، والذي يهدر عندما يمر بين الصخور الصلبة، ترك على هذه الطريق بقعًا من ماء.

٣ ـ تبطّنته: دخلت جوفه. لم يُثبت لي النعتَ: لم يؤكد لي الوصفَ. خابرٌ: مُخبر، مجرّب.

هذه الطريق دخلت فيها أقود جماعتي، معتمدًا على بديهتي، لم يرشدني إليها دليل، ولم يحدّثني عنها ولم يصفها لي خبير.

٤ ـ السَّمَلات: جمع السَّمَلَة، وهي الماء القليل يبقى في أسفل الإناء وغيره. ولعلها بقع ماء في تجاويف رملية. وهي غير البقع المتجمعة من سيول الصيف، لأنها ماء قديم، أي دائم يتغذى من مصدر غير محدّد. ما إن لهن مصادر: لا يُعرف لهن مصدر.

٣٧ ـ ولقد مررتُ على اللئيم يسبُّني
شَمِر بن عمرٍو الحَنَفيُّ[1]

أولاً: الإطار

للشاعر فلسفة في الحياة محورها التسليم بالقضاء وحتمية الموت، ونتيجة ذلك أن العمر قصير فلا يضيعه الإنسان في الصراعات والأحقاد. إنه يتجاهل اللئيم إذا سبّه ويشمت به إن كان مغتاظًا حاقدًا، وفي كل حال، فإن تجافيه اللئام وابتعاده عنهم يقرّبه من الكرام. فإذا مات قد يشمت به كل لئيم، ولكن سيحزن عليه كل كريم.

ثانيًا: المقطوعة

وقال شَمِرُ بنُ عَمرٍو الحَنَفيُّ: [من الكامل]

١ ـ لَو كُنتُ في رَيمانَ لَستُ بِبارِحٍ ... أَبدًا وسُدَّ خَصاصُهُ بِالطِّينِ

٢ ـ لي في ذَراهُ مَآكِلٌ ومَشارِبٌ ... جاءَتْ إليَّ مَنِيَّتي تَبْغِيني

٣ ـ ولَقَد مَرَرتُ على اللَّئيمِ يَسُبُّني ... فمَضَيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِيني

٤ ـ غَضبانُ مُمتَلِئًا عَليَّ إهابُهُ ... إنِّي وربِّكِ سُخْطُهُ يُرضِيني

---

(١) هو من شعراء بني حنيفة، ومنازلها باليمامة، جاهلي عاصر المنذر بن ماء السماء ويقال إنه هو الذي اغتاله.

١ ـ ريمان: قصر باليمن، منيع. لست ببارح أبدًا: أقيم فيه لا أبرحه أبدًا. خَصاصه: جمع خَصاصة، وهي فتحة في الجدار.
لو أنني أقيم معتزلًا في قصر ريمان المنيع لا أبرحه أبدًا، ولا أتصل بأحد من خارج القصر، وتُسَدّ جميع منافذه بالطين، فلا يدخل إليه كائن.

٢ ـ لي في ذَراه: لي في ربوعه المحميّة. منيتي: أجلي، تبغيني: تطلبني.
ولو أنني، في ربوع هذا القصر المحمية، أجد مأكلي ومشربي بلا انقطاع، فإن منيتي، على رغم ذلك، سوف تأتي إليّ تطلبني.

٣ ـ اللئيم: الخسيس. فمضيت: تابعت طريقي. ثمت: ثم. لا يعنيني: يقصد سواي.
لقد مررت بلئيم يسبني، فتجاهلته، وتابعت طريقي وأنا أقول: لا بد من أنه يقصد بالمسبّة سواي.

٤ ـ الإهاب: الجلد؛ وممتلئًا إهابه: ما يجيش في نفسه. فالإهاب هو حدود الإنسان مع الخارج، وما يمتلىء به هو حدوده مع الداخل. =

٥ ـ يـا رُبَّ نِـكْـسٍ إنْ أَتَـتْـهُ مَـنِـيَّـتِـي فَـرِحٍ وخِـرْقٍ إنْ هَـلكـتُ حَـزِيـنِ

٣٨ ـ تحتي الأغرُّ وفوق جلدي نثرةٌ
طَريف العنبري(١)

أولاً: الإطار

كان الفرسان الأشداء هدفًا للثارات نظرًا لإمعانهم القتل في الخصوم. لذا اعتادوا أن يتقنعوا إذا جاؤوا السوق، خوفًا من أن يُعرفوا فيغدَر بهم.

وكان طريف العنبري أول من خالف القاعدة وألقى القناع بعكاظ قائلًا: من شاء فلْيطلبني. وقال مقطوعته:

ثانيًا: المقطوعة

وقال طَرِيفٌ العَنْبَرِيُّ: [من الكامل]

١ ـ أَوَ كُـلَّـمـا وَرَدَتْ عُـكَـاظَ قَـبِـيـلَةٌ بَـعـثُـوا إلـيَّ رَسـولَهـمْ يَـتَـوَسَّـمُ

= هذا اللئيم تمتلىء نفسه غضبًا علي، وأنا، على عكسه، فرح لغضبه، راضٍ به، قسمًا بالله.

٥ ـ النكس: الرجل الدون، المتخلف عن المكارم. الخِرق: الكريم المتجذّر في الكرم.
إذا مُت فإن خبر موتي سيُفرح الحقير إذا أتاه، لكن الكريم الأصيل سيكون حزينًا.

(١) هو طريف بن تميم بن عمرو بن عبد الله بن جندب بن العنبر. كان رجلًا ضخمًا وفارسًا مشهودًا له، وحامي بني عمرو بن تميم. لُقِّب «مجدّعًا»، وسُمّي «ملقي القناع» كان شاعرًا جاهليًا مُقِلًا.

١ ـ عكاظ: واد بين مكة والطائف. فيه نخل وكانت تقام فيه أهم أسواق العرب؛ وتوقيتها شهر شوّال. وفي سوق عكاظ كانت تنصب خيمة للنابغة الذبياني، حيث يأتيه الشعراء ينشدون قصائدهم فيحكم بينهم ويختار الأفضل. رسولهم: مندوبهم. يتوسم: يتفرّس باحثًا في الوجوه. وتعميمة في ذكر القبائل دليل على أنه مطلوب من معظم القبائل العربية، لأنه فيها كلها ترك أثرًا من غارة أو قتل بطل.
إن كل قبيلة تنزل عكاظ ترسل من يتأثر خبري ويتفرس في الوجوه بحثًا عني.

٢ ـ فَتوَسَّمُوني إِنَّني أَنا ذاكُمُ شاكٍ سِلاحِي في الحَوادِثِ مُعْلَمُ
٣ ـ تَحْتِي الأَغَرُّ وفَوقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيفَ وهو مُثَلَّمُ
٤ ـ حَوْلِي فَوارسُ مِن أُسَيِّدَ شِجْعَةٌ وإذا غَضِبتُ فَحَولَ بَيتِيَ خَضَّمُ
٥ ـ ولِكُلِّ بَكْرِيٍّ لَديَّ عَداوةٌ وأَبو رَبيعَةَ شانِىءٌ ومُحَلَّمُ

---

٢ ـ إنني أنا ذاكم: أنا من تبحثون عنه. شاك سلاحي: أحمل سلاحي كاملًا. في الحوادث: يقصد في المعارك. مُعلَم: يجعل لنفسه علامة ليكون معروفًا فيُقصده الأبطال لينالوا منه. وهذه عادة الأبطال الصناديد لأن كثيرين من الفرسان يتقنّعون لكي لا يُعرَفوا.

يتحدى طالبيه ويقول: هيّا، تعالوا، تفرّسوا في ملامحي، أنا بُغيتكم، سلاحي مكتمل ولي علامتي في المعارك.

٣ ـ الأغر: اسم فرس طريف. نثرة: درع طويلة. زَغْف: ليّنة. ترد السيف: السيف لا يخترقها بل يرتدّ عنها. مثلّم: فيه شقوق.

أنا أركب فرسي الأغرّ وألبس درعًا سابغة لينة لا يعمل فيها السيف، بل يرتد عنها مشقّقًا.

٤ ـ أسيّد هو ابن عمرو بن تميم. شجعة: شجعان. خضّم: العنبر بن عمرو بن تميم. إذا غضبت: إذا كنت في شدة وأردت الحرب.

يسندني فوارس شجعان من أسيّد، وفي وقت الشدة، يأتيني فرسان خَضَّم، (فكأن بني العنبر جميعًا يصبحون حول بيته).

٥ ـ لكل بكري: لكل فرد من آل بكر. أبو ربيعة ومحلّم: من أولاد ذهل بن شيبان، وهم من فروع بكر.

إنه يعدد العداوات التي اكتسبها في القبائل، وهذا يسوغ ما قاله في مطلع المقطوعة عن بحث القبائل جميعها عنه. فكل فرد من بني بكر آذاه طريف بقتل عزيز عليه، ومثلُ بكر جميعًا فروعُها وخصوصًا أبا ربيعة الحاقد عليَّ، ومُحلِّم.

٣٩ ـ دوران عبيد العصا
امرؤ القيس(١)

أولاً: الإطار

قتلت بنو أسد حُجرًا والد امرىء القيس، فآلى على نفسه، على طريقة العرب، بألا يغتسل ولا يتطيب، ولا يقرب النساء الخ... حتى يأخذ بثأر أبيه. وراح يستعين القبائل الحليفة والملوك ليصل إلى مطلبه. فدارت بينه وبين بني أسد معارك كثيرة منها معركة أنجده فيها قرمل بن الحُميم الحميري بجيوشه، إذ أناخ على بني أسد وقتل قتلة أبيه، وألبسهم الدروع المحمّاة وكحّلهم بالنار، فقال في ذلك مقطوعته: يا دار ماوية.

ثانيًا: المقطوعة

قال أبو سعيد: سَمعتُ أبا عَمرو بن العلاءِ ينشِد هذه القصيدة لامرىء القَيس: [من السريع]

١ ـ [يــا دارَ مــاويَّــةَ بِــالــحــائِلِ   فــالسَّهْـبِ فـالـخَبْـتَـيـنِ مِـنْ عـاقِـلِ]

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو... بن كندة... بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. فهو من كندة، القبيلة اليمنية الجنوبية.
اسمه حُندُج، ولقب بامرىء القيس، كما لقّب بالملك الضلّيل وبذي القروح مُلّك أبوه حجر على أسد ستين عامًا. وكان امرؤ القيس أصغر أولاده، فربّي على الفروسية كما حظي بالكثير من مقومات حياة الرفاه. تعلّم الشعر من خاله المهلهل فأجاره وبرّز فيه في سن مبكرة. وقد استخدم شعره في حياته اللاهية، فتغنى بالفتيات وشبّب بالأسديّات، وبقي كذلك، على رغم زجر أبيه له حتى طرده والده، فعاش حياة صعلكة وتشرد ولهو ومرح وشرب وغناء. وحين بلغه قتلُ بني أسد لأبيه كان مع ندمائه يشرب فقال قوله المأثور: «لا صحو اليوم ولا سُكر غدًا». اليوم خمر وغدًا أمر. ثم أمضى بقية حياته يجمع الجموع ويستعدي الرؤساء والملوك تحقيقًا لثأره حتى وصل إلى ملك الروم الذي يبدو أنه برِم به فأهداه عباءة مسمومة ارتداها وهو عائد من القسطنطينية فجعل لحمه يتساقط ومات غريبًا وحيدًا في بعض الطريق.

١ ـ ماوية: محبوبة الشاعر التي يقف بالديار يذكرها. الحائل: موضع. السهب: الأرض الواسعة المستوية. الخبتين وعاقل: موضعان.

٢ ـ [صَمَّ صَداها وعَفا رسْمُها ... واسْتَعْجَمَتْ عَنْ منطِقِ السَّائِلِ]
٣ ـ [قُولا لِدُودانَ عَبيدِ العَصَا ... ما غَرَّكُمْ بِالأسدِ الباسِلِ]
٤ ـ [قَدْ قَرَّتِ العينانِ منْ مالكٍ ... ومِنْ بَنِي عمرٍو ومِنْ كاهِلِ]
٥ ـ [ومِنْ بَنِي غَنْمِ بنِ دودانَ إذْ ... نَقْذِفُ أعلاهُمْ على السَّافِلِ]
٦ ـ نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلوجَةً ... لَفْتَكَ لأمَيْنِ على نَابِلِ
٧ ـ إذْ هِيَ أَقْساطٌ كرِجْلِ الدَّبا ... أو كَقَطا كاظِمَةَ النَّاهِلِ

---

٢ ـ صُمّ صداها: هلكت، اندثرت. عفا: انمحى. الرسم: ما لصق بالأرض من آثار الإقامة ولم يكن له شخص. استعجمت: عجزت عن النطق. المنطق: الكلام. وعن منطق السائل: عن الإجابة عن كلام السائل.
هذه الدار أصابتها عوادي الأيام فاندثرت وانمحت آثارها وعجزت عن الكلام للإجابة عن سؤال السائل الواقف بها.

٣ ـ قولا: الكلام موجه إلى مخاطبَين متوهَّمين اعتاد امرؤ القيس مخاطبتهما في شعره. دودان: بطن من بطون بني أسد. وبنو أسد هم الذين قتلوا حُجرًا أبا امرىء القيس. عبيد العصا: عبيد السخرة الذين يساقون بالعصا والضرب. ما غَرَّكم: ما الذي خدعكم فأطمعكم. الأسد الباسل: الأسد القوي، الجريء، يعني نفسه.
يبعث مرسلة لبني دودان، واصفًا إياهم بعبيد السخرة يعملون والعصا فوق رؤوسهم، فيسألهم عما جعلهم يُخدعون فيطمعون به وهو الأسد الجريء، القوي.

٤ ـ قرّت العينان: ارتاحتا، والقول كناية عن رضى النفس. من مالك: من التنكيل بمالك. ومالك وبنو عمرو وكاهل، جميعهم من بطون بني أسد.

٥ ـ بنو غنم بن دودان: من بطون أسد. نقذف أعلاهم على السافل: نقتل فرسانهم فيسقطون من أعلى جيادهم على قتلاهم من الراجلين.

٦ ـ نطعنهم: نشُكّهم برماحنا. سلكى: طعنة مستقيمة تلقاء الوجه. مخلوجة: طعنة في الجانب بصورة معاكسة. لَفْتَك: ردُّك وإعطاءَك. النابل: صانع النبال. لأمَين: ريشتين لُؤامًا؛ والريش اللؤام: يلائم بعضه بعضًا، وهو ما كان بطنُ القُذَّة منه يلي ظهر الأخرى، وعلى ذلك هو أجود ما يكون.
يقول إننا نطعنهم كل أنواع الطعنات: الطعنة المواجهة، والطعنة الجانبية المقابلة لها، وتفعل ذلك بسرعة كسرعة مناولتك الريش اللؤام لصانع النبال، فهو يحتاج إليه في السرعة والخفة لأن الغراء يُستعمل حارًا، فإذا برد لم يلزق.

٧ ـ هي: الخيل. أقساط: جماعات. رجل الدّبا: القطعة الكبيرة من الجراد وهي كناية عن الكثرة المفرطة والانتشار الواسع. القطا: طائر كالحمام، ينتقل أسرابًا ويسعى إلى موارد الماء. فإذا اقترب منها أسرع في طيرانه سرعة هائلة غدت مضرب المثل عند العرب. =

٨ ـ [حـتَّـى تَـرَكْـنـاهُـمْ لَدَى مَـعْـرِكٍ أرجُـلُهُـمْ كـالـخَـشَـبِ الـشَّـائِلِ]

٩ ـ حَـلَّتْ لِيَ الـخَـمـرُ وكُـنـتُ امـرءًا عَـنْ شُـرْبِـهـا فـي شُـغُـلٍ شـاغِـلِ

١٠ ـ فـالـيـومَ أَشْـرَبْ غـيـرَ مُـسـتَـحْـقِـبٍ إِثْـمًـا مِـنَ اللهِ ولا واغِـلِ

٤٠ ـ هم كانوا الشفاء

امرؤ القيس

أولاً: الإطار

في تقلبات حياته المطالبة بالثأر واستعانته بالقبائل، استنجد امرؤ القيس بأخواله التغلبيين فأنجدوه فتعقب بني أسد مع حلفائه. لجأ الأسديون إلى بني كنانة ثم غادروهم لعدم اطمئنانهم الكافي إلى حمايتهم. وحين وصل امرؤ القيس إلى كنانة أمر بوضع السيف فيهم مناديًا: يا لَثارات الملك! يا لثارات الهمام. فقالت عجوز كنانية: لسنا لك بثأر، فإن شئت فاطلب ثأرك من بني أسد، وقد رحلوا مساء أمس. فأسَف

= الناهل: القاصد موارد الماء. وكاظمة: بلدة على سيف البحر قريب من البصرة فيه ركايا ومناهل، لعله من محطات الطيور المهاجرة.

٨ ـ المعرِك: مكان الازدحام واختبار الناس بعضهم بعضًا. أرجلهم كالخشب: كناية عن الموت. الشائل: المرتفع.
تركناهم صرعى على أرض المزدحَم، وأرجلهم اليابسة كالخشب المرتفع.

٩ ـ حلّت لي الخمر: صار شربُها حلالًا لي. وكان العربي الموتور يحرّم على نفسه الخمر والدُّهن وقصّ الشعر وقرب النساء إلى أن يأخذ بثأره فيعود إلى حياته العادية. وكان امرؤ القيس قد أجرى على نفسه هذا التحريم عندما قُتل والده. وقوله: حلت لي الخمر كناية عن وصوله إلى ثأره ورضاه عن أدائه. كنت عن شربها في شغل شاغل: كنت مشغولًا عنها وعن شربها بشغل مستحوذ عليّ.

١٠ ـ غير مستحقب: لا أضع في حقيبتي، لا أحمل. الإثم: الخطيئة والذنب. الواغل: المتطفل على القوم الشاربين، يدخل معهم ويشاركهم شرابهم ولم يُدع.
بعد أن وفيت بنذري وأخذت بثأري، وأصبح الشرب حلالًا عندي، أستطيع أن أشرب علنًا وعلى سجيتي، لا يحملني ذلك وزرًا أحاسَب عليه، ولا أكون متطفلًا على شراب لا حقّ لي فيه.

امرؤ القيس على الفرصة التي فاتته في إدراك بني أسد وقتل علباء بن الحارث الكاهلي، أحد قتلة حجر. فقال هذه المقطوعة: ألا يا لهف هندٍ. . .

ثانيًا: المقطوعة

وقال: [من الوافر]

١ ـ أَلا يــا لَهْــفَ هِــنْــدٍ مِــن أُنــاسٍ هُمُ كـانـوا الـشِّـفـاءَ فَـلَم يُـصـابُـوا

٢ ـ وَقـاهـمْ جَـدُّهـم بِـبـنِـي أَبـيـهـمْ وبِـالأَشْـقَـيْـنَ مـا كـانَ الـعِـقـابُ

٣ ـ وأَفْــلَتَــهُــنَّ عِــلْبــاءُ جَـريـضًــا ولَو أَدْرَكْـنَـهُ صَـفِـرَ الـوِطـابُ

٤١ ـ هل تفقه الصُّمُّ الخوالدُ منطقي؟

سلامة بن جندل[(١)]

أولاً: الإطار

القصيدة جاهلية، وهي، ككل قصيدة جاهلية تبدأ بالوقوف على الطلل وتتبع ما تبقى فيه من آثار الإقامة، والعبور إلى ضفاف الذاكرة حيث الحبيبة المواصلة لينتقل

---

١ ـ ألا يا لهفَ هند: يتحسّر على أخته هند، إذ لم يتمّ الثأر لأبيها من قاتليه. هم كانوا الشفاء: قتلُهم كان الشفاء لنا من داء الغل والرغبة في الثأر. لم يصابوا: لم نصل إليهم فنصيبهم بأذى.

٢ ـ وقاهم: حماهم. جَدُّهم: حسن حظهم. ببني أبيهم: ببني عمهم، أي أصيب عنهم بنو عمهم، وهم كنانة، نكّل بهم امرؤ القيس لأنهم أبناء عم بني أسد. بالأشقين: بمن كُتب لهم الشقاء. كان العقاب: أوقعنا العقاب. فهم أشقياء لأنهم سيئو الحظ إذ دفعوا ثمن جريمة ارتكبها سواهم.

٣ ـ أفلتهن: أفلت منهن، أي من خيلنا علباء: هو ابن الحرث الذي أنذر بني أسد باقتراب امرىء القيس منهم، فهربوا. جريضًا: مجهودًا يكاد يقضي. لو أدركنه: لو وصلت الخيل إليه. صَفِر الوطابُ: خلا جسمه من روحه، أي قُتل، والتعبير كناية عن الموت.

(١) سلامة بن جندل بن عبد الرحمٰن بن عبد عمر بن الحارث . . .بن عمرو بن كعب سعد، من تميم بن مرّ بن أُدّ بن طابخة بن ألياس بن مضر. . .
كان مجلّيًا في وصف الخيل، وهو من الجاهليين الأوائل، شاعر مقلّ مُجيد، وفارس من فرسان تميم المعدودين. في شعره حكمة.

إلى داخل ذاته معبرًا عن لواعجه حيال صمت الأثر وحياة الذكرى، فتهيج العواطف وتنهمر الدموع، وماذا تفيد الدموع في أرض خلاء!

ينتقل بعدها إلى الفخر، فخر بحماية النساء وقتل الأعداد، يقاتلونهم في ديارهم ويلاحقونهم خارجها، ويصف فعلهم في المعارك، والسلاح، والضرب والخيل والعدو للنجاة واستسلام الأعداء وإلقاءهم سلاحهم.

ويختم بلوم الأعداء إذا فخروا بانتصار على فوارس قلة، ويتّهمهم بالتعجل ويرى أن النصر من الله، بإرادته الحل والعقد، يُعلي من يشاء ويُذِلّ من يشاء.

ثانيًا: القصيدة

وقال سَلامةُ بنُ جَنْدَلٍ: [من الطويل]

١ ـ لِمَنْ طَلَلٌ مِثلُ الكِتابِ المُنَمَّقِ خَلا عَهْدُهُ بينَ الصُّلَيْبِ فمُطْرِقِ

٢ ـ أَكَبَّ عَلَيهِ كاتِبٌ بِدَواتِهِ وحادِثُهُ في العَيْنِ جِدَّةُ مُهْرَقِ

٣ ـ لأَسْماءَ إذْ تَهْوَى وِصالَكَ إنَّها كَذِي جُدَّةٍ مِنْ وَحْشِ صاحَةَ مُرْشِقِ

---

١ ـ المنمَّق: الموشّى بعناية. خلا عهده: مضى عليه زمن طويل. الصُّلَيب ومُطرَق: موضعان. يقف بالديار التي مضى على عهده بها زمن طويل فتساءل، هل هذه الآثار المنتشرة كالوشي في كتاب دُبِّج بعناية هي للطلل الذي يفكّر فيه؟

٢ ـ أكبّ عليه: انحنى عليه وانصرف إليه. كاتب بدواته: استكمال لصورة الكتاب الموشّى فيصف هنا من كتبه ووشّاه. الحادث: المطر النازل في أول السنة. في العين: في نظر المشاهد. المهرق: الصحيفة البيضاء. وجدة المهرق: تجديد الكتابة في الصحيفة بعد أن تكون خبت بمرور الزمن.
إن آثار الطلل البادية كالوشي المنمق هي من عمل كاتب انحنى على كتابه وانصرف إليه بقلمه ودواته، والزمن الطويل الذي مضى على الآثار كاد يمحوها لولا أمطار أول السنة التي نزلت فجلتها وجدّدتها كما تُجدَّد الكتابةُ في الصحيفة البيضاء بعد أن تخبو بفعل الزمن.

٣ ـ أسماء: اسم محبوبته. تهوى وصالك: ترتضي وصلك. ذو الجُدّة: ذو الخطوط على جسده وهو حمار الوحش، ويبدو أنه استعاره هنا للظبية. صاحة: اسم موضع. مُرشِق: صفة الظبية ترمق بعينيها وقد مدت عنقها، فهي أجمل ما تكون صفحة عنق وجمال نظرة.
هذا الطلل هو لديار أسماء أيام كانت ترغب في وصاله، وكانت مصقولة صفحة العنق، عميقة النظرات كظبية من ظباء صاحة، مدت عنقها (لتناول ورق الشجر) ورمقت بعينيها بنظرات كرشق السِّهام.

٤ ـ لَهُ بِقَرارِ الصُّلْبِ بَقْلٌ يَلُسُّهُ وإنْ يَتَقَدَّمْ بِالدَّكادِكِ يَأْنَقِ
٥ ـ وقَفتُ بِها ما إنْ تُبِينُ لِسائلٍ وهَل تَفْقَهُ الصُّمُّ الخَوالِدُ مَنْطِقِي
٦ ـ فَبِتُّ كَأنَّ الكَأْسَ طَالَ اعتيادُهَا عَلَيَّ بِصافٍ مِنْ رَحيقٍ مُرَوَّقِ
٧ ـ كَريحِ ذكِيِّ المسكِ بِاللَّيلِ رِيحُهُ يُصَفَّقُ في إبريقِ جَعْدٍ مُنَطَّقِ
٨ ـ وماذا تُبَكِّي من رُسومٍ مُحِيلَةٍ خَلاءٍ كَسَحْقِ اليُمْنةِ المُتَمَزِّقِ

---

٤ ـ له: الحمار الوحش المذكور. والمقصود هنا وصفه بليونة العيش وحسن التغذية. القرار: ما انخفض من الأرض، حيث تجتمع المياه فيفرز العشب. الصلب: اسم مكان. بقل: النبات الطري. يلُسُّه: يتناوله بلسانه ليأكله. يتقدم: يمضي صُعُدًا. الدكادك جمع دَكدَك: رمل متلبد وملتصق بالأرض لا يرتفع كثيرًا. يأنق: يحظى بالأَنَق، وهو النبات المُعجِب.
هذا الحمار يعيش مرفهًا، إذا نزل إلى القرار حيث مجمع الماء، يتغذى بالبقل الطري، وإذا ارتفع إلى الدكادك الرملية يحظى بأحسن نبات مُعجب.
٥ ـ وقفت بها: بالديار، بالأطلال. تُبين: تُفصح. الصم: الحجارة الصلبة. الخوالد: الباقية على حالها لا تتغيّر. منطقي: قولي.
وقفت بهذه الديار أسألها، وكيف لها أن تجيب وتفصح في الرد على السائل؟ بل هل يمكن للصخور الصلبة الدائمة أن تفهم قولي؟
٦ ـ الكأس: كأس الخمر. طال اعتيادها عليّ: كثر تردُّدُها عليّ. (تتركني فارغة وتعود إليَّ ملأى). الرحيق: الصافي من الخمر. المروّق: المصفّى بالراووق، وهو مصفاة خاصة بالخمر.
في وقوفي أمام الذكريات، انتابني من الحزن والأسى ما جعلني أذهل عن نفسي وعن واقعي فكأنني شارب تتالت عليه الكؤوس من الخمر الصافية حتى غدا مخمورًا.
٧ ـ ريح: رائحة، وهي رائحة الرحيق في البيت السابق. ذكيّ: له رائحة تذكو أي تتصاعد وتنتشر. بالليل: نتضوّع الرائحة في الليل لضعف المؤثرات الخارجية. يصفق: يتحرك داخل الإناء فيصطدم بجدرانه، فتتصاعد رائحته. جعد: غلام خفيف، كريم. منطّق: يلف النطاق على خصره، والزنّار كان من لباس بائعي الخمور النصارى.
هذا الرحيق الذي يُذهل تتضوع رائحته كلما تحرك داخل الإناء واصطدم بجدرانه، رائحة كرائحة المسك الذكي تفوح في الليل، يصبه من إبريقه غلام خفيف كريم يلف النطاق حول خصره.
٨ ـ ماذا تبكّي: ماذا تستعطف. خلاء: لا حياة فيها. محيلة: مضى على خلوّها حول أو حولان أو أكثر. السَّحق: الثوب البالي؛ وسَحق اليُمنة: الثوب اليمني البالي.
إذا كنت تروم من البكاء أن تستعطف الأطلال فتشاركك حزنك والبكاء، فإنه لا حياة لمن تنادي، فلن تبكي الرسوم التي مضى حول أو حولان على ترك ساكنيها لها، وخلوّها التام، فغدت أشبه بالثوب اليماني البالي، المتمزق.

٩ ـ أَلا هَلْ أَتَتْ أَنْباؤُنا أَهلَ مَأْرِبٍ ... كَما قَدْ أَتَتْ أَهلَ الدِّبا والخَوَرْنَقِ

١٠ ـ بأَنَّا مَنَعْنا بِالفَرُوقِ نِساءَنا ... ونَحنُ قَتلنَا مَنْ أَتانا بِمُلْزَقِ

١١ ـ تُبَلِّغُهُمْ عِيسُ الرِّكابِ وَشُومُها ... فَرِيقَيْ مَعَدٍّ مِنْ تَهامٍ ومُعْرِقِ

١٢ ـ ومَوْقِفُنا في غَيرِ دارِ تَئِيَّةٍ ... ومَلْحَقُنا بِالعارِضِ المُتَأَلِّقِ

١٣ ـ إذا مَا عَلَوْنا ظَهْرَ نَعْلٍ كَأنَّما ... على الهَامِ مِنَّا قَيْضُ بَيْضٍ مُفَلَّقِ

١٤ ـ مِنَ الحُمْسِ إِذْ جاؤُوا إلينا بِجَمْعِهِمْ ... غَداةَ لَقِيناهُمْ بِجَأْواءَ فَيْلَقِ

---

٩ ـ مأرب: من بلاد اليمن. الدُّبا: من بلاد عُمان. الخورنق: قصر في الحيرة.
يدّعي أن أنباء انتصارات قومه يتناقلها الناس في جميع أنحاء بلاد العرب. فهي قد وصلت إلى الخورنق في الحيرة. ووصلت إلى الدِّبا في عُمان، ويتساءل، متجاهلًا تجاهل العارف، ألم تصل أيضًا إلى أهل مأرب؟

١٠ ـ الفَروق: منطقة بين نجد وهجر، كان فيها وقعة لبني تميم. ملزق: اسم موضع الأنباء التي يتساءل الشاعر عن وصولها هي انتصارهم في معركة الفَروق، وحمايتهم النساء من السبي، ويبدو أنهم كانوا نازلين هناك وغزاهم الأعداء. وأعداء آخرون هاجموهم بمُلزق فقُتلوا.

١١ ـ الركاب: النوق يُركَب عليها، الرواحل. العيس: البيضاء. الشوم: السوداء. فريقي مَعَدّ: فرعي قبيلة معد. تَهام: منسوب إلى تِهامة. مُعرِق: منسوب إلى العراق.
إن من لم يقتل من الأعداء بمُلزَق هربوا على ظهر نوقهم البيضاء أو السوداء، ليلحقوا بأحد فرعي مَعَدّ: فرع تهامة وفرع العراق.

١٢ ـ موقفنا: توقفنا، انتظارنا. دار تئية: دار انتظار وتلبّث. ملحقُنا: لحاقنا. العارض: السحاب يعترض الأفق، كنى به عن الجيش يغطّي الأرض. المتألق: فيه التماع وبرق بالنسبة إلى السحاب، وكنى بذلك عن التماع السلاح وبريقه في الجيش.
ومن الأخبار التي يتساءل عن وصولها أخبار تجمعهم في جيش لجب. فهم يتجمعون جماعات جمّاعات في عدة أمكنة من مواقع الانتظار والترقب، ثم يتلاقون في جيش عرمرم يملأ الأفق كما تعترض السحب السماء وتغطيها، فيما تبرق السيوف وتلتمع أسنة الرماح في هذا الجيش كما يلتمع البرق في سحب السماء.

١٣ ـ علونا: ارتقينا، وصلنا إلى أعلى. ظهر نعل: سطح أرض صلبة غليظة. على الهام: على الرؤوس. قيض بيض: قشر بيض. المفلّق: المشقوق نصفين.
إذا ما ارتقينا قمة أكمة من أرض صلبة غليظة، بدا حطام البيض الجديدي المتطاير من خوذ رؤوس الأعداء منتثرًا على خوذاتنا كقشر بيض نعام فُلّق.

١٤ ـ الحُمس: المتشددون في الدين والتقاليد، وهو لقب أُطلق على مجموعة من قبائل قريش وخزاعة وبني عامر وكنانة. وكان هؤلاء الحُمس يتشددون في سلوكهم الشخصي والعام: فلا يلقطون البعر، لا يسلؤون السمن وهم حُرُم، ولا يدخلون البيوت إلا من أبوابها، ولا=

١٥ ـ [كَأنَّ النَّعامَ باضَ فَوقَ رُؤُوسِهِمْ ... بِنَهْيِ القِذَافِ أو بِنَهْيِ مُخَفَّقِ]

١٦ ـ ضَمَمْنا عَلَيْهِمْ حافَتَيْهِمْ بِصادِقٍ ... مِنَ الطَّعْنِ حتَّى أزْمَعُوا بِتَفَرُّقِ

١٧ ـ كأنَّ مُنَاخًا مِنْ قُيُونٍ ومَنْزِلاً ... بِحيثُ التَقَيْنا مِنْ أَكُفٍّ وأَسْوُقِ

١٨ ـ كَأَنَّهُمُ كَانُوا ظِباءً بِصَفْصَفٍ ... أَفاءَتْ عَلَيهِم غَبْيَةٌ ذاتُ مَصْدَقِ

١٩ ـ كأنَّ اخْتِلاءَ المَشْرَفيِّ رُؤُوسَهُمْ ... هَوِيُّ جَنُوبٍ في يَبِيسٍ مُحَرَّقِ

= يطوفون بالكعبة عراة. جأواء: كتيبة كثيرة الدروع التي تغيرت ألوانها لكثرة ما يلبسونها وتبقى معرّضة للشمس والرياح. الكتبة العظيمة (وصف بالاسم).
إن البيض المفلق المنتثر على رؤوسنا يأتي من خوذ قبائل الحُمس وقد جمعوا الجموع وأتوا إلينا فالتقيناهم بكتيبة عظيمة، كثيرة الدروع، اعتادت الحرب فلا تخلع عنها دروعها حتى تغير لونها.

١٥ ـ النعام باض فوق رؤوسهم: عنى بيض الحديد فوق الخوذ. النهي: الغدير. القِذاف: اسم موضع. مخفّق: اسم رمل معيّن.
حين التقيناهم كانوا يلبسون خوذهم يعلوها بيض الحديد وهو، بملاسته وكبره أشبه ببيض النعام، فكأن نعام بنهي القذاف أو نعام بنهي مخفّق باض فوق رؤوسهم.

١٦ ـ ضممنا عليهم حافتيهم: هاجمنا جناحي جيشهم فانهزما ولحقا بالقلب. الصادق من الطعن: الطعن الذي لا يخطىء. أزمعوا: قرّروا.
هاجمناهم من الجانبين فانهزموا وانضم جناحا جيشهم إلى قلبه، وظللنا نمعن فيهم طعنًا يصدق ولا يخطىء حتى قرروا الهرب متفرقين.

١٧ ـ المُناخ: مكان إناخة الناقة، أي حيث التوقف والبقاء. القيون: جمع القين، وهو الحدّاد وهو أيضًا مُصلح الأشياء المعطّلة. المنزل: مكان النزول والاستقرار، بحيث التقينا: حيث جرت المعركة. أكف وأسوق: أيدٍ وأرجل.
إن الأيدي والأرجل المقطوعة والمتروكة على أرض المعركة، تُخيِّل للرائي أن مجموعة من الحدادين نزلوا هناك وطفقوا يعملون في إصلاح الدروع والأجساد فانتثرت حولهم كتل الحديد والأجزاء غير الصالحة.

١٨ ـ صفصف: أرض مستوية، صلبة، مكشوفة، أفاءت عليهم: ألحقت عليهم فيأها أي عطاءها، وهو هنا مطرها. غبية: دفعة من المطر. ذات مَصدق: فيها شدة.
كأن الأعداء، إذ تفرقوا في كل اتجاه بعد الهزيمة، مجموعة من ظباء كانت مجتمعة في أرض صلبة مكشوفة، فاجأتها دفعة قوية من المطر فتراكضت مذعورة.

١٩ ـ المشرفي: السيف. اختلاء رؤوسهم: فصلها. هويّ: انقضاض. جنوب: ريح جنوبية. يبيس: حشيش يابس، وهو شديد القابلية للاحتراق. محرَّق: مشتعل.
كأن السيف، بسرعته في حصد رؤوس الأعداء، ريح الجنوب الدافئة تؤجج النار فتستشري في الهشيم اليابس.

٢٠ ـ لَدُنْ غُدْوَةً حتَّى أَتَى اللَّيلُ دُونَهُمْ ... ولَمْ يَنْجُ إلَّا كُلُّ جَرْداءَ خَيْفَقِ

٢١ ـ ومُسْتَوْعِبٍ في الجَرْيِ فَضْلَ عِنانِهِ ... كَمَرِّ الغَزالِ الشَّادِنِ المُتَطَلِّقِ

٢٢ ـ فَألْقَوْا لَنا أَرْسانَ كُلِّ نَجِيَّةٍ ... وسَابِغَةٍ كأنَّها مَتْنُ خِرْنِقِ

٢٣ ـ مُداخَلَةٍ مِنْ نَسْجِ داوودَ سَكُّها ... كَحَبِّ الجَنا مِنْ أَبْلَمٍ مُتَفَلِّقِ

٢٤ ـ فَمَنْ يَكُ ذا ثَوْبٍ تَنَلْهُ رِماحُنا ... ومَنْ يَكُ عُرْيانًا يُوائِلْ فَيَسْبِقِ

٢٥ ـ ومَن يَدَعُوا شَيْئًا يُعالِجْ بئيسَهُ ... ومَنْ لا يُغالُوا بِالرَّهائِنِ يَنْفُقِ

---

٢٠ ـ لدن غدوة: منذ الصباح. أتى الليل دونهم: حال الليل بيننا وبينهم. جرداء: فرس جرداء أي أصيلة كريمة. خيفق: سريعة.

بقي الطعن فيهم وتقطيع الرؤوس منذ الصباح حتى جاء الليل فحال بيننا وبينهم فاستطاع الفرار من يمتطي فرسًا جرداء أصيلة سريعة.

٢١ ـ ومستوعبٍ: (تابع الكلام السابق) أي إلا كلُّ مستوعبٍ. والمستوعب فضلَ عِنانه: هو الذي يستوعب عِنانه في الجري، أي يجري في عنان مطلق، مرخى تمامًا. الغزال الشادن: ولد الظبي إذا اشتد. المتطلق: الذي يركض ركضًا حرًّا لا يعوقه عائق.

ولا ينجي الأعداء أيضًا إلا من يعلو صهوة جواد يجري في عنان مطلق مرخى على آخره، فيمر سريعًا سرعة ولد الظبي الذي اشتد فانطلق يعدو حرًّا طليقًا لا يعوقه عائق.

٢٢ ـ ألقوا لنا أرسان: تخلُّوا عن قيادة النوق. نجية: ناقة سريعة. السابغة: الدرع الطويلة. متن خِرنق: ظهر ولد الأرنب، وهو معروف بلين ملمسه ونعومته؛ بلين ملمسه شبه ملمس الدرع الطويلة، وهذه من صفات الدرع المتقنة الصنع، الغالية الثمن.

فرّوا وتركوا لنا نوقهم السريعة. ودروعًا طويلة ناعمة الملمس، ليّنة المسّ كمسِّ الخِرنِق.

٢٣ ـ مداخَلة: حلقاتُها محكمة التداخل. من نسج داود: ثمينة دقيقة الصنع من نسج النبي داود. سكُّها: المسامير التي تجمع الحلق. الأبلُم: بقلة ذات قرون. متفلِّق: مشقوق نصفين.

حلقات هذه الدروع متداخلة بإحكام، وتظهر المسامير، التي تجمع الحلق، في تشابهها وانتظامها، كحب جنا الأبلم إذا فتحت القرون وكشفتها. (كشفت الحب).

٢٤ ـ الثوب: يُقال للقلب وللنفس، ويقصد هنا القلب الجريء. العريان: يقصد بها الجبان الذي لا قلب جريئًا له. يوائل: يطلب النجاة.

من يكن من الأعداء ذا قلب وجرأة يصمد لقتالنا فتناله رماحنا. ومن كان جبانًا لا قلب ولا جرأة له، يطلب النجاة فيسبق إلى الفرار.

٢٥ ـ من يدعوا شيئًا: من يتخلّون عنه ولا يهتمون لأمره. يعالج بئيسه: يعاني من الشدة=

٢٦ ـ وأُمُّ بُـجَـيْـرٍ فـي تـمـارُسِ بَـيْـنِـنَـا	متَى تَأْتِها الأَنباءُ تَخْمِشْ وتَحْلِقِ
٢٧ ـ تَرَكْنا بُجَيْرًا حَيثُ ما كانَ جَدُّهُ	وفينـا فِـراسٌ عـانيًـا غَيـرَ مُطْلَقِ
٢٨ ـ ولَولا جَنـانُ اللَّيـلِ مَا آبَ عَـامِرٌ	إلـى جَعْـفَـرٍ سِرْبـالُهُ لَمْ يُخَـرَّقِ
٢٩ ـ بِضَرْبٍ تَظَلُّ الطَّيرُ فيهِ جَوانِحًا	وَطَعْنٍ كَأَفْواهِ المَزادِ المُفَتَّقِ
٣٠ ـ فَعِزَّتُنـا لَيسـتْ بِشِعْـبٍ بِحَـرَّةٍ	ولَكِنَّـهـا بَحْـرٌ بِصَحْـراءَ فَيْـهَـقِ

= والحرمان، وهنا بسبب الأسر. ومن لا يغالوا بالرهائن: من كان ذا قيمة وشرف، ولم يستكثروا فداءً غاليًا له. ينفُق: يذهب.

والأسرى على نوعين: أسرى يتخلّى عنهم أهلهم، فيبقون في الأسر. يعانون الشدة والحرمان، ونوع لا يستكثرون الفداء الغالي لهم، يتركون ليذهبوا.

٢٦ ـ بُجير: هو بجير بن عبد الله القشيري، قُتل يوم المروت. التمارس: الشدة والتجربة. بيننا: من البين. وهو بمعنى الفراق وبمعنى الوصل. وهنا معناه الوصل والالتقاء. وتمارس بيننا: التقاؤنا على شدة التجرة في الحرب. تخمش: تخمش وجهها. تحلق: تحلق شعرها. والأمران من مظاهر الجزع على الميت.

بعد التقائنا على شدة التجربة في المعركة، تأتي الأنباء أُمَّ بُجير (بمقتل ولدها) فتخمش وجهها وتحلق شعرها جزعًا عليه.

٢٧ ـ جَدُّه: حظه؛ وحيث ما كان حظه: حيث تخلى عنه حظه. فراس: أخو بجير. عانيًا: أسيرًا. غير مُطلَق: غير حرّ.

تركنا بجيرًا مجندلًا على الأرض حيث عثر به الحظ، وأسرنا أخاه فراسًا فبات بيننا مقيدًا غير حر.

٢٨ ـ جَنان الليل: ستره، شدة ظلامه. آب: رجع. سرباله: لباسه، قميصه، والمقصود به جلده الذي يغطي جسده. يخرّق: تخترقه طعنات الرماح.

لو لم يأت الليل بظلامه ويشكل سترًا لعامر لما استطاع العودة إلى أبيه جعفر سليم الجلد من طعنات رماحنا وضرب سيوفنا.

٢٩ ـ الطير: الطيور الكواسر تتوقع وليمة بعد انحسار المعركة. جوانحًا: محوّمة قريبًا من الأرض. المزاد: القربة، مصنوع من قطعتين من الجلد محبوكتين، فإذا فُتق تدفق الماء منه غزيرًا. بفم الفتق هذا شبه الخرق الذي يحدثه الرمح، وشبه تدفق الدم من الجرح بتدفق الماء من فتق القربة.

يبيّن هنا أشكال الخروق التي لم تصب عامرًا بسبب هربه تحت ستر الظلام.

٣٠ ـ عِزّتنا: شرفنا ومجدنا ومنعتنا. شعب: طريق ضيق. حَرّه: أرض سوداء الحجارة لا تمسك ماء. فيهق: واسعة. =

٣١ ـ يُقَمِّصُ بِالبُوصِيِّ فيه غَوارِبٌ   مَتَى مَا يَخُضْها مَاهِرُ اللُّجِّ يَغْرَقِ

٣٢ ـ ومَجْدُ مَعَدٌّ كَانَ فَوْقَ عَلايَةٍ   سَبَقْنَا بِهِ إذْ يَرْتَقُونَ ونَرْتَقِي

٣٣ ـ إذا الهُنْدُوانِيَّاتُ كُنَّ عُصِيَّنَا   بِهَا نَتَأَيَّا كُلَّ سَاقٍ ومَفْرِقِ

٣٤ ـ نُجَلِّي مِصاعًا بِالسُّيوف وجُوهَنا   إذا اعْتَفَرَتْ أَقدامُنا عِنْدَ مَأْزِقِ

٣٥ ـ فَخَرْتُمْ عَلينَا أَنْ طَرَدْتُمْ فَوارِسًا   وقولُ فِراسٍ هَاجَ فِعْلِي ومَنْطِقِي

٣٦ ـ عَجِلْتُمْ عَلَينا حِجَّتيْنِ عَلَيكُمُ   ومَا يَشأِ الرَّحْمَنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ

= ليست عزتُنا كطريق ضيق في أرض وعرة سوداء الحجارة، لا تُمسك قطرة ماء، وإنما هي كبحر هائل في صحراء واسعة. (والبحر يعني نهرًا كبيرًا).

٣١ ـ يقمص: يتلاعب بـ. البوصيّ: الزورق. غوارب: أمواج عالية. ماهر اللج: الماهر في السباحة. اللُّجّ: جمع اللجة وهي الماء الهائل.

بحر عزّتنا هذا بحر صعب، لا يمكن لزورق أن يسير فيه هادئًا، وإنما تتلاعب به الأمواج العالية، ويغرق فيه السبّاح الماهر إذا ما جازف وخاض لُجّه.

٣٢ ـ معدّ: جدّ عرب الشمال. فوق علاية: على قمة عالية. سبقنا به: قدناه فكان سابقًا. إذ يرتقون ونرتقي: حين قامت المنافسة في الارتقاء.

لقد رفعنا مجد معدّ فوق قمة عالية، مشينا به صعدًا فكان سابقًا في منافسة الارتقاء التي قامت بيننا وبينهم.

٣٣ ـ الهندوانيات: السيوف الهندية. العصي: جمع العصا. وتشبيه السيف بالعصا كناية عن سهولة استعمال السيف والسرعة إليه واستخدامه في الجد واللعب. نتأيّا: نتعمّد. المفرق: قمة الرأس.

إذا كانت عصينا سيوف الهند نتعمد بها ضرب الرؤوس وقطع الأرجل.

٣٤ ـ نجلّي: نكشف. مِصاعًا: مجالدة بالسيوف. اعتفرت: علقت بالتراب. المأزق: المكان الضيق تصعب الحركة فيه. وهو كناية عن الشدة والأزمة.

إذا علقت أقدامنا في تراب أزمة وضيق، كشفنا الأعداء من أمامنا، مجالدين بسيوفنا.

٣٥ ـ طردتم: لاحقتم. هاج فعلي ومنطقي: أثار غضبي فكان قولًا وكان فعلًا. فخرتم علينا أنكم تمكنتم من مطاردة بعض فوارسنا، وقد وردنا قول فراس (وهو أخو بجير) فأغضبني وأثار ردة فعل عندي كانت شعرًا وكانت حربًا.

٣٦ ـ عجلتم: استعجلتم في فخركم، تجاوزتم. حِجتين: مرتين قصدناكم بهما من حجّه: قصده، والحج: القصْد. يعقد: يجمع. يُطلق: يفرّق.

لقد استعجلتم وفخرتم متجاوزين مرتين قصدناكم بهما، (مرة يوم المِلزق ومرة يوم=

٣٧ ـ هُو الجابِرُ العَظمَ الكَسِيرَ ومَا يَشَأْ | مِنَ الأَمْرِ يَجْمَعْ بَيْنَه ويُفَرِّقِ
٣٨ ـ هَو المُدْخِلُ النُّعمانَ بَيْتًا سَماؤُهُ | صُدُورُ الفُيولِ بَعدَ بيتٍ مُسَرْدَقِ
٣٩ ـ وبَعْدَ مُصابِ المُزْنِ كَانَ يَسُوسُهُ | ومَالَ مَعَدٌّ بَعدَ مَالِ مُحَرِّقِ
٤٠ ـ لَهُ فَخْمَةٌ ذَفْراءُ تَنْفِي عَدُوَّهُ | كَمَنْكِبِ ضاحٍ من عَمايَةَ مُشْرِقِ

= المروت). (والفخر، في كل حال جهل)، إذ يعود الأمر كله إلى الله: هو الذي يجمع وهو الذي يفرق.

٣٧ ـ الجابر العظم الكسير: الذي يجمع العظم المكسور ويبرئه.
يؤكد قدرة الله على الجمع والتفريق ويعطي مِثل العظم المكسور، يشفى ويُجبر بقدرة الله.

٣٨ ـ النعمان: هو النعمان بن المنذر. وكان كسرى ملك الفرس قد حفِظ عليه فأمر به فألقي تحت أرجل الفيلة فداسته حتى مات. والنعمان، حين كان طريحًا أرضًا، تحت أرجل الفيلة، كانت صدور الفيلة هي سقفه أو سماؤه. البيت المسروق: هو البيت المشدود أسفله والمشدود أعلاه، وذلك لكبره وفخامته.
يقول الشاعر إن إرادة الله هي التي حوّلت النعمان من بيت سطوة وعز إلى مكان ذلّ وموت.

٣٩ ـ مصاب المزن: مطر السحاب، ماء السماء. وماء السماء اسم لوالدة المنذر بن الأسود النعماني، أحد جدود النعمان بن المنذر. كان يسوسه: يسوس المُلْك، يتولى أموره. مَعَدّ: جدّ العرب الشمالية. محرّق: عمرو بن امرىء القيس. لُقّب محرِّق العرب، وهو جد أكبر للنعمان بن المنذر.
يصف الشاعر قدرة الله على تغيير الأمور عن طريق وصف العز الأصيل الذي كان يمنع النعمان. فهو من سلالة المنذر بن ماء السماء. وأم المنذر تنتمي إلى معدّ جد عرب الشمال، وأبو المنذر ينحدر من سلالة عمرو بن امرىء القيس، محرِّق، وكلهم ذوو مال وسلطان ورثهما النعمان فلم يغنيا عنه شيئًا.

٤٠ ـ له: للنعمان. فخمة: كتيبة ضخمة (وكانت تسمى الدوسر). تنفي عدوّه: تردّه. ذفراء: شديدة الرائحة من حديد الدروع الصدىء. منكب: كتف. ضاح: مكشوف عماية: اسم جبل. مشرق: مشرف.
زيادة في المنعة، كانت له كتيبة ضخمة تَردّ عنه عدوّه، منيعة كمنعة كتف عال من جبل عماية مشرف، مكشوف.

٤٢ ـ لستُ كبعضِ ما يَتقَوّل
حَجل بن نَضْلة[١]

أولاً: الإطار

استبّ حجلٌ ومعاوية بن شكل عند بعض الملوك (لعله النعمان أو المنذر) فقال معاوية: هذا مُقابَلُ النّعلين[٢]، قَعُوُ الأَلْيَتين[٣]، مُفِجُّ الساقين[٤]، مَشَّاء بأقراء[٥]، خَتَّالُ ظباء[٦]، تَبَّاعُ إماء[٧]. فقال الملك: أردت أن تُذمَّه فمدحته. وقال حجل يرد عليه: أبلغ معاوية...

ثانيًا: المقطوعة

[قال الأَصمعيُ: خبَّرني الحارثُ بنُ مُطرِّف قال: استَبَّ حَجْلٌ ومعاوية بن شَكلٍ عند بعض الملوك، فقال حجلٌ: هذا مُقابَلُ النعلين، قَعُوُ الأَلْيَتَيْنِ، مُفِجُّ السَّاقيْنِ، مَشَّاءٌ بأَقراءٍ، قتَّالُ ظِباءٍ، تَبَّاعُ إِماءٍ.

«مقابَلُ النّعلين» يريد أنَّ لنعليه قِبالَيْنِ. «قَعُوُ الأَليتين» شَبَّه أَليتيه بالقَعْوِ، وتلك هُجْنَةٌ. و«مُفِجُّ السَّاقين» [متباعدةٌ هذه عن هذه]. «مَشَّاءٌ بأَقراءٍ» يمشي بأَقراءِ الوادي. يَخْتِلُ الظِّباءَ. فقال الملكُ: أردتَ أن تَذمَّهُ فَمَدَحْته، فقالَ حَجْلٌ].

وقالَ حَجْلُ بنُ نَضْلَةَ: [من الكامل]

١ ـ أَبْـلِـغْ مـعـاويـةَ الـمُـمَـزَّقَ آيـةً　　　عـنِّي فَـلسْـتُ كـبَـعـضِ مـا يَـتـقَـوَّلُ

---

(١) حجل بن نضلة بن صبح بن عبد الله، باهلي من بني قُنينة. كان شاعرًا جاهليًا وسيدًا على بني قنينة. يُحكى أنه أسر ابنة عمرو بن كلثوم، النوّار، وركب بها المفاوز.

(٢) مقابَل النعلين: لنعليه قِبال. وقِبال النعل زمامه، وهو السير الذي يكون بين الإصبعين.

(٣) قَعْوٌ: تشبه أليتاه القَعْوَ، وهو البكرة التي يدور عليها الرِّشاء (الحبل) وقعوّ الأليتين: ناتىء الأليتين.

(٤) مُفِجّ الساقين: متباعد الساقين، إحداهما عن الأخرى.

(٥) مشّاء بأقراء: أقراء الوادي: حيث مسيل الماء من التلاع. أي يختار الطرق الهيّنة السهلة.

(٦) ختّال ظباء: يخدع الظباء، إذ يمشي خفيفًا خفيًا كي لا تفطن إليه.

(٧) تبّاع إماء: يلاحق الجواري.

١ ـ الممزّق: الذي اعتاد أن تتناوله الألسن والسيوف. آية: مرسَلة. يتقول: يقول الكذب. =

٢ ـ إنْ تَـلْقَـنِـي لا تَـلْقَ نُـهْـزَةَ واحِـدٍ   لا طـائِشٌ رَعِــشٌ ولا أنــا أَعْــزَلُ
٣ ـ تَـحـتِـي الأَغَـرُّ وفَـوقَ جِـلْدِي نَـثْـرَةٌ   زَغْـفٌ تَـرُدُّ الـسَّـيـفَ وهـو مُـفَـلَّلُ
٤ ـ ومُـقَـارَبُ الـكَـعـبَـيـنِ أَسْـمَـرُ عـاتِـرٌ   فـيـهِ سِـنـانٌ كـالـقُـدامَـى مِـنـجَـلُ
٥ ـ ومُـهـنَّـدٌ فـي مَـتـنِـه حَـرَجِـيَّـةٌ   [عَضبٌ إذا مَسَّ الضَّريبةَ مِفصَلُ]
٦ ـ [إذ لا أَزالُ عــلى طَـريـقٍ لاحِـبٍ]   وكـأنَّ مَـتـنَـيْـهِ حَـصِـيـرٌ مُـرْمَـلُ
٧ ـ يَـسْـقِـي قَـلائِصَـنـا بِـمـاءٍ آجِـنٍ   وإذا يَـقـومُ بـهِ الـحَـسِـيـرُ يُـعَـيَّـلُ

= أبلغ معاوية، الذي اعتاد أن تتناوله الألسن بالذم، رسالة مني بأني لست بشيء مما تقوله كذبًا عني وافتراء.

٢ ـ النُّهزة: الذي يسهل أخذه أو العبث به. طائش: متهور. رعش: مرتجف اليد. أعزل: مجرد من السلاح.
عندما تلقاني أنت لا تلقى من يسهل العبث به وأخذه، فأنا لست متهورًا، ولا مرتعش اليدين، ولست أعزل مجردًا من السلاح.

٣ ـ الأغر: اسم فرسه. النثرة: الدرع الناعمة، السلسة. زغف: لينة. مفلّل: به ثلوم وشقوق.
أمتطي فرسي الأغر (وهو كمال العدة)، وألبس درعًا لينة، ناعمة سلسة، لا يخترقها السيف، بل يرتد عنها وبه ثلوم.

٤ ـ مقارَب الكعبين: رمح تقارب طرفاه، أي قصر. أسمر: صُلّب عوده بالنار. عاتر: مهتز. سنان: رأس الرمح المعدني. القُدامى: قوادم جناح النسر. مِنجل: واسع الجُرح.
يتابع وصف مظاهر قوته. معه رمح «قصرت أنابيبه فتقاربت كعوبه»، عوده نضج على غصنه، ثم قوّي وقوّم بالنار فدكن لونه، يهتز في يده متعطشًا للطعن، له سنان كقوادم نسر، إذا جرح وسّع الجرح.

٥ ـ مهنّد: سيف مصنوع في الهند. في متنه: على صفحته. حَرَجية: آثار في غاية الدقة. عضْب: قاطع. الضريبة: من يتلقى الضرب. مِفصل: يقطع فيفصل.
وسيفه من صنع الهند، على صفحته نقوش في غاية الدقة، قاطع إذا ضرب قطع وفصَلَ، ولو كان الضرب مسًّا.

٦ ـ إذ لا أزال: أنا أديم البقاء. لاحب: واضح. كأن متنيه: كأنّ جانبيه. مُرمَل: محبوك الخيوط منسوج.
ومن مظاهر القوة كثرة الأسْفار، ففيها المشقة والمغامرة والتعرض للمخاطر. فهو دائم السفر، لا يزال على طريق واضح، فيما الرمال على صفحتي جانبيه تلاعبت بها الرياح ورسمت عليها خطوطًا متداخلة كأنها نسج حصير.

٧ ـ القلائص: جمع القلوص، وهي الناقة الشابة، ماء أجن: ماء ركد فتغيّر لونه وطعمه. =

٤٣ ـ مَن كان كارهَ عيشِهِ فليأتنا

الأسعر الجعفي[(١)]

أولاً: الإطار

كان الأسعر غلامًا حين قُتل أبوه. وقد ارتضى إخوته أخذ الدية. أخذوها وأكلوها (تكون عادة عددًا من الإبل) وباعوا فرس أبيهم كذلك فأكلوا ثمنها.

لما اشتد عود الأسعر وبلغ مبلغ الشباب، ثأر لأبيه، واقتنى الخيل فأكثر وكان يمتدحها ويتغنى بفضلها، كما صب نقمته على إخوته وأهله الأقربين لخنوعهم.

ثانيًا: القصيدة

وقال الأَسْعَرُ الجُعْفيُّ: [من الكامل]

١ ـ أَبْـلِغ أبـا حُـمْـرانَ أَنَّ عَـشِـيـرَتِـي ... نـاجَـوْا ولـلقـومِ الـمُـنـاجِـيـنَ الـتَّـوَى

٢ ـ بـاعُـوا جـوادَهُـمْ لِتَـسْـمَـنَ أُمُّـهُـمْ ... ولـكـيْ يَـعُـودَ عـلى فِـراشِـهـم فَـتَـى

= الحسير: المتهالك من الإعياء. يُعيَّل: يُترك على الطريق ويُهمل.
نسقي نوقنا الفتية بمياه تغير لونُها وطعمها، (فهي تعتاد الظروف الصعبة) وترهق مطايانا في السير، فإذا عيي أحدها وتهالك غير قادر على متابعة السير، رُفعت عنه أدوات السفر وتُرك لمصيره على الطريق.

(١) هو أبو حمران، مرتد بن الحارث (أبي حمران) بن معاوية... من سعد بن عوف. كان شاعرًا جاهليًا فعلًا، من أصحاب الواحدة كما كان فارسًا.

١ ـ أبلغ: المخاطب: مجهول ومتلقى الخطاب غير موجود، وهي من أساليب العرب في تجميل آرائهم وعرضها. أبو حمران: جد الشاعر. عشيرتي: يقصد إخوته وأمه. ناجَوا: تسارّوا، وأذنبوا. هنا بمعنى تآمروا. التَّوى: الهلاك.
يرسل الشاعر خطابًا إلى جده فيه شكوى وتنديد. إنه يشتكي أهله الأقربين الذين تآمروا فيما بينهم، والمتآمرون، في رأيه، يلقون الهلاك.

٢ ـ لتسمن أُمهم: ليطعموا أمهم فتشبع وتسمن، فيزوجوها (شأن الراعي الذي يسمّن ماشيته ليرغب بها المشترون). يعود على فراشهم: يعود فينام على فراشهم (فراش والدهم). فتى: رجل (المقصود زوج الأم).
باعوا جوادهم، الذي تركه والدهم، ليطعموا أمهم ويسمّنوها، فتحلو في عين رجل يزوجونه إياها. هكذا عاد رجل من جديد ينام على فراش والدهم.

٣ ـ عِـلجٌ إذا مـا بَـزَّ عَـنـهـا ثَـوبَـهـا ... وتَـخـامـصَـت قـالَت لَهُ: مـاذا تَـرَى
٤ ـ لَكـنْ قَـعِـيـدةُ بـيـتِـنـا مَـجْـفـوَّةٌ ... بـادٍ جَـنـاجِـنُ صَـدْرِهـا ولَـهـا غِـنَـى
٥ ـ تُـقْـفِـي بِـعِـيـشَـةِ أَهـلِهـا وَثَّـابـةً ... أَوْ جُرْشُعًا عَبْلَ الـمَحازِمِ والشَّوَى
٦ ـ [مَـنْ كـانَ كـارِهَ عَـيْـشِهِ فَـلْيَـأْتِـنـا ... يَـلْقَ الـمَـنـيـةَ أَوْ يَـؤُوبَ لَهُ غِـنَـى]
٧ ـ ولَقَـد عَـلِمْـتُ عَـلَى تَـجَـشُّـمِيَ الرَّدَى ... أَنَّ الـحصونَ الـخَـيلُ لا مَـدَرُ القِـرَى

---

٣ ـ علج: رجل ضخم، غليظ. بزّ عنها ثوبها: عرّاها. تخامصت: تجافت، والمقصود ابتعدت دلالًا. ماذا ترى: ما رأيك في امتلاء جسدي؛ (والعرب تحب الجسد الممتلىء للمرأة).
يصف زوج الأم وعلاقتها به: إنه ضخم غليظ، يعرّيها من ثيابها فتنفر وتبتعد غنجًا ليستطلع تأملها جيدًا وتسأله: كيف ترى امتلاء جسدي.

٤ ـ قعيدة بيتنا: المرأة الملازمة لبيتي، وهي الزوجة. مجفوّة: مهمَلَة. بادٍ: ظاهر، بارز. جناجن صدرها: عظام صدرها. لها غنى: ليست فقيرة. فضمورها لا ينجم عن حاجة، وفقر، وإنما هو بسبب حرمانها نفسها الطعام لتسمين فرس.
بالمقابل، فإن زوجتي، باقية في المنزل متفردة، تبرز عظام صدرها من النحول، وهي، مع ذلك صاحبة مال.

٥ ـ تقفي: تُؤْثِر. عيشة أهلها: ما تعيش عليه عائلتها. وثابة: فرس نشيطة كثيرة الوثوب. الجرشع: الحصان الضخم الممتلىء الجنبين. عبل المحازم: ممتلىء في مكان الحزام الذي يثبت السرج. الشّوى: الأطراف، القوائم.
تفضل أن تقدم ما تعيش عليه عائلتها لفرس نشيطة كثيرة الوثوب أو لجواد ضخم ممتلىء الجنبين، والقوائم. (والشاعر يقوم هنا بمقارنة خفية لكن ناقدة بين أمه وإخوته وفرس والده من جهة، وبين زوجته وأولاده وفرسه. ففرس أبيه بيعت لتسمن أمه، لكن زوجته تضعف وتهزل لتسمن فرسه.

٦ ـ فليأْتنا: فلينضمّ إلينا ويحيَ حياتنا. يؤوب: يرجع.
من كان ناقمًا على عيشه غير قانع به فلينضم إلينا ويعش حياة المغامرة التي تعيش، ففي المغامرة إما موت كريم أو عودة غانمة تؤمن الغنى.

٧ ـ تجشّم: تحمل المشقة، وتمرّس. وعلى تجشمي الردى: لكثرة ما تحملت مشقة مواجهة الموت. الحصون: جمع الحصن، وهو ما يمنع ويحمي. مدر: طين. مدر القرى: البيوت المبنية بالطين في أماكن السكن الثابتة.
ولقد تعلمت، من كثرة تعرضي للموت أن الحصون الحقيقية، التي تحمي وتمنع، هي الخيل لا أبنية القرى من حجر وطين.

٨ ـ راحُوا بَصائِرُهمْ عَلَى أَكتافِهِمْ وبَصيرَتي يَعْدُو بِها عَتَدٌ وَأَى

٩ ـ نَهْدُ المَراكِلِ مُدْمَجٌ أرساغُهُ عَبْلُ المَعاقِمِ ما يُبالِي ما أَتَى

١٠ ـ أَمَّا إذا استَقْبَلتَهُ فَكأنَّه بازٌ يُكَفكَفُ أَنْ يَطيرَ وقَدْ رَأَى

١١ ـ وإذا هو اسْتَدبرتَه فَتَسُوقُهُ رِجْلٌ قَمُوصُ الوَقعِ عارِيَةُ النَّسا

١٢ ـ وإذا هو استعرضْتَه مُتَمَطِّرًا فَتقُولُ هَذا مثلُ سِرْحانِ الغَضا

١٣ ـ إنِّي رأَيتُ الخَيلَ عِزًّا ظاهرًا تُنجِي من الغُمَّى ويَكشِفْنَ الدُّجَى

---

٨ ـ البصائر: جمع البصيرة، وهي الدية. والبصيرة أيضًا هي الثأر. عتد: فرس سريع متوثب. وأى: طويل.
عادوا يحملون على أكتافهم ما قبضوه كديّة لدم والدهم وأنا حملت ثأري على ظهر فرس طويل سريع التوثب.

٩ ـ النهد: العالي، المرتفع. المراكل: جوانب الفرس حيث يركله الفارس بركابه. وفرس نهد المراكل: ضخم، عالي الجسم. مُدمج أرساغه: أرساغه مشدودة بإحكام، وهي ميزة مهمة في الفرس. عبل: ممتلىء. المعاقم: المفاصل. وعبل المعاقم: مفاصله ضخمة قوية وتلك ميزة أيضًا. ما يبالي ما أتى: لا يهتم لشيء، إذا ما ركض.
يتابع وصف الفرس الذي حمل عليه ثأره: هو فرس مرتفع على قوائم قوية الأرساغ، ضخمة المفاصل، وهو عظيم الجوف عالي المراكل (حيث يركله الفارس ليسرع).

١٠ ـ استقبلته: نظرت إليه مواجهة، وهو مقبل عليك. باز: طائر جارح من الطيور الصيادة. يُكفكف: يُمنع؛ أن يطير: أي يمنع من الطيران. وقد رأى: وهو يريد أن يطير.
إذا نظرت إليه مقبلًا عليك خُيل إليك أنه طائر الباز الجارح يريد الطيران ويُمنع من ذلك.

١١ ـ استدبرته: نظرت إليه مدبرًا، أي منصرفًا عنك. رجل: قصد أرجل (اسم جنس). قموص الوقع: ترتفع اليدان معًا وتقعان معًا، النسا: عرق النسا. عارية النسا: سمينة سمنًا يجعل فخذيها ينفلقان بلحمتين عظيمتين يجري النسا بينهما ويستبين. (في حين أن النسا يختفي مع الهزال).
إذا نظرت إليه من خلف رأيت قوائم ترتفع اليدان منها معًا وتقعان معًا ووجدت نساها عاريًا ظاهرًا بسبب السِّمَن.

١٢ ـ استعرضته: تابعته بنظرك. متمطّرًا: عاديًا بسرعة. سرحان: ذئب الغضا: شجر ينمو في غابات. وسرحان الغضا: الذئب الذي يعيش في تلك الغابات وهو أخبث الذئاب وأسرعها هجومًا وغدرًا.
إذا تتبعته بنظرك وهو يعدو مسرعًا قلت: هذا مثل ذئب من ذئاب الغضا.

١٣ ـ تُنجي: تُخلِّص. الغُمّى: الغمّ، والظلمة. الدجى: الظلمة. =

١٤ - ويَبِتنَ بِالثَّغرِ المَخوفِ طَلائِعًا ... ويُثِبْنَ للصُّعلوكِ جَمَّةَ ذِي الغِنَى
١٥ - وإذا رأَيتَ مُحارِبًا ومُسالِمًا ... فَليَبْغِنِي عندَ المحارِبِ مَنْ بَغَى
١٦ - وخَصاصَةُ الجُعْفِيِّ ما صاحَبْتَهُ ... لا تنقضِي أَبدًا وإنْ قيلَ انقضَى
١٧ - [إخوانُ صِدْقٍ ما رأوكَ بِغِبْطَةٍ ... فإن افتَقَرْتَ فقَدْ هَوَى بكَ ما هَوَى]
١٨ - مَسَحُوا لِحاهُمْ ثم قالوا: سَالِمُوا ... يا لَيتنِي في القَومِ إذ مَسَحُوا اللُّحَى
١٩ - وكتيبَةٍ وَجَّهتُها لِكتِيبةٍ ... حتَّى تقولَ سَراتهمْ: هذا الفتَى

= أنا أجد أن الخيل عزّ ظاهر، لا يخفى على أحد، فهي تخلص من الغمّ وتزيح ستائر الظلمة (كناية عن الشدة).

١٤ - يبتن: يبقين. الثغر: مكان التقاء أرض القوم بمنافذ العدوّ. المخوف: الذي يُخاف قدوم العدو منه. طلائعًا: مقدمة الجماعة تستكشف الطريق أو ترصد العدو. يُثبن: يُرجعن. الصعلوك: الفقير المشرد. الجَمة: هنا مجمل المال.
الخيل تسبق القافلة إلى منافذ العدو التي يُخاف قدومه منها، تستكشف وترصد. والخيل، عن طريق الغارة، تحوّل إلى الصعلوك الفقير مجمل مال الغنيّ.

١٥ - فليبغني: فليطلبني. من بغى: من أراد.
إذا كان الناس فريقين: محارب ومسالم، فأنا في الفريق المحارب، من أرادني فليطلبني هناك.

١٦ - الخصاصة: الحاجة، عدم الشبع (من الغنى). الجُعفيّ: هو الشاعر نفسه. ما صاحبته: مهما طالت رفقتك له. لا تنقضي: لا تزول. انقضى: زال ومات.
إن حاجتي التي تدفعني إلى طلب الغنى لا تزول ما دمت حيًا، بل هي تبقى ولو قُضي عليّ ومُتّ.

١٧ - إخوان صدق: رفاق وأصدقاء بكل معنى الكلمة. ما رأوك بغبطة: ما دمت في حال جيدة. هوى بك: تخلّى عنك.
إن الإخوان حولك يظهرون لك المودة الصادقة ما دمت في أحسن حال، فإذا ما انقلبت الأوضاع وأصابك الفقر تخلى عنك من تخلى.

١٨ - مسحوا لحاهم: حركة يقوم بها الإنسان عندما يفكر قبل اتخاذ قرار مهم. سالموا: المقصود هنا اقبلوا الدية واعزفوا عن طلب الثأر، وهو ما فعله إخوته. يا ليتني في القوم: ليتني كنت بينهم.
حين اجتمع أهلي للتشاور واتخاذ القرار الصعب بشأن الثأر للأب المقتول، مسحوا لحاهم وقالوا: اجنحوا إلى السلم، واقبلوا الدية وأوقفوا الحرب. لهفي على نفسي، ليتني كنت بينهم حين مسحوا لحاهم!

١٩ - سراتهم: أشرافهم وسادتهم. هذا الفتى: هذا هو الرجل الحق.

٢٠ ـ لا يَشتكونَ المَوتَ غيرَ تَغَمْغمٍ حَكَّ الجِمالِ جُنوبَهُنَّ من الشَّذَى
٢١ ـ يَخرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ عَوابسًا كأَصابِعِ المَقرُورِ أَقْعَى فاصْطَلَى
٢٢ ـ يَتَخالَسُونَ نفوسَهمْ برماحِهِمْ فَكَأَنَّما عَضَّ الكماةُ على الحَصَى
٢٣ ـ [فإذا شَدَدْتُ شَدَدْتُ غيرَ مُكَذِّبٍ وإذا طَعَنْتُ كسرتُ رُمْحي أو مضَى]
٢٤ ـ [مِنْ ولدِ أَوْدٍ عارِضِي أرماحِهِمْ أَنْهَلْتُهُمْ باهَى المباهِي وانتمَى]
٢٥ ـ يا رُبَّ عَرْجَلَة أَصابُوا خَلَّةً دَأَبُوا وحارَ دَليلُهُمْ حتَّى بَكَى

---

٢٠ ـ التغمغم: أصوات مبهمة تخرج من تجمعات الناس في حالة شدة، كوقت المعركة مثلًا.
الشذا: الذباب الأزرق يقع على جوانب النوق فيلسعها.
إن الكتيبة التي أقودها هي من فرسان لا يهابون الموت، بل يلقونه بغمغمة ولا يعيرونه من الاهتمام أكثر من اهتمام الجمال بحك جُنوبها إذا وقع الذباب الأزرق عليها.

٢١ ـ يخرجن: الضمير للخيل. من خلل: من خلال، من بين. عوابسًا: كالحات الوجوه. من الشدة. أصابع المقرور: أصابع من تعرض لبرد شديد (تتشنج). أقعى: جلس القرفصاء. اصطلى: طلب الدفء قرب النار.
حين تخرج الخيل من بين غبار المعركة، تكون وجوهها عابسة متشنجة من شدة ما لاقت، كما تتشنج أصابع المتعرض لبرد شديد قبل أن يجد نارًا يقعي أمامها طالبًا الدفء.

٢٢ ـ يتخالسون: يختلس بعضهم من بعض؛ والاختلاس هو الأخذ بصمت وتكتم، خفية. الكماة: الفرسان الأشداء والمدججون بالسلاح. عض على الحصى: وضع حصى في فمه وشدّ عليها فكيه لكي لا يخرج منه أي صوت.
يجري قتل الأبطال، بعضهم لبعض، بصمت فكأنهم يختلسون أرواحهم اختلاسًا أو كأن الفرسان وضعت حصى في أفواهها تشد عليها لكي لا يَصدر عنها أي صوت.

٢٣ ـ شددت: هاجمت خصمي بالسيف. غير مكذّب: غير مخطىء الضرب. طعنت: هاجمت خصمي بالرمح. مضى: نفذ. (إما يصادف الرمح درعًا لا تُخترق فينكسر، أو يصادف جسدًا مكشوفًا فينفذ فيه).

٢٤ ـ أود: قبيلة من اليمن. عارضي أرماحهم: رافعين أرماحهم مهددين. أنهلتهم: سقيتهم. باهى المباهي: افتخر المفتخر. وانتمى: ذكر نسبه. ذاك أن المقاتل الأصيل، إذا تمكن من خصمه وأراد توجيه الضربة القاضية إليه، خصوصًا في ثأر، كان يقول: خذها من يد فلان بن فلان...
إن مَن يحاربهم هم من بني أود من عرب الجنوب، المعتدّين بأنفسهم، المشرعين رماحهم تحديًا، سقاهم من ضربه وطعنه مما كان يفعله متباهيًا، مفتخرًا، منتسبًا لكي يعرفوا من هو غريمهم.

٢٥ ـ العرجلة: مجموعة من الماشين على أقدامهم. الخَلَّة: الرملة اليتيمة المنفردة، بين الرمال؛ =

٢٦ ـ باتَتْ شآمِيَةُ الرِّياحِ تَلفُّهمْ حتَّى أَتَوْنا بعدَ ما سَقَطَ النَّدَى

٢٧ ـ فَنَهَضتُ في البَرْكِ الهُجُودِ وفي يَدِي لَدْنُ المَهَزَّةِ ذُو كُعوبٍ كالنَّوَى

٢٨ ـ أَحذَيْت رُمْحِي عائِطًا مَمْكُورةً كَوْماءَ أَطرافُ العِضاهِ لَها حُلَى

٢٩ ـ [فَتَطايَرَتْ عَنِّي وقُمْتُ بعاتِرٍ صَدْقِ المهزَّةِ ذُو كُعوبٍ كالنَّوى]

= وأصابوا خلةً: أدركوا خلة، وجدوا أنفسهم في خَلّة. والخَلّة أيضًا: الحاجة، العدم والفقر. وأصابوا خلّة: وقعوا في فقر وحاجة. دأبوا: عملوا جاهدين، للتخلص. حار دليلهم: ضل الطريق ولم يعد يعرف كيف يتوجه. بكى: بكى من القهر.

يريد الحديث عن كرمه وضيافته فيحاول تصويرهما عملية إنقاذ، إذ يضع الأضياف في أسوأ حال قبل وصولهم إليه: فهم جماعة من المتنقلين على أقدامهم، وصلوا إلى رملة منقطعة ولم يعودوا يعرفون كيف يخرجون منها، حتى دليلهم تحيّر، ومن شدة قهره بكى.

٢٦ ـ شآمية الرياح: الرياح التي تهب من جهة الشام، وهي رياح باردة، عاتية، وغير ممطرة، طالما تشاءم منها العرب. تلفهم: تطوف بهم من كل جانب لأنهم في مكان مكشوف. حتى أتونا: حتى وصلوا إلينا. بعدما سقط الندى: عند الفجر وهو وقت الندى.

يتابع وصف الشدة التي تعرّض لها الأضياف: فهم، في صحرائهم المكشوفة، هبّت عليهم رياح الشام الشمالية الباردة، وراحت تلفهم من كل جانب. وباتوا كذلك حتى الفجر، حين وصلوا إلى حي الشاعر.

٢٧ ـ نهضت: قمت ودخلت. البرك الهجود: النوق الباركة على الأرض، النائمة. لدن: رمح ليّن سهل التحريك، لدن المهزة: سريع إلى الاهتزاز بسبب لينه. كعوب: جمع كعب وهو عقدة ما بين الأنبوبين من القصب والقنا. النوى: بزر الثمار، كنوى الثمر مثلًا؛ وكعوب كالنوى: مستوية لا نشوز في أحدها خفية كالنوى.

قمت ودخلت إلى مبرك النوق النائمة وفي يدي رمح ليّن، كثير الاهتزاز كعوبه مستوية منتظمة، ليس كعب أغلظ من آخر، ولا كعب ينشز، تبقى خفية كأنها النوى داخل الثمار.

٢٨ ـ أحذيتُ: طعنت. العائط: الناقة أدركت اللقاح ولم تلقح، فهي في أوج قوّتها. الكوماء: الضخمة السنام، وهي أغلى النوق ثمنًا. الممكورة: الموثوقة الخَلق، غير مترهلة ولا هزيلة. العضاه: شجر عظام. أطراف العضاه لها حُلى: تجملها أطراف العضاه وتكون حلية لها. وتلك كناية عن علو الناقة وارتفاعها لتطال أطراف العضاه.

العربي الكريم يختار لأضيافه، أيًا كانوا، أفضل نوقه وأغلاها ثمنًا. وهذا ما يقوله الشاعر. اختار ناقة قوية نشيطة، مدمجة الأعضاء، عظيمة السنام، هائلة مرتفعة تدرك بعنقها أطراف شجر العضاه، فتلتف أوراقه حول رقبتها كالعقد، حلية لها، فطعنها برمحه.

٢٩ ـ فتطايرت عني: فنفرت وابتعدت عني. العاتر: الرمح المضطرب. صدق المهزة: إذا هُزّ وقُذف به لا يخطىء. ذو كعوب كالنوى (سبق الشرح في رقم ٢٧).

٣٠ ـ باتَتْ كِلابُ الحَيِّ تَسْنَحُ بَيْنَنا يَـأْكلنَ دَعْلَجَـةً ويَـشْبَـعُ مَن عَـفـا

٣١ ـ ومِـنَ الـلَّيـالِي لَيـلةٌ مَـزْؤُودَةٌ غَبْراءُ لَيسَ لِمَنْ تَجَشَّمَها هُدَى

٣٢ ـ كَلَّفتُ نَفسِي حَدَّها ومِراسَها وعَلمتُ أنَّ القَومَ لَيْسَ لَهُمْ غِنَى

٣٣ ـ ومُرَأَّسٍ أَقْصَدْتُ وَسْطَ جُمُوعِهِ وعِشارَ راعٍ قَد أَخَذتُ فَما تَرَى

٣٤ ـ ظَلَّتْ سَنابِكُها على جُثمانِهِ يَلعَبْنَ دُحْرُوجَ الوَليدِ وقَد قَضَى

٣٥ ـ [ولَقَد ثَـأَرْتُ دِماءَنا مِن واتِرٍ فاليومَ إن زارَ المَنونُ قَد اكتَفَى]

---

٣٠ ـ تسنح بيننا: تمرّ بيننا من الميسرة إلى الميمنة. يأكلن دعلجة: يأكلن كثيرًا وبنهم شديد. من عفا: من جاء جائعًا طالبًا المعروف.
الكلاب عند العرب مرتبطة بفعل الكرم. فهي تنبح لتجلب الأضياف لأنها تعرف بالسليقة أن قدومهم يعني الذبح واللحم وبالتالي الشبع. وكلاب الأسعر فرحة تروح وتجيء من ميسرة إلى ميمنة ومن ميمنة إلى ميسرة، تحصل على الطعام فتأكل كثيرًا وبنهم، كذلك يأكل من جاء جائعًا طالبًا المعروف، حتى يشبع.

٣١ ـ ليلة مزؤودة: ليلة مرعبة مفزعة لشدة الظلام فيها. غبراء: قاتمة. ليس لمن تجشمها هدي: ليس لمن اضطر إلى تحمل مشقتها ما يهديه إلى الطريق الصحيح.

٣٢ ـ حدَّها: (الدخول) في شدتها. مراسها: التعامل معها. ليس لهم غنى: ليس لهم غنى عنّي في تلمّس طريقهم.
هذه الليلة المخيفة التي فيها السائر، كان على قومي الدخول فيها، فوجدت أنهم ليس لهم غنى عني في قيادتهم، فكلفت نفسي مشقتها والتعامل معها.

٣٣ ـ المرأس: قائد القوم ورئيسهم. أقصدت: رميت برمحي فقتلت مكانه. العشار: الإبل الحامل التي أتى على حملها عشرة أشهر. (وكذلك الخيل) وأحسن ما تكون الإبل وأنفسُها عند أهلها، إذا كانت عِشارًا.
كما فخر الشاعر بكرمه، بجرأته، يفخر هنا ببطولاته. فهو يهاجم رئيس القوم وسط جماعته، يرميه برمحه فيقتله مكانه، وهو يغير على إبل عشار، يستاقها هكذا، ويسأل سامعه: فما رأيُك.

٣٤ ـ ظلت سنابكها: سنابك فرس الرئيس المقتول وخيل جماعته، فهي قد جفلت وراحت تطؤه بسنابكها بعصبية. جثمانه: جسمه الذي فارقته الحياة. يلعبن دحروج الوليد: يلعبن بالجثمان لعب الولد بكرة يدحرجها. وقد قضى: وقد مات (قضى نحبه).

٣٥ ـ ثأرت دماءنا: أخذت الثأر لدماء قتلانا. واتر: مطلوب بثأر. المنون: الموت؛ إن زار المنونُ: إن جاء الموت زائرًا لي. اكتفى: اكتفى طلبي للثأر وأنجزت مهمتي.
لقد أخذت بثأر قتلانا من قاتلهم الواتر، والآن ارتحت واكتفيت من دنياي: إذ أنجزت مهمتي ووفيت بعهدي، فإذا أتاني الموت زائرًا، أهلًا به.

٤٤ ـ وَلِعتُمْ بتمرينِ السِّياط
يزيد بن الصَّعِق[1]

أولاً: الإطار

سابّ يزيد بن الصَّعِق رجلًا من بني أسد فقال، متهمًا بني أسد بالقعود عن القتال والاعتماد على السياط بدل السيوف والرماح.

ثانيًا: البيتان

[قال الأَصمعيُّ: سمعتُ أَبا عمرو بن العلاء يقولُ: سابَّ يزيدُ بنُ الصَّعِقِ رَجلًا من بني أَسد، فقال يزيدُ في ذلك]: [من الطويل]

١ ـ وَلِعْتُمْ بِتَمْرِينِ السِّياطِ وأَنتمُ   يُشَنُّ عَلَيْكُمْ بِالقَنا كُلَّ مَرْبَعِ

٢ ـ بَنِي أَسَدٍ ما تَأْمُرونَ بِأَمْرِكُمْ   إذا لَحِقَتْ خَيْلٌ تَثُوبُ وتَدَّعِي

---

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد الكلابي، من بني كلاب. وخويلد يقال له الصَّعِق... فارس وشاعر جاهلي انصرف إلى الهجاء.

١ ـ ولعتم: أصابكم ولع أو هَوَس وشغف. بتمرين السياط: بتليينها بالدهن وغيره. يُشن عليكم بالقنا: يهاجمكم أعداؤكم بالرماح. في كل مربع: في كل مكان تنزلون فيه.
يزدري جنوحهم إلى السلم وانصرافهم الكامل إلى العناية بالسياط، في حين أنهم يُغار عليهم بالرماح وسواها؛ في أي مكان ينزلون فيه.

٢ ـ ما تأمرون بأمركم؟: ما تتخذون من قرار؟. إذا لحقت: إذا جاءتكم. خيل: فرسان يركبون خيلًا. تثوب: تأتي كثيرة، بعضها خلف بعض. تدَّعي: تفاخر بأعمالها وتجاهر بأنسابها مفتخرة. وتلك كانت عادة الفرسان.
والأبطال عمومًا: أن يذكر أحدهم نسبه قبل ضربه عدوّه، وقد يذكر سبب الضرب كأن يكون أخذًا بثأر فلان.

٤٥ ـ من لا يُمرّن قِدَّهُ يتقطّع

ثعلبة بن الحارث الأسديّ(١)

أولاً: الإطار

في يوم ذي نَجَب أُسر يزيد بن الصَّعِق، أسره ثعلبة بن الحارث بن حصبة من بني يربوع فأبصره ثعلبة بن الحارث الأسدي، فضربه على رأسه، فأمَّه، فكان إذا سمع الصوت الشديد صُعق وذهب عقله. وقد استغلّ الأسدي هذه الحادثة في رده على يزيد بن الصَّعِق.

ثانيًا: البيتان

فأَجابَه الأَسَدِيُّ، [وعَيَّرَهُ ثعلبة اليَربُوعِيّ]: [من الطويل]

١ ـ أَعِـبْـتَ عَـلَـيْـنـا أَنْ نُـمَـرِّنَ قِـدَّنـا ... ومَـنْ لا يُـمَـرِّنْ قِـدَّهُ يَـتَـقَـطَّـعِ

٢ ـ فَـلا يُـبْـعِـدِ اللهُ الـيَـمـيـنَ الـتـي بـهـا ... بِـرَأْسِـكَ سيـمـا الـدَّهـرِ ما لَم تَـقَـنَّـعِ

---

(١) هو ثعلبة بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح.

١ ـ القد: السير من الجلد. مما يستعمل فيه صناعة السياط. ومرّن القِدّ: عالجهُ بالدهن وما شابه ليبقى لينًا.
لقد عبت علينا أننا نمرّن قِدّنا. هذا صحيح ولكن من لا يليّن قده ينقطع.

٢ ـ لا يبعد الله: ليحفظ الله. اليمين: اليد اليمنى، ويقصد يد اليربوعي الذي ضربه على رأسه. سيما: علامة فارقة. وسيما الدهر: علامة باقية مدى الدهر. ما لم تقنع: ما لم تتقنع، أي لا يخفي العلامة إلا أن تتقنع.
ليحفظ الله السيد التي تركت برأسك علامة ظاهرة مدى الدهر لا يخفيها إلا أن تضع قناعًا.

٤٦ ـ أَهُمُّ بأمر الحزْمِ لو أستطيعُهُ
صخر بن عمرو بن الشريد[١] أخو الخنساء

أولاً: الإطار

اكتسح صخر أموال بني أسد وسبى نساءهم. فأتاهم الصريخ. فتبعوه، فتلاحقوا بذات الأثل، فاقتتلوا قتالًا شديدًا. فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرًا في جنبه، وفات القوم فلم يُقعص (لم يمت في مكانه). وجوي منها ومرض قريبًا من حول حتى ملّه أهله.

سمع صخر امرأة وهي تسأل سلمى زوجته: كيف بعلُك؟ فقالت سلمى: لا حيٌّ فيرجى، ولا ميتٌ فيُنعى، لقينا منه الأمرّين[٢].

وحين كانت أمه تُسأل: كيف صخر اليوم؟ كانت تجيب: أصبح سالمًا بنعمة الله.

وفي ذلك أنشد أبياته: أرى أم صخر...

---

(١) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة ...بن عكرمة بن خَصَفَة من قيس عيلان. كان فارسًا وسيدًا كريمًا وقائدًا لبني رياح في حروبهم. كانت له فرس معروفة أسماها الشمّاء. وكان جميلًا جدًا. يروي الأصفهاني أنه ورد وبلعاءُ بن قيس الكنانيّ، وكانا أجمل رجلين في العرب، خمارة يهودي في المدينة فشربا عنده. قال: فحسدهما لِما رأى من جمالهما وهيئتهما وقال: إني لأحسُدُ العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين. كان بينه وبين بني مرة ثأر لأنهم قتلوا أخاه معاوية. وصخر هو قاتل دريد بن الصمة. يُقال إن الطعنة التي قتلته، كانت قد أدخلت في جوفه حَلَقًا من الدرع، فاندمل عنه، حتى شقّ عليه بعد سنين. وحين حاولوا إجراء عملية استئصال، لم ينجحوا، فيئس من نفسه. وسمع صخر أخته الخنساء تسأل: كيف كان صبرُه (على العملية) قال أبياتًا منها:

أجارتَنا لستُ الغداةَ بظاعنٍ ... ولكن مقيمٌ، ما أقام عَسيبُ

وعسيب جبل بجنب المدينة. فمات فدُفن هناك. فقبره قريب من عسيب. وقد أمضت أخته الخنساء بقية عمرها ترثيه بشعرها. (الأغاني ١٥/ ٦٢ وما بعد).

(٢) م.ن. ص ٦٣.

ثانيًا: الأبيات

وقال الأصمعِيُّ: لصخر بن عَمْرِو بنِ الشَّرِيدِ: [من الطويل]

١ ـ أَرَى أُمَّ صَخرٍ ما تَجِفُّ دُموعُها ... ومَلَّتْ سُلَيْمَى مَضجَعِي ومَكانِي

٢ ـ وما كُنتُ أَخشَى أَنْ أَكونَ جِنازةً ... عَليكِ ومَنْ يَغتَرُّ بِالحَدَثانِ

٣ ـ فأَيُّ امرِئٍ ساوَى بِأُمٍّ حَليلةً ... فَلا عاشَ إِلَّا في شَقًا وهَوانِ

٤ ـ أَهُمُّ بأَمرِ الحَزْمِ لَو أَستَطيعُه ... وقَدْ حِيلَ بَينَ العَيْرِ والنَّزَوانِ

٥ ـ لَعَمْرِي لَقَد أَيقظتُ مَنْ كانَ نائِمًا ... وأَسمَعْتُ مَنْ كانَتْ لَه أُذنانِ

٦ ـ [ولَلمَوْتُ خَيرٌ من حياة كأَنَّها ... مُعَرَّسُ يَعْسوبٍ بِرأسِ سِنانِ]

---

١ ـ سليمى: زوجته. ملت مضجعي: ضجرت من طول نومي. ومكاني: وبقائي في مكاني حيًا.
يقارن بين الأم والزوجة: الأم الحنون تبكي بدموع لا تجف، والزوجة تملّ منه، من رقاده، من بقائه قعيد بيته لا فائدة تُرجى منه.

٢ ـ ما كنت أخشى: ما كان يخطر ببالي. أن أكون جنازة عليك: أن أكون غمًا وعبئًا ثقيلًا عليك. يغترّ: يثق، يؤمّن. الحدثان: الليل والنهار، كناية عن مصائب الزمان.
ما كان يخطر ببالي، وأنا في عِزّي ومجدي، أن يأتي يوم أكون فيه سبب غمٍّ وشدة لك، لكنّ الدهر غدّار لا يؤمن له.

٣ ـ حليلة: زوجة. لا عاش: دعاء عليه بأن يبقى في شقاء وهوان: ذُلّ. إن من يساوي أُمًا بزوجة غبيّ، جعله الله يعيش في شقاء وذل دائمين.

٤ ـ أمر الحزم: العمل الجدي، المصيري. لو أستطيعه: فلا أستطيعه. فلا أنفذه لقدم استطاعتي، فأنا مغلوب على أمري. العير: حمار الوحش. حيل بينه وبين: مُنع. النزوان: وثوب الحمار على أتناه، فهو لا يمتنع عن ذلك إلا مكرهًا.
أريد أن أقوم بالعمل الجديّ المهم، لو كنت أستطيع، لكنني لا أتمكن من ذلك لأن جسدي لا يطاوعني، فأنا كالعير لا يكفّ عن الوثوب على أتناه إلا إذا حيل بينه وبين ذلك.

٥ ـ أيقظتُ من كان نائمًا: فتحت عيني من كانت عيناه مغمضتين عن حقائق الحياة. أسمعت من كانت له أذنان: جعلت من كان مصمًّا أذنيه عن الحقيقة، يفتحهما ويسمع.
والحقيقة هي أن الإنسان بقوته وماله، فإذا فقدهما فقد الاحترام والمحبة.

٦ ـ المعرّس: موضع التعريس. والتعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل، يقعون فيه وقعة للاستراحة، ثم ينيخون آخر الليل. وقصد به التوقف لفترة، وكنّى بها عن توقف النحل القصير عند كل زهرة. يعسوب: فحل النحل، ذكرُها وأميرها، تجتمع عليه.=

٧ ـ وحَيٍّ حَرِيدٍ قَدْ صَبَحْتُ بِغَارَةٍ كَرِجْلِ جَرادٍ أَوْ دَبًا كُتُفانِ
٨ ـ فَلَوْ أَنَّ حيًّا فائِتُ المَوتِ فاتَهُ أَخُو الحَربِ فَوْقَ القارِحِ العَدْوانِ

٤٧ ـ بإصْرٍ يَتَّرِكْني الحيُّ يومًا
مشعَّث العامري

أولاً: الإطار

مما ذهب إليه كثير من الشبان الجاهليين أن الموت للإنسان بالمرصاد، وأنه، بعد مماته لا يجد متعة ولا سرورًا، لذلك فإن المتعة الوحيدة التي يحصل عليها الإنسان، هي ما يحققها قبل انتهاء أجله.

= برأس سنان: برأس رمح. وكنى بالسنان عن الوقوف غير المجدي لليعسوب والنحل. فالسنان لا يؤخذ منه رحيق ولا يؤدي إلى إنتاج العسل. بهذا الوقوف شبه وضعه في حياته.
إن ما أشار إليه سابقًا من عدم قدرته على القيام بأمر جدي يجعل عنده إحساسًا بعدم جدوى حياته، فلا هو يفيد منها، ولا أحد يستفيد، كأنه جماعة نحل توقفت على سنان رمح، لا رحيق تمتص ولا عسل تعطي. هذه الحياة كريهة، والموت خير منها.

٧ ـ حيٌّ حريد: رب حي حريد أو منعزل. صبحت بغارة: أغرت عليه صباحًا. رِجل جراد: جيش جراد، وهو يطير ويقع بجماعات هائلة يضرب بها المثل في الكثرة. دبًا: الدبا: الجراد الصغير لا يطير. كُتُفان: يتحرك كالمكتوف لأن أجنحته بدأت بالظهور ولما يستخدمها للطيران. وكنى بها كذلك عن الكثرة لأن الجراد يتكاثر بسرعة هائلة، وهذا ما يجعله آفة يصعب القضاء عليها.
يعزّي الشاعر نفسه بذكريات من الماضي أو لعله يريد تذكير مَن حوله بفعاله: فرب حي منعزل فاجأه بغارة صباحية ومعه رجال كثر كثرة الجراد الطائر، أو كثرة الجراد الصغير الذي تنبت أجنحته.

٨ ـ لو أن حيًّا: لو أن أحد الأحياء، ذوي الحياة. فائت الموت: سابقُه وناج منه. فاته: كان الذي يفوت الموت. أخو الحرب: الفارس المحارب. القارح: ما كان من الخيل في الخامسة من عمره وقد كمُلت أسنانه. العدوان: السبّاق في عدْوه.
يرى أن المرء القابع في مكانه هو الذي ينتظر الموت. أما من يسبق الموت وينجو منه فهو الفارس المحارب فوق صهوة جواد مكتمل سبّاق في عدْوه.

هذا ما ذهب إليه مشعّث العامري: أسبق الوفاة بالمتع، فهي مكسبك الأوحد، فبعد موتك سيتركك الأهل في مكان تبقى فيه فيما يذهبون سراعًا إلى حياتهم، وقد تأتي الضبع وأولادها ينبشون الترب ليصلوا إليك.

ثانيًا: الأبيات

وأنشد لرجلٍ منْ بنِي عامرٍ يُقال له مشَعَّث: [من الوافر]

١ - بِـإِصْـرٍ يَـتَّـرِكْـنِـي الـحَـيُّ يَـوْمًـا رَهِـيـنَـةَ دارِهِـمْ وهُـمُ سِـراعُ

٢ - تَـمَـتَّـعْ يـا مُـشَـعَّـثُ إِنَّ شَـيـئًا سَـبَـقْـتَ بِـهِ الـوَفـاةَ هُـو الـمَـتـاعُ

٣ - وجـاءَت جَـيْـأَلٌ وأَبُـو بَـنِـيـهـا أَحَـمُ الـمَـأْقِـيَـيْـنِ بِـه خُـمـاعُ

٤ - فَـظَـلَّا يَـنْـبِـشـانِ الـتُّـرْبَ عَـنِّـي ومـا أَنـا وَيْـبَ غَـيْـرِكَ والـسِّـبـاعُ

---

١ - الإصر: كل عقد من قرابة أو عهد؛ بإصر: وفاء لعهد القرابة والرحم. رهينة دارهم: في أرض الديار.

وفاء لصلة الرحم وعهد القرابة سيقوم أهلي بدفني في أرض بديارهم ويتركونني هناك، ثم ينقلبون مسرعين لمتابعة حياتهم.

٢ - يخاطب نفسه قائلًا: اسبق الموت يا مشعث باجتناء ما استطعت من متع الحياة، فكل ما تسبق به الموت هو ما تمتلكه حقًّا، هو متاعك.

٣ - الجيأل: الضبع. أبو بنيها: ذكرها. المأقيين: قصد مثنى الموق وهو طرف العين مما يلي الأنف. أحم: أسود. خُماع: عَرَج.

أما ما بعد موتك فسوف تأتيك ضبع ومعها ذكرها الأعرج، الأسود المؤقين.

٤ - ويب: ويل. والأصل أن يقول: ويلك. يندب نفسه، لكنه حول الويل إلى غيره دفعًا للشر. وما أنا والسباع: ما لي وللوحوش المفترسة، أو ماذا أستطيع أمام الوحوش المفترسة؟

وستبقى الضبع وذَكَرُها ينبشان التراب حتى يصلا إليك، فويلي من الوحوش المفترسة، ماذا أستطيع حيالها؟

٤٨ ـ تُعَيّرني طَوفي البلادَ ورحلتي

طرفة بن العبد[1]

أولاً: الإطار

يرسم طرفة صورته وهو بعيد عن قومه، يتنقّل بين الأحياء، في نفسه ذكريات المحبوبة تمتزج بغصّة الفراق، وحوله واقع بائس: عيونٌ حذرة، نفوسٌ مشكِّكة، وألسنة ثرثارة تلجّ بالسؤال: من يكون؟ ولا ينسى التعريف بنفسه في آخر الشعر: أبي أنزل الجبار برمحه عن صهوة فرسه فداسته سنابك الخيل.

ثانيًا: المقطوعة

وأَنشدني أبو عَمرو بن العلاءِ لِطَرفَة بن العَبْدِ: [من الطويل]

١ ـ [قِفِي ودِّعينا اليَومَ يا ابنَةَ مالكِ وعُوجِي عَلَينا مِنْ صُدورِ جِمالِكِ]

٢ ـ [قِفِي لا يكُنْ هذا تَعِلَّةَ ساعَةٍ لِبَيْنٍ ولا ذا حَظَّنا مِنْ نوالِكِ]

٣ ـ [أُخَبِّرْكِ أنَّ الحيَّ فَرَّقَ بَينَهُمْ نَوًى غُربةٌ ضَرّارةٌ لِي بِذلِكِ]

---

(١) هو عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك... من بكر بن وائل. وطرفة لقب غلب عليه. وهو شاعر جاهلي مُكثِر مُجيد. وهو أشعر الشعراء بعد امرىء القيس. قال الشعر وهو غلام، وقُتِل وهو ابن ست وعشرين سنة، قتله عمرو بن هند على يد عامله بهجر في البحرين. وقد أمضى طرفة حياته القصيرة في إنفاق المال وصحبة الندمان. وكان أهله يلومونه فلا يرتدع حتى تخلُّوا عنه.

١ ـ ابنة مالك: خولة، ويسميها أيضًا المالكية لأنها تنتمي إلى مالك بن ضبيعة. عوجي: ميلي واعطفي. من صدور جِمالك: بصدور جمالك.
يعيش طرفة ذكرى الرحيل كأنها من واقع الحاضر، فيخاطب المحبوبة كأنها أمامه: قبل أن ترتحلي اليوم، ميلي برواحلك في اتجاهنا وتوقفي لوداعنا.

٢ ـ التعلة (كالعُلالة): البقية، أو ما يشغل زمنًا محددًا. البين: الفراق. وتعلة ساعة لبين: ما يشغل ساعة من الوصال الآيل إلى فراق. ذا: أي هذا البين. حظنا: نصيبنا. نوالك: عطائك.
قفي فيكون لنا منك ساعة من وصال قبل أن يأتي الفراق، فلا يبقى الفراق وحده نصيبنا من عطائك.

٣ ـ النوى الغربة: النية في السفر البعيد.

=

٤ ـ لا غَـروَ إلّا جـارَتـي وسُـؤالُها ألا هَـلْ لَنـا أَهْـلٌ؟ سُئِلتِ كَـذلـكِ

٥ ـ تُـعَـيِّرُنـي طَـوْفِي الـبـلادَ ورِحْـلَتِـي ألا رُبَّ دارٍ لـي سِـوَى حُـرِّ دارِكِ

٦ ـ ظَـلِلتُ بـذِي الأَرْطَـى فـوَيْـقَ مُـثَـقِّـبِ بِـبِـيـئَةِ سَـوءٍ هـالِكًـا أو كَـهـالِكِ

٧ ـ تـرُدُّ عَـلـيَّ الـرِّيـحُ ثَـوبـيَ قـاعِـدًا لَدَى صَـدَفِـيِّ كـالـحَـنِـيَّـةِ بَـارِكِ

٨ ـ [رأيتُ سُعُودًا من شُعُوبٍ كَثيرَةٍ فَلمْ أَرَ سَعْدًا مثلَ سعدِ بنِ مالكِ]

٩ ـ [أَبَـرَّ وأَوْفَـى ذِمَّـةً يَـعـقِـدُونَـهـا وخَيرًا إذا ساوَى الذُّرَى بالحوارِكِ]

= إذا وقفت معنا فسأحدثك عن الحي الذي فرّق بين أبنائه نيةُ السفر البعيد وهذا ما يصيبني بضُرّ شديد.

٤ ـ لا غرو: لا عجب. جارتي: المرأة من القوم الذين أنزل بينهم وأجاورهم. ألا هل لنا أهل؟: سؤال مهم لأن في جوابه تحديدًا لقيمة الفرد الاجتماعية، فقيمته من قيمة جماعته. سئلتِ كذلك: دعاء على الجارة بأن تكون في وضع كوضعه وأن يوجَّه إليها السؤال الذي تطرحه عليه.

٥ ـ تعيّرني: تعيب عليّ. طوفي البلاد: تنقّلي في البلاد. حرّ الدار: وسطها وأشرف مكان فيها.
تعيب عليّ تنقّلي الدائم (وكأنها تظنني صعلوكًا مشردًا أو خليعًا طريدًا). لقد خاب ظنك. فرُبّ دار لي أفضل من أشرف ما في دارك.

٦ ـ الأرطى: من شجر الرمل؛ وذو الأرطى: اسم موضع. مثقب: اسم طريق في حَرّة وغِلظ. بيئة: من تبوأت منزلًا، أي نزلت فيه وبت فيه. وبيئة سوء: مبيت رديء.
بتّ بذي الأرطى أردأ مبيت، وكنت فيه أشبه بالميت.

٧ ـ الصَّدَفيّ: جمل منسوب إلى الصِّدْف، وهم قبيلة من عرب البحرين. الحنية: القوس؛ شبه بها البعير في ضموره وصلابته، وشكله المقوس حين يبرك، قاعدًا لديه: قاعدًا بجانبه، مستندًا إليه.
يصف وضعه في مبيت السوء حيث الرياح عاصفة لا يدرؤها عنه إلا جملة، يُبركه ويتخذ منه حاجزًا: ظللت قاعدًا بجنب جمل صدفيّ قد برك فغدا محنيًا كالقوس، والريح تتلاعب بثيابي، تردُّها عليّ كلما أرسلتها.

٨ ـ السعود: كل قوم ينتمون إلى جد اسمه سعد؛ وبنو سعد قبائل شتى في تميم وقيس وغيرهما. شعوب: جمع شَعب، وهو أكبر من القبيلة.
لم أر فيمن سُمّي سعدًا عند القبائل المختلفة مثل سعد بن مالك (بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة). وهو من جدود خولة وجدود طرفة الأبعدين.

٩ ـ أبرّ وأوفى: بمعنى واحد. أبرّ ذمة: أوفى بعهد أو بحق. عقد الذمة: أعطى العهد وأكّده وقام بواجب الحق. خيرًا: أي لم أر خيرًا من. الذُّرى: جمع الذِّروة وهي الأعلى من كل=

١٠ ـ [وأَنْمَى إلى مَجْدٍ تَليدٍ وسَوْرَةٍ تَكونُ تُراثًا عندَ حَيٍّ لهالِكِ]

١١ ـ [أَبِي أَنْزَلَ الجبَّارَ عامِلُ رُمْحِهِ مِنَ السَّرجِ حتَّى خَرَّ بين السَّنابِكِ]

٤٩ ـ ما بالُ دوسَرَ بعدنا؟

دوسر بن ذُهيل القُريعيّ

أولاً: الإطار

الشاعر، ككل رجل، عندما يكتهل يشتد تمسكه بثوب الشباب وادعاؤه أنه باق على فتوَّته على رغم التغيرات التي أصابت جسده: هلهل جلده، علاه الشيب. ولا بدّ من العودة إلى الوراء، إلى ما فعل: كان في ريع الشباب، وكان مع الفتيات، وكان يطيل شعره الأجعد.

إنما هل صحا قلبه عن ليلى وهند كما تقول السائلة؟ إن قلوصه نفسها تحن إلى نجد وطنها، وهو يحن مثلها، ويطفق يصور شدة تمسكه بانتمائه إلى قومه، يقول ما يقولون، يبغض من يبغضون؛ كما يصور أخلاقيته السامية وأبرز ما فيها الوفاء. فإذا

= شيء. وقصد هنا ذروة السنام. الحوارك: جمع الحارك وهو الكاهل. وتساوي الذرى بالحوارك هو تناقص السنام حتى تصبح أعلى نقطة فيه بموازاة الكتف، وذلك كناية عن الهزال الذي يسببه الجوع. ويكون عادة في سنوات القحط.

يتابع مدح بني سعد بن مالك: أنهم يحفظون العهد ويفون الجار والضيف حقهما عندما يشتد القحط، فتهزل الجمال حتى يذوب سنامها وتتساوى بالكتف أعلى نقطة فيه.

١٠ ـ وأنمى: أي ولم أرَ أنمى، أي أكثر نماءً: سموًّا وارتفاعًا. تليد: قديم، عريق، متوارَث. سورة: منزلة. التراث: ما يرثه الخلف من السلف. عند حيّ لهالك: عند الجيل الحالي من الجيل المولّي.

ولم أر أكثر منهم سموًّا وارتفاعًا نحو مجد يتأصل ويَعرُق حتى يبلغ منزلة عالية تكون خير إرث يتركه الجيل الذاهب بين يدي الجيل القادم.

١١ ـ أبي: الأب عند العرب أي جد من الجدود، لا الأب المباشر فقط. أنزل الجبارَ عاملُ رمحه: أي أن عامل رمح أبي أنزل الجبار، طعنه فأرداه. عامل الرمح: صدره دون السِّنان. خرَّ: سقط. السنابك: جمع السُّنبُك: طرف الحافر وجانباه من قُدُم.

إن أبي، بصدر رمحه، أوقع البطل القوي الهائل عن فرسه، فسقط بين حوافر الخيل.

أحسن إليه أحد وفرقت بينهما الأيام لم ينس الإحسان ولا يتغير ودُّه، ولا يأتي ما يمكن أن يسوؤه.

ثانيًا: الأبيات

وقالَ دَوْسَرُ بنُ ذُهَيْلٍ القُرَيْعِيُّ: [من الطويل]

[الأَصمعيُّ: يقال إنَّ هذا الشّعرَ لرجلٍ من بنِي يربوع].

١ ـ وقـائـلةٍ مـا بَـالُ دَوسَـرَ بَـعـدَنـا ... صَحا قلبُه عَن آلِ لَيلَى وعَن هِندِ

٢ ـ فَـإنْ تَـكُ أَثـوابِـي تَـمَـزَّقـنَ لـلبـلَى ... فإنِّي كنَصلِ السَّيفِ في خَلَقِ الغِمْدِ

٣ ـ وإنْ يَـكُ شَـيـبٌ قَـد عَـلانـي فـرُبَّـمـا ... أرانِيَ في رَيع الشَّباب معَ الـمُـردِ

٤ ـ طَـويـلُ يَـدِ الـسِّـربـال أَغـيَـدُ لـلصِّـبـا ... أَكـفُّ عـلى ذِفـرايَ ذا خُـصَـلٍ جَـعـدِ

٥ ـ وحَنَّت قَلوصِي من عَدانَ إلى نَجدِ ... ولَم يُنسِـهـا أوطـانَـهـا قِـدَمُ الـعَـهـدِ

---

١ ـ وقائلةٍ: رب قائلةٍ. صحا قلبه: لم يعد مغرمًا. آل ليلى: كناية عن ليلى.
ربّ سائلة تقول: ما بال دوسر نسينا، هل انطفأ في قلبه جذوة الحب، حب ليلى وهند!

٢ ـ بلي الثوب: رَثّ وتقطّع؛ وكنّى ببلى أثوابه وتمزقها عن الضعف انتاب جسمه. الخَلَق: الرثّ. الغمد: قِراب السيف. وخَلَق الغمد: الغمد الخَلَق.
إن كانت أثوابي تمزقت بسبب كثرة استخدامها فرثت، (أصابني ضعف في الجسم)، فأنا، في نفسي أحسّ بالفتوّة، كأنني سيف مصقول في قراب بال.

٣ ـ فربما أراني: لقد كنت. في ريع الشباب: أوله وأشده. المرد: جمع الأمرد، وهو الفتى لم تطِرّ له لحية بعد، يتصرف بطيش غير مسؤول.
إذا كان الشيب قد علا رأسي، فأنا لم أكن دائمًا هكذا، فقد كنت شابًا في أول الشباب، أرافق المراهقين في حياتهم اللامسؤولة.

٤ ـ السربال: القميص. وطول يد القميص هو طول الكم، وتلك كناية عن حياة الرفاه لأن الرجل العامل لا يطيل كُمّ قميصه. أغيد: متمايل المشية من العُجب والغرور. الصِّبا: الشباب والفتوّة. أكُفّ: أجمع. على ذِفراي: العظم البارز خلف الأذن؛ وتجميع الشعر على الذفرى دليل على طول الشعر، وهي من عادة الشبان اللّاهين. ذا خُصل: شعرًا ذا خصل. جعد: متجعد، متموج.
يتابع صورته وهو شاب: طويل كم القميص، مغرور يزهو متمايلًا في مشيته، طويل الشعر المتموج، يجمع خصله خلف أذنيه.

٥ ـ القلوص: الفتيّة من الإبل. حنّت: شعرت بالحنين (فهو يحمل الناقة مشاعر مستعارة مما يحس به، بهدف إقامة حوار بينه وبينها). عدان: اسم موضع. نجد: الهضبة المعروفة في=

٦ ـ وإنَّ الـذي لاقَيـتِ فـي الـقَـلبِ مِـثـلُهُ	إلـى آلِ نَـجـدٍ مـن غَـليـلٍ ومـن وَجـدِ
٧ ـ إذا شـئـتِ لاقَـيـتِ الـقِـلاصَ ولا أرَى	لِقَــومِــيَ أَبــدالاً فَــيــأْلَفَــهُــمْ وُدِّي
٨ ـ وأَرمِي الذي يَرمُونَ عن قَوسِ بِغضَةٍ	ولَيسَ على مَولايَ حَدِّي ولا عَهدِي
٩ ـ إذا مــا امــرُؤٌ وَلَّى عَــلـيَّ بِــوُدِّهِ	وأدبَــرَ لَم يَــصــدُرْ بــإِدبــارِه وُدِّي
١٠ ـ ولَم أَتَــعَــذَّرْ مــن خِــلالٍ تَــسُــوؤُهُ	لِما كـان يَأْتِي مِثلَهنَّ على عَمدِ

= قلب الجزيرة العربية وموطن العرب الأقحاح.
ناقتي الفتية حنت إلى نجد وهي في عَدَان. فهي، على رغم طول زمن البعد عن أوطانها، لم تنسَ تلك الأوطان.

٦ ـ آل نجد: أهل نجد. غليل: شدة العطش، والحرقة، ويكنى بها عن حرارة الشوق ونار الحب. وجد: لوعة الحب وشدته. مثلُه: مثلُه إحساسي وشوقي.
يخاطب ناقته: إن الذي شعرتِ به في قلبك، أُحسُّ بمثله، حرقةً ولوعةَ حب؛ إلى أهل نجد.

٧ ـ القِلاص: جمع القلوص؛ الإبل الفتية. إذا شئت لاقيت القلاص: بإمكانك إيجاد قلاص مثلك تلاقينها. (يألفهم وُدّي: تعتادهم محبتي.
يحاول إبراز الفارق بين أحاسيسه وأحاسيس ناقته. فهي، وإن كانت لها علاقات بنجد، يمكنها إيجاد علاقات بديلة مع نوق فتية، أينما كانت، فيما هو صاحب عواطف صادقة ثابتة وتعلق بقومه. فلا يمكنه أن يجد بديلًا عنهم؛ يتحول إليه حبه ومودته.

٨ ـ أرمي الذي يرمون: أرمي بسهمي من يرمونه بسهامهم وأنا أكرهه كما يكرهونه (عن قوس بفضة). مولاي: ابن عمي، كنّى به عن قومه. حدّي: من الحدّ. وحدّ الرجل: بأسه ونفاذُه في نجدته. يقال: إنه لذو حدّ أي ذو نجدة. ليس على مولاي حدي: ليس على قومي أن يدعموني في نجدتي. عهدي: في وفائي بعهدي.
إنه ملتزم نحو قومه ولا يطلب منهم الالتزام نحوه لأنه قادر وحده على تصريف أموره. فهو يتابع قومه في عملهم بلا تردد ولا سؤال: يرمي بسهمه من يرمونه بسهامهم ويبغضه كما يبغضونه، لكنه لا يريد منهم أن يحموا العهد الذي يقطعه، ولا أن يُنجدوا من يُنجده.

٩ ـ ولّى عليّ: ولّى عني، أعرض عني. بوُدّه: بصداقته. أدبر: تراجع وهرب، ابتعد. لا يصدر ودي: لا يخرج مني.
إذا أعرض صديق عني بمحبته وانصرف مبتعدًا فإن ودّي له لا يفارقني بسبب إعراضه.

١٠ ـ لم أتعذر: لم أجد لنفسي عذرًا. خلال: صفات، وهنا تصرفات. تسوؤه: تؤذيه. لما كان يأتي: لأنه يأتي. مثلهن: بتصرفات مثلهن تسيء إليّ. عن عمد: قصدًا وعن تصميم.
وإذا كان الصديق يقوم عامدًا بتصرفات تسوؤني، فلا ألتمس لنفسي العذر لأقوم بالمقابل بتصرفات تسوؤه.

١١ ـ وذِي نَخَوات طامِحِ الرَّأسِ جاذَبَتْ حِبالي فَرَخّى من عَلابِيِّهِ مَدِّي

٥٠ ـ ليس من مات فاستراح بميت
عديّ بن رعلاء الغسّاني[١]

أولاً: الإطار

كانت معركة عين أباغ في الجاهلة بين المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ومعه مَعَدٌّ كلُّها، والحرث بن جبلة الغساني، الملقب بالأعرج، ملك الشام. وقد حاك المنذر مؤامرة ملخصها أنه طلب، منعًا للاقتتال، أن تجري مبارزة بين أبناء الملكين، ثم بين الملكين، فمن سلم في آخر الأمر كانت له المملكتان. وكان غدر المنذر في أنه أرسل للمبارزة أحد الأبطال عنده مدعيًا أنه ولده فقتل ولدَي الحرث. ثم انكشفت المؤامرة واحتدمت المعركة فقُتل المنذر وخلق كثير. بعدها سار الحرث إلى الحيرة فأنهبها وأحرقها وفي ذلك يقول ابن الرعلاء الضبابي:

كم تركنا بالعينِ، عينِ أُباغٍ، من ملوكٍ وسُوقةٍ أكفاءِ
أمطرتْهم سحائبُ الموت تَتْرى إن في الموتِ راحةَ الأشقياءِ[٢]

... الأبيات.

---

١١ ـ ذو النخوات: المزهوّ بنفسه، المتكبر. طامح الرأس: رافع رأسه، متعالٍ. الحبال: الشَّرَك، والحبال: العهود؛ جاذبته حبالي: انصب له الشرك فيشدّ ليتخلص منه. العلابي: جمع علباء وهي عرق في العنق. رخى علابيّه: خفف تعاليه ورفع رأسه.
كم من صاحب نخوة، مزهوٌ بنفسه، رافع رأسه متعاليًا، نصبت له إشراكي وقام تجاذب بيني وبينه، فكان أن خفّف من تعاليه.

(١) عدي بن الرعلاء، شاعر جاهلي، وردت نسبته إلى غسان فكان الغساني، وينسبه ابن الأثير إلى ضبة فيقول الضبيّ. والأرجح أن يكون من ضبة وأنه غساني الولاء بدليل قصيدته التي امتدح بها الغسانيين وفعلهم باللخميين، يتحدث فيها بضمير المتكلم فكأنه من القوم.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٣٢٦.

ثانيًا: الأبيات

وقالَ عَدِيُّ بن رَعْلاءَ الغَسَّانِيُّ: [من الخفيف]

١ ـ رُبَّمـا ضَـرْبـةٍ بِـسَـيـفٍ صَـقِـيـلٍ دُونَ بُـصْـرَى وطَـعْـنـةٍ نَـجْـلاءِ
٢ ـ وغَـمُـوسٍ تَـضِـلُّ فِـيـهـا يَـدُ الآ سِـي ويَـعْـيـا طَـبِـيـبُـهـا بِـالـدَّواءِ
٣ ـ رفَـعُـوا رايَـةَ الـضِّـرابِ وآلَوْا لَيَـذُودُنَّ سـامِـرَ الـمَـلْـحـاءِ
٤ ـ فَـصَـبَـرْنَ الـنُّـفُـوسَ لِـلطَّـعْـنِ حتَّـى جَـرَتـه الـخَـيـلُ بَـيْـنَـنـا فـي الـدِّمـاءِ
٥ ـ لَـيـسَ مـن مـاتَ فـاسـتـراحَ بِـمـيْـتٍ إنَّـمـا الـمَـيْـتُ مَـيِّـتُ الأَحـيـاءِ
٦ ـ إنَّـمـا الـمَـيْـتُ مَـنْ يَـعـيـشُ ذَلـيـلًا سَـيِّـئًا بـالُهُ قَـلـيـلَ الـرَّجـاءِ

---

١ ـ ربما ضربة: رب ضربة بسيف، وما زائدة. صقيل: مصقول، ملتمع. دون بصرى: قريبًا من موضع بصرى، وهو في بلاد الشام. وطعنةٍ: أي ورب طعنة برمح. نجلاء: واسعة.
يتحدث عن المعركة وما جرى فيها: كم من ضربة بسيف ملتمع قرب بصرى، وكم من طعنة واسعة برمح.

٢ ـ غموس: صفة أخرى للطعنة النجلاء، وهي العميقة تنغمس فيها يد الطبيب. تضل فيها: تضيع، تغوص فيها وتختفي. يد الآسِي: يد الطبيب المعالج. يعيا: يعجز.
فضلًا عن اتساعها، فالطعنة عميقة الغور تضيع فيها يد المعالج فيما يعجز عن شفائها.

٣ ـ الراية: العلم. راية الضراب: علم الحرب وهو كناية عن مباشرة القتال. آلوا: أخذوا عهدًا على أنفسهم. يذودُنّ: يدفعنّ، يردُنَّ على أعقابها. سامر: من السمر وهو، في أحد معانيه، الظُلمة، فيكون السامر: المُظلم. الملحاء: الكتيبة الملحاء من والمُلحة وهي كل شيء بياضٌ يعلو السوادَ. ويبدو أنه كان لآل المنذر كتيبة تسمى الملحاء، واسمها يدل على أن جنودها كانوا قسمين: قسمًا يلبس البياض وآخر يلبس السواد، وهذا ما أشار إليه الشاعر بكلمة سامر الملحاء، أي ظلمتها بمعنى السواد فيها.
الحديث عن الغسانيين لأن الشاعر في صفهم: رفعوا شعار الاقتتال ونذروا على أنفسهم أن يردوا الكتيبة الحلفاء على أعقابها مهزومة.

٤ ـ صبرن النفوس: النفوس صبرت وثبتت. للطعن: للرماح. جرت الخيل في الدماء: كناية عن كثرة الجراح والقتل مما أسال الدماء نهرًا على الأرض.

٥ ـ إن الموت الحقيقي هو معاناة الفقر والذل والعذاب، ولهذا فمن مات استراح، ومن استراح لا يتحمل المعاناة، لكن من بقي على قيد الحياة أسيرًا أو جريحًا أو منبوذًا أو مذلولًا وما إلى ذلك فهو ميّت وإن كان حيًّا بين الأحياء.

٦ ـ يشرح هنا معنى الموت في الحياة فهو الذل وسوء الحال وانقطاع الرجاء.

٥١ ـ الزِّقُّ مُلْك لمن كان له

المرقش الأصغر[(١)]

أولاً: الإطار

تحدّث الشعراء كثيرًا عن فعل الخمر فيهم، ويركز المرقش على التخيّلات التي تهيئها للشارب، فيحقق من خلالها أحلامًا راودته وكبتها في حال وعيه، والخيلاء التي تجعله يحس بما لا يحس به في سائر لحظاته:

إنه يملك الزق، فهو يملك الدنيا على المدى الطويل والقصير. إذا شرب صباحًا ظن نفسه أسدًا رهيبًا وعنده المال الكثير. وهذا الأسد يلزم خدره في أول الليل ويتركه في آخر الليل ليمشي متثنيًا متعثرًا. ومع ذلك فسوءًا للخمرة وإن كان لا يستطيع عنها غنًى.

ثانيا: الأبيات

وقال مُرَقِّشٌ الأَصْغَرُ: [من البسيط]

١ ـ الزِّقُّ مُلْكٌ لِمن كانَ لَه   والمُلْكُ مِنْهُ طَوِيلٌ وقَصِيرْ

٢ ـ مِنْها الصَّبُوحُ الذي يَتْرُكُني   لَيْثَ عِفِرِّينَ والمالُ كَثِيرْ

---

(١) المرقش لقبه ولقب عدد من الشعراء منهم المرقش الأكبر وهو عمه. والمرقش الأصغر عم طرفة بن العبد، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة. فارس جاهلي وشاعر، بل هو أشعر المرقّشين، وهو من عُشّاق العرب المعدودين. أما معشوقته التي سلبت لبه فهي فاطمة بنت المنذر. وكان يتسلل إليها على رغم احتياطات الملك أبيها وكثرة الحرس فأخطأ في حقها وابتعد عنها خجلًا ونظم فيها القصائد.

١ ـ الزق: وعاء الخمر. ملك لمن كان له: يُشعر صاحبه بأنه صاحب مُلك.
مَن يملك الزق يشعر أنه صاحب مملكة وهو ملك عليها، وكما أن المُلك يدوم قصيرًا أو طويلًا، فكذا إحساس الشارب بذلك يطول أو يقصر.

٢ ـ الصبوح: شرب الخمر في الصباح وهو من عادة الأشراف والمرفهين ممن لا عمل يوميًا يشغل وقتهم. يتركني: يجعلني أشعر. ليث عِفِرِّين: أسد منطقة عفرّين وهو أشجع الأسد.
شرب الصباح يكون للانتشاء، فهو يحس بعده أنه أشد الليوث شجاعة، كما يظن نفسه أغنى الناس: ماله كثير.

٣ ـ فــأَوَّلَ الــلَّيــلِ لَيــثٌ خــادِرٌ   وآخِـرَ الـلَّيـلِ ضِـبْـعـانٌ عَـثُـورْ

٤ ـ قــاتَــلَكِ اللهُ مِــنْ مَــشْــرُوبَــةٍ   لَو أَنَّ ذا مِــرَّةٍ عِــنــكِ صَــبُــورْ

٥٢ ـ كيف لقاء من تحت القبور!
مهلهل بن ربيعة(١)

أولاً: الإطار

قامت حرب البسوس عندما قتل جساسُ بن مرّة من بني بكر كليبَ بن وائل، سيد بني تغلب. وكان المهلهل أخو كليب آلى على نفسه الأخذ بالثأر من بني مرة، ورفض كلَّ دعوة إلى الصلح والتعقل. وقامت معارك كثيرة بين القبيلتين وقُتل أبطالٌ من الجانبين، وذكر المهلهل في شعره معظم الأحداث. وفي هذه المقطوعة يشير إلى يوم ذي حسم ويوم الشعثمين ويوم واردات ويوم عنيزة، ويتمنى لو يمكن لكليب أن يخرج من قبره ليرى من هو المهلهل الذي كان كليب أسماه «زيرنساء»، وليرى ما فعله قومه في الأيام المذكورة فتقرّ عينه.

---

٣ ـ ليث خادر: أسد ملازم عرينه. ضِبعان: ذكر الضباع. عثور: متعثر في مشيه.
إذا كان شرب الصباح يُنشي فشرب الليل أمر آخر. إنه يشعره في أول الليل بأنه ليث لكنه يغدو آخر الليل ذكر ضبع يمشي متعثرًا.

٤ ـ قاتلكِ الله: دعاء على الخمر بأن يمحوها الله من الوجود. ذا مِرّة: ذا قوة.
محاكَ الله من الدنيا أيها المشروب لو أن ذا القوة، أية بلغت، يستطيع الصبر عنك.

(١) اسمه عدي وقيل امرؤ القيس، بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم . . .بن تغلب.
ولُقِّب مهلهلًا لطِيب شعره ورقّته، وكان أحدَ من غُنِّيَ بشعره من العرب، وقيل: إنه أول من قصّد القصائد وقال الغزل فقيل: قد هلهل الشعر، أي أَرَقَّه. وهو أول من كذب في شعره. وهو خال امرىء القيس بن حجر الكندي. وكان كثير المحادثة للنساء، فكان كليب يسميه «زير النساء».
وكان مهلهل يشرب مع همام بن مرة حين جاءه نعي أخيه كليب: فقال كلمته المشهورة: اشرب، اليوم خمر وغدًا أمر، ولما صحا جزّ شعره وقَصّر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب وجمع قومه طلبًا للثأر.

ثانيًا: المقطوعة

وقال مُهلهِلُ بنُ رَبيعة: [من الوافر]

١ ـ أَلَيْلَتَنا بِذي حُسُمٍ أَنيري إذا أَنْتِ انقَضَيْتِ فلا تَحُوري

٢ ـ فإنْ يَكُ بالذَّنائِبِ طالَ لَيْلي فَقَد يُبْكى من اللَّيلِ القَصيرِ

٣ ـ فلو نُبِشَ المَقابِرُ عن كُلَيبٍ فَيُخْبَرُ بالذَّنائِبِ أيُّ زِيرِ

٤ ـ بِيَومِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقرَّ عَيْنًا وكيفَ لقاءُ مَنْ تَحْتَ القُبُورِ

٥ ـ فإنّي قَد تَرَكْتُ بِوارداتٍ بُجَيْرًا في دَمٍ مثلِ العَبِيرِ

٦ ـ [يَنوءُ بصدرِهِ والرُّمحُ فيهِ ويَخْلِجُهُ خِدَبٌّ كالبَعيرِ]

---

١ ـ ذو حُسُم: اسم مكان. أنيري: انقضي واتركي الصبح يأتي. لا تحوري: لا ترجعي.

٢ ـ الذنائب: الموضع الذي دُفن فيه كليب، وبه قبره. طال ليلي: بتّ مهمومًا، وليل المهموم طويل. يُبكى من الليل القصير: يؤسف على ذهاب الليل القصير وهو ليل المسرات، يمر الوقف فلا يُحَسُّ به.
حين وقفت بالذنائب، عند قبر كليب، طال عليّ الليل فهمي كبير، وإنما هذه هي الحياة: (يوم لك ويوم عليك) فلطالما اشتكيت من قصر الليل وبكيته في أيام الشراب والطيش.

٣ ـ لو نُبش المقابر عن كليب: لو أن كليبًا يُكشف قبره. الذنائب: مكان حدثت فيه أشد معركة بين بكر وتغلب. أي زير: كيف تحول زير النساء إلى زير حرب وقتال.
لو أن كليبًا يكشف قبره ويخبر عن يوم الذنائب وفعالي فيه لعلم من هو «زير النساء» في الملمات.

٤ ـ يوم الشعثمين: معركة أخرى. قرّ عينًا: سُرّ وارتاح. كيف لقاء من تحت القبور: هل يمكن الاتصال بمن ماتوا ودُفنوا؟
ولو أخبر عما جرى في يوم الشعثمين لارتاح في قبره وسُرّ، إنما هل يمكن الاتصال بمن أصبحوا تحت القبور؟

٥ ـ واردات: مكان جرت فيه معركة أخرى بين القبيلتين. بجير: ابن الحارث بن عباد. وكان الحارث قد اعتزل الحرب وبقي داعية سلم. فلما علم بالطريقة التي قتل بها المهلهل ابنه بجيرًا دخل الحرب ضد تغلب. العبير: الزعفران عند أهل الجاهلية. والزعفران ذو لون أحمر في شقرة، بلونه شبه لون دم القتيل.
في واردات قتلت بجيرًا وتركته يسبح في دم بلون الزعفران.

٦ ـ ينوء بصدره: يُثقله صدره فيسقط. يخلجه: يجعله يتمايل في مشيته كأنه يجذبه مرة يمنة ومرة يسرة. خِدَبّ: ضخم، أي جسم ضخم هو جسم بجير. كالبعير: كالجمل. =

٧ ـ [هَتكْتُ بهِ بُيوتَ بنِي عُبادٍ وبعضُ القَتْلِ أَشْفَى للصُّدُورِ]

٨ ـ وهَمَّامَ بنَ مُرَّةَ قَد تَرَكْنا عَلَيه القَشْعَمانِ من النُّسُورِ

٩ ـ وصَبَّحْنا الوُخُومَ بيومَ سَوْءٍ يُدافِعْنَ الأَسِنَّةَ بِالنُّحُورِ

١٠ ـ كأَنَّا غُدْوَةً وبَنِي أَبِينا بِجَوفِ عُنَيْزَة رَحَيا مُدِيرِ

١١ ـ [نَكُرُّ عَليهِمُ عَوْدًا وبَدْءًا كأنَّ الخَيلَ تَنْهضُ في غَديرِ]

= يثقله صدره وقد اخترقه رمحي، فيتمايل في مشيته يجذبه جسمه الضخم كجسم البعير مرة يمنة ومرة يسره ثم يسقط.

٧ ـ هنكْتُ البيوت: شققته فبان ما بداخله، وهذا عار عند العربي، وغدا كناية عن إلحاق العار. أشفى للصدور: أكثر إخراجًا للغل والحقد الذي يملأ الصدور.
ألحقت العار ببني عباد وشفيت صدري، وبعض القتل يشفي الصدور ويخرج غِلَّها أكثر من سواه.

٨ ـ همام بن مرة: أخو قاتل كليب جسّاس بن مرة. وهمام هذا كان رفيق المهلهل في ليالي السهر والسمر، وكان معه عندما جاءه نعي كليب. تركنا عليه النسور: قتلناه، فغدا جيفة حطّت عليها النسور. القشعمان: الضخم، المسنّ.
كذلك قتلنا همام بن مرة وتركنا طريح الأرض تتناوب عليه النسور المسنّة الضخمة.

٩ ـ الوخوم: من بني عامر بن ذهل من الشيبانيين من فروع بكر. يوم سَوء: يوم شؤم. يدافعن بالنحور: يردون بصدورهن. النحور: جمع النحر، وهو موضع القلادة من الصدر. الأسنة: جمع السنان وهو رأس الرمح المعدني.
فاجأنا الوخوم في غارة صباحية فما استطاعوا دفاعًا لأن صدورهم كانت بمقابل رماحنا.

١٠ ـ غُدوة: صباحًا. وبني أبينا: وإخوتنا، أبناء عمنا، وهذا هو المقصود فالأب يطلق على كل الجدود. عنيزة: موضع معروف بالبادية؛ في جوف عنيزة: في عمق هذا الموضع؛ وفيه جرة أولى المعارك الكبرى بين بكر وتغلب.
كأننا وأبناء عمنا البكريين في الصباح حجرًا رحى ركبت في جوف عنيزة. وكلما دار الحجران طحنا الفوارس. (وهنا اعتراف بشدة المعركة على الخصمين، واعتراف بتكافُئهما).

١١ ـ نَكُرُّ: نهجم. عودًا وبدءًا؛ مرة بعد مرة. تنهض: تقوم وتُقدم. في غدير: من غدير، كناية عن كثرة ما يتصبب من عرقها لشدة الحركة واستمرارها.
كنا نقوم بهجمة، وما إن تنتهي حتى نعاود بهجمة أخرى، فتتعب الخيل وتجهل فيتصبب عرقها مغطيًا جسمًا كأنها تأتي خارجة من غدير ماء.

١٢ ـ فَلولا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهلَ حَجْرٍ صَليلَ البَيْضِ يُقْدَعُ بِالذُّكورِ
١٣ ـ [فِدًى لبني شقيقةَ يومَ جاؤوا كأسدِ الغابِ لَجَّتْ في الزَّئيرِ]
١٤ ـ [كأنَّ رماحَهُمْ أَشْطانُ بِئْرٍ بَعيدٍ بَينَ جاليها جَرورِ]

٥٣ ـ حتى نبيدَ قبيلةً وقبيلةً

مهلهل بن ربيعة

أولاً: الإطار

كان الحارث بن عُباد من عقلاء البكريين وقد اعتزل الحرب محاولًا إصلاح ذات البين إلى أن قتل مهلهل ابنه بجيرًا وقال: «بؤ بشسع نعل كليب». وقتل بجير يمكن للحارث أن يتقبله إذا أدى إلى رتق الفتق بين المتحاربين، لكن كلام المهلهل كان أقسى من القتل وقد حمل الحارث على إعلان الحرب على التغلبيين. والحارث من الأبطال وأبو أبطال. وإلى جانب الحرب كان لا بد، في الجاهلية، من حروب كلامية ومن أشعار هجائية وعدائية تؤجج الحقد وتسوّغ القتل. وفي هذه القصيدة نموذج.

---

١٢ ـ حجر: بلدة في اليمامة (وحربهم كانت في شمالي الجزيرة). صليل: صوت اصطدام السلاح بالسلاح. البيض: ما فوق الخوذ من بيض الحديد. الذكور: السيوف القاطعة.
لو كانت الريح مساعدة لاستطاع أهل حجر سماع صليل السيوف على بَيض الخوذ.

١٣ ـ بنو شقيقة: قبيلة من شيبان. وشيبان من بكر. ويبدو أن هذه القبيلة ساعدتهم على أبناء عمها. لجّت: ألحّت، صخبت.
نفسي فداء بني الشقيقة يوم جاؤوا لنجدتنا وقد صخبوا وعلت أصواتهم كأنهم الأسد تلحّ في زئيرها.

١٤ ـ أشطان: حبال. وحبل البئر، حين يكون في آخره دلوٌ ملآن يكون مشدودًا في استقامة، لذا شُبهت به الرماح الجيدة، المستقيمة. بئر جرور: بعيدة القعر، ماؤها عال. بين جاليها: بين طرفيها: الأعلى والأدنى.
كأن رماحهم المستقيمة حبال بئر بعيدة ما بين طرفيها الأعلى والأدنى، بعيدة قعر الماء.

ثانيًا: الأبيات

وقال مُهَلْهِلٌ: [من الكامل]

[قال أَبو الفضل: أظنُّ الأَصمعيَّ قال: إنها مُولَّدَةٌ].

١ ـ يا حَارِ تَجْهَلْ على أَشياخِنا ... إِنَّا ذَوُو السَّورَاتِ والأحلامِ

٢ ـ ومِنَّا إذا بَلَغَ الصَّبِيُّ فِطَامَهُ ... سَاسَ الأُمورَ وحارِبَ الأَقْوامِ

٣ ـ قَتَلوا كُلَيْبًا ثمّ قالوا: ارْبَعُوا ... كَذَبُوا وربِّ الحِلِّ والإِحْرامِ

٤ ـ حتَّى نُبِيدَ قَبِيلَةً وقَبِيلَةً ... قَهْرًا ونَفْلِقَ بِالسُّيوفِ الهامِ

٥ ـ ويَقُمْنَ رَبَّاتُ الخُدورِ حواسرًا ... يَمْسَحْنَ عَرْضَ ذَوائِبِ الأَيتامِ

---

١ ـ يا حار: يا حارث، والمقصود الحارث بن عباد. تجهل: لا تجهل. أشياخنا: أشرافنا وساداتنا. السورات جمع سورة: وهي هنا سورة الحمية، أي وثوب الحمية في الرأس. الأحلام: جمع حلم، وهو الأناة وسعة الصدر.
يا حارث لا تتطاول على أشرافنا وساداتنا فنحن قوم ذوو حلم وأناة، ولكننا أيضًا ذوو حميّة تتوثب.

٢ ـ ساس الأمور بتصرّف في أمور الناس. حارب الأقوامِ: الأصل الأقوامَ، وقد حرك بالكسر لمناسبة القافية، وهذا إقواء.
نحن قوم مميزون، فطفلنا، عندما يُفطم عن الرضاع، يغدو سيدًا يتحكم بأمور الناس وله قرار الحرب.

٣ ـ اربعوا: تأنّوا، كُفّوا، اقتصروا. وهنا يشير إلى محاولة العقلاء رأب الصدع بين بكر وتغلب إثر مقتل كليب إذ جاؤوا مهلهلًا يفاوضونه في صلح يقوم على قتل إخوة غير مهمين لجساس، أو الاقتصار على أخذ «ألف ناقة سود الحدَق، حُمر الوبَر». وكان العرض مهينًا وأثار غضب التغلبيين. رب الحل والإحرام: الله الذي حدد الحلال والحرام، أو له الأشهر الحرُم (يمنع فيها القتال) وأشهر الحِلّ (يُسمح فيها به).
قتلوا كليبًا ثم جاؤوا يطلبون منا التصبر والأناة والقبول بالديات. كذب ظنّهم وحق الله الذي يحدد الحلال والحرام.

٤ ـ حتى نبيد: لن نربع، نكفّ ونتأنى، إلا بعد أن نُفني. قهرًا: بالقوة والظلم. نفلق: نشق. الهام: الرؤوس. (وفي البيت إقواء إذ كسر الروي لموافقة القافية في حين الموضع هو الفتح).

٥ ـ يقمن ربات الخدور: ربّاتُ الخدور يبقين. حواسرًا: كاشفات الرؤوس، وهو ما تفعله النساء في المآتم حين يفقدن عزيزًا عليهن، من أب أو ابن أو أخ. ذوائب: خصلات الشعر الملفوف، المتدلية. الأيتام: الذين فقدوا آباءهم. يمسحن ذوائب الأيتام: يعتنين=

٦ - [حتَّى يَعضَّ الشَّيخُ بعد حَميمِهِ مِمَّا يَرَى جَزَعًا على الإبْهامِ]
٧ - [إنَّا لَنَضْرِبُ بالسُّيوف رُؤوسَهمْ ضَرْبَ القُدارِ نَقيعَةَ القُدَّامِ]
٨ - ولقَدْ وَطِئْنَ بُيوتَ يَشْكُرَ وطأةً أخوالُنا وهُمُ بَنو الأَعْمامِ]

٥٤ ـ أمن أجل كبش
عِلباء بن أرقم بن عوف(١)

أولاً: الإطار

كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة قد منع كبشًا معينًا جاعله في حماه، فلم يجرؤ أحد على مسه. لكن علباء وثب عليه ذات يوم فذبحه وأكله مع أصحابه.

حُمل عِلباء إلى النُّعمان، فابتدره بالقصيدة: ألا تلكما عِرسي...

وفيها يعرض ما يتحمل من زوجته فطمعها وتقريعها وتخوّفها فيما هو لم يفعل شيئًا يستحق الذكر سوى ذبح كبش مجهول الهوية في أرض غير موصوفة. وعلامَ

= بأولادهم الذين يتّمهم بنو تغلب.
لن يهدأ لنا بال حتى نقتل الرجال فنترك النساء أرامل والأولاد أيتامًا، تعتني بهم أمهاتهن فتمسح شعرهم، في حين هن كاشفات شعورهن، نادبات أزواجهن.

٦ - يعض الشيخ على الإبهام: يأسف ويندم. بعد حميمه مما يرى: بعد أن يعرق مما يرى. جزعًا: رعبًا.
ولن يهدأ لنا بال حتى يحس كل شيخ بالأسى والحسرة فيعض على إبهامه ندمًا بعد أن يعرق رعبًا مما يرى.

٧ - القُدار: الجزّار، نسبة إلى قُدار بن سالف الذي عقر ناقة صالح وجلب غضب الله على قومه. النقيعة: الناقة تُذبح للأضياف. القُدّام: القادمون من سفر.
إنّا نضرب رؤوسهم بسيوفنا فكأنهم جزور ينحرها الجزار ليجعلها طعامًا لأضياف قادمين من سفر.

٨ - وطئن: دسن بالحوافر؛ وطئن أخوالُنا: داس أخوالُنا بحوافر خيلهم. يشكر: بنو يشكر وهو من فروع بكر. ويشكر، وبكر كلُّها أبناء عم التغلبيين لأن تغلبًا وبكرًا هما أخوان وابنا وائل. وهم بنو الأعمام أي ويشكر هم أبناء عمنا. فيكون أخوالنا وطئوا بيوت أبناء الله عمنا.

(١) هو علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل... من بني يشكر وهم من فروع بكر.

تخاف؟ وممن؟ من النعمان الأصيل الكريم؟ وهل يمكن لملك من معد أن يحاسب عبدًا له على كبش؟ ثم يصور كيف هاجم الكبش وكيف دافع هذا عن نفسه ثم كيف قطّعه وعلّقه..

ثانيًا: المقطوعة

وقال عِلْباءُ بن أَرقَمَ بن عَوْفِ، [بنِ سَعد بنِ عِجل بن عَتِيك بن كعب بن يَشكرَ بنِ بكر وائل، في كبشِ النُّعمان]: [من الطويل]

١ - أَلا تِلكُما عِرْسِي تَصُدُّ بِوجهِها وتَزْعُمُ في جاراتِها أَنَّ مَنْ ظَلَمْ

٢ - أَبُونا ولَم أَظْلِمْ بِشيءٍ عَمِلْتُه سِوَى ما تَرَيْنَ في القَذالِ مِنَ القِدَمْ

٣ - فَيومًا تُوافِينا بِوجهٍ مُقَسَّمٍ كأَنْ ظبيةٌ تَعْطُو إلى نَاضِرِ السَّلَمْ

٤ - ويَومًا تُرِيدُ مالَنا مَعَ مالِها فإن لَم نُنِلْها لَم تُنِمنا ولَم تَنَمْ

٥ - نَبِيتُ كأَنَّا في خُصُومِ عَرامةٍ وتَسمعُ جاراتِي التَّأَلِّيَ والقَسَمْ

---

١ - عِرسي: زوجتي. تصد بوجهها: تشيح بوجهها عني. تزعم في جاراتها: تشيع في نساء الحي. أن الظالم هو:...

٢ - القَذال: جِماع مؤخر الرأس. أبونا: يقصد أبو العائلة، فهو الزوج بالنسبة إلى الزوجة. الظالم هو أبو عائلتنا. ولكنني لم أكن ظالمًا في شيء قمت به، اللهمّ باستثناء ما أصاب مؤخر رأسي من قِدَم، (أي من شيب في شعر القذال يفضح تقدمه في السن).

٣ - توافينا: تلقانا. بوجه مقسّم: بوجه حسنت تقاسيمه أو قسماته، فكان جميلًا. تعطو: تتناول بفمها، وهي لذلك، تمد عنقها فتظهر صفحته الطويلة الملساء التي فتنت العربي. ناضر: أخضر، طريّ. السَّلَم: شجر عظيم له شوك من أشجار البادية.
في بعض الأيام تلقانا بأجمل وجه وأكملَ عنق كأنها ظبية مدت رأسها لتناول أوراق السَّلَم الطرية.

٤ - وفي أيام أخرى تلقانا طامعة تريد مالنا إلى جانب مالها، فإن لم تحصل عليه تقوم قيامتها، فلا تتركنا ننام ولا هي ترقد وتنام.

٥ - نبيت: نقضي الليل. عرامة: شدة؛ وخصوم عرامة أي خصوم شدة، والمقصود أشد الخصوم. التألي: من آلى على نفسه أيْ تعهد وأعطى الوعود. القسم: حلْف الأيمان.
هكذا نقضي الليل كأننا (أعداء) في أشد خصومة. وأروح أقسم الأيمان وأعطي الوعود والعهود أرفع بذلك صوتي فتسمعه جاراتي.

٦ ـ فقلتُ لَها: إنْ لا تَناهَيْ فإنّني أخو النُّكْرِ حتَّى تَقْرَعِي السِّنَّ من نَدَمْ

٧ ـ لَتجتَنِبَنْكِ العِيسُ خُنْسًا عُكُومُها وذو مِرَّةٍ في العُسرِ واليُسر والعَدَمْ

٨ ـ وأيُّ مَليكٍ مِنْ مَعَدٍّ عَلمتُمُ يُعَذِّبُ عبدًا ذي جَلالٍ وذي كَرَمْ

٩ ـ أَمِن أَجلِ كَبشٍ لَم يَكن عِندَ قريَةٍ ولا عند أَذْوادٍ رِتاعٍ ولا غَنَمْ

١٠ ـ يُمَشِّي كأَنْ لا حَيَّ بِالجِزْعِ غيرُه ويَعلُو جَراثيمَ المَخارمِ والأَكَمْ

---

٦ ـ إن لا تناهَي: إن لم تنتهي، إن لم تتوقفي. النُّكر: الدهاء؛ وأخو النُّكر: من يستخدم الدهاء. حتى تقرعي: حتى يصيبك الندم فتقرعي سنك. وقرع السن كناية عن الندم مثل العض على الإصبع.
فإن بقيتِ هكذا ولم تتوقفي سأستخدم دهائي ضدك حتى تحسي بالندم وتقرعي لذلك السن.

٧ ـ العيس: النوق البيض، اللون في شعَرة، وتستخدم عادة للسفر ونقل الأحمال. عكومها: أحمالها. خنسًا: منقبضة، أُحسن حزمها فلا نتوءات فيها؛ وكل ذلك كناية عن تهيؤ الجماعة لرحلة بعيدة. لتجتنبنك: لتتخلى عنك، فتتركنّك وترحل (الرحلة هي للقوم، والعيس هي الأداة). ذو مرة: شديد، قوي. (قصد نفسه).
يتابع تهديده لها إن بقيت على حالها: أؤكد لك أن النوق التي شُدّت أحمالُها وسُوّيت للسفر لن تجعل لك مكانًا عليها، ولن يحملك معه أيضًا الرجل القوي الشديد، لا إن كان على غنى ولا إن كان على فقر، ولا إن كان معدمًا لا يملك شيئًا. (كناية عن تخليه عنها وانفصاله نهائيًا).

٨ ـ مليك من معد: ملك عربي أصيل ينتهي نسبه إلى معد بن عدنان. العبد: هنا الفرد من رعية الملك «كل من دانَ لملِك فهو عابد له». ذو جلال: ذو هيبة.
هل هناك ملك عربي أصيل ينتمي إلى معد، يعذّب رجلًا مهيبًا كريمًا من رعيته؟

٩ ـ الكبش: فحل الغنم. لم يكن عند قرية: لم يكن في مكان مأهول. أذواد: جمع ذود، وهو الجماعة من الإبل. رتاع: ترعى مطمئنة.
هل أُلام لأجل استيلائي على كبش ليس هناك ما يدل على أنه مُلك أحد: فلم يكن قرب أماكن مأهولة، ولم يك مع جماعات من الإبل، مطمئنة في مرعاها، ولم يكن في جماعة من الغنم.

١٠ ـ يمشّي: يتمشى. الجزع: منعطف الوادي. الجراثيم: جمع جرثومة وهي مكان مرتفع عن الأرض مكوّن من التراب تسفيه الريح. المخارم: جمع المخرم، وهو الطريق في الجبل، أو الرمل، وهو هنا في الرمل. الأكم: جمع أكمة وهي رابية أو أرض مشرفة.
هذا الكبش يمشي مختالًا عند منعطف الوادي، كأنه الحي الوحيد هناك، وهو يعلو كومات التراب في الطرق الرملية كما يسير فوق الروابي المشرفة.

١١ ـ فَـوالله مـا أَدري وإِنّـي لَصـادقٌ أَمِـن خَـمَـرٍ يَـأْتي الطِّـلالَ أَم اتَّـخَـمْ

١٢ ـ بَصُرتُ بِهِ يَومًا وقَد كادَ صُحبَتِي مِنَ الجُوعِ أَنْ لا يَبلُغُوا الرَّجمَ مِلْوَحَمْ

١٣ ـ بِـذِي حَـطَـبٍ جَـزْلٍ وسَـهـلٍ لِفـائِدٍ ومِـبـراةِ غَـزَّاءٍ يُـقـال لَهـا: هُـذَمْ

١٤ ـ وزَنـدَيْ عَـفـارٍ فـي السِّـلاحِ وقـادِحٍ إذا شِئْتُ أَورَى قبلَ أن يَبلُغَ السَّأَمْ

١٥ ـ وقـالَ صِـحـابِي: إنَّـكَ الـيَومَ كـائـنٌ عَـلَيـنـا كَـمـا عَـفَّـى قُـدارٌ عـلى إِرَمْ

١٦ ـ وقِـدْرٍ يُـهـاهِـي بـالـكِـلابِ قُـتـارُهـا إذا خَفَّ أَيسارُ المَسامِيحِ واللُّحَمْ

---

١١ ـ الخَمَر: السُكرْ. الطِّلال: جمع الطلّ، وهو فوق الندى ودون المطر. ولعل المقصود مكان سقوط الطِّلال، أو يكون اسم مكان بالذات. اتّخم: أُصيب بتُخمة.
أقسم بالله، وأنا صادق في قسمي، أني لا أعرف ما الذي أتى به إلى الطلال: هل هو خُمار من سكر لعب برأسه، أم هو بخار تخمة تصاعد من جوفه؟

١٢ ـ صحبتي: أصحابي المرافقين. الرجم: الظن وتوقع ما في الغيب. م: من. الوَحَم: الشهوة، وهي هنا الشهوة إلى اللحم.
كان أصحابي قد حُرموا أكل اللحم فاستبدت بهم الشهوة إليه وأيأسهم إحساسهم بالحرمان لا من إيجاده فقط وإنما حتى من الظن والتوهم بأنهم قد يجدونه. في هذه الظروف بصرت بالكبش.

١٣ ـ بذي حطب جزل: في مكان كثير الحطب. سهل لفائد: يسهّل عمل الطباخ. الشفرة: السكين وحدّ السيف. الغزّاء: الكثير الغزو الذي اعتاد استخدام سيفه. يقال لها هُذَم: تسمّى هُذَم. (وسميت كذلك لشدة قطعها لأن هذم تعني قطع).

١٤ ـ زندي عَفار: عودين من شجر العفار وهو خاص بالاقتداح. القادح: الذي يحك الزندين لإشعال النار. أورى: أشعل، وعملية الإشعال بحك الزندين ليست سريعة.
وقد تطول فلا يصبر عليها إلا طويل أناة. قبل أن يبلغ السأم: قبل أن يضجر ويتوقف، يُشعل النار قبل أن ينفد صبره.

١٥ ـ كائن: من كَأَنَ: اشتدّ؛ وكائن علينا: موقعنا في شدة. عفّى: أهْلَك، محا. قُدار: عاقر ناقة صالح الذي جلب بفعلته الدمار لقومه ثمود. إرَم: جَدّ عاد الأولى وجد ثمود قوم صالح. واستعمل إرم للتعميم، فالبلاء لم يقف عند ثمود وإنما عم إرم كلها.
في هذا البيت تشبيه لما هم فيه بما جرى لثمود بسبب ناقة صالح وعقرها. فالأصحاب: قوم صالح والكبش: ناقة صالح، وعلباء: يلعب دور قُدار عاقر الناقة. وعقر الكبش سيوقعهم في بلاء يمحوهم كالبلاء الذي وقع فيه جماعة ثمود من إرم بعد عقر الناقة فأفناهم.

١٦ ـ القِدر: وعاء الطبخ. القُتار: رائحة اللحم المشوي والمطبوخ. يهاهي: يجتلب؛ ويهاهي بالكلاب قُتارها: رائحة اللحم فيها تجتلب الكلاب. خف: أسرع. أيسار: جمع ياسر وهو=

١٧ ـ أَخَذتُ لِدِينِ مُطمئِنٍّ صَحِيفَةً وخَالفتُ فِيها كُلَّ مَن جارَ أو ظَلَمْ

١٨ ـ أُخَوَّفُ بِالنُّعمانِ حَتَّى كَأَنَّما قَتَلتُ لَه خالًا كَرِيمًا أَوِ ابنَ عَمْ

١٩ ـ وإِنَّ يَدَ النُّعمانِ لَيسَتْ بِكَزَّةٍ ولَكِنْ سَماءٌ تُمطِرُ الوَبلَ والدِّيَمْ

٢٠ ـ لَبِستُ ثِيابَ المَقْتِ إِنْ آبَ سالِمًا ولَمَّا أَفُتْهُ أَوْ أُجَرَّ إلى الرَّجَمْ

= الذي يقطع الجزور، أي الناقة المذبوحة في لعبة الميسر. المساميح: جمع السّمح وهو الكريم، وتطلق على لاعبي الميسر الذين لا يأخذون نصيبًا إذا ربحوا وإنما يتركونه للفقراء. اللُّحَم: المطعمون اللّحم. (أيسار المساميح واللُّحَم: الذين يذبحون الجزور لكرماء الميسر والذين يقطعون اللحم لطبخه وإطعام الناس).

إذا خف الجزارون إلى عملهم، وأسرع معهم اللحّامون في تقطيع اللحم ورميه في القدر تصاعدت منها رائحة اللحم المنضج فاجتذبت الكلاب إليها.

تعليق: في الأبيات ١٢ و١٣ و١٤ و١٦ يصف الشاعر كيف أن عناصر الجريمة كانت مهيأة مكتملة: الكبش، والحطب، والزندان، والسكين، والجزار والقِدر، إلى شهوة اللحم، فكأنه يقول: أبعد ذلك يمكن تجاهل الكبش لأي سبب.

١٧ ـ الدين: من معانيه الكثيرة: السلطان. الصحيفة: الكتاب، وهي تشير إلى صحيفة المتلمس وطرفة حملها كل منهما وفيها أمر قتله جورًا وظلمًا، من قبل عمرو بن هند، أحد جدود النعمان.

يشير إلى صحيفة المتلمس التي حملها متوقعًا منها عطاء فإذا فيها أمر بقتله، فهي صحيفة جائرة ظالمة، فيما هو يأتي إلى صاحب سلطان مطمئن عادل يحمل معه صحيفة (مفترضة وهمية) تخالف كل صحيفة لسلطان ظالم. (والكلام تمهيد لإطلاق صفات الحلم والكرم على النعمان، وتمييزه من جدوده الظالمين، ليضمن سلامته).

١٨ ـ أخوّف بالنعمان: يهددونني بانتقام الملك النعمان، وكأن له ثأرًا عندي لقتلي خالًا له كريمًا أو ابن عم له. (وسبق له في البيتين ٨ و٩ التقليل من قيمة الضحية. وذكر الخال والعم هنا ليخلق فجوة واسعة بين من يمكن لإنسان كريم أن يثأر لهم من ذويه وبين كبش).

١٩ ـ يد النعمان ليس بكزة: ليست منقبضة تمسك المال. أي أن النعمان ليس بخيلًا. سماء: كنى بها عن الغيوم في السماء. تمطر الوبل: المطر الشديد السريع. الديم: المطر الخفيف الدائم.

النعمان ليس ذلك البخيل الذي يحاسب على كبش. إنه معروف ببسط يده كأنها غيوم السماء تعطي المطر الكثير القوي في دفعة واحدة، كما تعطي المطر الخفيف إنما بدوام واستمرار.

٢٠ ـ المَقت: البغض؛ لبستُ ثياب المَقت: جعلني الله بغيضًا مكروها. إن بقي حيًا. والكلام على الكبش. (وموقع البيت وما بعده متأخر، والمفروض أن يكون بعد البيت ١٦). لما أفته: لما أدركه. أو أجرّ إلى الرجم: أو أسحب إلى قبري. =

٢١ ـ يُثِيرُ عَلَيَّ التُّربَ فَحْصًا بِرجلِهِ وقَد بَلَغَ الذَّلْقُ الشَّوارِبَ أو نَجَمْ
٢٢ ـ لَه إلْيَةٌ كأنَّها شَطُّ نَاقةٍ أَبَحُّ إذا ما مُسَّ أَبْهَرُه نَحَمْ
٢٣ ـ وقطَّعتُه بِاللَّوْمِ حتَّى أطاعنِي وأُلْقِي على ظَهْرِ الحَقيبةِ أَوْ وَجَمْ
٢٤ ـ ورُحْنا على العِبْءِ المُعَلَّقِ شِلْوُهُ وأَكْرُعُهُ والرَّأسُ لِلذِّئْبِ والرَّخَمْ
٢٥ ـ مواريثُ آبائي وكانَتْ تَرِيكَةً لآل قُدارِ صاحبِ الفِطْرِ في الحُطَمْ

= بعدما ظهرت الحاجة الماسة إلى الكبش وتهيأت أسباب الإفادة منه كان التصميم على الحصول عليه نهائيًا. إنما لم يكن ذلك بالأمر الهيّن، فهناك شبه معركة قامت بينه وبين الكبش. وكان عليه الانتصار فيها وإلا ركبه الذل، وهو يدعو على نفسه إن حصل ذلك، ولم يدرك الكبش واستطاع هذا أن يبقى سالمًا، حينها فليجعله الله بغيضًا إلى الناس، أو فليمُت ويُدفن.

٢١ ـ فحصًا برجله: حفرًا برجله، وذلك في مقاومته للأسر. الذَّلْق: كناية عن طرف اللسان، (الذلَق: صفة للسان الحاد). بلغ الذلق الشوارب؛ فيما يقوم بجهده الكبير للإمساك بالكبش، تندّ عنه، لكل إنسان، حركات عصبية منها إخراج لسانه. وقد بلغ من جهده أن لسانه خرج كثيرًا حتى مس طرفه الشوارب. نجم: طلع، وخرج. وهنا تجاوز الشوارب.
في إمساكي للكبش كانت له حركات عصبية ولي حركات. فهو كان يحفر الأرض برجله فيثير التراب عليّ، وأنا كنت أخرج لساني، وقد بلغ طرفُه شواربي، بل إنه تجاوزها.

٢٢ ـ شطّ ناقة: شطر سنام ناقة. أَبَحّ: صوته خشن (أي الكبش). الأبهر: عرق في الظهر. نحم: من النحيم وهو صوت يخرج من الجوف.
ضخم الأليّة فكأنها شطر سنام ناقة، أبح الصوت، إذا لُمِسَ عرق ظهره الأبهر صرخ فكأن صراخه صوت جوفي (لأنه أبح).

٢٣ ـ اللوم: العذل، والذم؛ قطّعته باللوم: ذممت فيه كل قطعة. أطاعني: انقاد لي واستسلم. الحقيبة: تكون على عجز البعير؛ كنّى بها عن قنا الكبش. أو وجم: العطف على أطاع. ووجم: اشتد حزنه أو غيظه حتى سكت عن الكلام وهنا عن النحيم.
ظللت: أذم كل قطعة فيه حتى استكان وانقاد لي، أو لعله سكت من شدة غيظه. حينها ألقيته على قفاه (تمهيدًا لذبحه).

٢٤ ـ رُحنا على: رجعنا إلى، عكفنا على. العبء: الذي كان عبئًا أي حملًا وثقلًا. الشلو: الجسد أو ما تبقى منه. الرخم: من الطيور الجارحة المفترسة.
عكفنا على (الكبش) الذي كان حملًا ثقيلًا والذي عُلّق جسده، فيما تركنا أكرعه ورأسه للوحوش والطيور الكاسرة.

٢٥ ـ مواريث آبائي: عملي هذا هو من الخلال التي ورثتها عن آبائي. وكانت تريكة آل قدار: كما كانت من ميراث آل قُدارِ عاقر ناقة صالح. الفِطْر: الشِقّ. الحُطَم: من الحُطَمَة وهي=

٥٥ ـ وكأنّما في العينِ حبَّ قَرَنْفُلٍ

عِلباء بن أرقم

أولاً: الإطار

الخلاف التقليدي، في الشعر الجاهلي، بين الرجل المقدام المحب للأشعار وزوجته التي تخاف ذهابًا بلا عودة، وبين الرجل الكريم يتلف المال فيما زوجته تخاف الفقر على نفسها وأبنائها. وغالبًا ما يكون اللومان مرتبطين أحدهما بالآخر، فالكرم والعطاء يؤدي إلى الافتقار، والافتقار يتطلب من الرجل المقدام الذهاب في الأرض سعيًا إلى غنى. وهكذا يعمر الشعر الجاهلي بهذا النوع من الحوار. وعلباء هنا يقع في دائرة اللوم ترسمها حوله زوجته تُماضر، وبلغ بها الانفعال أن تركته وذهبت بأولادها إلى ذويها مدعية أن أبناءها منه سيملؤون الفراغ الذي يتركه إذا مات. وتثور ثائرة علباء، من هذا الادعاء، وينطلق معددًا مآثره في الشجاعة والكرم والقِرى، وفي دوره بين قومه. يقودهم ويحل مشاكلهم ويصلح ذات بينهم...

ثانيًا: المقطوعة

وقال: [من الكامل]

١ ـ حَلَّت تُماضِرُ غَرْبَةً فاحتَلَّتِ ... فَلْجًا وأَهلُكَ بِاللِّوَى فالْحِلَّتِ

٢ ـ وكأنَّما في العَينِ حَبَّ قَرَنفُلٍ ... أو سُنبُلًا كُحِلَتْ بِه فانْهَلَّتِ

= من النوق الكثيرة الأكل، تحطِم كلَّ شيء وتأكله. وهي إشارة إلى ناقة صالح.
هذه الخلال ورثتها عن آبائي وهي كذلك كانت إرثًا في قوم قُدار الذي فتح شقًّا في الناقة الكثيرة الأكل المحطِّمة كل شيء (ناقة صالح).

١ ـ الغربة: المكان البعيد، والسفر البعيد. حلت واحتلت: نزلت. فَلْج واللِّوى والحَلْت: أسماء أماكن.
نزلت تُماضر في دار بعيدة، دارُها في فلج فيما دار أهلي باللوى والحَلْت.

٢ ـ حب القرنفل: مادة نباتية حادة الرائحة والتأثير، تهيّج العين فتُسيل الدموع غزيرة. ومثلها السُّنبل. كحلت به: استخدم مثل كُحل للعين. انهلّت: انهمرت دموعها.
يصف حزنه وأساه الذي بلغ به إلى البكاء الغزير شأن الذي كحلت عيناه بالقرنفُل أو السنبل فانهلت دموعهما غزيرة.

٣ ـ زَعَـمَـتْ تُـمَـاضِـرُ أَنَّـنـي إِمَّـا أَمُـتْ ... يَـسْـدُد أُبَـيْـنُـوهـا الأَصـاغـرُ خَـلَّـتِـي

٤ ـ تـرِبَـت يَـداكِ وهَـل رَأَيـتِ لـقَـومِـه ... مِـثْـلي عـلى يُـسـرِي وحـيـنَ تَـعِـلَّـتِـي

٥ ـ يَـومًـا إذا مـا الـنَّـائـبـاتُ طَـرَقْـنَـنـا ... أَكْـفَـى بِـمُـعْـضِـلةٍ وإنْ هِـيَ جَـلَّـتِ

٦ ـ ومُـنـاخِ نـازلـةٍ كَـفَـيْـتُ وفـارسٍ ... نَـهِـلَتْ قَـنـاتِـي مِـنْ مَـطـاهُ وعَـلَّـتِ

٧ ـ وإذا الـعَـذارَى بِـالـدُّخـانِ تَـقَـنَّـعَـتْ ... واسـتـعْـجَـلَتْ نَـصْـبَ الـقُـدُورِ فـمَـلَّـتِ

٨ ـ دَرَّتْ بِـأَرزَاقِ الـعِـيـال مَـغـالِـقٌ ... بِـيـدَيَّ مـن قَـمَـعِ الـعِـشـارِ الـجِـلَّـةِ

---

٣ ـ زعمت: ادّعت باطلًا. إمّا أَمُتْ: إذا مِتُّ. الخلة: الفراغ؛ وسدّ الخلة: ملأ الفراغ، وهنا كناية عن أخذ المكانة.
زعمت تُماضر أنني من صغر الشأن بدرجة أن أصغر أبنائهما يقوم مقامي ويملأ الفراغ الذي أتركه.

٤ ـ تربت يداك: كلمة توبيخ ودعاء عليها بمعنى أفقركِ الله. اليسر: الغنى. التعلة: التشاغل عن الجوع ببقايا أو فضلات؛ وهي كناية عن العسر والافتقار. يخاطب زوجته مغتاظًا: خسئتِ وأفقرك الله؛ هل رأيت من يقوم مثلي بأمور قومه في حال يسر وحال عسر؟

٥ ـ النائبات: الشدائد، حوادث الدهر. طرقننا: حلّت بنا. أكفى: أكثر كفاءة، قدرة، لمواجهة. مُعضلة: أزمة صعبة. جَلَّت: عظُمت.
يتابع عتابه لزوجته على تقليلها من قيمته ويسألها إن كانت قد رأت مثله لقومه إن حلت بهم النائباتُ يومًا يكون أكثر قدرة على حل أزمة صعبة مهما عظُمت وجَلَّت؟.

٦ ـ النازلة: المصيبة الطارئة! ومناخ النازلة: وقوعها. كفيت: تصديت لها وأبعدتها. وفارسٍ: رب فارسٍ. نهلت: شربت شربًا أول. قناتي: رمحي. من مطاه: من ظهره، والفارس الذي يطعن في ظهره يكون هاربًا منهزمًا أمام خصمه. علّت: شربت شربًا ثانيًا.
رُبّ مصيبة طارئة تصديتُ لها وأبعدتُها، ورب فارس واجهته فخاف وهرب منهزمًا فسقيت رمحي من دم ظهره مرة ثم مرات.

٧ ـ العذارى: صبايا الحي. تقنعت: غُطّيت. استعجلت نصب القدور: اختصرت نصبَ القدور، تجاوزت عن نصب القدور (لعدم وجود لحم يُطبخ فيها). فملّت: فخبزت الملة وهي العجين يُنضج داخل الرمل الحار، (والصورة ترسُم ملامح السنة المجدبة وحالة العَوز).
وفي سنة الجدب، أو في حالة العَوَز، حين تشعل صبايا الحي النار، متجاوزة نصب القدور لأنه لا يوجد لحم يطبخ فيها، فتنصرف إلى خبز العجين في الرمل الحار (المِلّة). (جواب إذا يأتي في البيت التالي).

٨ ـ دَرَّت: أعطت وأغزرت (الناقة تدر الحليب: تعطيه بغزارة). المغالق: الرابح من سهام الميسر (والأجواد يدخلون لعبة الميسر ليعطوا ما يكسبونه للمحتاجين. والمميزون منهم=

٩ ـ ولَقَد رَأَبْتُ ثَأَى العَشِيرةِ بَينَها وكَفَيْتُ جانِبَها اللُّتَيَّا والتِي

١٠ ـ وصفَحْتُ عن ذِي جَهْلِها ورَفَدْتُهُ نُصْحِي ولَم تُصِبِ العَشِيرَةَ زَلَّتِي

١١ ـ وكَفَيْتُ مَولايَ الأَحَمَّ جَرِيرَتي وحَبَسْتُ سائِمَتي على ذِي الخَلَّةِ

= يراهنون على النادر من أجزاء الناقة، كالسنام مثلًا مع ارتفاع قيمة السهم فيه وندرة مجيئه في عملية السحب). بيديَّ: درَّت بيديّ. قمع: جمع قمعة وهي أعلى السنام. العشار: جمع عشراء وهي الناقة أتى عليها من حملها عشرة أشهر. (وهي من أثمن النوق، وذبحها غاية في الكرم وإهانة المال). الجِلَّة: العظيمة، الضخمة.

حينذاك أجعل أرباحي في الميسر تعطي المحتاجين عطاء غزيرًا ومن أشرف مكان في الجزور، من أعلى سنامها، على أن تكون من أثمن النوق، من العشار العظيمة(مع أن الجائعين في تلك الحال يقنعون بأقل اللحم من أي جزء من النوق).

٩ ـ رأبتُ: أصلحتُ. ثأى العشرة: الفتق في علاقات أبناء العشيرة. الجانب: الغريب النازل بجوار القبيلة. (والعرب تشدّد على إكرامه فتقول: نِعمَ القومُ هم لِجار الجِنابة، أي لجار الغربة). كفيته: منعت عنه، رددت عنه. اللُّتَيَّا والتي: كناية عن الداهية، صغرى كانت أو كبرى.

فضلًا عن كرمه وإطعامه فقراء القبيلة زمن القحط، هو رجل العقل والإصلاح، يجعل أي فتق بين أبناء القبيلة يلتئم بحسن وساطته، وهو يهتم بجار القبيلة الغريب، يعتني به ليرفع اسمَها بين القبائل، فيقيه الدواهي، صغيرَها وكبيرَها.

١٠ ـ صفحت: عفوت. عن ذي جهلها: عن الطائش السيىء السلوك من أبنائها. رفدته نصحي: جُدت له بنصحي. زلتي: خطأ مني وسوء تصرف.

يضيف إلى صفاته فضيلة الحلم فهو يصفح عن الطائش والسيىء السلوك من أبناء قبيلته ويجود عليه بنصحه، فلا ينزلق إلى ارتكاب أخطاء يحمّلها قومه.

١١ ـ كفيت: لم أحمِّل. مولاي الأحم: أهلي الأشد قرابة لي (أولاد العم). جريرتي: جنايتي. حبست سائمتي: وقفت إبلي السارحة في المراعي. على ذي الخِلَّة: على المحتاج. لم أرتكب أي جناية يتحمل أبناء عمي الأقربون نتائجها، ووقفت على المحتاجين إبلي السارحة في المراعي.

الزيادات من الكتابين

١ ـ كيف قريتَ ضيفك
أبو محمد الفُقْعُسيّ[1]

أولاً: الإطار

جاء الضيف البائس، الجائع، يطلب القِرى، فكان قرى مُضيفه له أن انهال عليه ضربًا كما ينهال على البعير الصعب السلوك، والشاعر ينهال على المضيف بالهجاء.

ثانيًا: الأبيات

[قال الفقعسي]: [من الرجز]

١ ـ كَـيـفَ قَـرَيْـتَ ضَـيْـفَـكَ الأَزَبَّـا

٢ ـ لـمَّـا أَتـاكَ بـائِسًـا قِـرْشَـبَّـا

٣ ـ يَـنْـشُـدُكَ الـزَّادَ وكُـنْـتَ الـزَّبَّـا

٤ ـ قُـمـتَ إِلـيـهِ بِـالـقَـفِـيـل ضَـرْبـا

---

(١) أبو محمد الفقعسي: عبد الله بن ربعي بن خالد الفقعسي. وهو راجز إسلامي. والأبيات مشكوكة النسبة إليه.

١ ـ قريت: من القِرى، وهو إطعام الضيف. الأزبّ: الكثيف الشعر في الأماكن البارزة والخفية من الجسم.

٢ ـ بائسًا: كئيبًا، متعبًا. قِرْشَبًّا: سيىء الحال.

٣ ـ ينشدك: يسألك، يأمل منك. الزاد: الطعام. كنت الزَّبّا: هي الزبّاء: الداهية.

٤ ـ قمت إليه: هجمت عليه. بالقفيل: بالسوط.

٥ ـ ضَـرْبَ بَـعِـيـرِ الـسَّـوْءِ إِذْ أَحَـبَّـا

٦ ـ كـأَنَّـمـا تَـلْـحَـكُ فـاهُ الـرُّبَّـا

٢ ـ عَلَوتم ملوكَ الناس في المجد والتُّقى
الممزّق العَبْديّ(١)

أولاً: الإطار

هذه القصيدة سياسية الهدف، إنها مُرسَلة من شاعر بني عبد القيس إلى الملك عمرو بن هند الذي اعتزم غزو بني عبد القيس. في هذه القصيدة نجد الخطوات المعروفة للمدح: ركوب ناقة قوية، السير الطويل، وتحمّل المشقات بهدف الوصول إلى الممدوح. والممدوح ملك ورث المجد عن آباء ملوك، وهو محور الكون، ما يقوله حقيقة وما ينفيه باطل، وهو يفوق الناس: يجرؤ حيث يجبنون ويجود حيث يمسكون.

ثم يعرض الظلامة ويستعطف، ويرجع الملك عن عزمه.

ثانيًا: القصيدة

وقال الممزَّقُ العَبْديُّ: [من الطويل]

١ ـ أرِقْتُ فلم تَخْدَعْ بِعيْنَيَّ وَسْنَةٌ ... ومَنْ يَلْقَ ما لاقيتُ لا بُدَّ يأْرَقِ

٢ ـ تَبيتُ الهُمومُ الطَّارقاتُ يَعُدْنَني ... كما تَعْتَري الأَهوالُ رأسَ المُطَلَّقِ

---

٥ ـ البعير السوء: الجمل العنيد السيىء السلوك. إذ أحبّا: إذ حرن، فبرك ولم يشأ القيام.

٦ ـ تُلحك فاه: تجعل فاه يلحس، تُلعقه. الرُّبّ: (المربّى)، دبس الثمار.

(١) هو شأس بن نهار بن أسود بن جزيل . . .بن عوف بن سود . . .بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس. شاعر جاهلي.

١ ـ أرقت: جفاني النوم، الوَسْنة: الإغفاءة. لم تخدع بعينيّ وسنة: لم تمر إغفاءة بعينيّ. جفاني النوم ولم تمر بعيني إغفاءة، ولا مرًّا خفيفًا، ومن الطبيعي أن يصيبني الأرق، فمن تحمّل ما تحمّلت لا بدّ له من الأرق.

٢ ـ الهموم الطارقات: الهموم التي تزور ليلًا. يعدنني، من عاد المريضَ أي تفقده بزيارة. =

٣ ـ ونـاجـيـةٍ عَـدَّيـتُ مِـنْ عِـنْـدِ مَـاجـدٍ إلـى واحِـدٍ مِـنْ غَـيـرِ سُـخْـطٍ مُـفَـرَّقِ

٤ ـ تَـرَى أو تَـرَاءَى عـنـدَ مَـعْـقِـدِ غَـرْزِهـا تَـهـاويـلَ مِـنْ أَجْـلادِ هِـرٍّ مُـعَـلَّقِ

٥ ـ كـأَنَّ حَـصَـى الـمَـعْـزَاءِ عِـنْـدَ فُـروجِـهـا نَـوَادِي رَحَـى رَضَّـاخَـةٍ لَـم تُـدَقَّـقِ

٦ ـ كـأَنَّ نَـضِـيـحَ الـبـولِ مِـنْ قُـبْـلِ حَـاذِهَـا مَـلَابُ عَـروسٍ أو مَـلادغُ أَزْرَقِ

= تعتري: تصيب. المُطَلَّق: الملدوغ تأتيه الآلام ثم تطلّقه فترة أي تتركه قبل أن تعود من جديد.

تأتيني الهموم ليلًا دفعة وراء دفعة، فما إن تتركني دفعة وأرتاح منها حتى تنتابني دفعة أخرى كالذي لدغته أفعى تطلّقه الآلام فترة ثم تعود من جديد لتصيب رأسه بالأهوال.

٣ ـ الناجية: الناقة السريعة. عَدَّيت: جعلتها تعدو. الماجد: الشريف، صاحب المجد. إلى واحد: إلى رجل فريد، أوحد زمانه. السُّخط: الغضب، والسخط: الكُرل. مُفرَّق: شُفي من السخط، بعيد عن السخط.

وناقة سريعة قدتُها وهي تعدو من عند شريف صاحب مجد إلى رجل فريد، وحيد زمانه، مبرأ من الكره والغضب، بعيد من السخط.

٤ ـ ترى: تنظر بعينيك حقيقة. تراءى: تنظر لتتأكد هل ترى أم لا؟ معقد غرزها: مكان تثبيت الحزام (الغرز للناقة للحزام للفرس). تهاويل: نقوش ووشي وألوان مختلفة. الأجلاد: الجسم وأعضاؤه؛ وأجلاد هر: هنا مخالبه (تسمية الجزء باسم الكل). الهر المعلق: هو هر يربط إلى جنب الناقة يخمشها بمخالبه بصورة مستمرة وهي تسرع لتهرب منه، وبذلك تتضاعف سرعتها.

هذه الناقة كانت تعدو مسرعة جدًا لأن معقد الحزام كان يغرز في جلدها فيهيجها كأن هرًّا رُبط إلى جنبها يخمشها بمخالبه وهي تسرع لتهرب منه، وأنت ترى آثاره بوضوح في جنبها أو تتبيّنها حين تريد، كأنها رسوم ونقوش ذات ألوان.

٥ ـ المعزاء: الأرض الصلبة، الكثيرة الحصى. عند فروجها: ما بين قوائمها. نوادي: جمع نادٍ، وهو المتطاير. الرحى: حجر الطحن، وحجر المرضخة التي تكسر النوى وتطحنه؛ ونوادي الرحى؟ هي نوادي النوى أي ما تطاير من النوى تحت المرضخة فلم تطحن. لم تُدقّق: لم تطحن فتصبح دقيقًا.

إن عدو هذه الناقة الشديد، فضلًا عن قوتها وصلابة مناسمها يجعل الحصى يتطاير من تحت أخفافها، فتراه بين فروجها كأنه ما يتطاير من النوى تحت رحى المِرضخة مما لم يُكسر ويطحن ليغدو دقيقًا.

٦ ـ نضيح البول: رُشاشه. من قُبل: من أمام. حاذها: ظاهر فخذها، حيث يقع الذنب على فخذها. مَلاب عروس: ما تلطّخ به العروس من طيب، منه الزعفران. والمقصود هنا مظهر التلطيخ لا رائحة الطيب. الملادغ: المواضع الملدوغة. الأزرق: ذباب أزرق يؤذي الدواب، ويبان مكان لدغه. =

٧ ـ وقَد ضَمُرَتْ حتَّى الْتَقَى من نُسُوعِها عُرَى ذِي ثلاثٍ لَم تَكنْ قبلُ تَلْتَقِي

٨ ـ وقد تَخِذَتْ رِجْلِي لدَى جَنْبِ غَرْزِها نَسِيفًا كأُفْحُوص القطاةِ المُطَرَّقِ

٩ ـ أُنِيخَتْ بِجَوٍّ يَصرُخُ الدِّيكُ عندَها وبَاتتْ بِقَاعٍ كادِىءِ النَّبْتِ سَمْلَقِ

١٠ ـ تُنَاخُ طَلِيحًا ما تُراعُ مِنَ الشَّذَا ولو ظَلَّ في أَوْصَالِها العَلُّ يَرْتَقِي

= إن رشاش بولها، حين يضربه ذنبها على فخذيها يترك بقعًا أشبه بالبقع يتركها الطيب على العروس حين تُلطَّخ به، أو يشبه مواضع من الجلد لدغها الذباب الأزرق فاحمرّت أو تورّمت (تغيّر لونها).

٧ ـ ضمُرت: هَزُلت. النسوع: جمع النِّسع. وهو سَيْر جلدي يُشَدّ به الرحل. عرى: جمع عروة وهي حيث يُدخل النسع ليربط. وعرى ذي ثلاث: ثلاثة نسوع يُربَط بها الرحل.
لشدة ضمورها، هُزل بطنُها وغدت سيور الجلد الثلاثة تلتقي عراها، فيما لم تكن تلتقي. من قبل.

٨ ـ تخذت: اتخذت. الغرز هو الحزام للناقة؛ وجنب غرزها: جنبها حيث يُشدّ الغرز. النسيف: أثر ركض الرجل بجنبي البعير إذا انحصّ عنه الوبر. القطاة: طائر مهاجر شبيه بالحمام. أفحوص القطاة: المكان الذي تهيئه لبيضها في الأرض: تجوّفه وتنقيه ثم تودعه بيضها. المُطرَّق: المسوّى ترابه بالطرق عليه.
إلى جانب آثار معقد الغرز في جنب الناقة (البيت ٤) هناك آثار أخرى في جنبيها ناجمة عن حضها على الإسراع، وهي آثار رجل الراكب حين يحفزها، وقد ترك ذلك في جنبها، عند الغرز، شبه تجويف زال عنه الوبر وصار أملس مرققًا يشبه المكان الذي تهيئه القطاة لبيضها إذ تنقّيه، وتجوّفه، وتطرق عليه لتسوّيه.

٩ ـ أينخت: أُبركت. الجو: ما اتسع من الأرض واطمأنّ وبرز (وفي بلاد العرب أجوية كثيرة منها جو غِطريف، ومنها جو الخزامى، ومنها جوّ الأخساء، ومنها جو اليمامة). يصرخ الديك عندها: كناية عن منطقة فيها إقامة دائمة، لذلك يربّي أهلها الدجاج ويكون عندهم ديك يصيح. باتت: قضت الليل. القاع: أرض واسعة، سهلة، مطمئنة، مستوية، حُرّة، لا حزونة فيها ولا ارتفاع، ولا انهباط، تنفرج عنها الجبال والآكام، ولا تُنبت الشجر. كادىء النبت: لا ينمو نبته ولا يطول. سملق: أجرد، لا شجر فيه.
يصف هنا فترات الراحة التي حظيت بها الناقة، فقد أُنيخت لترتاح في أرض مطمئنة فيها أناس دائمو الإقامة، وأمضت الليل في أرض واسعة مستوية بين آكام مرتفعة لا شجر فيها ولا النبت يظهر فيها أو يطول.

١٠ ـ الطليح: المجهدة، التي أعياها السفر. ما تُراع: لا تخاف. الشذا: ذباب أزرق كبير يؤذي الدواب. القلّ: القِراد وهو دويبة تعضّ الإبل. =

١١ ـ تـرُوحُ وتَـغْـدُو مـا يُـحَـلُّ وَضِـيـنُـهـا	إلـيـكَ ابـنَ مـاءِ الـمُـزْنِ وابـنَ مُـحَـرِّقِ
١٢ ـ [تُـبَـلِّـغُـنِـي مَـنْ لا يُـدَنَّـسُ عِـرْضُـهُ	بـعُـذْرٍ ولا يَـزْكُـو لَديْـهِ تَـمَـلُّقـي]
١٣ ـ عَلَوْتُمْ مُلوكَ النَّاسِ في المَجدِ والتُّقَى	وغَرْبِ نَدًى مِنْ عُروة العِزِّ يَسْتقِي
١٤ ـ وأَنتَ عمودُ الدِّينِ مهما تَقُلْ يُقَلْ	ومَهما تَضَعْ مِن باطلٍ لا يُلَحَّقِ
١٥ ـ وإن يَجْبُنُوا تَشْجُعْ وإنْ يَبْخَلُوا تَجُدْ	وإن يَخرِقُوا بالأَمْرِ تَفْصِل وتَفرُقِ

= إذا أنيخت، تهالكت لشدة إعيائها ولم تعد تحس لذع الذباب الأزرق، ولا تشعر بعض القرار ولو بقي يعمل صُعُدًا في أوصالها (مفاصلها).

١١ ـ تروح: تذهب في المساء. تغدو: تذهب في الصباح. ويستخدم تعبير تروح وتغدو بمعنى الجيئة والذهاب: تأتي وتذهب. يُحل: يُفَك. الوضين: السير الجلدي الذي يمسك الرحل. وتلك كناية عن بقاء الرحل عليها لتكون دائمًا جاهزة للسفر. ماء المزن: ماء السماء إشارة إلى ماء السماء أم المنذر بن امرىء القيس الذي عُرف بالمنذر ابن ماء السماء. محرق: لقب امرىء القيس بن عمرو بن عدي أو أخيه الحارث بن عمرو وكلاهما من ملوك الحيرة، جدود عمرو بن هند.
هذه الناقة دائمة السير، في الصباح، في المساء لا يُفك الرحل عنها إلى أن تصل إليك يا سليل المنذر بن ماء السماء وسليل محرّق.

١٢ ـ يُدَنَّس عِرضُه بعُذر: يعفو بدون اعتذار، فإذا اعتذرت كأنك تدنس عرضه (تهينه) إذ تقلّل من قيمة حِلمه. يزكو: يحسُن. تملّقي: ذكري ما ليس فيه.
أظل أسوقها حتى توصلني إلى الحليم الذي لا ينتظر الاعتذار ليعفو، والكريم الذي لا يحسُن عنده التملق بذكر ما ليس فيه.

١٣ ـ علوتم: زدتم وفُقتم. ملوك الناس: سائر الملوك. غرب: دلو كبير. وانسكاب ماء الدلو كناية عن الغزارة عند العرب. الندى: العطاء. وغرب ندى: غزير عطاء. العروة، من الشجر: ما له أصل باق في الأرض. وقد ضربه الله مثلًا لما يُقتصم به من الدين «العروة الوثقى»؛ والعروة: النفيس من كل شيء.
لقد فُقتم ملوك الدنيا في المجد والتقى وغزير العطاء والعز تستقونه من أصوله النفيسة.

١٤ ـ عمود الدين: محور الدين، قوام الدين والدين هو السلطان. مهما تقل يقل: قولك هو الحق الذي يُتّبع. تضع: تَحُطّ. من باطل: ما تعتدّه باطلًا. لا يُلحّق: لا يسترجع قيمته.
أنت المُلك ومحور السلطان، ما تقوله «حق» فهو حقّ، وما تقوله «باطل» تحطّ منه فلا يمكن أن يعود ويسترجع قيمته.

١٥ ـ أنت تُقدِم شجاعًا حيث يجبن الآخرون، وتجود بعطائك حين يبخلون، وتحسن الفصل في الأمور وتفريق الحق عن الباطل حيث يجهلون ويعجزون.

١٦ ـ أَحَقًّا أَبيتَ اللَّعنَ أنَّ ابنَ فَرْتَنا على غَيرِ إجرامٍ بِرِيقِي مُشَرِّقِي
١٧ ـ فإن كُنتُ مَأكولًا فَكُنْ خيرَ آكِلٍ وإلَّا فأدركْني ولمَّا أُمَزَّقِ
١٨ ـ أَكَلَّفْتَني أدواءَ قَوم تَرَكْتُهمْ وإلَّا تَدارَكْني مِنَ البَحْرِ أَغْرَقِ
١٩ ـ فإن يُتْهِمُوا أُنْجِدْ خِلافًا عَليهِمُ وإنْ يُعْمِنُوا مُستَحقِبي الحَربِ أُعرِقِ
٢٠ ـ فلا أَنا مَولاهُمْ ولا في صَحيفةٍ كَفَلْتُ عَليهمْ والكفالةُ تَعْتَقِي
٢١ ـ وظَنِّي بهِ أن لا يُكَدِّرَ نِعْمَةً ولا يَقْلِبَ الأعداءَ مِنهُ بِمَعبَقِ

١٦ ـ أبيت اللعن: تعبير تعظيم يعني أبيت أن تأتي من الأعمال ما تُلعن عليه وهو خاص بملوك الحيرة. ابن فرتنى: ابن الزانية، وهو كناية عن الواشي، على غير إجرام: على غير ذنب وجرم. مشرقي: جاعلني أغص؛ ومشرقي بريقي: يجعلني أعض بريقي أي أختنق، أي يطلب حتفي.
هل صحيح، أيها الملك، أن الواشي ابن الزانية يسعى إلى خنقي بتحميلي جرمًا لم أقترفه؟

١٧ ـ إن كنت مأكولًا: إن كنتَ محكومًا بالموت. فكن خيرًا كل: فكن أنت من يقتلني، وذلك شرف لي. وإلا: وإن لم أكن محكومًا عندك. فأدركني: تداركني. ولما أُمَزّق: قبل أن تمزقني الذئاب (البشرية).

١٨ ـ أكلّفتني: هل تُحمّلني. أدواء: جمع داء وهو العلة، وهنا الأخطاء والجنايات. قوم تركتهم: جماعة بَعُدتُ عنهم وصرت أخالفهم في كل شيء. إلا تداركني: إلا تصل إليّ سريعًا. من البحر: لتنشلني من البحر. أغرق: سأغرق.

١٩ ـ إن يُتهموا: إن يقصدوا تهامة على الساحل الغربي. أُنجِد: أقصد نجدًا في الوسط. إن يعمنوا: إن يقصدوا عُمان (في الطرف الجنوبي). أُعرق: أقصد العراق (في أقصى الشمال). مستحقبي الحرب: ناقلي الحرب في حقيبتهم، عني مشعلي الفتنة.

٢٠ ـ فلا أنا مولاهم: أنا لست جارهم الذي ينتمون إليه بالولاء. ولا كفلت عليهم: ولم أتقدم لكفالتهم. في صحيفة: في سجل مكتوب. والكفالة تعتقي: والكفالة تحبس صاحبها على الوفاء بما كفل.

٢١ ـ ظني به: أملي فيه (الملك). لا يكدّر نعمة: لا يقبل تعكير صفو نعمته علينا. لا يقلب الأعداء: لا يجعل الأعداء ينقلبون. منه بمقبل: إلى مقام دائم مطمئن عنده.
أملي فيه أن لا يتغير علينا وألا يترك للأعداء مقامًا مطمئنًا عنده.

٣ ـ أَتَأْكُلُ أشباه المغازل ذمتي؟
عوف بن عطيّة التّيميّ(١)

أولاً: الإطار

أقبل بنو الأعشى وهم من ربيعة بن مالك بن زيد مناة، ونزلوا بجوار بني الرباب. وأغار عليهم جماعة من بني ضبة فأخذوا إبلهم. فجاء بنو الأعشى إلى عوف، وهو من الرباب وذو منعة وعز، فادّعوا بجوارهم وطلبوا منه منعهم من الاعتداء.

انطلق عوف بن عطية إلى بني عبد مناة . . .بن ضبة فقال: أدّوا إلى هؤلاء إبلهم. فأخذوا يضحكون به وقالوا: إن شئتَ جمعنا لك إبلًا، وإن شئت عقلْنا لك. قال: أما عندكم غيرُ هذا؟ قالوا: لا.

انصرف عنهم وقال لبني الأعشى: اتبعوا مصادر النَّعَم. حتى إذا أوردوا قال: يا بني الأعشى، لا تقصّروا، خذوا مثلَ إبلكم. فأخذوا ثم انطلقوا حتى نزلوا معه على أهله. فجاءه بنو عبد مناة فقالوا: يا عوف، ما حملك على ما صنعت؟ قال: الذي صنعتم. وأخذ يلعب بهم وقال: إن شئتم جمعنا لكم، وإن شئتم عقلنا لكم. فقال عوف قصيدته: هما إبلان. . .

ثانيا: القصيدة

وقال عوفُ بنُ عَطِيَّةَ [بنِ الخَرِعِ] التَّيْمي: [من الطويل]

[وكانت ضَبَّةُ أَغارتْ على جيرانٍ له، فأخذ عوفٌ إبلًا من ضبةَ وأعطاها جيرانَه].

١ ـ هُـمَـا إبـلانِ فِـيـهِـمـا مـا عَـلِـمْـتُـمُ فـأَدُّوهـمـا إنْ شِـئْـتُـمُ أنْ نُـسَـالِـمَـا

---

(١) عوف بن عطية بن الجزع عمرو بن عيش بن وديعة . . .بن تيم بن عبد مناة بن أدّ. من أسياد قومه بني الرباب، شاعر، فارس، جاهلي.

١ ـ هما إبلان: هي إبلكم وإبل بني الأعشى (والخطاب موجه إلى بني عبد مناة وإلى بني الأعشى. أدوهما: ليؤد كل منكما الأمانة إلى أهلها، إن شئتم أن يمرّ الأمر بسلام.

٢ ـ فـإنْ شِـئْتُـمُ أَلْقَـحْـتُـمُ ونَـتَـجْـتُـمُ وإنْ شِئتـمُ عَيْـنًـا بِعَيْـنٍ كَـمـا هُـمَـا

٣ ـ وإنْ كـان عَـقْـلًا فـاعْـقِـلُوا لأَخـيـكـمُ بَـناتِ الـمَخَاضِ والبِكَارَ المَقَاحِمَا

٤ ـ جَزيتُ بَني الأَعشَى مكانَ لَبُونِهِمْ كِـرَامَ الـمَـخَاضِ والـلِّقاحَ الـرَّوائـمـا

٥ ـ مَهَاريسَ لا تَشْكُو الوُجومَ ولو رَعَتْ جَمَادَ خُفافٍ أو رَعَتْ ذَا جَمَاجِمَا

٦ ـ وتَـشْـرَبُ أَسـآرَ الـحـيـاضِ تَـسُـوفُـهـا وإنْ وَرَدَتْ مـاءَ الـمُـرَيْـرَةِ آجِـمَـا

---

٢ ـ ألقحتم: جعلتم النوق تلقح وتحمل. نتجتم: حصلتم على نتاج الحمل. عينًا بعين: واحدة مقابل واحدة. كما هما: كما هي إبلكم وإبل بني الأعشى الآن.
إن شئتم أن تتم المبادلة الآن: ناقة مقابل ناقة كما هي حالة الإبلين، وإن شئتم انتظرتم أن تلقح الإبل وتنتج فتأخذوا نتاجها.

٣ ـ إن كان عقلًا: إن كانت ديةً تؤدى. (وهنا إشارة إلى قول ضبة له، وقوله هو لهم بعد ذلك: إن شئت جمعنا لك وإن شئت عقلنا لك. فجمعنا لك فيها معنى الهبة والمساعدة، وعقلنا لك، أي عقلنا عنك فيها معنى الحمالة المشكورة عند العرب وهي أن يحمل الميسور الدية عن الجاني مساهمة في السلام). اعقلوا لأخيكم: إن كنتم تحملون الدية فأدوا وأعطوا عن أخيكم. والأخ هنا من كان ينحدر وإياهم من أصل واحد، فبنو الرباب وبنو ضبة يرجعون جميعًا إلى عبد مناة. بنات المخاض: النّوق التي استكملت سنة ودخلت في الثانية. البِكار: النّوق الشّابّة. المقاحم: جمع المُقحَم وهو البعير التي برزت ثناياه ورباعياته في عام واحد. وجميعها هي أفضل النّوق.
إن كنتم تعتدونها تحملًا لدية عن أخيكم فاختاروا لذلك أفضل ما عندكم من نوق استكملت سنة وأخرى شابة فتية وثالثة برز لها الثنايا والرباعيات في عام واحد. (وهي النوق التي اختارها لبني الأعشى).

٤ ـ جزيت: عوّضتُ. مكان لبونهم: مكان نوقهم التي تحلب اللبن. المخاض: النوق الحوامل؛ وكرام المخاض: النوق الأصيلة، الحوامل. اللِّقاح: المرضعات، الحلوبات. الروائم: التي تُرضعَ أولادها وتعطف عليها.

٥ ـ مهاريس: قوية على القضم، تأكل العيدان إذا لم تجد العشب. لا تشكو الوجوم: لا تعبس من همّ (لصبرها)، ولا تخاف من جوع. جماد: أرض صلبة، مرتفعة لا تنبت. رعت جمادَ خفاف: اضطرت أن ترعى الأرض الصلبة في موضع خفاف. ذا جماجم: أرض أخرى فيها مياه.
النوق التي اختارها قوية على القضم تأكل العيدان إذا لم تجد العشب، وسواء أرعت أماكن الماء أم أماكن الجدب والغِلَظ لا تشتكي حزنًا ولا همًّا فلا تعبس.

٦ ـ أسآر الحياض: الماء المتخلف في الحياض. ماء المُريرة: ماء معروف، ولعل لاسمه دلالة. آجما: متغير اللون. تسوفها: تشمها.
لأن هذه النوق كريمة، وقوية، هي تتحمل أسوأ ظرُوف الشرب، كما تحمّلت أسوأ ظروف الأكل: تأتي بقايا الماء في الأحواض، تشمها وتشربها، وقد ترد لتشرب من ماء المُريرة=

٧ ـ فـمَـنْ مـبْـلِـغٌ تَـيْـمًـا عـلى نَـأْيِ دارِهـا ... سَـرَاتَـهُـمْ والـحـامـلـيـنَ الـعَـظـائِـمَـا

٨ ـ عَـمَـدْتُ لأَمـرٍ يَـرْحَـضُ الـذَّمَّ عـنـكُـمُ ... ويَغْسِلُ عَن حُرِّ الأُنوفِ الخَوَاطِمَا

٩ ـ أَتَـأْكُـلُ أَشْـبَـاهُ الـمَـغـازِلِ ذِمَّـتِـي ... ولَمَّا تَكُنْ فِيها الرِّبابُ عَماعِما

١٠ ـ فأَمَّا الدِّقاقُ الأَسوُقِ الضُّلعُ منهمُ ... فلستُ بِهاجِيهمْ وإِنْ كُنتُ لائِما

١١ ـ بـوُدِّهِـمُ لا قَـرَّبَ اللهُ وُدَّهُـمْ ... ولا زالَ مُعْطِيهِمْ من الخَيْرِ حارِما

١٢ ـ ولَكـنَّـنِي أهـجُـو صَـفِـيَّ بـنَ ثـابـتٍ ... مُـثَـبَّـجَـةٌ لاقَـتْ مـن الـطَّـيْـرِ حـاتِـمـا

= وقد تغيّر لونه من الركود.

٧ ـ فمن مبلغٌ تيمًا: من يبلّغ قبيلتي، بني التيم. على نأي دارهم: مهما بعُدت ديارهم. سراتَهم: أشرافهم وساداتهم. الحاملين العظائم: الذين يحملون عن الآخرين الجنايات الهائلة.

٨ ـ عمدتُ لأمر: قمتُ بعمل. يرحض الذَّمَّ عنكم: يغسل عنكم العارَ الذي يجلب الذم (إشارةً إلى الاعتداء على جيرانهم بني الأعشى). حرّ الأنوف: أنوف الأحرار. الخواطم: ما يُرسم على الأنوف أو يعلّق فيها عند الاسترقاق. وهو كناية عن الإذلال.
لقد قمتُ بعملٍ يغسل عنكم العار الذي يجلب الذم ويترك أنوفكم شُمًّا أبيّة لا تُمرَّغ.

٩ ـ المغازل: جمع المغزال، وهو ما يستعمل لغزل الصوف خيطانًا. وأشباه المغازل كناية عن الرجال الضامرين الضعاف يشبهون المغازل. تأكل ذمتي: تسطو على المال الذي أحميه بذمتي، أي على مال جيراني، وتأكله (المال هو الإبل). ولما تكن: كأن لم تكن. الرِّباب: تجمع خمس قبائل منها تيم قبيلة الشاعر وضبة المعتدون. عماعما: جماعات.
أيأكل هؤلاء الرجال الضعاف ما تحميه ذمتي كأن الرِّباب لم تكن جماعات هم إحداها.

١٠ ـ الدقاق: النحاف. الأسوق: جمع ساق؛ الدقاق الأسوق: ذو السيقان النحيفة. الضُّلع: جمع الضَّلوع وهو العظيم الخَلق. لسنا بهاجيهم: لن أذكر معايبهم. لائما: قاطعًا...
يعطي صورة مشوهة عنهم: فهم ضخام الخلَق من فوق، نحاف السُّوق وفي ذلك تشويه وخلل، وذلك يسوغ تشبيههم بالمغازل لأن المغزال ضخم الأعلى، دقيق الأسفل. هؤلاء الناس لن يهجوهم معددًا معايبهم، وإن كان قاطعًا (وُدّهم).

١١ ـ الود: المحبة والألفة. معطيهم: الذي يُعطيهم، يقصد الله. من الخير حارمًا: حارمًا إياهم من الخير.
إنه يقطع وُدَّهم، أي محبتهم ويدعو على ذلك الود بأن يبتعد عنه ولا يقرب، كما يدعو عليهم بأن يحرمهم من الخير معطي الخيرات (أي الله).

١٢ ـ مُثَبَّجة: بوم. حاتم: غراب. والبوم والغراب كلاهما رمز للتشاؤم.
إن من أهجوه هو صفيّ بن ثابت؛ لقد التقى فيه بوم وغراب وكلاهما نذير شؤم.

١٣ ـ وحِصْنًا ظَؤُورًا جَونَةً خُلِّتِ اسْتُها وصَفوانَ زَلْقًا فَوقَه الماءُ دائِما

٤ ـ سَخِرت فُطَيمةُ أن رأتني عاريًا
عوف بن عطية التيمي

أولاً: الإطار

القصة المعروفة عندما يشيخ الشاعر وتصرف الحسان النظر عنه أو ترى ما آل إليه جسمه من ضعف فتستخف به، فيرُدّ بأنه لم يكن دائمًا هذا الشيخ، بل كان شابًّا دخل الميسر وربح وأعطى اللحم للمحتاج

ثانيًا: المقطوعة

وقال عَوْفٌ: [من الكامل]

١ ـ سَخِرَتْ فُطَيمَةُ أَنْ رَأَتْنِي عارِيًا جَرَزِي إذا لَم يُخْفِهِ ما أَرْتَدِي

٢ ـ بَصُرَتْ بِفِتْيانٍ كأَنَّ بَضِيعَهُمْ جُرْذَانُ رابِيَةٍ خَلَتْ لَم تُصْطَدِ

---

١٣ ـ الحصن: في الأصل تقال للفرس، وأرادها هنا للناقة. الظؤور: الناقة تحن على أولاد سواها. جونةً: سوداء. خُلّت آستُها: وُضع في حيائها خرق ومشاقة وما إلى ذلك وشدوه، وشدوا عينيها وأنفها وتركوها أيامًا. ثم إذا ما أخذها مثلُ ألم المخاض حلوا عن حيائها فألقت منه ما حُشي فيه وأحست كأن ولدًا خرج منها، حينها يقرَّب منها الحُوار الغريب وتُكشف عيناها، فتظن الصغير ولدها فتحنّ عليه. الصفوان: الصخر الكبير. الصلب الزلق: الأملس لا يثبت فوقه شيء؛ وزلقًا فوقه الماء: ينزلق الماء عنه. دائمًا: بصورة مستمرة.
يتابع هجاء صفي بن ثابت فيصفه بوُدّ الأباعد، فيما لا ينال منه الأقارب خيرًا. فهو كالناقة هيئت لتحن على أولاد سواها كالصخر الصلد الأملس ينزلق الماء عنه دائمًا.

١ ـ فطيمة: ترخيم لفاطمة. عاريًا جزري: عاريًا صدري. إذا: إذ لم يخفه ما أرتدي: إذ انكشف ردائي عنه فلم يستره.

٢ ـ بصرت بفتيان: رأت شبانًا. البضيع: اللحم في الأماكن الكثيفة كالفخذ والكتف، وقصد هنا عضلاتهم النامية. جرذان رابية: جرذان تعيش في أكمة. خلت: خلت من القاصدين. لم تصطد: هذه الجرذان لم تُصطد فنمت وسمنت.
بصرت حولها ورأت شبانًا يتفجرون صحة كأن عضلاتهم جرذان سمينة عاشت عند أكمة مهجورة فلم يصطدها أحد.

٣ ـ إمَّـا تَـرَيْـنِـي قـد كَـبِـرْتُ وشَـفَّـنِـي وَجَـعٌ يُـقَـرِّبُ فـي الـمـجـالِسِ عُـوَّدِي

٤ ـ فَـلقَـد زَجَـرْتُ الـقِـدْحَ إذْ هَـبَّـتْ صَـبًـا خَـرْقـاءُ تَـقْـذِفُ بِـالـحِـظارِ الـمُـسْـنَـدِ

٥ ـ في الزَّاهقاتِ وفي الحُمُولِ وفي التي أَبـقَـتْ سَـنـامًـا كـالـغَـرِيِّ الـمُـجْـسَـدِ

٦ ـ فـإذا قَـمَـرْتُ الـلَّـحـمَ لَم أَنْـظُـرْ بِـهِ نِـيـئًا كَـمـا هُـوَ مـاؤُهُ شَـرْقَ الـغَـدِ

٧ ـ وجَـرَى بِـأَعْـراضِ الـبـيـوتِ وأَهـلها وإلى المقامَةِ ذِي الغِنَى والمُجْتَدِي

٨ ـ شَرِقًـا بـه مـاءُ الـسَّـدِيـفِ فـإن يَـكُـنْ لا شَحْمَ فيه فما استَطَعْنا نَحْشُدِ

---

٣ ـ إما تريني: إذا كنت تريني. شفّني: أهزلني، أضناني. يقرّب في المجالس عُوَّدي: يكثر حضور العوّاد إليّ. والعوّاد: الذين يزورونا لمريض للاطمئنان عليه.
إذا كنت تريني الآن هزيلًا أضناني الألم وقرّب اجتماعات الزائرين الذين يأتون للاطمئنان علي.

٤ ـ زجرت القِدح: لعبت الميسر وتحمّست لظهور القداح مناديًا على قِدحي. (القدح هو أحد سهام الميسر التي تُسحب بالقرعة لتدل على الرابح) ولعب الميسر مشكور في الجاهلية لأنه يؤمن اللحم للمحتاجين. ويغدو ضرورة في أيام البرد والقحط. صبا: هنا ريح باردة. خرقاء: غير متوازنة في هبوبها، لعنفها. تقذف: تقتلع. الحِظار: الحواجز تشكل حظائر للماشية تقيها الرياح. المسند: المدعَّم.
فأنا طالما لعبت الميسر وناديت على قدحي في أيام البرد حين تهب الريح الشرقية القوية، خرقاء، عنيفة، تقتلع الحظائر المدعّمة.

٥ ـ الزاهقات: السمينة. الحُمول: النوق تستخدم للأحمال. وفي التي أبقت سنامًا كالغري: التي نما سنامها وكبر حتى غدا كنُصب الغري. والغري: نُصب كانت تُذبح عليه النُسك (الأضحيات). المُجْسَد: المصبوغ، وصباغه هنا دم الذبائح.
كنا نختار للميسر أثمن النوق: السمينة منها، أو القادرة على الأحمال، أو التي كبر سنامها حتى غدا كالغري، النصب الذي تُذبح عليه الأضحيات.

٦ ـ قمرت اللحم: كسبته في المقامرة. لم أنظر به: لم أؤخره. شرقَ الغد: حتى شروق شمس الغد. نيئًا كما هو ماؤه: طازجًا رطبًا كما هو.
إذا ربحت اللحم في الميسر لا أؤخره إلى صباح الغد، بل أعطيه مستحقيه في ليلتي كما هو، طريًا، طازجًا وهو لا يزال رطبًا.

٧ ـ جرى بأعراض البيوت: يجري أو يُنقل جريًا، مرورًا بجوانب البيوت. وأهلها: أهل البيوت. إلى المقامة: حيث يجتمع الناس. المجتدي: طالب العطاء.
ونُقل هذا اللحم الطري جريًا من بيت إلى بيت، يقدم إلى من فيها، ويصل إلى مجتمع الناس يوزع عليهم من كان غنيًا عنه ومن كان طالبًا العطاء.

٨ ـ شرقًا به: مشبعًا به. ماء السديف: شحم السنام. والسنام أندر قطعة في الجزور وأثمن ما=

٩ ـ وإذا هَـوازِنُ جَـمَّـعُـوا فَـتَـنـاشَـدُوا   جَـنَـبـاتِـهِـمْ أَلْفَـيْـتَـنِـي لَم أُنْـشَـدِ

٥ ـ وأبكارٍ لهوتُ بهنّ حينًا
عمرو بن معديكرب

أولاً: الإطار

قصيدة جاهلية تقليدية تبدأ بذكر الوداع والرحيل، وينتقل مع الراحلين من محطة إلى أخرى، ويذكر سلمى، ويذكر الأبكار المتعددات، وفعله بهن وفعلهن به، ثم ينصرف إلى سلمى يصف طيبها وثيابها، ويتركها إلى أُمامة تلاحظ الشيب في رأسه، فينتقل إلى العذر الدائم وهو أنه يشيب الآن لكنه كان شابًا ذا فعال يركب فرسه السريع ويلاحق حمر الوحش مع جماعته.

ثم يجد سببًا للشيب غير كبر السن، وهو حضور المعارك وقيادة الجيوش والكتائب من الشجعان فيما يتخلف الجبناء، وهو عملي يبذل قصارى جهده، فإن لم ينفذ ما أراد يرتدّ ويتحول.

ثم يصف الأراضي الصعبة يجتازها بمخاطرها.

ثم عود على بدء يختم بذكر سلمى ولوعته عليها.

ثانيًا: القصيدة

وقال عمرُو بن مَعْدِيكَرِبَ: [من الوافر]

١ ـ أَمِـنْ رَيْـحـانـةَ الـدَّاعـي الـسَّـمِـيـعُ   يُـؤَرِّقُـنِـي وأَصْـحـابـي هُـجُـوعُ

= فيها. وعادة يُحفظ للخاصة. والشاعر يقدم الشحم مع اللحم. إن يكن لا شحمَ فيه: إن يكن ما يُعطى خاليًا من الشحم. نحشد: نُكثر، نزيد.
إن ما نعطيه من لحم يجب أن يكون مشبعًا بماء الشحم، فإذا خلا من الشحم حاولنا التعويض بزيادة النصيب ما استطعنا ذلك.

٩ ـ هوازن: قبيلة هوازن. جمّعوا فتناشدوا جنباتهم: جمّعوا سقطاتهم وراحوا يعلنونها (البعض يوجهها إلى الآخر). ألفيتني: وجدتني. لم أُنشَد: لم يوجّه إليّ أحدٌ شيئًا.

١ ـ ريحانة: يُقال إنها أخت الشاعر. الداعي السميع: الصارخ المسمع الصوت، يدعو إلى=

٢ ـ يُنادِي مِن بَرَاقِشَ أو مَعِينٍ ... فأَسمَعَ واتلأَبَّ بِنا مَلِيعُ

٣ ـ وقَد جاوزْنَ من غُمدانَ دارًا ... لأَبوالِ البِغالِ بِها وَقِيعُ

٤ ـ ورُبَّ مُحرِّشٍ في جَنْبِ سَلْمَى ... يَعُلُّ بِعَيْبِها عندي شَفِيعُ

٥ ـ كأَنَّ الإثْمِدَ الحارِيَّ فيها ... يُسَفُّ بِحيثُ تَبْتَدِرُ الدُّموعُ

٦ ـ وأَبكارٍ لَهَوْتُ بِهِنَّ حِينًا ... نَواعِمَ في أَسِرَّتِها الرُّدُوعُ

= الرحيل. هجوع: نائمون.
هل هذا الداعي إلى الرحيل، الذي يرفع الصوت هو من جهة ريحانة؟ إن صوته يؤرقني بينما ينام أصحابي ويغفون.

٢ ـ براقش ومعين، بلدتان أو حصنان في اليمن. ولعلهما كانتا محطتين على طريق القافلة. فأسمع: سمع. أتلأبَّ: اتّسع واستوى. مليع: اسم موضع، ومعناها: الأرض الواسعة.
الصوت يتكرر، يأتي من براقش ويأتي من معين، بينما أنا وأصحابي في مليع. ومليع يَسمع الصوت ويتسع لنا وينبسط.

٣ ـ جاوزن: يعني القافلة المرتحلة. غمدان: منطقة فيها قصر بصنعاء اليمن. دارًا: منزلًا. الوقيع: الأثر الذي يخالف اللون.
يتابع في ذاكرته القافلة وكأنه يراها: لقد جاوزت منزلًا من غمدان في اليمن تترك فيه أبوال البغال أثرًا يغيّر لون الموقع، ويدلّ على المجتازين.

٤ ـ محرِّشٍ في جنب سلمى: ذاكر عن سلمى ما يوجب عتابي لها. يَعُلّ: يُحدِّث. عندي شفيعٌ: مُغْرٍ لي، يغريني بحبها.
وربَّ ساعٍ إليّ يذكر عن سلمى ما يوجب عتابي لها ويحدث عن عيوبها يكون مغريًا لي بحبها.

٥ ـ الإثمد: الكُحل. الحاري: المصنوع في الحيرة. يُسَفّ: يُذَرّ. بحيث تبتدر الدموع: حيث تخرج الدموع أي في الجفن عند الأشفار.
تحب العرب العين الكحلاء وهي التي يعلو منابت الأشفار فيها سواد مثل الكحل، من غير كحل. وهذا ما ذهب إليه عمرو، فعين سلمى كحلاء بطبيعتها كأن كحلها ناجم عن ذرّ الإثمد على أطراف الجفون عند الأشفار.

٦ ـ الأبكار: الصبايا العذارى. لهوت بهنّ: لهوت معهن. نواعم: ملساوات الجلد (من امتلاء ورفاه). الأسرّة: الخطوط في باطن الكف. الرُّدوع: آثار التخلّق والتطيّب بالزعفران (كالحِناء).
رُبّ صبايا عذارى لهوت معهن، مرفّهات، ممتلئات الجسد، ملساوات الجلد، في باطن كفّهن آثار الزعفران.

٧ ـ أُمَشِّي حَولَها وأَطُوفُ فِيها وتُعْجِبُني المَحاجِرُ والفُرُوعُ
٨ ـ إذا يَضحَكنَ أو يَبْسِمْنَ يَوْمًا تَرَى بَرَدًا أَلَحَّ بهِ الصَّقِيعُ
٩ ـ كَأَنَّ على عَوارِضِهِنَّ راحًا يُفَضُّ عَلَيهِ رُمَّانٌ يَنِيعُ
١٠ ـ تَراها الدَّهرَ مُقْتِرَةً كِباءً وتَقْدَحُ صَحْفَةً فِيها نَقِيعُ
١١ ـ وصِبْغُ ثِيابِها في زَعْفَرانٍ بِجُدَّتِها كما احْمَرَّ النَّجِيعُ
١٢ ـ وقد عَجِبَتْ أُمامةُ أَنْ رَأَتْني تَفَرَّعَ لِمَّتِي شَيْبٌ فَظِيعُ
١٣ ـ وقد أَغدُو يُدافِعُني سَبُوحٌ شَدِيدٌ أَسْرُه فَعْمٌ سَرِيعُ

---

٧ ـ أمشّي حولها: أمشي حول بيوتها. أطوف فيها: أتجوّل داخلها. المحاجر: دوائر العيون. الفروع: جمع الفرع وهو الشعر التام المستفيض.
أمشي حول بيوتهن وأدخلها وأتجوّل بينهن، ويعجبني منهن العيون والشعور التامة المستفيضة.

٨ ـ البَرَد: حب الثلج يسقط مع المطر. ألحّ به: أطال التأثير فيه. الصقيع: البرد المجلِّد.
إذا بسمن أو ضحكن افترّت ثغورهن عن أسنان منتظمة، ناصعة البياض، كأنها حبّات من البرد أطال الصقيع عمله فيها فكانت شديدة البياض والتماسك.

٩ ـ العوارض: أول الأضراس بعد الأنياب، وهي التي تظهر عند افترار الفم. الراح: الخمر. يُفض: يُفَرَّق، يُنثر. رمان ينيع: رمان ناضج.
يجلو الأسنان ريق كأنه الخمر نثر عليه رمان ناضج (لعله يشير إلى اللثة بلون الرمان).

١٠ ـ تراها: ترى سلمى. الدهرَ: دائمًا. مُقْتِرة: تستخرج القُتار، وهو الرائحة. كباءً: بخورًا؛ ومقترة كباء: متبخرة بعود الكباء. تقدح صَحفة: تغترف من إناء. فيها نقيع: فيها زبيب منقوع في الماء.

١١ ـ الزعفران: نوع من النبات يستخدم طيبًا وصباغًا. أحمر اللون مائل إلى الاصفرار. جُدتها: الجُدّة: الطريقة في الثوب تخالف لونه (خطوط). النجيع: الدم.
ثيابها مطيبة بالزعفران مصبوغة بلونه الأحمر المائل إلى الاصفرار، فيها خطوط حمراء قانية كلون الدم.

١٢ ـ تفرّع: علا. لِمَّتي: شعر مؤخر رأسي. فظيع: مريع.
تعجبت أمامة وقد رأت الشيب يعلو شعري الذي يغطي مؤخر رأسي، وهذا أمر مُريع.

١٣ ـ أغدو: أذهب، انطلق. غدوة: صباحًا. يدافعني: ينافسني في الاندفاع. السَّبوح: الفرس السريع الذي ينقل يديه معًا في عدوه فكأنه يسبح. شديد الأسر: متين التركيب. فعم: ممتلىء الجسم.
وانطلق في الصباح على صهوة فرس ينافسني في الاندفاع والحماس، يسبح جاريًا، متين الخَلق، ممتلىء الجسم، سريع.

١٤ ـ وأَحْـمِـرَةُ الـهُـجَـيْـرَةِ كـلَّ يَـوم يَـضـوعُ جِـحَـاشَـهُـنَّ بِـمـا يَـضُـوعُ
١٥ ـ فـأَرسَـلْنَـا رَبِـيـئَـتَـنَـا فـأَوْفَـى فَـقَـالَ: أَلَا أَلَا، خَـمْـسٌ رُتُـوعُ
١٦ ـ رَبَـاعِـيَـةٌ وقَـارِحُـهـا وجَـحْـشٌ وهَـادِيَـةٌ وتَـالِـيَـةٌ زَمُـوعُ
١٧ ـ فـنـادانَـا: أَنَـكْـمُـنُ أَم نُـبـادِي فَـلَمَّـا مَـسَّ حَـالِبَـهُ الـقَـطِـيـعُ
١٨ ـ أَرَنَّ عَـشِـيَّـةً فـاسـتـعـجَـلَـتْـهُ قَـوائـمُ كُـلُّهـا رَبِـذٌ سَـطُـوعُ
١٩ ـ فـأَوْفَـى عِـنـدَ أَقـصـاهُـنَّ شَـخْـصٌ يَـلُوحُ كـأَنَّـهُ سَـيْـفٌ صَـنِـيـعُ

---

١٤ ـ أحمرة: جمع حمار. وهي حمر الوحش. الهُجيرة: اسم موضع. يضوع: يخيف (الفاعل هو الفرس). جحاشهن: صغارهن. يضوع، (الثانية): يتحرك منتشرًا في كل اتجاه.
وحُمر الهجيرة باتت تعرفنا؛ فكل يوم نأتيها أنا وفرسي، فيخيف صغارها بسرعة حركته في كل اتجاه.

١٥ ـ الربيئة: الطليعة، متقدم القوم لاستطلاع المكان. أوفى: وصل، أشرف. خمس رتوع: خمسة حمر ترعى مطمئنة في المكان الخصب.
أرسلنا طليعتنا يستكشف، فوصل إلى المكان المرتفع وأشرف منه، وقال متحمسًا، ألا، ألا، أرى خمسة من الحمر ترعى مطمئنة في المكان الخصب.

١٦ ـ رباعية: أتان في الرابعة من عمرها. القارح: الحمار بلغ الخامسة فاكتملت أسنانه. وقصد هنا فحلها جحش: هو الحمار الصغير. الهادية: التي تسير في المقدمة. التالية: التي تأتي لاحقة في المؤخرة. زموع: نشيطة، سريعة.
يفنّد أعضاء الفريق: أتان وفحلها وولدها وواحدة سابقة وأخرى لاحقة.

١٧ ـ نادانا: أي ربيئتنا نادى. أنكمن: أنختفي ونراقب. أم نُبادي: أم نبدأ الهجوم. القطيع: السير الجلدي وعنى به السوط. مسّ حالبه: مسّ حالب الفرس. والحالب: عرق من اثنين يكتنفان السُرّة.
نادانا ربيئتنا: ماذا تريدون؟ أنتخفّى أم نهاجم؟ ويبدو أن قرار الهجوم هو الذي أخذ، فمسّ السوط حالب الفرس.

١٨ ـ أرنّ: صوّت. استعجلته: ساعدته في الاستعجال والإسراع. الرَّبِذ: الخفيف في المشي والركض. سطوع: طويل.
عندما مسّ حالبَه السوط عشيةً، صوّت واندفع مسرعًا مستعجلًا تساعده قوائم كلها خفيف في المشي والركض، طويل.

١٩ ـ أوفى: وصل. عند أقصاهن: عند آخر واحدة أو أول واحدة. شخص: الشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه. والمقصود هنا شخص الحمار. السيف الصنيع: السيف المصقول، المجلوّ.
تقدم الحمار حين أحس بالخطر فوصل إلى أبعد أتان، فلاح شخصه هناك كالسيف=

٢٠ ـ تَـراه حِـيـنَ يَـعْـثُـرُ فـي دِمـاءٍ كَـمـا يَـمْـشِـي بـأَقْـدُحِـهِ الـخَـلـيـعُ
٢١ ـ أَشـابَ الـرَّأسَ أَيَّـام طِـوالٌ وهَـمٌّ مـا تَـبَـلَّـغُـهُ الـضُّـلوعُ
٢٢ ـ وسَـوقُ كـتـيـبَـةٍ دَلَفَـتْ لأُخْـرَى كـأَنَّ زُهـاءَهـا رَأسٌ صَـلِـيـعُ
٢٣ ـ دَنَـتْ واسـتـأْخَـر الأَوْغَـالُ عَـنـهـا وخُـلِّيَ بَـيْـنَـهُـمْ إلّا الـوَرِيـعُ
٢٤ ـ فِـدًى لَهُـمُ مـعًـا عَـمِّـي وخـالِي وشَـرخُ شَـبابِـهِـمْ إنْ لَمْ يُـضِـيـعُـوا
٢٥ ـ وإسـنـادُ الأَسِـنَّـة نَـحـوَ نَـحْـرِي وهَـزُّ الـمَـشْـرَفِـيَّـةِ والـوُقـوعُ

= المصقول المجلو في تناسب أجزاء جسمه. (ويبدو أنه وقع عليه اختيار الصيادين)...

٢٠ ـ يعثر في دماء: يتعثر في دمائه وقد أصيب. الخليع: الخاسر كل شيء في القمار. أقدحه: القِداح (السهام) التي راهن عليها في الميسر (وخسر).
بعد أن أصيب الحمار وراحت الدماء تسيل منه، راح يمشي متعثرًا بدمائه كما يمشي مترنحًا مقامر خسر كل شيء في الميسرِ، وهو يحمل قِداحه الخاسرة.

٢١ ـ أشاب الرأس: الذي جعل شعر الرأس يبيضّ. أيام طوال: معارك كثيرة. همّ ما تُبَلِّغه الضلوع: همّ كبير لا يستطيع الصدر أن يسعه ويستوعبه.

٢٢ ـ الكتيبة: الفرقة الكبيرة من الجيش؛ سَوق كتيبة: قيادة كتيبة. دلفت لأخرى: سارت نحو أخرى (لتقاتلها). زهاءها: التقدير لعدد جنودها. رأس صليع: رأس أجرد من الشعر وهو رأس الجبل، كنّى به عن الجبل.
وقيادة كتيبة تزحف نحو أخرى كأن جَمعها جبل عال أجرد القمة.

٢٣ ـ دنت: اقتربت. استأخر: تخلّف. الأوغال: الضعفاء والجبناء. خُلّي بينهم: لم يعد يوجد فاصل بين الكتيبتين، تُركوا للقتال. الوريع: الضعيف.
دنت الكتيبة من الكتيبة الأخرى وتخلق عنها الجبناء، ثم لم يعد يوجد ما يفصل بين الكتيبتين فتُرك المحاربون للقتال ما عدا الضعفاء.

٢٤ ـ فدًى لهم عمي وخالي: يحييهم ويفدّيهم. معًا: يعني الكتيبة بمن فيها. وشرخ شبابهم إن لم يضيعوا: جملة مقلوبة أصلها إن لم يضيعوا شَرخ شبابهم. والشرخ: أول السنّ. لم يضيعوه: لم يتركوا أمجادهم فيه تذهب سدى.
فدًى لهؤلاء الفرسان جميعًا عمي وخالي إذا لم يضيعوا شبابهم الفتي بالتقاعس عن متابعة السعي للمجد.

٢٥ ـ وإسناد الأسنة نحو نحري: تعرضي لتلقي ضربات الرماح بصدري، (وهذا أيضًا فداء لهم)، هز المشرفية: هز السيوف في وجهي. والوقوع: والسقوط.
يتابع تفْدية الفرسان، فيفدّيهم بنفسه إذ يتعرّض لتلقي سنّان الرماح بصدره، وهزّ السيوف في وجهه، والسقوط عن الصهوة. (كل هذا من طبيعة القتال).

٢٦ ـ فـإنْ تَـنُـبِ الـنَّـوائـبُ آلَ عُـصْـمٍ ... تُـرَى حَـكَـمـاتُـهـمْ فِـيـهـا رُفُـوعُ

٢٧ ـ إذا لَـم تَـسْـتَـطِـعْ شَـيْـئًا فَـدَعْـهُ ... وجـاوِزْهُ إلـى مـا تَـسْـتَـطِـيـعُ

٢٨ ـ وصِـلْهُ بِـالـزَّمـاعِ فـكُـلُّ أمْـرٍ ... سَـمَـا لَكَ أوْ سَـمَـوْتَ لَهُ وَلُوعُ

٢٩ ـ فَكَـمْ مِـن غـائـطٍ مِـن دُون سَلْمَى ... قَـلـيـلِ الأُنْـسِ لَيـسَ بِـهِ كَـتِـيـعُ

٣٠ ـ بِـه الـسِّـرحـانُ مُـفـتَـرِشًـا يَـدَيْـهِ ... كـأنَّ بَـيـاضَ لَبَّـتِـهِ الـصَّـدِيـعُ

٣١ ـ وأرضٍ قَـدْ قَـطَـعْـتُ بِـهـا الـهَـوَاهِـي ... مِـنَ الـجِـنَّـانِ سَـرْبَـخُـهـا مَـلِـيـعُ

٣٢ ـ تَـرَى جِـيَـفَ الـمَـطِـيِّ بِـحـافَـتَـيْـهِ ... كـأنَّ عِـظـامَـهـا الـرَّخَـمُ الـوُقـوعُ

---

٢٦ ـ تَنُب: تصيب، تنزل بهم. النوائب: المصائب. آل عصم: عشيرة الشاعر. الحَكَمات: جمع الحَكَمة. والحكمة: القضاة والحكماء يحكمون بين الناس. فيهم رُفوع: في حال ارتفاع، تقديم وإعلاء شأن.
إذا نزلت بقومي المصائب يُرَى حكّامهم وحكماؤهم مقدمين، إليهم ترفع الأمور ويؤخذ رأيهم.

٢٧ ـ إذا عصي عليك أمر فلا تتشبّث ولا تَضع جهدك ووقتك، وإنما أفد منهما في ما تقدر عليه من الأمور.

٢٨ ـ الزَّماع: العزم والتصميم. سما لك: عرض لك، وصل إليك. سموت له: عرضت له ورغبت فيه. الوَلوع: العلاقة، الأسباب.
وما تقدر عليه من الأمور تابعه بعزم وامض فيه، لأن لكل أمر طريقة يؤتى بها وأسباب توصل إليه، فإن عرض لك الأمر أو رغبت فيه أنت فتحرّ علاقاته وأسبابه وتابعها.

٢٩ ـ غائط: أرض واسعة مطمئنة. من دون سلمى: يفصل بيني وبينها. قليل الأنس: موحش. كتيع: أحد.
كم من أرض واسعة مطمئنة تفصلني عن ديار سلمى، أرض موحشة ليس فيها أنيس.

٣٠ ـ السِّرحان: الذئب. مفترش يديه: راكد، هادىء، فلا شيء يسعى إليه. اللبة: وسط الصدر مما يلي العنق. الصديع: الفجر.
في هذه الأراضي الواسعة، يهدأ الذئب ويتمدد مفترشًا يديه، وكأن البياض في وسط صدره، من خلال سائر لونه العابس، فجر يصدع (يشق) حجب الظلام.

٣١ ـ وأرضٍ قد قطعتُ: رُب أرضٍ اجتزتها. الهواهي: جمع الهوهاة وهي الضوضاء يحدثها الجن. الجِنّان: الجن. السربخ: البعيد. المليع: الواسع.
رُبّ أرض بعيدة، واسعة، يُسمع للجن فيها ضوضاء، اجتزتها.

٣٢ ـ جيف المطي: جثث الدواب المتحللة. بحافتيه: بجانبي الطريق. الرَّخَم: طائر كالنسر، وهو مثله يقع على الجثث. وكثرة الجيف في طريق هذه الصحراء الواسعة ناجم عن مشقة=

٣٣ ـ لَعَمْرُكَ ما ثَلاثٌ حائِماتٌ	على رُبَعٍ يَرِعْنَ وما يَرِيعُ
٣٤ ـ ونَابٌ ما يَعِيشُ لَها حُوَارٌ	شَدِيدُ الطَّعْنِ مِثْكالٌ جَزُوعُ
٣٥ ـ سَدِيسٌ نَضَّجَتْهُ بعدَ حَمْلٍ	تحَرَّى في الحَنِينِ وتَسْتَلِيعُ
٣٦ ـ بِأَوْجَعَ لَوْعَةً مِنِّي ووَجْدًا	غَداةَ تَحَمَّلَ الأَنَسُ الجَمِيعُ
٣٧ ـ فإمَّا كُنتِ سائِلَةً بِمُهْري	فمُهْرِي إنْ سألتِ بهِ الرَّفِيعُ

= السفر فيها، فإذا ضعفت الناقة أو الجواد عن متابعة المسير يُرفع عنها الرحل أو السرج، وتترك لمصيرها.

في هذه الأرض البعيدة الواسعة ككلّ المطايا ولا تقوى أحيانًا على متابعة السير، فلا يتأخرون لأجلها بل تُترك لمصيرها فتنفق. وجيفها هناك على جانبي الطريق جاثمة متفرقة كما تجثم طيور الرخم على الأرض.

٣٣ ـ لعمرُك: وحياتك. ثلاث: ثلاث من النوق المرضعات. حائمات: طائفات، ذاهبات راجعات، باحثات. ربع: فصيل الناقة تنتجه في الربيع. يَرعن: يرجعن. يَريع: يَرجع.

وحياتك، ما جزع نوق ثلاث ذهبن مع فصيل رُبعي وعدن بدونه، فهن حائمات، طائفات مضطربات.

٣٤ ـ الناب: الناقة المسنّة. ما يعيش لها حوار: يموت أولادها، أو يؤخذون منها. حوار: ولد الناقة حتى يفطم. مثكال: اعتادت الثكل، كثرة فقد الولد. جزوع: شديدة الخوف. شديد الطعن: أي الطعن في اللجام، وهو الشد عليه بسبب التهيج والعصبية.

ولا لوعة ناقة مسنة اعتادت الثكل وفقد الولد فغدت كثيرة الخوف، عصبية المزاج، قوية الشد على اللجام.

٣٥ ـ سديس: ولد للناقة المسنة عاش ستة أشهر. نضّجته بعد حمل: حملت به أكثر من الوقت العادي، فاكتمل في رحمها وجاء محاكمًا. الحنين: صوت الناقة تنادي صغيرها. تحرّى في الحنين: ترسل نداءاتها حرّى، ملتهبة. تستليع: تتمزق من اللوعة وقد فقدت ولدها.

٣٦ ـ بأوجع لوعة: بلوعة أكثر إيلامًا مني ووجدًا: بأوجع وجد أي أكثر إحساسًا بالحب وبنار الشوق مني. تحمل: أخذ الأحمال وسافر. الأنس: الحي المقيمون. الجميع: الذي كان مجتمعًا.

ليست النوق الثلاث، ولا الناب المسنة ليحسسن بلوعة أكبر من لوعتي ولا بشوق ملتهب أكثر من شوقي صبيحة السفر إذ حمل الحي أمتعته وارتحل فتفرق الناس الذين كانوا مجتمعين.

٣٧ ـ سائلة بمهري: سائلة عنه مهتمة به. الرفيع: الشريف الأصيل، وقد يقصد أنه ذو السير الرفيع أي رافع في السير مبالغ فيه.

إن كنت تهتمين بمهري وتسألين عنه، فمهري هو الأصيل، وهي رافع في السير مبالغ فيه إلى أقصى حد.

٦ ـ أَصُدُّ عن الخُلُق الفاحش

عمرو بن معديكرب

أولاً: الإطار

مقطوعة فخرية تتفجر قوة وعنفوانًا. القوة حرب، والحرب عدة: درع متينة، فرس رشيق، سيف أصيل من سيوف أقيال اليمن، وقوس ترنّ هيّأها خيرة الصانعين وسهام... أما العنفوان فيأتي من جهتين: جهة النسب ونسبه أصل يعز إدراكَه على الطامعين، والجهة الثانية هي خلقه الشخصي الذي ورثه من آبائه، الخلق المترفع عن الفحش.

ثانيًا: المقطوعة

وقال أيضًا: [من المتقارب]

١ ـ أَعْـدَدتُ لِلحَـربِ فَـضْـفَـاضـةً ... دِلَاصًـا تَـثَـنَّـى عَـلَى الـرَّاهِـشِ

٢ ـ وأَجْـرَدَ مُـطَّـرِدًا كـالـرِّشـاءِ ... وسَـيـفَ سَـلامَـةَ ذِي فـائِشِ

٣ ـ وذاتَ عِـدَادٍ لَهـا أَزْمَـلٌ ... بَـرَتْـهـا رُمـاةُ بَـنِـي وابِـشِ

٤ ـ وكُـلَّ نَـحِـيـضٍ فَـتِـيـقِ الـغِـرَارِ ... عَـزُوفٍ عَـلَى ظُـفُـرِ الـرَّائِشِ

---

١ ـ أعددت: هيأت عدة. فضفاضةً: درعًا واسعة. دلاصًا: ملساء ليّنة. تثنّى؛ تنطوي بسهولة. الراهش: عرق من عروق باطن الذراع الظاهرة.
هيأت عدة الحرب وفيها درع واسعة، ملساء لينة، تنطوي بسهولة عند المفاصل فلا تؤذي عروق الذراع الظاهرة.

٢ ـ الأجرد: هنا الرمح سويت كعوبه فغدا أملس. مطّردًا: مستقيمًا. كالرشاء: كحبل البئر في آخره دلوٌ ممتلىء. سيف سلامة ذي فائش: سيف هذا الملك من ملوك اليمن.
ومن عدة الحرب رمح سُوّيت كعوبه فغدا أملس لا نتوء فيه، وهو مستقيم استقامة (حبل البئر). ومن العدة السيف. وسيفي أصيل كان لسلامة ذي فائش القيل اليمني.

٣ ـ ذات عِداد: كناية عن القوس المشدودة الوتر، يطنّ وترها (كوتر آلة موسيقية)، أزمل: لها صوت مختلط. برتها: سوّت عودها. الرماة: الذين يرمون بالسهام. وهناك عائلات اشتُهرت بالرمي ومنها بنو وابش. وكانوا أقدر الناس على صناعة القوس الجيدة.

٤ ـ النحيض: القشور، وكنى به عن السهم المرقق. الغِرار: حدّ النصل، والنصل حديدة السهم. =

٥ ـ وأَجْـــرَدَ سَـــاطٍ كَـــشَـــاةِ الإِرا نِ رِيـعَ فـعَـنَّ عـلى الـنَّـاجِـشِ
٦ ـ وآوِي إِلَـــى فَـــرْعٍ جُـــرْثُـــومَـــةٍ وعِـــزٌّ يَـفُـوتُ يَـدَ الـنَّـاهِـشِ
٧ ـ تَـمَـتَّـعْـتُ ذاكَ وكُـنْـتُ امـرءًا أَصُـدُّ عـن الـخُـلُقِ الـفـاحِـشِ

٧ ـ وكم دون ليلى من فلاةٍ
ضابي بن الحارث البُرجُميّ(١)

أولاً: الإطار

يقف الشاعر بالديار المهجورة يتمنى لو تعود عامرة ثم يكشف استحالة الأمنية فيبكي ويلجأ إلى الذكريات، وينطلق في أثر ليلى عبر الفلوات واصفًا هذه الأراضي

= فتيق الغِرار: نصل فتيق: جُعل له شعبتان، كلاهما حاد، وكأن إحداهما فُتقت من الأخرى. عزوف: يعزف، يصدر صوتًا أو رنينًا. الرائش: الذي يلصق الريش على كعب السهم.
وتتمة العدة السهام فهو مقشورة مرققة، نصلها ذو شعبتين حادتين، وعوده مرن، إذا احتك بظفر الرائش الذي يلصق الريش عليه، اهتز فأحدث صوتًا أو عزفًا.

٥ ـ أجرد: هنا فرس قصير الشعر. الساطي: البعيد الشحوة، وهي الخطوة. الشاة: ذكرَ البقر الوحشي. الإران: كناس الثور الوحشي، ريع: أخيف، أُجفِل. عنّ: حين عنَّ أي ظهر. الناجش: الذي يثير الصياد ليتجه نحو الصياد.
لا بد، بعد اكتمال العدة من أداة أساسية للحرب وهي الفرس.
وفرس عمرو قصير الشعر (وهذا دليل كرم أصله) بعيد الخطوة، يعدو كما يعدو ثور الكِناس إذا أخيف وأجفل عندما يظهر للناجش الذي يثير الصيد ليمر أمام الصائد.

٦ ـ آوي: أنتمي. الجرثومة: الأصل. يفوت: يبعد عنه فلا يطاله. الناهش: الذي يمزق اللحم بفمه، كنى به عن الذي يتناول بالسوء أعراض الآخرين.
أنتمي إلى فرع يأتي من أصل كريم، وإلى عز ومجد أبعد وأقوى من أن يستطيع ناهش تناولهما.

٧ ـ تمتّعت ذاك: عشت متمتعًا بذاك النمط من العيش. وكنت رجلًا كريمًا عفيفًا امتنع عن عمل الفُحش.

(١) ضابىء بن الحارث بن أرطاة بن شهاب... من بني حنظلة بن مالك، من البراجم. ولد في الجاهلية وأدرك الإسلام وعاش حتى أيام عثمان بن عفان. وفي سجن عثمان مات. وسبب سجنه هجاؤه بني جرول لأنهم استردوا منه جروًا استعاره. من الشعراء الجاهليين الفحول.

المقفرة وصعوبة اجتيازها وما يصيب الدليل وما ينال القطا من عطش لا يرويه السراب، وفيها تموت العيس فتنزل لتتحلل وتتغذى بها الوحوش.

هذه الفلوات يجتازها على ظهر ناقة بيضاء ضخمة مندفعة كأن شيطانًا بداخلها، تسري في الليل وتعدو في النهار كأنها ظبي نشيط أو ثور وحشي.

وينطلق واصفًا الثور يتنقل في الصحراء من رمل إلى آخر، يقاسي من حر الأرض وحمم السماء؛ فإذا ما انجلى الليل وصفا الجو في الصباح فاجأه الصياد ومعه كلابه. وتقوم معركة يكر فيها الثور على الكلاب مستخدمًا سلاحه الدقيق فأسال دمَاءها وظل يطعن حتى تغلل قرناه، لكنه حمى نفسه وكرامته.

ثانيًا: القصيدة

وقال ضابِىءُ بنُ الحارِثِ بنِ أَرطاةَ البُرجُمِيُّ: [من الطويل]

١ ـ غَشِيتُ لِلَيْلَى رسمَ دارٍ ومَنزِلَا ... أَبَى بِاللِّوَى فالتِّبْرِ أَنْ يَتحَوَّلَا

٢ ـ تَكادُ مَغَانِيها تَقولُ مِنَ البِلَى ... لِسائلِها عَنْ أَهْلِها: لا تَغَيَّلا

٣ ـ وَقفتُ بِها لا قاضيًا لِيَ حاجةً ... ولا أَنْ تَبِينَ الدَّارُ شَيئًا فأَسأَلا

٤ ـ سِوَى أَنَّني قَد قُلتُ: يا ليتَ أهلَها ... بِها والمُنَى كَانَتْ أَضلَّ وأَجْهَلا

---

١ ـ غشيت: أتيت. رسم دار: بقايا الإقامة اللاصقة بالأرض. منزل: مكان النزول للإقامة. اللوى والتبر: اسم مكانين (واللوى: منعطف الرمل، والتبر: الذهب). أبى أن يتحول: أن يحيل وينمحي.
أتيت المكان الذي كانوا نازلين فيه حيث أقاموا دارهم في اللوى والتبر فوجدت الآثار اللاصقة بالأرض باقية تأبى أن تنمحي.

٢ ـ المغاني: جمع المغنى، وهو المنزل الذي أقام به أهله ثم تركوه. من البلى: لشدة ما أصابها من تلف على مر الأيام. لا تغيَّل: لا تتغيّل، أي لا تدخل في غيل (مخبأ بين الأشجار) وتعتدّ نفسك آمنًا داخله من عاديات الأيام.
إن منازلها التي أقفرت بعد عمرانها وأصابها ما أصابها من تلف بمرور الأيام، شاهد حيّ ينبهك ويقول لك إذا سألت عن أهلها: لا تخفِ رأسك لإخفاء الحقيقة، ولا تدخل غيلًا بين الشجر وتعتد نفسك في أمان من الدهر.

٣ ـ لا قاضيًا لي حاجة: لا أرغب في قضاء حاجة لي ولا أنتظر جوابًا فأسأل الدار أن تفصح لي عن أي أمر.

٤ ـ هناك شيء واحد أستطيعه وهو أن أتمنى: ليت أهلها كانوا فيها. وتلك أمنية، والأماني=

٥ ـ بَكيْتَ وما يُبكيكَ مِنْ رَسم دِمْنةٍ مُبِنًّا حَمامٌ بَيْنَها مُتَظلّلا
٦ ـ عَهِدْتُ بها الحَيَّ الجَميعَ فأَصْبَحُوا أَتَوْا داعِيًا للهِ عَمَّ وخَلَّلا
٧ ـ عَهِدتُ بها فِتيانَ حَرْبٍ وشَتْوَةٍ كرامًا يَفُكُّونَ الأَسيرَ المُكبَّلا
٨ ـ وكَم دونَ ليلَى مِن فَلاةٍ كأَنَّما تَجَلَّلَ أَعلاها مُلاءً مُفَصَّلا
٩ ـ مهامهَ تِيهٍ من عُنَيْزةَ أَصْبَحتْ تَخَالُ بها القَعْقَاعَ غارِبَ أَجْزَلا
١٠ ـ مُخَفِّقَة لا يَهْتَدِي لِفَلاتِها مِنَ القَومِ إلَّا مَنْ مَضَى وتَوكَّلا

= أقرب إلى المغالطة والبعد عن الحقيقة.

٥ ـ بكيتَ: يخاطب نفسه. رسم دمنة: صورة دمنة. والدمنة هي الفضلات التي تُترك في المكان فتبقى أو تتحلل. وما يبكيك: والذي يبكيك. مبنًا حمامٌ: حمام مبنيًا بينها أي مقيمًا، باقيًا.
يخاطب نفسه: أنت تبكي، والذي يبكيك هو الحمام الذي أقام بين هذه الدمن مستظلًا فيئها. (والحمام في الشعر حزين كئيب نادب يثير الشجى والبكاء بهديله).

٦ ـ عهدت بها الحي: عرفتها عامرة بأناس الحي. الجميع: جميعهم. أتوا: أتاهم جاء إليهم. الداعي لله: الذي يدعوهم إلى الإسلام، أو إلى الجهاد إن كانوا مسلمين. عم: دعا دعوة عامة بلا تسمية. خلل: خصص أي دعا دعوة خاصة فردًا فردًا. (فاستجابوا وغادروا).

٧ ـ فتيان الحرب: الفرسان. فتيان شتوة: رجال كرم في أيام الشتاء الباردة المجدبة حين ينعدم الزاد. كرامًا: أصحاب نخوة وفضل. يفكون الأسير المكبل: يشترون حرية الأسير الموضوع في الأغلال، بدفع الغرامة التي يُطالب بها. (والأسير من الحي طبعًا).

٨ ـ كم دون ليلى من فلاة: كم من فلاة تفصل بيني وبين ليلى. والفلاة: المفازة الواسعة، لا حياة فيها ولا ماء، تغطيها رمال متشابهة. تجلّل: اكتسى وتغطى. أعلاها: صفحة أرضها. الملاء: الملحفة أو ما يغطى به السرير. وهي أيضًا الإزار (المُلاء: جمع الملاءة) المفصّل: فيه طرائق.
شبه أرض الصحراء الواسعة المتشابهة إلا في بعض طرقات وتعرجات بإزار مفصّل أو ملحفة تغطي السرير.

٩ ـ مهامه: جمع مهمه، المفازة لا ماء فيها ولا أنيس. تيه: سير على غير هدى. ومهامه تيه: صحار واسعة يضل فيها من يسير، فالأرض متشابهة ولا معالم هناك. عنيزة: اسم منطقة. تخال: تظن. القعقاع: الطريق يحتاج سلوكه إلى تحمل مشقة كبيرة. غارب: مقدّم السنام. أجزل: أصابه القتب بتقرّح شُفي منه لكن الوبر لم يعد ينبت مكان التقرح، فغدا هذا المكان خطًا مختلف اللون عن سائر جسم البعير. به شبه الطريق في المفازة إذ يخالف لونه لون سائر المساحات المتشابهة.

١٠ ـ مخفِّقةٌ: يخفق فيها السراب. لا يهتدي لفلاتها: لا يهتدي لاجتياز فلاتها. من مضى: من=

١١ ـ يُهالُ بها رَكْبُ الفلاةِ مِنَ الرَّدَى ... ومِنْ خَوفِ هادِيهِمْ وما قَدْ تَحمَّلا
١٢ ـ إذا جال فيها الثَّوْرُ شَبَّهتَ شَخْصَه ... بِجَوْز الفَلاةِ بَرْبَرِيًّا مُجَلَّلا
١٣ ـ تَقَطَّعَ جُونِيُّ القَطَا دونَ مائِها ... إذَا الآلُ بالبِيدِ البَسَابِسِ هَرْوَلا
١٤ ـ إذا حَانَ فيها وَقْعَةُ الرَّكْبِ لَم تَجِدْ ... بها العِيسُ إلَّا جِلْدَها مُتَعَلَّلا
١٥ ـ قَطَعتُ إلى معروفِها مُنْكَراتِها ... إذَا البِيدُ هَمَّتْ بالضُّحَى أَنْ تَغَوَّلا
١٦ ـ بِأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ كأَنَّ بِدَفِّها ... تَهاويلَ هِرٍّ أو تَهَاوِيلَ أَخْيَلا

= كان ماضي العزيمة. مصممًا. وتوكّل: سلّم أمره إلى الله.
في هذه المهامه فلوات واسعة يتراقص السراب على صفحتها، لا يستطيع الخروج واجتيازها إلا من كان مصممًا حازمًا ومسلمًا أمره إلى الله.

١١ ـ يُهال بها: يُراع بها. ركب الفلاة: المسافرون الذين يجتازون الفلاة. من الردى: من الموت. ومن خوف هاديهم: من الخوف الذي يصيب دليلهم. وما قد تحمّل: وما يكون هذا الدليل قد تحمله من مشقات.

١٢ ـ جال فيها الثور: تجول، تنقل من مكان إلى آخر. الثور: الذكر من بقر الوحش. جوز الفلاة: وسطها. بربريًّا: رجلًا من البربر. مجلّلا: ملتفًا بردائه.
إذا راح الثور يتنقل متجولًا وسط الفلاة ذكّرتك صورته بصورة رجل بربري ملتَفّ بردائه.

١٣ ـ تقطّع: تهالك، عجز عن متابعة الطريق. دون مائها: قبل الوصول إلى الماء. الآل: السراب. البيد البسابس: الصحاري المقفرة. الجوني: هرولا: تنقّل مسرعًا. القطا: طيور مهاجرة شبيهة بالحمام، مشهورة بتنسّم ريح الماء من مسافات.
عندما يتراقص الآل على صفحة الصحاري المقفرة، تتهالك القطا وتعجز عن متابعة الطيران للوصول إلى الماء.

١٤ ـ وقعة الركب: وقوف المسافرين للنوم في آخر الليل. العيس: النوق البيضاء إلى شُقرة، وهي عادة نوق الأسفار. بها: في هذه الفلاة. إلا جلدها: إلا جسدها وشخصها. كنّى بالجلد عن الجسم فهو يحيط بالبدن. المتعلل: الشاغل.
إذا توقف المسافرون للنوم في آخر الليل، لم تجد العيس في تلك الفلاة ما تنشغل به فانكفأت على نفسها يشغلها بدنها وما تحس به من تعب وإرهاق. (ويمكن أن تنشغل بلحس جلدها حيث يصل لسانها تخلّصه مما علوا به).

١٥ ـ معروفها: المناطق المعروفة في تلك الفلاة. منكراتها: المناطق المجهولة. البيد: جمع البيداء وهي الصحراء. تَغوّل: تتغوّل: تتلوّن بصور شتى، تحدث عند الإنسان تهيؤات.
قبل أن يأتي الفجر ومعه ما تحدثه البيداء في النفس من تهيؤات في صور شتى، استطعت أن أجتاز المناطق المجهولة من تلك الفلاة وأصل إلى المناطق المعروفة.

١٦ ـ أدماء: ناقة بيضاء. الحُرجوج: الجسيمة، الطويلة أو الضخمة. الدف: الجنب. التهاويل: =

١٧ ـ تَدافَعُ في ثِنْي الجَدِيلِ وَتَنْتَحِي	إذا ما غَدَتْ دَفْواءَ في المَشْي عَيْهَلا
١٨ ـ تَدافُعَ غَسَّانِيَّةٍ وَسْطَ لُجَّةٍ	إذا هِيَ هَمَّتْ يَومَ رِيحٍ لِتُرْسِلا
١٩ ـ كأَنَّ بِها شَيطانَةً مِنْ نَجائِها	إذا واكِفُ الذِّفْرَى على اللِّيتِ شَلْشَلا
٢٠ ـ وتُصْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى وكأَنَّها	فَنِيقٌ تَناهَى عَنْ رِحالٍ فَأَرْقَلا
٢١ ـ وتَنْجُو إِذَا زالَ النَّهارُ كَما نَجا	هِجَفٌّ أَبُو رَأْلَيْنِ رِيعَ فَأَجْفَلا

= جمع التهويل، وهو ما يفزع. وتهاويل هر: كانوا يربطون هرًا إلى جنب الناقة فينشب فيها مخالبه من وقت إلى آخر، فتخاف وتظن أنها تستطيع الهرب منه بزيادة السرعة فتحقق غرض صاحبها. الأخيل: طائر يقع على دبر البعير فيخزل ظهره، لهذا كانوا يتشاءمون به. والناقة، إذا أحست به، تسرع كذلك لتهرب منه.

١٧ ـ تَدافع: تتدافع: تنطلق مسرعة. الجديل: زمام من جلد مجدول؛ وثِنْي الجديل: حين يُرخى لها الزمام فينثني. تنتحي: تعتمد في سيرها على أحد الجانبين، والغالب الجانب الأيسر. غدت دفواء: صارت من اللواتي يمشين مائلات إلى جانب، وذلك محمود منها ولعله أسرع لها. عيهل: سريعة.

١٨ ـ تدافُعَ: مفعول مطلق لفعل تدافع في البيت السابق. وتدافُعَ غسّانية: انطلاق سفينة غسانية. وسط لُجة: وسط تجمع ماء كبير (نهر ضخم أو بحر). إذا هي همت: إذا استعدت. لترسل: لترسل الأشرعة، أي تحلّ رباطها وتبحر.
هذه الناقة تنطلق مسرعة انطلاق سفينة غسانية في بحر وقد حلّت أشرعتها وهمت بالإبحار في يوم ريح.

١٩ ـ كأن بها شيطانة: كأن شيطانة داخلتها فراحت تتصرف بجنون. من نجائها: من سرعتها. الذِّفرى: العظم خلف الأذن، وهو الموضع الذي يعرق منه البعير. وواكف الذفرى: العرق المنهمر من خلف أذنها. شلشل: قطّر. على الليت: على صفحة العنق.
حين تبلغ من سرعتها أقصاها وينهمر العرق من خلف أذنها مقطّرًا على صفحة عنقها، تقول إن جنيًا ركبها، فهي تركض بجنون.

٢٠ ـ غب السُّرى: بعد سير الليل. تصبح وكأنها فنيق: يأتي عليها الصباح وهي في أوج نشاطها، كأنها فحل الإبل الذي يحمى ويُحافظ عليه للفحلة، فهو لا يُركب ولا يوضع عليه رحل. تناهى: تخلى، امتنع. رحال: جمع رحل وهو مركب الإبل يوضع على ظهرها لركوب الناس. أرقلا: جرى مسرعًا، وهو خفيف مرتاح. (بسرعته شبه سرعة ناقته بعد ليلة من السير في الظلام).

٢١ ـ إذا زال النهار: إذا ارتفع النهار وتوسّط. تنجو: تسرع. كما نجا: كما أسرع. هِجَفّ: ذكر النعام ذو الريش الكثيف. أبو رألين: له صغيران. ريع: أضيف. فأجفلا: ففزع وانطلق هاربًا. =

٢٢ ـ كأنّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ أَخْنسَ نَاشطًا أَحَمَّ الشَّوَى فَرْدًا بأَجْمَادِ حَوْمَلا
٢٣ ـ رَعَى مِن دَخُولَيْها لُعَاعًا فَرَاقَهُ لَدُنْ غُدوَةً حتَّى تَروَّحَ مُوصِلا
٢٤ ـ فَصَعَّدَ في وَعْسَائِهَا ثُمَّتَ انْتَمَى إِلى أَحْبُلٍ مِنْها وجاوَزَ أَحبُلَا
٢٥ ـ فبَاتَ إلى أَرطاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ شآمِيَّةٌ تُذْرِي الجُمَانَ المُفَصَّلا
٢٦ ـ يُوائِلُ مِن وَطْفَاءَ لَم يَرَ لَيلَةً أَشَدَّ أَذًى مِنها عَلَيهِ وأَطوَلا

= إذا زال الظل واستوت الشمس في كبد السماء، واشتد حرُّ الهاجرة، فهي تسرع كما يُسرع ذكر نعام كثيف الريش، ذو صغيرين إذا أُفزع فانطلق هاربًا.

٢٢ ـ كأني كسوتُ الرَّحل: كأني وضعت رحلي (لا على ناقة، وإنما على). أخنس: ثور وحشي قصير الأنف، (والخنَسَ معروف للثور وللظبي). ناشطًا: متوفزًا لا يهدأ، يتنقل بصورة مستمرة. أحمَّ الشَّوى: أسود القوائم. فردًا: متوحدًا. بأجمادِ حوملا: (يتنقل) في مرتفعات موضع حومل.

٢٣ ـ رعى: أكل. من دخوليها: مثنّي الدَّخول، وهي منطقة قريبة من حومل، ويبدو أنهما دَخولان. وقد ذكر امرؤ القيس الدَّخول وحَوْمَل في مطلع معلقته (بسقط اللوى بين الدَّخول فحومَل). لُعاعًا: أول النبت، والناعم منه الكثير الماء. لدن غدوة: عند الصباح، ويكون النبت أندى ما يكون وأطرى. فراقَه: فأعجبه. حتى تروَّح: بقي في الصباح حتى المساء حين شرع في السير. موصِلا: في وقت الأصيل.

هذا الثور الذي ظل يرعى العشب من الصباح حتى الأصيل وهو مسرور، شرع في السير مساءً.

٢٤ ـ صعّد: انحدر. في وعسائها: أرضها الرملية اللينة، تغوص فيها الحوافر. ثُمّت: ثم. انتمى: ارتفع. إلى أحبل: قطع ضخمة ممتدة من الرمال. وجاوز أحبلا: قطع أحبلًا أخرى.

انحدر بعد ذاك إلى أرض رملية لينة تغوص فيها الحوافر، ثم ارتفع إلى قطع ضخمة ممتدة من الرمال، يخرج من قطعة ليدخل في أخرى.

٢٥ ـ بات: التجأ لقضاء الليل. إلى أرطاة: إلى شجرة تنبت في مواضع الرمل تطول قدر قامة. حقف: ما اعوجّ من الرمل واستطال. تلفّه: تغطّيه كلّه. شآمية: ريح تهب شمالًا من جهة بلاد الشام، وهي أكثر الرياح برودة وأذى. تُذري: تنتثر. الجمان: حب اللؤلؤ الصغير، كنّى به عن قطرات المطر الكبار. المفصّل: المنظوم في عقد.

٢٦ ـ يوائل: يحاذر ويلتمس الملجأ. من وطفاء: من سحابة ممطرة غزيرة السحّ.

هذا الثور، وقد فاجأته السحابة الغزيرة السحّ، يحاذر ويحاول التماس الملجأ وكانت ليلته هائلة لم ير في حياته أشد أذًى عليه. ولا أطولا: ولا أطول منها عليه،(والليل يطول على المهموم والخائف، والمضطرب).

٢٧ ـ وبـاتَ وبـاتَ الـسَّـاريـاتُ يُـضـفْـنَـهُ إلـى نَـعِـجٍ مـن ضـائِـنِ الـرَّمْـلِ أَهْـيَـلا

٢٨ ـ شَـديـدَ سَـوادِ الـحـاجـبَـيْـنِ كـأَنَّـمـا أُسِـفَّ صَـلَى نَـارٍ فـأَصْـبَـحَ أَكْـحَـلا

٢٩ ـ فَـصَـبَّـحَـهُ عِـنـدَ الـشُّـروقِ غُـدَيَّـةً أَخُـو قَـنَـصٍ يُـشْـلِـي عِـطـافًـا وأَجْـبُـلا

٣٠ ـ فَـلمَّـا رأَى أَنْ لا يُـحَـاوِلْنَ غَـيـرَهُ أَرادَ لـيـلـقَـاهُـنَّ بِـالـشَّـرِّ أَوَّلا

٣١ ـ فَـجـالَ عَـلى وَحْـشِـيِّـهِ وكـأَنَّـهـا يَـعَـاسِـيـبُ صَـيْـفٍ إِثْـرَهُ إِذْ تَـمَـهَّـلا

٣٢ ـ فـكَـرَّ كـمـا كَـرَّ الـحَـوَارِيُّ يَـبْـتَـغِـي إلـى الله زُلْـفَـى أن يَـكُـرَّ فـيُـقْـتَـلا

٣٣ ـ وكَـرَّ ومَـا أَدْرَكْـنَـه غَـيـرَ أَنَّـه كَـريـمٌ عَـلَيْـه كِـبـريـاءُ فَـأَقْـبَـلا

٣٤ ـ يَـهُـزُّ سِـلاحًـا لَـم يَـرَ الـنَّـاسُ مِـثْـلَهُ سِـلاحَ أخـي هَـيْـجَـا أَدَقَّ وأَعْـدَلا

---

٢٧ ـ بات: بقي. وبات الساريات: وبقيت الرياح الليلية. يُضفنه: يدفعنه إلى ملجأ، يلجئنه. إلى نَعِجٍ: أرض مستوية سهلة مكرمة للنبات. من ضائن الرمل: من رملة بيضاء عريضة. أهيلَ: سائلًا، لا يستقر.
قضى الليل والساريات من رياح وسحاب ممطر تدفعه إلى ملجأ في أرض مستوية سهلة النبت داخل هذه الرملة البيضاء العريضة التي لا يستقر رملها لكثرة ما ينهار.

٢٨ ـ أُسِفَّ: رُشّ عليه (على حاجبيه). صلى نار: وقودها، كنى عن الرماد المتخلف عن إشعال النار. الأكحل: الأسود طرف الجفن عند الرموش.
حاجباه شديدا السواد كأن رمادًا أسود ذُرّ عليهما فغدا الثور أكحل.

٢٩ ـ صبّحه: فاجأه في الصباح. غديَّةً: عند الشروق. أخو قَنَص: صياد. يُشلي: يدعو. عطافًا وأحبلا اسما كلبيه.

٣٠ ـ ألا يحاولن غيره: أن الكلبين يقصدانه ولا يقصدان سواه. أراد ليلقاهن بالشرّ أولًا: أراد أن يكون البادىء بالشر، وصاحب المبادرة في اللقاء القاتل.

٣١ ـ فجال: مرّ مستطلعًا. على وحشيه: على جانبه الأيمن. وكأنها: كأن الكلاب. يعاسيب: جمع يعسوب وهو فحل النحل. إثره: خلفه. إذ تمهّلا: حينها تمهّل ومشى بتؤدة.
قام بجولة لجهة اليمين، الكلاب تقتفي أثره كأنها ذكور النحل في يوم صيف. إذ ذاك تمهّل وسار بتؤدة (يرسم خطة).

٣٢ ـ فكّر: هجم. كما كرّ الحواري: كما كرّ نصير النبي. يبتغي إلى الله زلفى: يرجو التقرب من الله. أن يكُرَّ فيقتلا: أن يُتاح له القيام بهجوم يُقتل فيه. (ليكون شهيدًا).

٣٣ ـ وكرّ: هجم إلى الأمام. ما أدركنه: ما استطعن الوصول إليه. غير أنه كريم: لكنه أصيل، صاحب عنفوان (عليه كبرياء). فأقبلا: لذا فإنه لم يهرب وإنما قرر التقدم (نحوها).

٣٤ ـ يهز سلاحًا: تشبيهًا بالفرسان يهزون السيف أو الرمح قبل استخدامه، وهو يهز سلاحًا لا =

٣٥ ـ فَمَارَسَهَا حتَّى إذَا احمَرَّ رَوْقُهُ ... وقَدْ عُلَّ مِن أَجْوافِهِنَّ وَأُنْهِلا

٣٦ ـ يُسَاقِطُ عَنْه رَوْقُهُ ضَارِيَاتِها ... سِقَاطَ حَديدِ القَيْنِ أَخْوَلَ أَخْوَلا

٣٧ ـ فَظَلَّ سَرَاةَ اليومِ يَطْعُنُ ظِلَّهُ ... بِأَطرافِ مَدْرِيَّيْنِ حَتَّى تَفَلَّلا

٣٨ ـ وراحَ كسَيفِ الحِمْيَرِيِّ بكَفِّهِ ... نَضا غِمْدَهُ عَنه وأَعطاهُ صَيْقَلا

٣٩ ـ وآبَ عَزيزَ النَّفسِ مَانعَ لَحمِه ... إذَا مَا أَرادَ البُعْدَ مِنْها تَمَهَّلا

٨ ـ في الشك تفريط وفي الحزم قوة

ضابىء بن الحارث البُرجميّ

أولاً: الإطار

في حبس عثمان يحس ضابىء بالغربة ويجعل حصانه «قياد» يشاركه إحساسه، ثم يحاول تهدئته وطمأنته بأن الحبس لن يطول إنما هو ليلة ثم يعود. ويبدو أن

= يعرف الناس مثيلًا له في أسلحتهم. سلاحَ أخي هيجاء: سلاحَ معتادٍ على الحروب. أدقّ: بل هو أكثر دقة وحدّةً من سلاح الفرسان. أعدل: أكثر اعتدالًا، أي استقامةً.

٣٥ ـ مارسها: مارس الكلابَ أي لَجّ معها في معركة. حتى إذا احمرّ روقه: حتى إذا صيغ قرنه بدمائها. وقد عُلّ: عُلّ قرنه: أُشرب مرة ثانية. من أجوافهن: من داخل جسدهن حيث كان يعمل القرن. أنهلا: بعد أن أُشرب مرةً أولى (ومرات).

٣٦ ـ يُساقط عنه روقُه: أي يساقطُ روقه عنه: أي ينغص قرنه ليُسقط. ضارياتها: عروقها الممزقة اللاصقة به. سقاطَ حديد القين: كما يَسقط عن حديد الحداد المحمي حين يطرقه شررٌ. أخولَ أخولا: متفرقًا في كل اتجاه.

٣٧ ـ ظلّ سراة اليوم: ظل طيلة زمن ارتفاع الشمس في السماء. يطعن ظله: يطعن الأرض حيث ظلُّه، إما خوفًا منه إذ يحسبه عدوًّا. وإما لأنه غدا في حال عصبية هستيرية. بأطراف مدريين: برأس قرنين. حتى تفللا: حتى صار فيهما شقوق، تثلّما.

٣٨ ـ راح كسيف الحميري بكفه: أتى المساء وعليه قرناه منتصبين كما يحمل الحميري سيفه بكفه. نضا غِمده عنها: وقد نزعه من قرابه. أعطاه صيقلا: أعطاه لمن يتولى صقله وتجديده.

٣٩ ـ آب: رجع. مانعَ لحمه: حامي لحمه. إذا ما أراد البعد منها: كلما أراد الابتعاد عن الكلاب الميتة. تمهّلا: أبطأ حركته؛ كي يتأكد من فعله.

الإنسان في السجن، إذ يخلو إلى نفسه، يناتشها الحساب ويتبصّر بأمور الدنيا. وبعادات الناس، كزجرهم الطير ليتفاءلوا أو يتشاءموا، وما علاقة الطير بقرار المرء؟ وكم من أمر يخافه الإنسان، فيما هو لا تأثير له عليه، بينما لا يعمل حسابًا للنائبات، ثم إن التردد تفريط بالقوة في الحزم، والصداقة تقوم على المسامحة وتجاوز الظنون والشكوك.

ثانيًا: الأبيات

وقال: [من الطويل]

١ ـ مَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمدينَةِ رَحْلُهُ ... فإنِّي وقَيَّارٌ بِها لَغَرِيبُ

٢ ـ فَلا تَجْزَعَنْ قَيَّارُ مِن حَبْسِ لَيلةٍ ... قَضِيَّةَ ما يُقْضَى لَنا فَنَؤُوبُ

٣ ـ وما عَاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الفتَى ... رَشادًا ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ

٤ ـ ورُبَّ أُمورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... ولِلقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ

٥ ـ فلا خَيْرَ فيمَنْ لا يُوَطِّنُ نفسَه ... على نائِباتِ الدَّهرِ حينَ تَنوبُ

---

١ ـ الرحل: رمز السفر؛ وحلول الرحل: هو دليل التوقف والإقامة. من يك أمسى بالمدينة رحله: من يك نزل في المدينة وأقام. قيّار اسم حصان ضابىء. فأنا وحصاني، في المدينة غريبان.

٢ ـ لا تجزعن: لا تخفِ. قَيّارُ: يا قيّار. من حبس ليلة: حبس لليلة واحدة. قضية ما يقضى لنا: إلى أن يُنظر بأمرنا. فنؤوب: فنعود إلى ديارنا.

٣ ـ عاجلات الطير: الطيور التي تمر سراعًا. وكانوا إذا عزموا على أمر وأرادوا معرفة رأي القوى الغيبية فيه يخرجون من الدار ويترقبون أي طير أو طيور تمر مسرعة. فإذا جاءت من جهة اليمين تفاءلوا ومضوا، وإذا جاءت من جهة الشمال تشاءموا وأحجموا، وكذلك إذا لم تمرّ مطلقًا انكفأوا خائبين. تدني من الفتى رشادًا: تقدّم للرجل رأيًا سليمًا. ولا ريثهن: ولا تأخّرهن. يخيب: يدل على خيبة وسوء تقدير.

٤ ـ لا تضيرك: لا تسبب لك ضُرًّا. ضيرة: ضُرًّا. من مخشاتهن: من خوفهن. وجيب: خفقان شديد ينمّ عن الخوف والاضطراب.
وربّ أمور تخافها ويسرع خفقان قلبك إزاءها وهي لا تؤذيك ولا تضرّك.

٥ ـ لا خير: لا أصل ولا نجاح. فيمن لا يوطّن نفسه: فيمن لا يدرّب نفسه ويهيئها. على نائبات الدهر: على أحداث الدهر ومصائبه. حين تنوب: حين تصيب.
لا أمل ولا نجاح لمن لا يقتنع بأن أحداث الدهر ومصائبه لا بد واقعة. فيدرّب نفسه على توقعها وانتظارها، فلا يفاجأ بها حين تصيب.

٦ ـ وفي الشَّكِّ تَفْريطٌ وفي الحَزْم قُوَّةٌ ويُخطىءُ في الحَدْسِ الفَتَى ويُصِيبُ

٧ ـ ولَستَ بِمُسْتَبْقٍ صَدِيقًا ولا أَخًا إِذَ لَم تَعَدَّ الشَّيءَ وهو يَرِيبُ

٩ ـ جديرٌ بالهمِّ من لا ينامُ

أبو داود الإيادي (جارية بن الحجّاج)(١)

أولاً: الإطار

قصيدة جاهلية بلغتها، بموضوعاتها: أرق في الليل وتذكر يوم الفراق حيث الظواعن تسير بهن القافلة سيرًا شديدًا، وهن مختبئات في هوادجهن، يسبين الشاعر، مُدِلّات بجمالِهن، يفوح عطر بخورهن، أنهن غزلان في عيونهن وعنقهن، وهن نخلات بقدِّهن. ويعدد أماكن مرورهن، ويتدخل كعب ليسيء إلى علاقته بهن، كما يثير ريبته حول أغراضه، لكنه يطلب المستحيل.

وينتقل إلى الفخر بنفسه وبقومه: إن من يفقدهم من عظام أهله هم المصائب الحقيقية تصيبه لا قلة المال. فهم لينون في وقت الليل وشديدون على المستعصين،

---

٦ ـ في الشك: في التردد. تفريط: تضييع للفرص. في الحزم: في اتخاذ القرار القاطع. قوة: موقف قوة. الحدس: توقع الأمور بالإحساس الباطني لا بالعقل والمنطق.
إن في التردد ضياعًا للفرص وإن في الجد والقرار القاطع موقف قوة، ولو أن هذا الموقف مبني على الإحساس الباطني والتوقع، وهذا الإحساس قد يخطىء وقد يصيب.

٧ ـ لست بمُسْتَبْقٍ صديقًا: لن يبقى لك صديق. إذا: بمعنى إذا. لم تعدَّ: لم تتعدّ أي لم تتجاوز ولم تُغضِ. الشيء وهو يريب: الشيء المثير للشك والريبة.
إذا أنت لم تتسامح وتغض عن الشك والريبة، فلن يبقى لك صديق ولا أخ.

(١) هو جارية بن الحجَّاج، والحجّاج لُقِّب حمران، وهو ابن بحر بن عصام ... بن إياد بن نزار بن معدّ. شاعر قديم من شعراء الجاهلية. كان وصّافًا للخيل. وأكثر أشعاره في وصفها. وله في غير وصفها تصرّفٌ بين مدح وفخر وغير ذلك.
مدح أبو دؤاد الحارث بن همّام بن مُرّة، فأعطاه عطايا كثيرة. ثم مات ابن لأبي دؤاد، وهو في جوار الحارث، فوداه هذا. فمدحه أبو دؤاد. فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه، ولا يذهب له مالٌ إلا أخلفه عليه. فضربت العرب المثل بجار أبي دؤاد.
(انظر الأغاني، ١٦/ ٢٩٤).

وهم الكرم في سني الجدب. أنهم رجال يجمعني إليهم بأبي عمرو وكعب آباء. أنهم شبان وكهول: شبان كأسود وكهول أصحاب مآثر. حطّ الدهر عليهم فسكنوا المقابر، ومصيرهم هو مصير كل إنسان: كل الناس إلى البلى.

بعد ذلك يعمد إلى وصف ناقته فيحسن، ثم يتجاوزَها إلى وصف فرسه فيبدع.

ثانيًا: القصيدة

وقال أبو دُؤادٍ الإياديُّ، [واسمه جاريةُ بنُ الحجَّاجِ بنِ حُذاقٍ]: [من الخفيف]

١ ـ مَنَعَ النَّومَ ماوِيَ التَّهْمَامُ ... وجَديرٌ بِالهَمِّ مَنْ لا يَنامُ

٢ ـ مَن يَنَمْ لَيلَهُ فقَد أُعْمِلُ اللَّيْـ ... ـلَ وذُو البَثِّ ساهِرٌ مُسْتَهامُ

٣ ـ هَل تَرَى مِن ظَعائِنٍ باكراتٍ ... كالعَدَوْليِّ سَيْرُهُنَّ انْقِحامُ

٤ ـ واكِناتٍ يَقْضَمْنَ مِن قُضُبِ الضُّرْ ... مِ ويُشْفَى بِدَلِّهِنَّ الهُيَامُ

٥ ـ وسَبتْنِي بَناتُ نَخْلَةَ لَو كُنْـ ... ـتُ قَريبًا أَلَمَّ بي إلْمَامُ

---

١ ـ ماويَ: ترخيم ماوية، وهو اسم امرأة. منع النومَ التهمام: الهم منع النومَ. جدير بالهم: يستحق الهم. من لا ينام: من يمتنع النوم عليه.
يا ماوية، لقد أرقتُ، منعني الهمُّ النومَ. ومن يسمح للنوم بأن يهجره يكون جديرًا بالهم.

٢ ـ من يَنم ليلَه: من ينام ليلَه ويتركُه سهران، والمقصود: إذا كان هناك من ينام ليلَه، فأنا. . . أُعمل الليلَ: أشغل الليلَ بعملي. ذو البث: ذو الشجن والغم. ساهر مستهام: أرق يستبد به الهيام أي الغرام.
إذا كان من الناس من ينامُ ليلَه ويبقى هو صاحيًا، فأنا أجعل ليلي مشغولًا بأعمالي كسُرى الليل مثلًا فيما ذو الشجن ساهر يستبد به الغرام والهُيام.

٣ ـ الظعائن: النساء في هوادجهن راحلات. باكرات: مبكّرات. العَدَوليّ: مركب منسوب إلى عدولى، في البحرين. انقحام: شديد.
هل ترى نساء ظاعنات باكرًا سيرهن حثيث كالمركب العدوليّ.

٤ ـ واكنات: مستترات، مطمئنات. يقضَمن: يشددن بأسنانهن الأمامية. من قضب الضُرم: عيدان من شجر الضرم الطيّب الرائحة. (وشدّ المرأة على العود بأسنانها حركَه غنج فيها من الدلال بقدر ما نريد وضعه فيها). يُشفى بِدَلّهن: يظهر لغنجهن. الهيام: الوَلَهُ في الحب.

٥ ـ سبتني: أسرت قلبي. بنات نخلة: نساء نخلة(موضع أو قبيلة). لو كنت قريبًا: لو كنت مشاهدًا لهنّ. ألم بي: نزل بي (الضمير للهيام في البيت السابق). إلمام: نازل وزائر (من الهيام).

=

٦ ـ يَكْتَبِينَ الَيَنْجُوجَ في كَبَّةِ المَشْـ ... تَـى وبُـلْـهٌ أَحْـلامُـهُـنَّ وِسَـامُ

٧ ـ ويَصُنَّ الوُجوهَ في المَيْسَنانِـ ... يِّ كما صَانَ قَرْنَ شَمْسٍ غَمَامُ

٨ ـ وتَرَاهُنَّ في الهَوادجِ كالغِزْ ... لَانِ ما إنْ يَنَالُهُنَّ السَّهَامُ

٩ ـ نَخَلَاتٌ من نَخْلِ بَيْسَانَ أَيْنَعْـ ... ـنَ جَمِيعًا ونَبْتُهُنَّ تُؤَامُ

١٠ ـ وتَدَلَّتْ عَلَى مَناهِلِ بُرْدٍ ... وفُلَيْجٌ من دُونِهَا وسَنَامُ

١١ ـ وأَتَاني تَقْحِيمُ كعبٍ لِيَ المَنْـ ... ـطِقَ إِنَّ النَّكِيثَةَ الإِقْحَامُ

١٢ ـ في نِظَامٍ ما كنتُ فيه فلا يَحْـ ... ـزُنْكَ شيءٌ لِكُلِّ حَسْنَاءَ ذَامُ

١٣ ـ ولَقَد رابَنِي ابنُ عَمِّيَ كَعْبٌ ... أَنَّهُ قَدْ يَرُومُ ما لا يُرامُ

= هؤلاء النسوة، من بنات نخلة، أسرن قلبي ولو كنت قريبًا منهن نزل بي وظهر عليّ عارض من الهُيام الذي يظهره دلالهن وغنجهنّ.

٦ ـ يكتبين: يتبخّرن. الينجوج: عود البخور. أحلامهن: ما يحلمن به. بُلْهٌ: غريرة ناعمة، بريئة. وسام: جميلة. كبّة المشتى: شدة الشتاء.
يتبخرن بعود البخور ولو كن في أوج شدة الشتاء؛ يحلمن أحلامًا ناعمة بريئة؛ جميلة.

٧ ـ يَصُنّ الوجوه: يسترن الوجوه. في الميسناني: في قماش مصنوع في ميسان وهو بلد في العراق. كما صان: كما ستر. قرنَ شمس: قرصَ الشمس.
يسترن وجوههن بالقماش الميسناني كما تستر الغيوم وجه الشمس.

٨ ـ تراهن في الهوادج كالغزلان حسنًا لا يصيبهن تغير اللون ولا ذبول الشفتين.

٩ ـ بيسان: بلدة في بلاد الشام. أينعن: أعطين التمر اليانع، أي الناضج وهو التمر بحلاوته. ونبتهن تؤام: نبتهن مزدوج في أصل واحد.
الهوادج على النوق ذكرنه بنخل بيسان، فالهودج بحجمه يشبه رأس النخلة، والناقة هي الساق، والمرأتان في هودج واحدهما النبت المزدوج.

١٠ ـ تدلت: سارت نزولًا. مناهل: موارد مياه. برد وفليج وسنام: أسماء مواضع مرت بها القافلة.

١١ ـ أتاني: وصل إلى سمعي. كعب: هو ابن عمه. تقحيم المنطق: القاء الكلام عني من غير روية. (المنطق الكلام، والمقصود هنا الكلام السيىء). إن النكيثة الإقحام: هنا قلب. والأصل: إن الإقحام نكيثة. والإقحام هو إلقاء الكلام السيىء بلا روية. والنكيثة: الأمر الجلل.

١٢ ـ في نظام: في طريقة، في موضوع أو أمر. ما كنت فيه: لا علاقة لي به ولا ينطبق عليّ. فلا يحزنك شيء: يخاطب نفسه. لكل حسناء ذام: في كل مليحة عيب.

١٣ ـ رابني: ساءني. أنه يروم ما لا يرام: يطلب ما لا يمكن تحقيقه. =

١٤ ـ غَيرَ ذَنْبٍ بَني كِنَانَةَ إنّي إنْ أُفارقْ فإنَّني مِجذَامُ

١٥ ـ لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْمًا ولكنْ فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُهُ الإعْدَامُ

١٦ ـ مِن رِجالٍ من الأقاربِ فادُوا مِن حُذَاقٍ همُ الرّؤوسُ العِظَامُ

١٧ ـ فَهُمُ لِلمُلائِمِينَ أَنَاةٌ وعُرامٌ إذا يُرَادُ العُرَامُ

١٨ ـ وسَمَاحٌ لَدَى السِّنِينَ إذَا ما قَحَطَ القَطْرُ واسْتَقلَّ الرِّهَامُ

١٩ ـ وَرِجالٌ أَبُوهمُ وأَبِي عَمـ ـرٌو وكَعبٌ بيضُ الوُجوه جِسَامُ

٢٠ ـ وشَبابٌ كأَنَّهمْ أُسْدُ غِيلٍ خَالطَتْ فَرْطَ حَدِّهِمْ أَحلامُ

= لقد ساءني أن ابن عمي مالكًا يطلب ما لا يمكن تحقيقه.

١٤ ـ غيرَ ذنب: اعذروني. إن أفارق: إن أرتحل عنكم. مِجذام: قاطع، قراري نهائي لا رجوع عنه.
عذرًا يا بني كنانة، إن أرتحل عنكم فهذا قرار قاطع لا رجوع عنه.

١٥ ـ لا أعد: لا أحسب. الإقتار: قلة ذات اليد. عُدمًا: فقرًا. الإعدام. العُدم، أي الفقر. فقد من رُزِئتُه: ذهاب من أصبت بموته.
أنا لا أحسب قلة ذات اليد فقرًا، وإنما الفقر كان حين فقدت من أصبت بموته من الأحباب والأصدقاء والأقرباء.

١٦ ـ فادوا: ماتوا. الرؤوس العظام: الرؤساء الكبار. حُذاق: قبيلة من إياد.
يفصل ما أجمل مبينًا من هم الذين أصيب بفقدهم. إن بينهم رجالًا من الأقارب من حذاق، ماتوا وكانوا الرؤساء العظام.

١٧ ـ للملائمين: للمطاوعين الليّنين. أناة: تأنٍ وملاينة. العُرام: القوة والشراسة.
هم لمن كان لينًا مطاوعًا تأنٍ ولين، ولمن أراد القوة واختار الشراسة قمةُ القوة والشراسة.

١٨ ـ السماح: الجود والعطاء. لدى السنين: في السنين الشديدة المجدبة. قحط القطر: امتنع المطر. استقل: ارتحل وابتعد. الرِّهام: المطر الضعيف، الصغير القطر، والدائم.
وهم جود وعطاء في السنين العجاف، حين يمتنع المطر، ويرتحل القطر الدائم.

١٩ ـ رجال أبوهم وأبي: يقصد: جدُّهم وجدّي عمرو، وكعب. بِيض الوجوه: كناية عن البشاشة والإشراق في استقبال الضيف والمحتاج. جسام: عظام الخلق.

٢٠ ـ شباب كأنهم أسد غيل: كأنهم الليوث في بيوتها داخل شجر كثيف، وهي تحمي عرينها وتكون شرسة في ذلك. فرْط حدِّهم: حدة غضبهم، شدةَ نخوتهم وحماستهم. أحلام: جمع حلم، وهو العقل والأناة. فهم جمعوا إلى القوة والشراسة عند الأسد، العقل والأناة عند كرام الناس.

٢١ ـ وكُـهُـولٌ بَـنَـى لَهـمْ أَوَّلُوهُـمْ ... مَـأْثُـراتٍ يَـهـابُـهـا الأَقْـوَامُ

٢٢ ـ سُلِّطَ الدَّهْرُ والمَنُونُ عَلَيهِمْ ... فَلَهُمْ في صَدَى المَقابِرِ هَامُ

٢٣ ـ وكَذاكُمْ مَصِيرُ كُلِّ أُناسٍ ... سَوفَ حَقًّا تُبْلِيهِمُ الأَيَّامُ

٢٤ ـ فعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي ... حَسَراتٍ وذِكْرُهم لي سَقَامُ

٢٥ ـ إِبِلي الإِبْلُ لا يُحَوِّزُها الرَّا ... عُونَ مَجُّ النَّدى عَلَيْها المُدامُ

٢٦ ـ وتَدَلَّتْ بِها المَغارِضُ فوقَ الـ ... أرضِ ما إنْ تُقِلُّهُنَّ العِظَامُ

٢٧ ـ سَمِنَتْ فاستَحَشَّ أَكْرُعُهَا لا الـ ... نَّيُّ نَيٌّ ولا السَّنامُ سَنامُ

---

٢١ ـ يتابع تعداد الرجال الذين رُزِىء بهم. فهم، فضلًا عن الشباب القوي القاتل، كهول ورثوا عن سابقيهم مأثرات أي أمجادًا جعلت لهم هيبة في نفوس الناس.

٢٢ ـ سُلِّط عليهم: انصرف إليهم وجعلهم شُغله. الدهر: الأيام وما فيها من مصائب. المنون: الموت. الصدى أو الهام: طائر وهمي كانوا يعتقدون أنه يخرج من رأس القتيل ويبقى حائمًا فوق قبره صائحًا: اسقوني، اسقوني، إلى أن يؤخذ بثأره، فيصمت. جعلتهم أحداث الدهر والموت شغلها الشاغل فبات لهم هام تصيح بين طيور الصدى الحائمة في المقابر، إلى أن أُسكتت. وتلك كناية عن موتهم قتلًا وعن أخذ جماعتهم بثأرهم.

٢٣ ـ وكذاكم: وكذلك. هو مصير كل الناس، إلى الموت والبلى، تلك حتمية الدنيا وطبيعة مرّ الأيام.

٢٤ ـ على إثرهم: على طريقهم. تساقط نفسي: تتساقط نفسي: تتهاوى. حسرات: متحسرة آسفة. ذكرهم لي سَقَام: ذكرهم يضنيني ويُمرضني (لأن غيابهم مصيبة كبيرة).

٢٥ ـ إبلي الإبل: إبلي هي الإبل التي لا تُحصى. لا يحوزها الرعاة: لا يستطيع الرعاة جمعها وحصرها(لذا تبقى سارحة في البرية). مجّ الندى: ما ينفثه الندى، أي قطراته. عليها المُدام: دائم عليها، لأنها دائمًا معرضة له في الهواء الطلق، لا تؤويها الحظائر.

٢٦ ـ تدلّت: قربت من الأرض. المغارض: جمع المَغْرَض، وهو جانب البطن الذي يلي الأضلاع السفلى، وحوله يمر حزام السرج للفرس والرحل للإبل. والحزام هو الغُرضة. ما إن تُقِلُّهنّ: تكاد لا تحملهن. العظام: عظام الظهر والأضلاع.
هذه النوق سمنت وعظمت بطونها حتى تدلت وقاربت الأرض في الجانب الذي يمر تحته الحزام المثبت للرحل، وحتى تكاد عظام ظهرها تعجز عن حمل بطنها.

٢٧ ـ سمنت: تزايد لحمها وشحمها فيما بقي العظم على حاله. استحشّ: دقّ. أكرعها: عظام قوائمها. والعظم لا يدق وإنما يتراءى أنه دقيق إذا ما تضخمت العضلات. لا النيّ نيّ: لا الشحم عندها كالشحم المعروف للنوق. ولا السنام سنام: ولا سنامها مثل السنام المعروف.

٢٨ ـ فــإذَا أقــبَــلَتْ تَــقُــولُ إكَــامٌ ‏ مُـشْـرِفَـاتٌ فَـوْقَ الإكَـامِ إكَـامُ

٢٩ ـ وإذَا أعْـرَضَـتْ تَـقُـولُ قُـصُـورٌ ‏ مِـن سَـمَـاهِـيـجَ فَـوقَـهـا آطَـامُ

٣٠ ـ وإذَا مـا فَـجِـئْـتَـهـا بَـطْـنَ غَـيْـبٍ ‏ قُـلتَ نَـخْـلٌ قَـد حَـانَ مِـنْـهـا صِرامُ

٣١ ـ وهْـيَ كـالـبَـيْـضِ فـي الأداحِيِّ ما يُـو ‏ هَـبُ مِـنْـهـا لِمُـسْـتَـتِـمٌ عِـصَـامُ

٣٢ ـ غـيـرَ مـا طَـيَّـرَتْ بِـأوبـارهـا الـفَـقْـ ‏ ـرَةُ فـي حَـيْـثُ يَـسْـتَـهِـلُ الـغَـمَـامُ

٣٣ ـ فَـهْـيَ مـا إنْ تُـبـيـنُ مِـن سَـلَـفٍ أزْ ‏ عَـن طَـوْدٍ لِـسَـرْبِـهِ قُـدَّامُ

---

٢٨ ـ إذا أقبلت: إذا اتجهت نحوك، أو تقدمت في اتجاهك. إكام: جمع أكمة وهي المرتفع من الأرض. مشرفات: عاليات.
إذا رأيت هذه النوق مقبلة عليك. وهي بهذه الضخامة قلت: جبال فوقها جبال. فالنوق جبال وسنامها الذي تجاوز الحد في الضخامة يجعل فوق الجبال جبالًا.

٢٩ ـ إذا أعرضت: إذا أبدت عُرضَها، فرأيتها من جانب. قلت قصور من سماهيج: تخيلت أن ما تراه أمامك من ضخامة وتماسك وتناسق وارتفاع هو لقصور في جزيرة سماهيج، بين عُمان والبحرين. فوقها آطام: فوقها حصون.
عاد إلى ازدواجية الضخامة في الناقة وفي السنام. فإذا نظرت إليها من جانب خلت النوق قصور من جزيرة سماهيج والأسنمة فوقها حصون.

٣٠ ـ إذا ما فجئتها: إذا أشرفت عليها فجأة. بطن غيب: وسط أرض مطمئنة سهلة. قلت نخل: حسبتها نخلًا، والشبه هو القوائم الدقيقة التي تذكّر بجذع النخل، وضخامة الجسم والسنام مما يذكر برأس النخل الكبير المحتوي السعف والثمر. قد حان منها صرام: قد آن أوان قطف ثمرها. والشبه هو بين عثاكيل التمر في لونها الأسود، وبين جسم الناقة.

٣١ ـ البيض في الأداحي: بيض النعام في أماكنه المختارة للإباضة. والشبه بين النوق السمينة وبيض النعام هو الملاسة والتكور. فلا نتوءات ولا تجاويف. المستَتِمّ: طالب المعروف من فضلات وبر أو صوف أو خيطان يعيد نسجها بعد نقعها ليتم بها نسج كساء أو خباء. عصام: خيط القربة.
إن ما بلغته هذه النوق من السمن سوى النتوءات والتجاويف في جسدها فغدا مكورًا أملس أشبه ببيوض النعام. وسِمَنُها كذلك جعلها تُلقي أوبارها فلو جاء مستنيم يطلب أن يوهب منها وبرًا لما وُجد فيها وبر يكفي لصنع خيط لِقربة.

٣٢ ـ غير: ما عدا. طيَّرت بأوبارها: جعلت أوبارها تنحلّ وتطير. الفقرة: نبتة رعتها الإبل في ذلك المكان. في حين يستهل الغمام: في حيث ينهلّ المطر من الغمام.
لا يمكن أخذ وبر من النوق باستثناء ما طار منها بسبب سمنها وذلك نتيجة رعيها الفَقْرَة في المكان الخصب الذي يكثر فيه سقوط المطر.

٣٣ ـ ما إن تبين: لا تكاد تبين؛ وتبين: تُظهر شيئًا، أو تترك شيئًا يظهر. من سلف: من جبل له=

٣٤ ـ مُكْفَهِرٌّ على حَواجِبِهِ يَغْـ ـرَقُ في جَمْعِهِ الخَمِيسُ اللُّهَامُ

٣٥ ـ فَارِسٌ طَارِدٌ ومُلتَقِطٌ بَيْـ ـضًا وخَيلٌ تَعْدُو وأُخْرَى صِيَامُ

٣٦ ـ قد بَرَاهُنَّ غِرَّةُ الصَّيْدِ والإغْـ ـدَاءُ حَتَّى كَأَنَّهُنَّ جِلامُ

٣٧ ـ قد تَصَعْلَكْنَ في الرَّبِيعِ وقد قَـ ـرَّعَ جِلْدَ الفَرائِضِ الأَقْدامُ

٣٨ ـ جَاذِيَاتٌ على السَّنابِكِ قد أَفْـ ـزَعَهُنَّ الإسراجُ والإلْجامُ

= طرف متقدم. أرعن: أنف عظيم؛ والأرعن هنا أنف الجبل أو طَرَفُه المتقدم. طود: جل ضخم راسٍ. السرب: الطريق. قُدّام: قادمون من سفر، عنى بهم النوق.
هذه النوق، لكثرتها الهائلة، إذ مرت، في طريقها بجبل ضخم راسخ، ودخلت في طرقات أنفه المتقدم، غطته حتى لا تكاد تترك شيئًا يظهر.

٣٤ ـ مكفهرّ: أغبر اللون. حواجبه: حروفه ونواحيه. يغرق في جمعه: يغرق في جميع أنحائه. الخميس: الجيش. اللهام: الجراد يلتهم ما في طريقه.
هذا الجبل، الذي تغطيه النوق، ليس بالأرض الضئيلة، وإنما هو طود راسخ، له حروف وجوانب تميل إلى الاغبرار، لو غامر جيش جرار في دخوله، لغرق فيه واختفى. (وهذا يظهر، بالمقابل حجم النوق التي استطاعت أن تخفيه).

٣٥ ـ فارسٌ طارد: فارسٌ حاملٌ على آخر في المعركة. ملتقط: جامع. البيض: جمع البيضة: الكرة الحديدية على رأس الخوذة؛ وملتقط البيض هو ضارب الرؤوس بالسيف، قاطع بيض الخُوَذ. خيل تعدو: تركض في الحرب. صيام: جمع صائم، وهو، من الخيل، الواقف جامدًا على قوائمه الأربع (الصافن يقوم على ثلاث قوائم).
هو يرسم صورة معركة كمدخل لوصف الخيل. وهو يرسم اللوحة بشطحات سريعة: فارس يطارد ويلاحق وآخر يواجه ويضرب الرؤوس. والخيل ما بين عادية، وواقفة جامدة.

٣٦ ـ براهن: أنهكهن وأهزلهنّ. غرة الصيد: اقتناص غفلة منه ومفاجأته. الإعداء: حملهن على الركض. كأنهن جلام: كأنهن صغار الجداء لشدة ضمورهن.

٣٧ ـ قد تصعلكن: عشن على القليل، فدققن وطار مجمل وبرهن (مع أن الربيع فصل السِّمَن). قَرَّع الجلد: حكّه وقَشَره. جلد الفرائض: جلد الجنبين حيث يلكز الفارس بكعب قدميه، أو بمهمازه. الأقدام: فاعل الفعل قرّع.
عشن في الربيع على القليل، (مع أن الربيع فصل الخيرات) فدققن وطار وبرهن، فيما تركت: قدام الفرسان أثرها في الجنبين فقشرت جلد الفرائض لكثرة حكّها له.

٣٨ ـ جاذيات: قائمات على حوافرهن. السنابك: جمع السُّنبُك وهو طرف الحافر وجانباه، من قُدُم. أفزعهن: جعلهن يتوجّسْن، أي يتخوّفن مما سيأتي بعد الإسراج والإلجام (وهن يعرفن أن ليس بعد ذلك سوى الجهد والخطر).

٣٩ ـ لَجِبٌ تُسْمَعُ الصَّواهِلُ فِيهِ وحَنِينُ اللِّقاحِ والإِرْزامُ
٤٠ ـ بِعُرَى دُونَها وتُقْرَنُ بِالْقَيْظِ وقَدْ دَلَّهَ الرِّباعَ البُغامُ

١٠ ـ أكلَّ امرئٍ تحسبين امرءًا؟
أبو دؤاد الإيادي

أولاً: الإطار

هي عملية صيد لثيران الوحش تتناول كل شيء بالتفصيل: منذ اختيار الدار ونصب الخيمة، إلى تنسم أخبار الصيد من الرعيان، فتحديد مكان الصِّوار.

ثم يبدأ الاستعداد: تحضير المهر للغارة، وتحديد الوقت: الصبح ويعمد إلى وصف الفرس المتحمس، المتوثب، الشادّ على اللجام كأنه يستعجل المعركة. ثم ركبه الغلام وخفف من حدته وراح يتتبع القطيع.

ثانيًا: القصيدة

وقال أيضًا يصف فَرَسًا: [من المتقارب]

١ ـ ودارٍ يَقُولُ لَهَا الرَّائِدُونَ ويلُ أمِّ دارِ الحُذاقيِّ دَارا

---

٣٩ ـ الصواهل: جمع الصاهلة بمعنى الصهيل. لَجِب: صاخب، كثير الضجيج، والمقصود الجيش؛ وتُسمع الصواهل فيه: تسمع أصوات صهيل الخيل وذلك أحد أسباب الجلبة والصخب. الحنين: صوت الإبل تدعو ولدها. اللِّقاح: الإبل الحلوب. الإرزام: صوت النوق تخرجه من حلقها وفمها مغلق.
في هذا الجيش اللجب تُسمع جميع الأصوات: صوت الإبل تحنّ على صغارها، أو تدعو صغارها، أو تفتقدها إذا ضاعت أو أخذت منها، كما يُسمع صوتها الجوفي، فضلًا عن صوت صهيل الخيول.

٤٠ ـ عرى: موضع. دونها: قربها. تقرن: يربط بعيران في حبل واحد. دلّه: أذاب الفؤاد جوىً وحبًّا. الرِّباع: جمع الرُّبع، وهو ابن الناقة الذي خلفته في الربيع. البُغام: صوت الناقة. أي أصوات النوق الكبار وفيها عادة نغمة أسى وعاطفة تجعل البعير الفتيّ يضطرب قلبه.

١ ـ الدار: المكان يُختار للنزول وتقام فيه البيوت. يقول لها الرائدون: ينعتها المستطلعون=

٢ ـ فَلمَّا وضَعْنا بِها بَيْتَنا | نَتَجْنا حُوَارًا وصِدْنا حِمَارا
٣ ـ وبَاتَ الظَّلِيمُ مَكانَ المِجَـ | ـنِّ تَسْمَعُ بِاللَّيلِ مِنهُ عِرَارا
٤ ـ وراحَ عَلَيْنا رِعاءٌ لَنا | فَقالُوا: رَأَيْنا بِهَجْلٍ صِوَارا
٥ ـ فَبِتْنا عُراةً لَدَى مُهْرِنَا | نُنَزِّعُ من شَفَتَيْهِ الصُّفَارا
٦ ـ وَبِتْنا نُغَرِّثُه بِاللِّجَام | نُرِيدُ بِه قَنَصًا أو غِوَارا
٧ ـ فَلمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سُدْفَةٌ | ولاحَ من الصُّبْحِ خَيطٌ أَنَارا
٨ ـ غَدَوْنَا بِه كسِوَار الهَلُو | كِ مُضْطَمِرًا حَالِباهُ اضْطِمَارا

= الذين يسبقون الرَّكْب. ويل أم دار الحذاقي: هو دعاء عليها، دعاء تحبّب. دارًا: يا لها من دار!. والحذاقي هو أبو دؤاد.

يقف الرواد الذين يسبقون الركّب مستطلعين، عند موقع النزول، ذاكرين دار أبي دؤاد متعجبين، يدعون عليها متحببين.

٢ ـ وضعنا بيتنا: نصبنا خيمتنا. نتجنا حوارًا: ولدت إحدى النوق الحوامل وجاءت لنا بحوار (وهو وليد الناقة). صدنا حمارًا: اصطدنا حمارًا وحشيًّا.

٣ ـ بات الظليم: قضى ذكر النعام الليل. مكان المِجَنّ: قد يكون اسم موضع. والمجن الترس الذي يُجِنّ أي يستر؛ ومكان المجن: المأوى الذي يستتر فيه. تسمع بالليل منه عرارًا: تسمع صوته (العِرار: صوت النعام).

٤ ـ راح علينا: جاءنا في المساء. الرعاء: الرعاة. هجل: أرض مطمئنة. صلبة الموطىء بين الجبال. الصّوار: القطيع من بقر الوحش.

جاءنا في المساء رعاة لنا يخبروننا أنهم رأوا قطيعًا من بقر الوحش في أرض مطمئنة بين الجبال.

٥ ـ بتنا عراة لدى مُهرنا: انصرفنا في ليلنا إلى فرسنا الفتيّ (نحضّره لعملية الصيد). ننزّع: ننتزع. الصُّفار: نبات له شوك، إذا أكل منه الحيوان علق الشوك بشفتيه.

قضينا الليل منهمكين عند فرسنا ننزع شوك الصفار من شفتيه.

٦ ـ بتنا نُغرثه باللجام: نجوّعه، نمنعه الأكل واضعين له اللجام. والهدف من تجويعه مذكور في الشطر الثاني: نريد به قَنَصًا: نريد استخدامه في الصيد. أو غوارًا: أو في شنّ غارة.

وفي كلا الحالين يحتاج إلى أن يكون خفيفًا ليسرع أكثر، وهذا يقتضي أن يكون جائعًا لا ممتلىء البطن.

٧ ـ لما أضاءت لنا سُدفةٌ: لما أنار لنا ضوء. لاح: بدا. من الصبح خيط: شعاع من ضوء الفجر.

لما بدا لنا خيط من شعاع الفجر فأنار لنا ضوؤه ما حولنا.

٨ ـ غدونا: انطلقنا في الغدوة أي الصباح الباكر. به: بالمُهر. السُّوار: الحلية المحيطة=

٩ ـ مَرُوحًا يُجَاذِبُنا في القِيَاد تَخَالُ من القَوْدِ فِيهِ اقْوِرارا

١٠ ـ ضَرُوحَ الْحَمَاتَيْنِ سَامي التَّلِيل وَثُوبًا إذَا مَا انْتَحَاهُ الخَبَارا

١١ ـ فَلمَّا عَلَا مَتْنَتَيْهِ الغُلامُ وسَكَّنَ من آلِهِ أَنْ يُطَارا

١٢ ـ وسُرِّحَ كالأَجْدَلِ الفَارِسِـ يِّ في إِثْرِ سِرْبٍ أجدَّ النِّفَارا

١٣ ـ فَصَادَ لَنا أَكْحلَ المُقْلَتَيْـ ـنِ فَحْلًا وأُخرَى مَهَاةً نَوارا

= بالمعصَم. الهلوك من النساء: الفاجرة الشَّبقة، المتساقطة على الرجال، تتثنى وتتمايل عند جماعها. سوار الهلوك هو سوار فيه كدمات وتعرجات لشدة حركتها. الحالبان: عرقان يبتدّان الكليتين من ظاهر البطن، (ويبتدّان: يأتيان من الجانبين). المضطمر: المنضمّ (تقال للؤلؤ إذا كان في وسطه بعض الانضمام).
انطلقنا بالمهر في الصباح الباكر، وقد بدا في حالبيه بعض الانضمام كاللؤلؤ في سوار المرأة الفاجر يصيبه الانضمام لكثرة حركتها وشدتها.

٩ ـ مروحًا: في مزاج مَرِح. يجاذبنا في القياد: يشد على اللجام ويرخي كأنه يمازحنا. تخايل: تراءى، وتخالُ: يتراءى لك. فيه اقورار: في جلده تشنّج. القوْد: القيادة، أي سحب الفرس بمقوده بدل ركوبه، وذلك ليكون مُودعًا مُعَدًا لوقت الحاجة إليه. وهذا ما قد يُحدث بعض التشنج في جلده عندما يُركب.

١٠ ـ الضروح: الفرس النفوح برجله، أي يضرب بحد حافره ويدفع. الحَماتان: لحمتان في عرض الساق، تُرَيان كالعصبتين من ظاهر ومن باطن. وضروح الحماتين: تشُدّ الحماتان فتجعلان المهر ينفح. التليل: العنق. وسامي التليل: عالي العنق. إذا ما انتحاه الخبارا: إذا ما انتحى الخبار، والهاء زائدة مؤكِّدة للخبار؛ وانتحى: اتجه ناحية. الخبار: أرض لينة رخوة.
إنه فرس نفوح برجله تدفعه إلى ذلك حماتاه المعترضتان في ساقه، طويل العنق، مرتفع الرأس، يظل واثبًا إذا دخل في ناحية الأرض اللينة الرخوة التي تسوخ فيها قوائم الخيل عادة وتثقل حركتها.

١١ ـ المتنان: لحمتان تكتنفان الصلب من يمين ويسار، عن ظهره أو صهوته. سكّن من آله: هدّأ من نفسه. أن يُطارا: أن يطير من الخوف، أن تشتد ثائرته.
لما امتطى الغلامُ صهوته، وهدأه فلا تضطرب وتُستثار نفسه.

١٢ ـ سُرِّح: أُرسل. كالأجدل الفارسيّ: كالصقر الفارسيّ. في إثر: خلف. سرب: قطيع من بقر الوحش. أجد: جَدّ في. النفار: الانطلاق بعيدًا.

١٣ ـ صاد لنا: مكّننا من اصطياد. الأكحل: الذي في منابت أشفار جفنيه سواد مثل الكحل، من غير كحُل، وهي من صفات عيون بقر الوحش وثيرانه، وكنى بذلك عن الثور. المقلتين: العينين. فحلًا: ثورًا قويًا. وأخرى مهاة: مهاة أخرى؛ والمهاة: البقرة الوحشية. نوار: =

١٤ ـ وعَـادَى ثَـلاثًـا فَـخَـرَّ الـسِّـنَـا ... نُ إمَّـا نُـصُـولا وإمَّـا انْـكِـسـارا

١٥ ـ أَكـلَّ امـرىءٍ تَـحْـسَـبِـيـنَ امـرءًا ... ونَـارٍ تَـوقَّـدُ بِـالـلَّـيـلِ نَـارا

١١ ـ صريعٌ عليه الطيرُ تنتِخُ عينَه

مالك بن نويرة(١)

أولاً: الإطار

بين بني يربوع، قوم مالك، وبين بكر بن وائل، عداوة وأيام من أبرزها يوم المخطط، وكان ليربوع على بكر. ومالك لم يشهد هذا اليوم وإنما سمع به، فالتقط ما سمع وبنى عليه قصيدته الملحمية:

فيها تم هجوم شنّه بنو البرشاء (من بكر) على بني مالك وعمرو وبني يربوع المطمئنين في ديارهم ترتع حولها إبلهم. وكان الهجوم هائلًا بجيش زاد عن الألفين يهدفون إلى انتزاع ثرواتنا. بقي الهجوم ثلاثة أيام قبل أن تبدأ الرماة بالهجوم المضاد. وقد نصحهم أحد زعمائهم بالانسحاب والتجمع ثم إعادة الكرة لكنهم فضلوا الاستمرار. وهكذا رأونا أمامهم كموج البحر في كتيبة شهباء تلمع في الشمس،

= تنفر من الفحل.

١٤ ـ عادى ثلاثًا: والى في عدوه بين ثلاث من بقر الوحش، وعادى الفارس بين صيدين: إذا طعنهما طعنتين متواليتين. خَرّ السِّنان: سقط الرمح. إما نصولًا: إما انفصالًا للنصل عن القناة. وإما انكسارًا: انكسارًا للقناة.
الحديث عن الغلام الذي صاد الثور والمهاة ولعله يقصد نفسه؛ عادى ثلاثًا: طعن ثلاثًا بصورة متوالية، فكان الرمح يغرز في جسد الثور ويبقى، أما القناة فإما تنسحب من النصل وإما تنكسر.

١٥ ـ امرؤ: إنسان. وامرؤ: رجل مكتمل الرجولة، من المروءة وهي كمال الرجولة. أتحسبين كلَّ رجل رجلًا حقًّا (مثلي؟). أم تحسبين كل نار تشتعل في الليل نار ضيافة وقِرى؟

(١) هو مالك بن نويرة بن حمزة بن شدّاد. . . من يربوع بن حنظلة. شاعر وفارس جاهلي إسلامي. فقد دخل الإسلام وبقي إلى أيام أبي بكر، حين أغار على مال للصدقة برحرحان. فوجه الخليفة إليه خالد بن الوليد فقتله (في خبر طويل). كان له فرس يدعوه «ذو الحمَار»، فرثاه أخوه متمم بعيون القصائد.

وكتائب أخرى أغرقهم فيضها. هكذا وكالحال عادة، ضم المدافعون جناحي الجيش المهاجم على قلبه وحصروه وأمعنوا فيهم برماح صادقة الطعن لا تنثني، وسيوف تقطع العروق فانتثرت جثتهم على الأرض كأنهم جذوع أثل ملقاة، ما بين صريع تنقر الطير عينه، وسليم أسر ووضعت القيود في يديه ورجليه؛ وهرب منهم فلول، إنما لاقت الأمرّين حتى شربوا بول خيلهم.

ثانيًا: القصيدة

وقال مالكُ بنُ نُوَيرَةَ: [من الطويل]

١ - إلّا أَكُــنْ لَاقَــيــتُ يَــومَ مُــخَــطِّــطٍ ... فَــقَــدْ خَــبَّــرَ الــرُّكْــبَــانُ مــا أَتَــوَدَّدُ

٢ - أَتــانِـي بِـنَـقْـرِ الـخُـبْـرِ مـا قَـد لَقِيتُـه ... رَزِيــنٌ وركــبٌ حَــولَه مُــتَــعَــضِّــدُ

٣ - يُــهِــلُّون عُــمَّــارًا إذَا مــا تَــغَــوَّرُوا ... ولاقَــوْا قُــرَيْــشًــا خَــبَّــرُوهــا فَــأَنْــجَــدُوا

٤ - بِــأَبــنــاءِ حَــيٍّ مــن قَــبــائِلِ مــالِكٍ ... وعــمــرِو بــنِ يَــرْبُــوعٍ أَقــامُــوا فــأَخْــلَدُوا

---

١ - إلا أكن لاقيت: إن لم أكن حاضرًا. يوم مخطط: في معركة مخطط بين بكر ويربوع. فقد خبّر الركبان: نَقَل المسافرون الأخبار. وكان المسافرون قديمًا من وسائل الإعلام البارزة. فهم، في تنقلهم، يعيشون أحداثًا ويسمعون ويشاهدون ما يحدثون به في محطاتهم التالية. ما أتودّد: ما أحب سماعه.

٢ - الخُبْر: العلم بالشيء. نقر الخبر: الخبر المختار، الخبر اليقين. ما قد لقيته: حين لقيته. رزين: اسم علم. ركْب: جماعة تركب النوق. حوله متعضِّد: ملتف حوله (كالتفاف المِعضَد بالعضد).
وحين لقيت رزينًا وجماعته المسافرين معه، أتوني بالخبر اليقين.

٣ - عُمّارًا: معتمرين، قائمين بالعمرة. يُهلّون: يلبون بصوت مرتفع في الحج. إذا ما تغوروا: إذا ما نزلوا غورتها تهامة. فأنجدوا: أتوا نجدًا.
يحدد هوية المخبرين وطريقة نقل الخبر.
فهؤلاء حجاج، جاؤوا لقضاء العمرة. فإذا ما جاؤوا تهامة أهلّوا بالتلبية (رفعوا الصوت بها). ثم يقابلون قريشًا (في مكة والمدينة)، وبعدها يصعّدون في نجد. (وهم، في محطاتهم يخبرون الخبر أو الأخبار).

٤ - بأبناء حي: (خبّروا) عن أبناء حي (قبيلة، أو فرع). من قبائل مالك وعمرو بن يربوع: هما الفرعان المشتركان في وقعة المخطّط. أقاموا: حطوا الرحال. أخلدوا: بقوا مقيمين.
الخبر الذي أتاني عن أبناء حي من مالك وحي من عمرو بن يربوع أقاموا هناك وبقوا مقيمين.

٥ ـ ورَدَّ عَلَيْهِم سَرحَهُمْ حَولَ دارِهِم ضِنَاكًا ولَم يَسْتأْنِفِ المُتَوَحِّدُ
٦ ـ حُلُولٌ بِفِردَوسِ الإيادِ وأقبَلَتْ سَرَاةُ بَنِي البَرشَاءِ لَمَّا تَأَوَّدُوا
٧ ـ بِألفينِ أو زادَ الخَمِيسُ عَلَيْهِما لِيَنتَزعوا عِرقاتِنا ثُم يُرغِدُوا
٨ ـ ثَلاثَ لَيالٍ مِنْ سَنامٍ كَأَنَّهُم بَرِيدٌ ولَم يَثْوُوا ولَم يَتَزَوَّدُوا
٩ ـ وكانَ لَهُمْ في أهلِهِمْ ونسائِهِم مَبِيتٌ ولَم يَدْرُوا بِما يُحدِثُ الغَدُ

---

٥ ـ السَّرح: الإبل التي تؤخذ إلى المراعي حيث تسرح. ردّ عليهم سرحهم: أعاد إبلهم إليهم من المراعي. حول دارهم: لتكون قربهم وحول دارهم. وهذا بلا شك لأن الراعي أحس خطر العدو، فهرب بالإبل إلى حيث توجد حماية. ضناكًا: منهكة (لشدة ما حثها على الإسراع). لم يستأنف: لم يرع الإبل أُنُفَ الكلأ أي حيث لم يسبق لسواها أن رعى. المتوحد: لعله الراعي، يكون وحيدًا مع إبله.
الراعي المتوحد، المنفرد مع الإبل، أحس بخطر الأعداء وخاف أن تؤخذ منه النوق، وهو وحده في الفلاة، فترّكها رعْيَ أُنُفَ الكلأ، وأعادها سريعًا إلى الدّار ليتركها حول المنازل، فوصلت منهكة.

٦ ـ حلول: نازلون، باقون (والمقصود الإبل). فردوس الإياد: من ديار بني يربوع قوم مالك. (المقصود أن الإبل وصلت إلى الديار فنزلت واطمأنت). أقبلت: بدأت تصل. سراة: رؤساء وأشراف. بني البرشاء: هم ذُهل وشيبان وقيس أبناء ثعلبة. وأمهم هي البرشاء، لُقّبت بذلك لبَرَص أصابها. لما تأوّدوا: لما بلغ منهم المجهود والمشقة مبلغهما.
هناك في أرض بني يربوع، فردوس الإياد، وصلت الإبل والراعي، بعد أن بلغ منها الجهد والمشقة مبلغهما، فنزلت واطمأنت. ولم تلبث طلائع بني البرشاء، من أشرافهم ورؤسائهم، أن وصلت.

٧ ـ الخميس: الجيش الكبير. لينتزعوا: ليأخذوا عنوة، ليجتثّوا ويستأصلوا. عرقاتنا: أصولنا. يرغدوا: يعيشوا في عيش رغد أي في بحبوحة.
إنه جيش ضخم قوامه ألفان وأكثر، جاؤوا ليجتثونا من جذورنا ويقضوا على أصولنا، ثم يأخذوا أموالنا وينعموا بها في عيش رغد.

٨ ـ سنام: جبل بين البصرة واليمامة، لعلّ المهاجمين ارتاحوا عنده للمرة الأخيرة. كأنهم بريد: يسيرون بسرعة خيل البريد وعجلتها إذ لا تتوقف في الطريق. لم يثووا: لم يبيتوا. لم يتزودوا: لم يتناولوا زادهم.
ساروا ثلاثة أيام بلياليها من جبل سنام إلينا، سيرًا حثيثًا لا توقف فيه لمبيت ولا لتناول زاد، كأنهم خيل البريد.

٩ ـ لما وصلوا على تلك الحال من الإجهاد باتوا ليلتهم للراحة بين أهلهم ونسائهم (يبدو أنهم كانوا يرافقونهم)، وكانوا مطمئنين إلى قوتهم غافلين عما يخبئه لهم الغد.

١٠ ـ فَلَمَّا رأوا أَدْنَى السِّهَام مُعزِّبًا	نَهاهُمْ فلم يَلْوُوا على النَّهْي أَسْوَدُ
١١ ـ وقالَ الرَّئيسُ الحَوْفَزانُ: تَلَبَّبُوا	بَنِي الحِصْن إِذْ شَارَفْتُمُ ثم جَدِّدُوا
١٢ ـ فَما فَتِئُوا حتَّى رَأَونا كَأَنَّنا	مع الصُّبح آذِيٌّ مِنَ البَحْرِ مُزْبِدُ
١٣ ـ بِملمومَةٍ شَهباءَ يَبرُقُ خالُها	تَرَى الشَّمسَ فِيها حينَ ذَرَّتْ تَوَقَّدُ
١٤ ـ فَما بَرِحُوا حتَّى عَلَتْهُمْ كَتائبٌ	إذا لَقِيَتْ أَقرانَها لا تُعَرِّدُ
١٥ ـ ضَمَمْنا عَلَيْهم طايَتَيْهِمْ بِصائِبٍ	مِنَ الطَّعن حتَّى استأسَرُوا وتَبَدَّدُوا

١٠ ـ معزِّبًا: مُبعدًا. نهاهم: حذّرهم ونصحهم بالتراجع. فلم يلووا: لم يميلوا إلى سماعه. أسودُ: اسم الذي نهاهم وحذّرهم (ولعلهم صفة للحوفزان المسوَّد عليهم).
لما رأوا أن بعض سهامنا البعيدة المرمى دنت منهم، نصحهم الأسود بالتراجع، فلم يميلوا إلى سماع نصيحته وتحذيره.

١١ ـ الحوفزان: سيد بني شيبان، وهو الحارث بن شريك. بنو الحصن: بنو ثعلبة بن عكابة، وكلاهما من بكر. تلببوا: تحزّموا بالسلاح وشمّروا. إذ شارفتم: أشرفتم، أي علوتم الشَّرَف (المكان المرتفع). جدّدوا: أنزلوا الجَدَد، وهو الأرض المستوية حيث تكون الديار.
حين لم يسمعوا النصيحة والتحذير، خاطبهم رئيس شيبان الحوفزان: أنتم الآن أشرفتم على الأعداء، من المكان المرتفع، وهم في الأرض المستوية، أي الجدد، فتحزموا بسلاحكم وشمّروا ثم أنزلوا الجَدَد للقائهم.

١٢ ـ فما فتئوا: وما زالوا يتحدثون. آذيّ: موج متلاطم. مزبد: يعلوه الزبد الأبيض.
ظلوا في جدلهم حتى رأونا مع الصبح كأننا بحر تتلاطم أمواجه وتُزبد.

١٣ ـ ملمومة: كتيبة متماسكة. شهباء: بيضاء لكثرة ما يُرى فيها من السلاح. ترى الشمس توقد (تتوقد): تتأجج وذلك بانعكاسها على السلاح الكثير، فتتضاعف وتصبح شموسًا. حين ذرّت: حين بزغت. يبرُق خالها: يرفرف لواؤها متلألئًا. (اللواء يصنع من قماش الخال وهو نوع من البرود اليمانية).
جئناهم في كتيبة متماسكة يرفرف لواؤها متلألئًا، ترى الشمس، حين تبزغ وتُرسِل أشعتها على الكتيبة تتوهج بانعكاسها على السلاح الكثير، كأنها تشتعل فيها.

١٤ ـ فما برحوا: فلم يمض وقت طويل. حتى علتْهم: علتهم بالسيوف: ضربتهم بالسيوف وغلبت عليهم. إذا لقيت أقرانها: إذا لقيت أندادًا لها. لا تعرّد: لا تفرّ.
لم يلبثوا أن جاءتهم كتائب، غلبت عليهم وأمعنت فيهم ضربًا بالسيوف، كتائب شجاعة إذا واجهت أندادًا لها لا تهرب.

١٥ ـ طايتيهم: جانبيهم. بصائب: ثابت، لا يخيب. الطعن: هو للرمح. استأسروا: استسلموا وألقوا السلاح. تبددوا: تفرقوا.

=

١٦ ـ بِسُمْرٍ كأَشطانِ الجَرُورِ نَواهِلٍ	يَجُورُ بِها زَوُّ المَنايَا ويَقْصِدُ
١٧ ـ تَرَى كُلَّ صَدْقٍ زاعِبيٍّ سِنانُهُ	إذَا بَلَّهُ الأَنْداءُ لا يَتأَوَّدُ
١٨ ـ يَقَعْنَ معًا فِيهِمْ بأَيدي كُماتِنَا	كَأَنَّ المَنُونَ لِلأَسِنَّةِ مَوعِدُ
١٩ ـ تُدِرُّ العُروقَ الآبياتِ ظُباتُنا	وقَد سَنَّها طَرٌّ ووَقْعٌ ومِبْرَدُ
٢٠ ـ فأَقْرَرتُ عَينِي حِينَ ظَلُّوا كأَنَّهُمْ	بِبَطْنِ الإيادِ خُشْبُ أَثْلٍ مُسَنَّدُ

= كان الجيش في المعركة يستخدم تشكيلًا ثلاثيًا: القلب والجناحان. فإذا بقيت المعركة في القلب تمكن الجناحان من المساعدة والإطباق على العدو في الوقت المناسب. وهناك خطة معروفة مضادة وهو أن يؤتى الجناحان من كل اتجاه فيتضعضعا وينضمّا إلى القلب، فيسود الهرج وتدب الفوضى في الجيش. وهذا ما يشير إليه مالك: ضممنا الجانبين على القلب مستخدمين الرماح نطعن بها طعنًا مركّزًا لا يخيب، فكان أن تبددوا فاستأسر منهم من استأسر، وهرب من استطاع.

١٦ ـ بسُمر: برماح سُمر، وهذا اللون دليل جودة عود القناة. الأشطان: الحبال. الجرور: البئر البعيدة القعر. وحبال الدلو فيها تكون مشدودة في غاية الاستقامة. بها شبه الرماح. نواهل: شاربة (والرمح يُسقى من دم الأعداد). يجور: يظلم. يَقصِد: يعدِل. زَوُّ المنايا: هلاك الموت.

إن الطعن الذي ناله الأعداء وهزمهم كان برماح سمر مستقيمة كحبل البئر يتدلى منها دلو إلى قاع بئر بعيدة القعر، رماح سقيت دماءهم، فكانت المنايا تجول وتصول بينهم، تجور مرة وتعدل أخرى بصورة عشوائية.

١٧ ـ الصَّدْق: الرمح الصادق الطعنة، لا ينثني ولا يخيب. زاعبي: من صنع زاعب وهو مشهور بصناعة السنان. السنان: حديد مقدم الرمح. الأنداء: جمع الندى، وهو البَلَل. يتأوّد: ينثني ويَعْوَجّ.

يفصل في وصف الرماح وملامح جودتها:

فيها كل رمح صادق الطعنة لا يخيب، سنانه من صنع زاغب، وقناته صلبة لا يؤثر فيها البلل انثناء أو اعوجاجًا.

١٨ ـ يقعن: الرماح تقع. معًا فيهم: في الأعداء بصورة جماعية. بأيدي كماتنا: بأيدي فرساننا. كأن المنون: كأن الموت. للأسنة موعد: على موعد مع أسنة رماحنا.

١٩ ـ تُدرُّ العروق: تستخرج من العروق درَّها. ودَرُّ العروق هو الدم. الآبيات: الممتنعات ومناعتها تأتي من قوة أصحابها وشجاعتهم. وهذا إعلاء في قيمة الخصم لزيادة أهمية التغلب عليه. ظُباتنا: جمع ظُبة وهي حد السيف. سَنّها: زاد في حدّتها وشدة قطعها. الطرّ: القطع. الوقع: الطرق بالمطرقة. المبرد: للبرد والتحديد.

٢٠ ـ أقررت عيني: هدأت واطمأنّ بالي. بطن الإياد: هو فردوس الإياد منزل اليربوعيين. ظلوا=

٢١ ـ صَرِيعٌ عَلَيْه الطَّيرُ تَنْتِخُ عَيْنَه وآخرُ مَكبُولٌ يَمِيلُ مُقَيَّدُ

٢٢ ـ لَدُنْ غُدْوَةً حتَّى أَتى اللَّيلُ دونَهُمْ ولا تَنْتَهي عَنْ مِلْئِها مِنهُمُ يَدُ

٢٣ ـ فأَصْبَحَ مِنْهُم يَومَ غِبٌ لقائِهِمْ بِقِيقَاءَةِ البَرْدَيْن فَلٌّ مُطَرَّدُ

٢٤ ـ إذَا ما اسْتَبَالُوا الخيلَ كانَتْ أَكُفُّهمْ وَقائِعَ للأَبْوالِ والماءُ أَبْرَدُ

٢٥ ـ كأَنَّهمُ إِذْ يَعْصِرُون فُظُوظَها بدِجلَةَ أَو فَيْضِ الخُرَيبةِ مَوردُ

٢٦ ـ وقَدْ كانَ لابنِ الْحَوفَزان لَوِ انتَهَى سُوَيْدٌ وبِسْطامٌ عَنِ الشَّرِّ مَقْعَدُ

= كأنهم خُشب أَثْل مُسَنّدُ: كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدة، وهو تعبير معروف يقال لن يجمد ولا يتحرك. وجمودهم هنا كناية عن موتهم. والأَثْل من أشجار البادية، غليظ الأصول.

٢١ ـ تنتِخ: تنقر وتنتزع. مكبول: وُضعت عليه القيود. يميل: يتمايل متعثرًا بسبب قيوده.
كانت نتيجة المعركة أن انقسم المهاجمون قسمين: قسمًا ثاويًا على الأرض بلا حراك كأنه قطع من خشب الأثل ثابتة، تحط عليه الطيور الكاسرة، تنقر منه العيون وتقتلعها، وقسمًا آخر أخذ أسيرًا وُضعت القيود في يديه ورجليه فصار يمشي متعثرًا متمايلًا.

٢٢ ـ لدن غدوةً: منذ الصباح. حتى أتى الليل دونهم: حتى قاربهم الليل. ملأ يده منه: أمعن في ضربه. لا تنتهي: لا تتوقف.
منذ الصباح وحتى أدركهم الليل لم نكف عن ضربهم وملء أيدينا من دمائهم.

٢٣ ـ يوم غب لقائهم: في اليوم التالي للقائنا إياهم. القيقاءة: الأرض الصلبة، الغليظة. وقيقاءة البردين: منطقة اللقاء وبها سُمّيت الوقعة «يوم البَرْدَين». الفَلّ: المنهزمون. مطَّرد: ملاحقون، مطاردون.

٢٤ ـ إذا ما استبالوا الخيل: إذا بلغ من عطشهم أن يجمعوا بول الخيل ليشربوه. كانت أكفهم وقائع للأبوال: كانوا يجمعون البول في أكفهم ويشربونه. وقائع والماء أبرد: نقر في الصخر يجتمع فيها ماء المطر، فإذا مر عليه الليل برد وأصبح من العذوبة والبرودة مضرب المثل. بالنُّقر شبه أكفهم، وبالماء البارد في النقر شبه البول في أكُفّهم، وبمتعة الشارب لذلك الماء النادر شبه متعة شربهم لبول الخيل. وهذا إعلاء في وصف الشدة التي يمرون بها.

٢٥ ـ يعصرون فظوظها: يعصرون كروش الإبل لاستخراج مائها. فيض الخريبة: موضع ماء جَمّ.
يتابع وصف الشدة وبحثهم عن الماء للارتواء، فبعد بول الخيل يأتي عصير تروش الإبل (النافقة)، وهم إذ يحصلون عليه كأنهم وردوا دجلة أو فيض الخريبة واستقوا منهما.

٢٦ ـ ابن الحوفزان: هو شريك، وقد قُتل يوم مخطط. سويد وبسطام: من البكريين. ولعلهما كانا في مقدمة من رفض نصيحة الأسود. وكان بسطام من الهاربين في تلك المعركة. عن الشر مقعد: مقعد بعيد عن الشر. =

١٢ ـ ماذا عليهم لو أنهم وقفوا
قيس بن الخطيم(١)

أولاً: الإطار

بين الأوس والخزرج، أهل يثرب، كانت حروب ووقائع إحداها بين بني عمرو بن عوف من الأوس ومالك بن عجلان وحلفائه من الخزرج حرب دامت عشرين سنة وانتهت بالصلح. وسببها أن جارًا لمالك قُتل فاتُّهم به بني جحجبى من الأوس. فعرضوا عليه دفع دية الجار وهي نصف دية الصريح فأبى إلا دية كاملة.

والقصيدة قالها قيس بن الخطيم، وهو من بني الظفر من الأوس، في تلك الحرب، وهو لم يدركها وإنما قال شعره بعد هذه الحرب بزمان، والسبب في ذلك أن شاعرًا من الخزرج يُدعى درهم بن يزيد ذكر تلك الحرب فكان رد قيس بن الخطيم عليه وفخر بقومه وأمجادهم وسطوتهم، بعد مقدمة طويلة في النسيب.

ثانيًا: القصيدة

وقال قَيْسُ بنُ الخَطِيم: [من المنسرح]

١ ـ رَدَّ الخَلِيطُ الجِمالَ فانْصَرَفُوا ماذا عَلَيْهِمْ لَوَ انَّهُمْ وَقَفُوا

= لو أن سويدًا وبسطامًا انتهوا عندما نهاهم الأسود، لما حصل ما حصل، ولما قُتل شريك بن الحوفزان، ولكان في مقعد آمن من الشر.

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظَفَر بن الخزرج بن مالك بن أوس... وينتهي نسبه إلى ثعلبة بن مازن بن الأزد.
من المشهور عن قيس ثأره لأبيه وجده فقد قُتلا وهو صغير. فلما بلغ، وعرف أنهما قُتلا غيلة، اتخذ هيئة طالب الثأر وظل يتعقب القاتلَين إلى أن ظفر بهما.
ويقال في وصفه: كان مقرون الحاجبين، أدعج العينين، أحمر الشفتين، برّاق الثنايا، ما رأته حليلةُ رجل قط إلا ذهب عقلُها.
أسلمت زوجته قبله وكتمت إسلامها عنه. فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله ﷺ المدينة. فلم يحل عليه الحول. وقد أوصاه النبي أن يجتنب زوجته لأنها أسلمت وأوصاه بها خيرًا. ففعل. فبلغ ذلك الرسول ﷺ فقال: «وفى الأُدَيعج» (انظر الأغاني ٣/٣ وما بعد).

١ ـ الخليط: الجماعة من قبائل شتى ينزلون منتجعًا واحدًا، فتقوم بينهم علاقات وصداقات، =

٢ - لَوْ وَقَفُوا ساعَةً نُسائِلُهُمْ   رَيْثَ يُضَحِّي جِمالَهُ السَّلَفُ
٣ - فِيهِمْ لَعُوبُ العِشاءِ آنِسَةُ الـ   ـدَّلِّ عَرُوبٌ يَسُوؤُها الخُلُفُ
٤ - بَيْنَ شُكُولِ النِّساءِ خِلْقَتُها   قَصْدٌ فَلا جَبْلَةٌ ولا قُضُفُ
٥ - تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وهْيَ لاهِيَةٌ   كَأَنَّما شَفَّ وَجْهَها نُزَفُ
٦ - قَضَى لَها اللهُ حِينَ صَوَّرَها الـ   ـخالِقُ أَنْ لا يُكِنَّها سَدَفُ
٧ - تَنامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِها فإذا   قامَتْ رُوَيْدًا تَكادُ تَنْغَرِفُ

= ومعظم المقدمات الغزلية تشير إلى ذلك. فإذا انتهت النُّجعة، تفرقت الجماعة وذهبت كل قبيلة إلى ديارها. ردّ الخليطُ الجمال: جمعوها من المرعى. فانصرفوا: حملوا عليها متاعهم ونساءهم، وغادروا. ماذا كانوا يخسرون لو أنهم وقفوا؟

٢ - ريث: ريثما. يضحّي جماله: يسير بها في الضحى. السلف: المتقدمون على الطرق يكشفونها ويمهّدون لسير الظعُنُ.
يعطي السبب الذي من أجله يطلب التأخير، كما يعطي مسوغًا. أما السبب فهو إتاحة الفرصة له ليسائلهم ساعة. وهم يعني المحبوبة وأهلها. وأما المسوّغ فهو ترك المجال للرواد، ليسيروا في الضحى ويكشفوا الطريق.

٣ - اللعوب: الرشيقة المِغناجة. ولعوب العشاء: تملأ الوقت في العشاء على رجلها، بغنجها ودلالها، أو هي تسهر مع السمّار وتلهو. الآنسة: الطيبة النَّفْس، الطيبة الحديث. وآنسة الدل: المرأة تحبّ قربك وحديثك وتريك فنون دلالها. العروب: الضاحكة، المتحببة إلى الرجل. الخُلُف: عدم الوفاء بالوعد.
يقول صراحة إن من يهمه في الركب كله الفتاة الرشيقة، المغناجة، التي تميل إلى السمر عِشاء، وتحب قربَه فتريه فنون دلالها، الضاحكة تستاء من إخلاف الوعد.

٤ - بين شكول النساء: بين أنواع النساء. خلقتها: جسمها. قَصْدٌ: عدل، معتدل. فلا جبلة: لا ضخمة. ولا قُضُف: ولا نحيلة، قليلة اللحم.

٥ - تغترق الطرف: تجعل طرْف الناظر إلَيها يغرق فيها فلا يتحول عنها. وهي لاهية: إذا كانت في حال لهوها. كأنما شَفّ وجهها: أصاب وجهها. نُزُف حالة نَزْف (فهو متورّد).

٦ - قضى لها الله: حكم لها الله، وهبها. حين صوّرها: حين رسم تقاطيعها. أن لا يُكنَّها: ألا يسترها. السدَّفَ: ظلمة الليل. وألا يسترها سدف: ألا يخفيها الظلام، لأنها، بإشراقة وجهها الأبيض، تبرز وتكشف حجب الظلام.

٧ - تنام عن كُبر شأنها: تنام لأنها لا تعمل، فقيمتها كبيرة لأنها مرفهة عندها من يخدمها ويعمل لها. فإذا قامت رويدًا: حين تقوم وتقف، تقوم متمهلة بطيئة. تكاد تنغرف: تكاد تنقطع؛ لدقة خصرها وشدة تثنّيها دلالًا.

٨ ـ حَوْراءُ جَيداءُ يُسْتَضاءُ بِها ... كَأَنَّها خُوطُ بانَةٍ قَصِفُ

٩ ـ تَمْشِي كَمَشْيِ الزَّهْراءِ في دَمَثِ الـ ... ـرَّمْلِ إلى السَّهْلِ دُونَهُ الجُرُفُ

١٠ ـ ولا يَغَثُّ الحَدِيثُ ما نَطَقَتْ ... وهْوَ بِفِيها ذُو لَذَّةٍ طَرِفُ

١١ ـ تَخْزُنُهُ وهْوَ مُشْتَهًى حَسَنٌ ... وهو إذا ما تَكَلَّمَتْ أُنُفُ

١٢ ـ كأنَّ لَبَّاتِها تَضَمَّنَها ... هَزْلَى جَرادٍ أَجْوازُهُ جُلُفُ

١٣ ـ كَأَنَّها دُرَّةٌ أَحاطَ بِها الـ ... ـغَوَّاصُ يَجْلُو عَنْ وَجْهِها صَدَفُ

١٤ ـ يا رَبِّ لا تُبْعِدَنْ دِيارَ بَنِي ... عُذْرَةَ حَيْثُ انْصَرَفْتُ وانْصَرَفُوا

١٥ ـ واللهِ ذِي المَسْجِدِ الحرامِ وما ... جُلِّلَ مِن يُمْنَةٍ لَها خُنُفُ

---

٨ ـ حوراء: في عينيها حَوَر وهو شدة سواد العين وسط شدة بياض. جيداء: طويلة العنق، حسنته في النعومة والملاسة. يُستضاء بها: تنير ما حولها بسبب بياض وجهها وإشراقه بنور الجمال. كأنها خوط بانة: كأنها جذع بان. قُصُف: كثير التثني.

٩ ـ تمشي كمشي الزهراء: تمشي كمشي البقرة الوحشية. في دمث الرمل: في أرض رملية لينة، الأمر الذي يجبرها على الاتئاد وعدم الإسراع في مشيها. إلى السهل: مشي البقرة الوحشية من الأرض الرملية إلى السهل. دونه الجُرُفُ: أمامه، أو قبله منطقة منخفضة جرفها السيل، واختلاف طبيعة الأرض يتجلى في اختلاف نوع المشي عند البقرة، وهو كناية عن تنويع المرأة حركات جسدها في مشيها.

١٠ ـ لا يغث الحديث: لا يسفّ ولا يسوء. ما نطقت: ما دامت تتكلم. وهُو بفيها: يجدد في الأحاديث، ينتقل من موضوع إلى آخر.

١١ ـ تخزنه: تخزن الحديث، أي تكتمه. وهو مشتهى حسن: وحديثها مرغوب فيه لحسنه. وهو أُنُف: طريف، متجدد.
قد تكتم الحديث وتبقيه في نفسها، بينما هو مطلوب مرغوب حسن، لكنها، إذا ما تكلمت جاء حديثها طريفًا جديدًا (مع أنه مخزون قديم).

١٢ ـ لباتها: موضع القلادة من صدرها. تضمّنها: سكنها ونزل فيها. هزلى جراد: جراد ضعيف. أجوازه: أجساده. جُلُف: مقشورة.
كان الحلي على صدرها فيها جراد ضعيف أجساده مقشورة.

١٣ ـ كأنها درّة: كأنها لؤلؤة. أحاط بها الغوّاص: تناولها الغواص بكلتي يديه. يجلو: يكشف أو ينكشف. عن وجهها صدف: ينكشف الصدف أو يتفتح ليكشف وجهها كما تتفتح صدفة بين يدي الغواص وتكشف عن لؤلؤة.

١٤ ـ أرجوك يا رب لا تجعل ديار بني عذرة تنأى عن ديارنا بعد أن تفرقنا وانصرف كل الحي جهته.

١٥ ـ والله ذي المسجد الحرام: صاحب المسجد الحرام في مكة. وما جُلِّل: ما غُطّي به، وهي=

١٦ - إِنِّــي لأَهْــواكِ غَــيْــرَ كــاذِبَــةٍ قَدْ شُفَّ مِنِّي الأَحْشاءُ والشَّغَفُ

١٧ - بَــلْ لَيْــتَ أَهْــلِي وأَهْــلَ أَثْــلَةَ فــي دارِ قَــرِيــبٍ مِــنْ حَــيْــثُ يُــخْــتَــلَفُ

١٨ - هَــيْــهــاتَ مَــنْ أَهْــلُهُ بِــيَــثْــرِبَ قَــدْ أَمْــسَــى ومَــن دُونَ أَهْــلِهِ سَــرِفُ

١٩ - أَبْــلِغْ بَــنِــي جَــحْــجَــبَــى وقَــوْمَــهُــمُ خَــطْــمَــةَ أَنَّــا وَراءَهُــمْ أُنُــفُ

٢٠ - وأَنَّــنــا دُونَ مــا يَــسُــومُــهُــمُ الأَعْــداءُ مِــنْ ضَــيْــمِ خُــطَّــةٍ نُــكُــفُ

٢١ - إِنَّــا ولَو قَــدَّمُــوا الــذي عَــلِمُــوا أَكْــبــادُنــا مِــن وَرائــهــمْ تَــجِــفُ

٢٢ - نَــفْــلِي بِــحَــدِّ الــصَّــفِــيــحِ هــامَــهُــمُ وفَــلْيُــنــا هــامَــهُــمْ بِــهــا عُــنُــفُ

= إشارة إلى كسوة الكعبة. من يُمنةٍ: برود من نسج اليمن. خُنُف: لها جوانب وحواشٍ.

١٦ - غير كاذبة: عنى بها اليمين أي القسم الذي أقسمه. شُفّ؛ أُضني. الأحشاء: كناية عن داخل الإنسان. الشَّغَفُ: جمع شِغاف: وهو غشاء القلب.
اليمين التي أقسم بها، ويؤكّد أنها صادقة غير كاذبة، تكرّس هواه للمحبوبة هوىً أضنى أحشاءه وأمرض قلبه.

١٧ - أهل أثلة: أهل المحبوبة. من حيث يُختلف: بحيث يمكن تبادل الزيارات.
يطلق هنا أمنية حرّى، بعيدة المنال: ليت أهله وأهل المحبوبة في ديار قريبة بحيث يمكن أن يتردد أهلهما بعض على بعض.

١٨ - من أهلُه بيثرب: من يسكن أهله المدينة. قد أمسى: قد صار. ومن دون أهله: بعيدًا عن أهله، يفصل بينه وبينهم. سَرِفُ: موضع من مكة على عشرة أميال، تقل أو تكثر.
هيهات، ما أبعد تحقيق هذه الأمنية. إن من يسكن أهلُه المدينة قد صار بعيدًا يفصله عنهم سَرِفُ القريب من مكة.

١٩ - بنو جحجبى وقومهم خطمة: هم جماعة الأوس التي تسببت في غضب مالك بن عجلان وبالتالي تشوب الحرب بين الأوس والخزرج، وهم أبناء عمومة في الأصل. أنّا وراءهم أُنُف: أنا ندعمهم ونحن نأبى الضيم.

٢٠ - أننا دون ما يسومهم الأعداء: أننا تجاه ما يحكم عليهم به الأعداء. من ضيم خطةٍ: من مطلب ظالم. نُكُفُ: رافضون، آبون.

٢١ - ولو قدّموا الذي علموا: ولو أعطوا ما هو في علمهم ورأيهم (والذي في علمهم أن دية الجار نصف دية الصريح وعرضوا دفعها على مالك). أكبادُنا: مرادف لقلوبنا في لغة العامة. تجف: تخفق. وتجف من ورائهم: تخفق تضامنًا معهم.
إننا نرفض ما يتهمون به وما يريد الأعداء فرضَه عليهم ظلمًا، وحتى لو قدّموا ما في رأيهم من دية الجار فإن قلوبنا تخفق مشاركة لهم في رفض الظلم.

٢٢ - نفلي هامَهم: نشق رؤوسهم. بحد الصفيح: بحد السيوف العريضة. وفلينا هامهم بها: =

٢٣ ـ لـمَّـا بَـدَتْ غُـدْوَةً وجُـوهُـهُـمُ ... حَـنَّـتْ إلَيْـنـا الأرْحـامُ والـصُّـحُـفُ

٢٤ ـ لَنـا مَـعَ آجـامِـنـا وحَـوْزَتِـنـا ... بَـيْـنَ ذُراهـا مَـخـارِفٌ دُلُفُ

٢٥ ـ يَـذُبُّ عَـنْـهُـنَّ سـامِـرٌ مَـصِـعٌ ... سُـودَ الـغَـواشِـي كَـأنَّـهـا عُـرُفُ

٢٦ ـ كَـقِـيـلِنـا لـلمـقَـدِّمِـيـنَ: قِـفُـوا ... عَـنْ شَـأْوِكُـمْ والـحِـرابُ تَـخْـتـلِفُ

٢٧ ـ يَـتْـبَـعُ آثـارَهـا إذا اخْـتُـلِجَـتْ ... سُـخْـنٌ عَـبِـيـطٌ عُـرُوقُـهُ تَـكِـفُ

= ونحن حين نشق رؤوسهم بالسيوف. عُنُف: جمع عنيف أي شديد، ناقم.
يعود إلى وصف المعركة وفعل قومه بالأعداء. كنا نضرب رؤوسهم بالسيوف العريضة فنفلقها، ونحن حين نفلق رؤوسهم بسيوفنا، كنا عنيفين من نقمة وشدة.

٢٣ ـ لما بدت: حين ظهرت. غدوة: في صباح اليوم التالي. وجوههم: وجوههم في حالها من الذل والقهر. حنّت إلينا: أثارت فينا الحنان. الأرحام: صلة القربى (لأن الخزرج أبناء عم الأوس). والصحف: كناية عن العهود والمواثيق والصلات التي تدوّن في الأوراق.

٢٤ ـ آجامنا: حصوننا أو بيوتنا المربعة المبنية بالحجر. حوزتنا: نواحي ديارنا أما ما يلي ديارنا. بين ذراها: بين ذرى الحصون. مخارف: بساتين يجتنى فيها ثمر النخل. دُلُفُ: مثقلة بحملها.
لسنا مع حصوننا، والنواحي التي تليها، في ذرى تلك الحصون بساتين يجتنى فيها ثمر النخل، مثقلة بحملها.

٢٥ ـ يذبّ عنهن: يدفع عن الثمار. السامر: الساهر مع الرفاق. مَصِع: شديد. سود الغواشي: كناية عن أسراب الغربان. كأنها عُرُف: يقال جاؤوا كأنهم عرْف وعُرُف، أي يتبع بعضهم بعضًا، كالشَّعر في عُرف الفرس.
هذه الثمار تُحمى من الغربان، فيسهر السمار، فإذا جاءت الغربان سربًا منتظمًا يتبع الواحد الآخر كأنهم عُرف، قام السامر وطردها.

٢٦ ـ كقيلنا: كقولنا. للمقدَّمين: للمتقدمين، لطليعة المحاربين. قفوا عن شأوكم: توقفوا عن تحقيق غايتكم. الحراب: رؤوس الرماح. تختلف: تكون في وضع مخالفة: رماح هؤلاء تواجه رماح أولئك.
يشبه طرد السامر الغربان عن ثمار النخل بمحاولتهم (أي العقلاء منهم) ردّ الهاجمين بقولهم لطليعتهم، والرماح تتقابل: توقفوُا عن متابعة غايتكم.

٢٧ ـ يتبع آثارها: ينجم عن تحرك الرماح. إذا اختلجت: إذا اضطربت بأيدي أصحابها، وذلك كناية عن الطعن بها، لأن المقاتلين كانوا يهزون رماحهم قبل الطعن بها. سُخنٌ عبيط: السخن، الطريّ كناية عن الدم. عروقه تكف: العروق، التي يخرج منها، تقطر بغزارة.
يتابع تحذير العقلاء في البيت السابق وطلبهم من طليعة المقاتلين التوقف عندما كانت=

١٣ ـ هم عَلُّوا الرماحَ وأنهلوها
المفضَّل النُّكريّ(١)

أولاً: الإطار

إذا نُعتت هذه القصيدة بأنها «منصفة» كما نُعتت قصائد جاهلية أخرى قليلة، فلأنها تُنصف الأعداء وتذكر ما لهم وما عليهم، كما تذكر قوم الشاعر فيما لهم وما عليهم. وهذا هو جو القصيدة:

وقفة، كالعادة عند افتراق الجيران بعد النُّجعة، فانهمرت الدموع سهلة، لقد ابتعدت سلمى وهو يستخفه الحزن، ويذكر ما أحبه فيها: إنه حديثها ونظرات عينيها.

ثم يبدأ بحسنات بني حُييّ، في صبرهم المعروف على الشدة، في دفعهم للموت بعد أن كاد يحيق بهم؛ وينتقل بعدها إلى تفاصيل المعركة، وإلى فعل قومه في رشق بالسهام عدد الجراد، يقع المحارب على يديه فيكون سهم قد داخله، ويذكر أبطال الأعداء واحدًا بعد آخر، ويفصّل في حركاتهم من ضرب وطعن، وما نتج عن ذلك من جماجم وأعضاء مقطّعة، فشبعت السباع من جثث الفريقين؛ بكت نساؤهم كما بكت نساء الأعداء، وتجاوب النواح من هنا وهناك، ويمر مرًّا سريعًا على القتلى والقتلى المقابلين لهم لينتهي بخير نهاية: الحرب لا تنهي صراعًا، والصلح أبقى.

ثانيًا: القصيدة

وقال المفضَّلُ النُّكرِيُّ: [من الوافر]

[من عبد القيس. وقال غير الأصمعيّ: لعارم بن أَسحم بن عديّ بن شيبان بن سُويد بن عُذرة بن مُنَبِّه بن نُكرة بن لُكَيز بن أَفصَى بن عبد القيس. وتُسمَّى المُنصِفَةَ].

١ ـ أَلَم تَـرَ أَنَّ جِـيـرَتَـنـا اسْـتَـقَـلُّوا   فَـنِـيَّـتُـنـا ونِـيَّـتُـهُـمْ فَـرِيـقُ

= الرماح تواجه الرماح، قائلين: إنها إذا هُزّت وتحركت نجم عنها سائل سخن طري يتصبب من العروق: أنه الدم.

(١) هو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيبان... من بني نكرة بن لكيز بن أفصى. شاعر جاهلي من الفحول. جعله ابن سلّام في طبقة الممزّق العبدي والمثقَّف العبدي.

١ ـ ألم تر أن جيرتنا استقلّوا: ألا ترى (والخطاب للذات كأنها لا تُصدّق) أن جيراننا في النزعة=

٢ ـ فَـدَمْـعِـي لُؤلُؤٌ سَـلِسٌ عُـراهُ	يَـخِـرُّ عـلى الـمَـهـاوِي مـا يَـلِـيقُ
٣ ـ عَدَتْ ما رُمْتَ إذْ شَحطَتْ سُلَيْمَى	وأَنْـتَ لِذِكْـرِهـا طَـرِبٌ مَـشُـوقُ
٤ ـ فَـوَدِّعْـهـا وإنْ كـانَـتْ أَنـاةً	مُـبَـتَّـلَةً لَهـا خَـلْقٌ أَنِـيـقُ
٥ ـ تُـلَهِّـي الـمَـرْءَ بِـالـحِـدْثـانِ لَهْـوًا	وَتَـحْـدِجُـهُ كَـمـا حُـدِجَ الـمُـطِـيقُ
٦ ـ فـإنَّـكَ لَو رَأَيْـتَ غَـداةَ جِـئْنـا	بِـبَـطْـنِ أُثـالَ ضـاحِـيَـةً نَـسُـوقُ
٧ ـ فِـداءٌ خـالَتِـي لِبَـنـي حُـيَـيٍّ	خُـصُـوصًـا يَـوْمَ كُـسُّ الـقَـوْمِ رُوقُ

= ركبوا المطايا وابتعدوا. نيّتنا: وجهتنا وغايتنا. فريق: متفرقة، كل في اتجاه: غايتنا وغايتهم تفترقان كل منها في اتجاه.

٢ ـ دمعي لؤلؤ: دمعي كحب اللؤلؤ في العقد. سلس عراه: عرى العقد الذي ينتظم اللؤلؤ سهلة الانحلال. يخرّ على المهاوي: يسقط إلى الأسفل. ما يليق: ما يثبت، لا يمسكه شيء.
راح دمعي يتساقط متلاحقًا لا يتوقف، كأن حباته حبات لؤلؤ منظوم في عقد تنحل عراه بسهولة، فتتسارع حباته متهاوية لا يمسكها شيء.

٣ ـ عدت: تجاوزت. ما رُمتَ: ما أردتَ وأمِلتَ. إذ شحطت سليمى: إذ ارتحلت وابتعدت. الطّرب: حزين (من الطرب وهو الفرح والحزن). مُشوق: يعتريك الشوقَ.
يخاطب نفسه: أنت لم تكن تتوقع أن تفترق عن سليمى، لذا فإنها، عندما ارتحلت وابتعدت، تجاوزت كل توقعاتك، لهذا أنت تذكرها فيستخفك الشوق ويعتريك الحزن.

٤ ـ أناة: امرأة هادئة، مواتية، المبتّلة: المكتملة الخلقة، تتساوى جميع تقاطيعها في الحسن، فلا يقصّر شيء عن شيء. الخَلق الأنيق: الصورة الجسدية المُعجِبة.
يتابع خطاب نفسه: مع أنك لن تجد لها مثيلًا، ودّعها وإن كانت امرأة هادئة، متمهّلة الحركة فاترة عند القيام، مكتملة الخلقة تتساوى جميع تقاطيعها في الجمال فلا يقصّر شيء عن شيء، تعجب صورتُها الناظر إليها.

٥ ـ الحدثان: الحديث الحلو. تحدجه: ترميه بنظراتها وتركّز عليه الطّرف. كما حُدج المُطيقُ: جاء في اللسان مادة [حدج]: أي تغلبه بدلّها وحديثها حتى يكون «من غلبَتها له، كالمحدوج، المركوب، الذليل من الجِمال.

٦ ـ بطن أُثال: موضع. ضاحيةً: علانية وجهرًا، في وضح النهار.
يا ليتك رأيتنا في ذلك الصباح: حين جئنا جهارًا إلى بطن أُثال.

٧ ـ فداء خالتي: دعاء تكريمي. بنو حُيَيّ: قوم المفضّل. كُسُّ القوم: القوم القصار الأسنان، يقال: رجل أكسّ وامرأة كسّاء. روق: جمع أروق، وهو الطويل الأسنان. ويوم كُسّ القوم روق: هو اليوم الذي تتحوّل فيه الأسنان القصيرة أسنانًا طويلة، وذلك أن الموت العنيف قد يتم مع تقلص في الشفتين وتكشيرة فتظهر الأسنان كاملة من أصولها، فتبدو أطول من=

٨ ـ هُـمُ صَـبَـرُوا وصَـبْـرُهُـمُ تَـلِـيـدٌ ... عـلى الـعَـزّاءِ إذْ بُـلِغَ الـمَـضِـيـقُ

٩ ـ وهُـمْ دَفَـعُـوا الـمَـنِـيَّـةَ فـاسْـتَـقَـلَّت ... دِراكًـا بَـعْـدَمـا كـادَتْ تَـحِـيـقُ

١٠ ـ [وهُـمْ عَـلُّوا الـرِّمـاحَ وأنْـهَـلُوهـا ... إذا خـامَ الـمُـهَـلِّلَةُ الـبَـرُوقُ]

١١ ـ تَـلاقَـيْـنـا بِـغَـيْـبَـةِ ذِي طُـرَيـفٍ ... وبَـعْـضُـهُـمُ عـلى بَـعْـضٍ حَـنِـيـقُ

١٢ ـ فَـجـاؤُوا عـارِضًـا بَـرِدًا وجِـئْـنـا ... كَسَيْلِ العِرْضِ ضاقَ بِهِ الطَّرِيقُ

١٣ ـ مَـشَـيْـنـا شَـطْـرَهُـمْ ومَـشَـوْا إلَـيْـنـا ... وقُـلْـنـا الـيَـومَ مـا تُـقْـضَـى الـحُـقُـوقُ

= المعتاد. وهو كناية عن يوم معركة عنيفة.

٨ ـ هم: عنى بني حُيَيّ. صبروا: صبروا في ذلك اليوم الهائل. صبرهم تليد: قديم موروث؛ أي هم متمرسون بالصبر على المعارك يتوارثون ذلك أبًا عن جد. على العَزّاء: على الشدة. المضيق: ما ضاق من الأماكن والأمور.
عندما ضاق مجال الفرج وبلغت الشدة ذروتها صبروا وهم متمرسون بالصبر يتوارثونه، فالصبر في طباعهم قديم.

٩ ـ دفعوا المنية: ردّوا شبح الموت. فاستقلت: فابتعدت. دراكًا: دفعة بعد دفعة. بعدما كادت تحيق: بعدما كادت تحيط بهم وتكنسهم (من الحُوق: الإطار. وحاق: كَنَس).
عندما كان الضيق يلفّهم كان الموت يحيط بهم ويهددهم بكنسهم جميعًا، لكنهم عندما صبروا تمكنوا من رد شبح الموت ودفعه بعيدًا.

١٠ ـ علّوا الرماح: سقوها شربة أولى. أنهلوها: سقوها مرة ثانية. إذا خام: إذا فتر وتقاعس. المهلّل: الذي يحمل على خصمه ثم يجبُن فينثني ويرجع. البروق: الجبان. ويكون فعله هذا في حال الشدة التي ترمي الهلع في القلوب. وهذا يُعلي قيمة من علّ السيف وسقاه من دماء الأعداء.

١١ ـ تلاقينا: كان قتالنا. غيبة: هبطة من الأرض. وغيبة ذي طُريف: هبطة من الأرض في هذا الموضع. وبعضهم: يقصد بعضنا. حنيق: حانق، حاقد.
كان لقاؤنا للقتال في هبطة بني طُريف، وكانت النفوس معبأة بالحقد من كلا الطرفين، فبعضنا على بعض حانق عليه، مغتاظ منه.

١٢ ـ جاؤوا عارضًا: جاؤوا كالسحابة البيضاء تراها في ناحية من السماء. بردًا: تُمطر بَرَدًا (والبَرَد لا يَفيض ولا يغرق). وجئنا كسيل: جئنا في جيش جرار كالسيل يجرف ما في طريقه؛ وسيل العِرض: سيل الوادي. ضاق به الطريق: ملأ الطريق وفاض عنها، أي ضاق عن استيعابه الوادي.

١٣ ـ مشينا شطرهم: مشينا إليهم. تُقضى الحقوق: تؤخذ الثارات.
مشينا إليهم ومشوا إلينا وقلنا (كما قالوا) اليوم يوم الثارات.

١٤ ـ رَمَيْنـا فـي وُجُـوهـهِـمُ بِـرِشْـقٍ تَـغَـصُّ بِـهِ الـحَـنـاجِـرُ والـحُـلُـوقُ
١٥ ـ كـأَنَّ الـنَّـبْـلَ بَـيْـنَـهـمُ جَـرادٌ تَـكَـفِّـيـهِ شـآمِـيَـةٌ خَـرِيـقُ
١٦ ـ وبَـسْـلٌ أَنْ تَـرَى فِـيـهِـمْ كَـمِـيًّـا كَـبـا لِـيَـدَيْـهِ إلّا فِـيـهِ فُـوقُ
١٧ ـ يُـهَـزْهِـزُ صَـعْـدَةً جَـرْداءَ فِـيـهـا سِـنـانُ الـمَـوْتِ أَوْ قَـرْنٌ مَـحِـيـقُ
١٨ ـ وَجَـدْنـا الـسِّـدْرَ خَـوّارًا ضَـعِـيـفًـا وكـانَ الـنَّـبْـعُ مَـنْـبِـتُـهُ وَثِـيـقُ
١٩ ـ لَقِـيـنـا الـجَـهْـمَ ثَـعْـلَبَـةَ بـنَ سَـيْـرٍ أَضَـرَّ بِـمَـنْ يُـجَـمِّـعُ أَوْ يَـسُـوقُ
٢٠ ـ لَدَى الأَعْـلامِ مِـنْ تَـلَعـاتِ طِـفْـلٍ ومِـنْـهُـمْ مَـنْ أَضَـجَّ بِـهِ الـفُـرُوقُ

---

١٤ ـ رمى: أطلق سهامه. رِشق: رشقة من السهام. تَغَصّ: تُسَدّ.
وجّهنا إليهم رشقة من سهامنا وقعت في حناجرهم وحلوقهم فغصّت بها.
١٥ ـ الجراد: رمز للكثرة والكثافة، فرفّ الجراد إذا كان طائرًا يغطي السماء، وإذا حطّ يغطّي الأرض. به شبه غزارة النبال. تكفّيهِ: تكفئه: تقلبه. شآمية: ريح شمال. خريق: شديدة.
كأن النبل الذي يتراشق به الفريقان، في غزارته وكثافته، رفّ جراد صادفته ريح شمالية شديدة الهبوب راحت تقلّبه.
١٦ ـ بَسْلٌ: حرامٌ أو مستحيل. أن ترى فيهم كميًّا: أن ترى فيهم فارسًا شجاعًا. كبا: سقط على وجهه ويديه. إلا فيه فُوق: إلا كان مصابًا بسهم.
١٧ ـ يهزهز: يحرك. صعدة: رمحًا مستوي القناة. فيها سنان الموت: في رأسها الحديدة التي تُصيب فتقتل. أو قرن: أو ثُبّت مكانها قرن (وتلك كانت عادة العرب أن يركّبوا قرونًا في رؤوس الرماح إذا لم يتسن لهم تركيب السنان). مُحيقٌ: محدَّد، مدعوك، ليكون أكثر نفاذًا.
١٨ ـ السّدر: شجر النبق. خوارًا: خاويًا لا يصمد. النبع: شجر عظيم متين العود، تتخذ منه القسيّ. منبته وثيق: أصله موضع ثقة يُعتَمدُ عليه.
لم نختر سلاحنا من شجر الأراك فهو شجر خاوٍ، ضعيف، لا يصمد، واتخذناه من شجر النبع، فهو موضع ثقة يعتمد عليه.
١٩ ـ الجهم: المتجهم، العابس. ثعلبة بن سير: أحد قواد الأعداء. أضرّ: أصاب بالضُّرّ والأذى. بمن يجمع أو يسوق: بالذين يجمعهم ويقودهم لحربنا.
٢٠ ـ لدى الأعلام: عند الجبال. تلعات طفل: اسم موضع. أضجّ به: جعله يضجّ ويصيح من الخوف. الفُروق: موضع ماء في ديار بني سعد.
يتابع وصف أوضاع الذين جمعهم وساقهم ثعلبة: ففضلًا عن الذين أخبرهم لدى جبال تلعات طفل، هناك الذين أصابهم الذعر عند الفُروق فجعلهم يضجّون ويصيحون.

٢١ ـ فَحوَّطَ عَنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وأَفْناءُ العُمُورِ بِها شَفِيقُ
٢٢ ـ فَأَلْقَيْنا الرِّماحَ وكانَ ضَرْبًا مَقِيلَ الهامِ كُلٌّ ما يَذُوقُ
٢٣ ـ وجاوَزْنا المَنُونَ بِغَيْرِ نِكْسٍ وخاظِيْ الجَلْزِ ثَعْلَبُهُ دَمِيقُ
٢٤ ـ كأَنَّ هَزِيزَنا يَومَ الْتَقَيْنا هَزِيزُ أَباءَةٍ فِيها حَرِيقُ
٢٥ ـ بِكُلِّ قَرارَةٍ وبِكُلِّ رِيعٍ بَنانُ فَتًى وجُمْجُمَةٌ فَلِيقُ
٢٦ ـ وكَم مِنْ سَيِّدٍ مِنَّا ومِنْهُمْ بِذِي الطَّرْفاءِ مَنْطِقُهُ شَهِيقُ
٢٧ ـ بِكُلِّ مَجالَةٍ غادَرْتُ خِرْقًا مِنَ الفِتْيانِ مَبْسِمُهُ رَقِيقُ

---

٢١ ـ حوّط عن بني عمرو بن عوف: تنحّى عن مكانهم كأنه يتحاشاهم، واتجه صوب أفناء العمور. والأفناء: الأخلاط لا يُدرى واحدهم من أين. والعمور: بطن من بني عبد القيس (قوم الشاعر). ويبدو أنه وقع هناك على عدو مهم له اسمه شفيق، فكان بين نارين.

٢٢ ـ فألقينا الرماح: قذفناهم برماحنا. وكان ضربًا: وبعد الرماح كان ضرب بالسيوف، وذلك دليل التلاحم. مقيلَ الهام: موضع الرؤوس (جعلوه هدف سيوفهم) كلٌّ ما يذوق: كل منا يذوق ما قُدِّر له. (وهو هنا يساوي بين قومه وبين الأعداء، مما جعل القصيدة «منصفة»).

٢٣ ـ جاوزنا المنون: تعدينا الموت. النكس: السهم الفاسد وكذلك الرمح، إذ تخرج القناة من السنان، (وهذا إذا حصل في لحظة حرجة معناه الموت). خاظي: رمح غليظ. الجَلز: السنان حيث تدخل القناة. الثعلب: الجزء من القناة الذي يدخل في جَلز السنان. دميق: داخل بإحكام.
تعدينا الموت بلا أخطاء وعثرات، بقوة تصميمنا وثباتنا. وقد كنى عن الأخطاء والعثرات بالسهم المنكس، وعن القوة والتصميم بالرمح الغليظ الداخل في السنان بإحكام لا ينفصل عنه مطلقًا.

٢٤ ـ هزيزنا: (يقصد هزيز قومه وهزيز أعدائهم معًا) الأصوات التي تصدر عنّا (هي أصلًا صوت دوران الرحى أو هبوب الريح). يوم التقينا: يوم المعركة. هزيز أباءة: هزيز أجمة من قصب. فيها حريق: شبّ فيها حريق.

٢٥ ـ بكل قرارة: بكل أرض منخفضة مطمئنة. وبكل رِيع: بكل مكان مرتفع. بنان فتى: إصبع رَجُل مقطوعة. جمجمة فليق: رأس رجل مفلوقة.

٢٦ ـ كم من سيّد: كم من قائد فارس. منّا ومنهم: يساوي الشاعر بين الفريقين في المعاناة. بذي الطرفاء: اسم موضع. منطقه شهيق: كلامه شهيق؛ وتلك كناية عن حجم الإجهاد الذي أصاب الجميع حتى غدا الشهيق هو كل ما يخرج من فمه.

٢٧ ـ بكل مجالة: بكل مكان كانت فيه جولة للمتحاربين. غادرت: تركت (وخسرت). خِرقًا من=

٢٨ ـ فـأَشْـبَـعْـنـا الـسِّـبـاعَ وأَشْـبَـعُـوهـا	فَـراحَـتْ كُـلُّـهـا تَـئِقٌ يَـفُـوقُ
٢٩ ـ تَـرَكْـنـا الـعُـرْجَ عـاكِـفَـةً عَـلَـيْـهِـمْ	ولِـلـغِـرْبـانِ مِـنْ شِـبَـعٍ نَـغِـيـقُ
٣٠ ـ فـأَبْـكَـيْـنـا نِـسـاءَهُـمُ وأَبْـكَـوْا	نِـسـاءً مـا يَـسُـوغُ لَهُـنَّ رِيـقُ
٣١ ـ يُـجـاوِبْـنَ الـنِّـيـاحَ بِـكُـلِّ فَـجْـرٍ	فَقَدْ صَحِلَتْ مِنَ النَّوْحِ الحُلُوقُ
٣٢ ـ قَـتَـلْـنـا الـحـارِثَ الـوَضَّـاحَ مِـنْـهُـمْ	فَـخَـرَّ كَـأَنَّ لِمَّـتَـهُ الـعُـذُوقُ
٣٣ ـ أَصـابَـتْـهُ رِمـاحُ بَـنِـي حُـيَـيٍّ	فَـخَـرَّ كـأَنَّـهُ سَـيْـفٌ دَلُوقُ
٣٤ ـ وقَـدْ قَـتَـلُوا بِـهِ مِـنَّـا غُـلامًـا	كَـرِيـمًـا لَمْ تَـأَشَّـبْـهُ الـعُـرُوقُ

= الفتيان: فتًى سميحًا في ظرف ونجدة. مبسمه: ثغره. رقيق: لطيف: ومبسمه رقيق كناية عن صغر سنه.

٢٨ ـ أشبعنا السباع: أطعمناها حتى شبعت من أجساد الأعداء. وأشبعوها: أطعموها حتى شبعت من أجساد قومنا. فراحت كلها: فانصرفت السباع، كلٌّ منها. تئق: ممتلىء. يفوق: يكاد يموت من التخمة.

٢٩ ـ تركنا العُرجَ عاكفة عليهم: تركنا الضباع (وهي موصوفة بالعَرَج)، منصرفة إليهم. نغيق: صوت الغربان (لعله الدال على الانشراح) وللغربان من شبع نغيق: وللغربان غناء تعبيرًا عن الشبع.

٣٠ ـ أبكينا نساءهم: جعلنا نساءهم أرامل يبكين رجالهن القتلى. وأبكوا نساء: جعلوا نساء تبكي هي نساؤنا على رجالهن. ما يسوغ لهن ريق: لا يتوقفن ليبلعن ريقهن لأنهن في نحيب مستمر (على رجال لا يمكن تعويضهم).

٣١ ـ النياح: النساء النائحات. يجاوبن النياح: النساء النائحات يجاوبن النائحات الأخريات. بكل فجر: كل صباح، يعني كل يوم منذ الصباح. فقد صحلت: إلى أن بُحّت. من النوح الحلوق: بُحت حلوقهن من النوح.

٣٢ ـ قتلنا الحارث الوضّاح منهم: قتلناه وهو من أبطالهم المشهورين. فخرّ: فسقط. كان لمّته: كأن شعر رأسه. العذوق: قِنو النخل؛ يقصد أن الحارث انكب على وجهه وأحاط شعره برأسه مبعثرًا فأشبه قنو النخلة بعروقه.

٣٣ ـ السيف الدلوق: السيف الذي يخرج بسهولة وسرعة من غمده، وهو السيف الجيد. أصابته: أصابت الحارث الوضاح. رماح بني حُييّ: رماح جماعة الشاعر. فخر: فسقط على الأرض. كأنه سيف دلوق: بسرعة وسهولة خروج السيف الجيد من غِمده.

٣٤ ـ قتلوا به منا: قتلوا مقابلًا له من عندنا. غلامًا: شابًا، فتًى. كريمًا: أصيل النسب خالصه. لم تأشّبه: لم تخالط نسبه. العروق: الأنساب الأخرى، غير الأصيلة.

٣٥ ـ وسـائِلَةٍ بِـثَـعْـلَـبَـةَ بـنِ سَـيْـرٍ وقَـدْ أَوْدَتْ بِـثَـعْـلَـبَـةَ الـعَـلُوقُ
٣٦ ـ وأَفْـلَـتَـنـا ابـنُ قُـرّانٍ جَـرِيـضًـا تَـمُـرُّ بـهِ مُـسـاعِـفَـةٌ حَـرُوقُ
٣٧ ـ تَـشُـقُّ الأَرْضَ شـائِلَةَ الـذُّنـابَـى وهَـادِيـهـا كَـأَنْ جِـذْعٌ سَـحُـوقُ
٣٨ ـ فَـلَمَّـا اسْـتَـيقَـنُـوا بِـالـصَّـبْـرِ مِـنَّا تُـذُكِّـرَتِ الـعَـشـائِرُ والـحَـزِيـقُ
٣٩ ـ فَـأَبْـقَـيْـنـا ولَوْ شِـئْنَـا تَـرَكْـنـا لُجَـيْـمًـا لا تَـقُـودُ ولا تَـسُـوقُ
٤٠ ـ وأَنْـعَـمْـنَـا وأَبْـأَسْـنـا عَـلَـيـهِـمْ لَنـا فـي كُـلِّ أَبْـيـاتٍ طَـلِـيـقُ

---

٣٥ ـ وسائلةٍ: ورب سائلة. بثعلبة بن سير: عن ثعلبة بن سيار. وقد أودت بثعلبة: في حين أن ثعلبة أتت عليه. القلوق: المنية والموت.

٣٦ ـ أفلتنا: أفلت منا وهرب. ابن قُرّان جريضًا: ابن قُرّان وهو يجرض بريقه أي يبلع ريقه بصعوبة (من الغم والخوف). تمرّ به: تركض به وتجتاز. مساعفة: فرس مساعدة مطاوعة. حروق: تحرق العدو بنشاطها.

هرب منا ونجا ابن قران وهو يجرض بريقه من الغم والخوف؛ راكبًا فرسًا مساعدة مطاوعة تمر به مسرعة محرقة العدْو.

٣٧ ـ تشق الأرض: كأنها تفتح طريقها في الأرض لشدة نشاطها. شائلة الذُّنابى: رافعة ذنبها. وذلك يرافق شدة العدو عادة. وهاديها: وعنقها. كأنْ: كأنه. جذعٌ سحوق: جذع نخلة طويلة.

يتابع وصف الفرس التي فرّ عليها ابن قُرّان: كأنها في شدة عدوها، وهي رافعة ذنبها، مادة عنقها طويلًا كجذع نخلة، تشق الأرض شقًّا بقوة ضرب حوافرها.

٣٨ ـ فلما استيقنوا بالصبر منا: فلما تأكدوا من أننا صابرون حتى النهاية. تُذُكِّرت: أثيرت ذكرى. العشائر: الروابط التي تجمع أبناء العشيرة. الحزيق: الجماعات، والمقصود العصبية التي تشدّ الناس في جماعات.

٣٩ ـ فأبقينا: خلّينا لهم ما يركبون عليه وما يسوقونه. ولو شئنا لم نبق لهم على شيء وتركناهم (وهم بنو لجيم) بلا فرس يقودونه ولا ناقة يسوقونها.

٤٠ ـ وأنعمنا: هيأنا لهم النعمة. أبأسنا: يقصد: وقد أبأسنا أي بعد أن أصابهم منا البؤس. (والنعمة التي وهبناهم إياها هي إطلاقنا الأسرى منهم). لنا في كل أبيات طليق: في كل بيت من بيوتهم صار لنا طليق كان أسيرًا عندنا وأفرجنا عنه.

١٤ ـ نُطاعِنُ عَنْ أحسابنا برماحنا
العباس بن مرداس(١)

أولاً: الإطار

جمع العبّاس بن مرداس بن أبي عامر جمعًا من بني سُليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبّح بني زيد بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة. فقتل فيها عددًا كبيرًا، وغنم حتى ملأ يديه. فقال في ذلك.

هذه القصيدة من المنصفات. ففيها أيضًا ينصف العباس أعداءه متحدثًا عن صبرهم وقوتهم وشجاعتهم، لكنه في النهاية يفخر بفعاله وتفوّق قومه.

ثانيًا: القصيدة

وقالَ العبَّاسُ بْنُ مِرْداسٍ. [من المُنْصِفاتِ]: [من الطويل]

١ ـ لأَسْماءَ رَسْمٌ أَصبَحَ اليَومَ دارِسًا ... وأَقْفَرَ مِنْها رَحْرَحانَ فَراكِسا

٢ ـ فَجَنْبَيْ عَسِيبٍ لا أَرَى غيرَ ماثِلٍ ... خَلاءً مِنَ الآثارِ إِلَّا الرَّوامِسا

٣ ـ لَيالِيَ سَلْمَى لا أرَى مِثْلَ دَلِّها ... دَلالًا وأُنْسًا يُهْبِطُ العُصْمَ آنِسا

---

(١) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس. . . ويتصل نسبه بقيس عيلان بن مضر بن نزار. يُكنى أبا الهيثم. وهو ابن الخنساء الشاعرة. وكان العباس فارسًا شاعرًا، شديد العارضة والبيان، سيدًا في قومه من كلا طرفيه. وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ووفد إلى النبي ﷺ فبايعه وأسلم.

١ ـ أسماء: محبوبة الشاعر أيرسم ما كان من آثار الإقامة في الدار لاصقًا بالأرض. أصبح اليوم دارسًا: أصبح اليوم ممحوًّا. أقفر منها: خلا من وجودها أي وجود المحبوبة. رحرحان وراكس: موضعان من منازل المحبوبة.

٢ ـ فجنبي عسيب: جانبان في مكان اسمه عسيب، هو مكان ثالث من أماكن نزول المحبوبة وخلّانها. لا أرى غيرَ مائل: لا أرى غيرَ لاطىء بالأرض. خلاء من الآثار: لا آثار فيه. إلا الروامسا: إلا الدواب التي تخرج بالليل فهي تدفن الآثار كما يُرمس الميت.
كل الأماكن التي خلت من المحبوبة امحت آثارها، فلا أرى سوى الدواب التي تخرج بالليل قائمًا منتصبًا غير لاطىء بالأرض وغير خال من الآثار.

٣ ـ دلالًا: دَلاً، غنجًا. أُنسًا: حديثًا يَسُرّ ورقة. يُهبط: ينزل من أعاليه. العصم: جمع أعصم وهو الوعل المعتصم بالجبال. آنسا: وهو أنيس، مدجّن. =

٤ ـ وأَحسَنَ عَهْدًا للمُلِمِّ بِبَيتِها ولا مَجْلِسًا فيه لِمنْ كانَ جالِسا
٥ ـ تضَوَّعَ مِنْها المِسكُ حتَّى كأنَّما تُرَجِّلُ بالرَّيحانِ رَطْبًا ويابِسا
٦ ـ فَدَعْها ولكنْ هَلْ أَتاها مَقادُنا لأَعدائِنا نُزْجِي الثِّقالَ الكَوادِسا
٧ ـ بِجَمْعٍ يُريدُ ابْنَيْ صُحَارٍ كِلَيهِما وآلَ زُبَيْدٍ مُخْطِئًا ومُلامِسا
٨ ـ على قُلُصٍ نَعْلُو بِها كُلَّ سَبْسَبٍ تَخالُ بهِ الحِرْباءَ أَشْمَطَ جالِسا

= ينطلق في تذكر لياليه مع سلمى حين كان لا يرى دلالًا وغنجًا كدلالها وغنجها، وأُنسًا كأُنسها ينزل الوعل المتفرّد في الجبال وقد جعله أنيسًا.

٤ ـ وأحسن عهدًا: ولا أرى أحسن عهدًا. والعهد هنا: أيام العلاقة. الملم ببيتها: المتصل بها في بيتها. ولا مجلسًا فيه: أي ولا أرى أحسن مجلسًا فيه. لمن كان جالسًا: لمن حظي بالجلوس في ذلك البيت.

٥ ـ تضوّع منها المسك: فاحت منها رائحة المسك. حتى كأنما: حتى يُظَنّ أنها. تُرَجِّل: يُسرِّح شعرُها ويُضَمَّخ. بالريحان: النبات العطري. رطبًا: أخضر نديًا. يابسًا: مجففًا.
كان المسك يتضوّع منها كأنها كانت تمشط شعرها وتضمخه بأنواع العطور، الطري منها واليابس.

٦ ـ فدعها: انس أمرها. ولكن قبل ذلك اسأل: هل أتاها مَقادُنا لأعدائنا: مقادنا الخيل أي قيادتنا لها، وقيادة الخيل دون امتطائها يكون عادة في الغزوة البعيدة فيتركونها مرتاحة لتستخدم فورًا عند الوصول. أما الركوب فيكون على الإبل، نُزجي: نحث على الإسراع. الثِّقال: البعير البطيء الثقيل، يُستخدم عادة للأثقال والهوادج. الكوادس من الإبل: العاطسة (التي تعطس).

٧ ـ بجمع: بقبائل مجتمعة. يريد: يقصد. ابني صُحارٍ كليهما: الانتقام من ابني صحار. وآل زبيد: وقبيلة زبيد. مخطئًا: بمعنى مخطئًا لهم. إذا لم يدركهم. ملامسا: ملامسًا لهم، إذا وصل إليهم وأدركهم.
قدنا الخيل وركبنا الجمال بمجموعة من القبائل قاصدين ابني صحار وآل زبيد، سواء أدركناهم ولامسناهم فغضبنا وطرنا منهم، أو أخطأناهم ولم ندركهم (في احتمال أن يهربوا وينجوا).

٨ ـ القُلُص: الإبل الفتية الطويلة القوائم. نعلو بها: نجتاز بها، نسير بها فوق. كل سبسب: كل أرض قفر، بعيدة، لا ماء بها ولا أنيس. تخال: تظن. الحرباء: عظاية معروفة بتلونها بحسب لون البيئة المحيطة بها. الأشمط: الأشيب قد خالط سواد شعره بياض، وهو اللون العادي للحرباء. جالسًا: مقيمًا، وتصور الحرباء شخصًا أشيب يعود إلى التهيؤات التي يحدثها خداع النظر في الصحراء، خصوصًا عند اشتداد حر الهاجرة أو عند التماع السراب.
كان ركوبهم الإبل الفتية الطويلة القوائم (فيما الأحمال كانت على النوق البطيئة، والخيل كانت تقاد ولا تُركب). بهذه النوق كانوا يسيرون فوق المفازات البعيدة. =

٩ ـ سَمَوْنا لَهم تِسْعًا وعشرين لَيلةً نَجُوبُ من الأعراضِ قَفْرًا بَسابِسا
١٠ ـ فَبِتْنا قُعودًا في الحَدِيدِ وأَصْبَحُوا على الرُّكَباتِ يَحْرُدون الأَنافِسا
١١ ـ فَلم أَرَ مثلَ الحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا ولا مِثْلَنا لمَّا التَقَيْنا فَوارِسا
١٢ ـ أَكرَّ وأَحْمَى لِلحَقِيقةِ مِنْهُمُ وأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيوفِ القَوانِسا
١٣ ـ وأَحْصَنَنا مِنْهم فَما يَبْلُغُونَنا فَوارِسُ مِنَّا يَحْبِسُونَ المَحابِسا

= المقفرة، لا ماء بها ولا أنيس، وإنما سراب وتهيؤات تجعل الحرباء تبدو شخصًا أشيب مقيمًا هناك ثابتًا.

٩ ـ سَمَونا لهم: سرنا إليهم، نهضنا إليهم. تسعًا وعشرين ليلة: تسعًا وعشرين يومًا بلياليها. نجوب: نجتاز. من الأعراض: من الجبال والأودية. قفرًا: خالية من الحياة. وبسابس: سباسب، أرض مقفرة بعيدة.
سرنا إليهم تسعًا وعشرين يومًا وليلة، نجتاز الأراضي المستوية وما يعترضها من وديان أو جبال مقفرة، خالية من الحياة والماء.

١٠ ـ فبتنا: عندما وصلنا قضينا الليل. قعودًا في الحديد: لا بسيف الدروع مستيقظين. وأصبحوا: جاء عليهم الصباح. على الرُّكبات: راكعين. يحردون: يقطّعون. الأنافس: لحم النوق النفيسة، وذلك يكون للقِرى.
عندما وصلنا بقينا في دروعنا وسلاحنا، فيما كانوا، حتى الصباح، راكعين، عاكفين على النوق النفيسة، ذبحًا وقطعًا للحم والسنام.

١١ ـ لم أر مثل الحيّ: لم أر مثل حيّ هؤلاء الأعداء. حيًّا مصبَّحًا: حيًّا تفجأه غارة صباحية، (وفي الكلام نغمة إعجاب). ولا مثلَنا: لم أر مثلَنا. لما التقينا: عندما نشبت المعركة. فوارسًا: فرسانًا أبطالًا.

١٢ ـ أكرَّ: لم أر أكرَّ أي أشد كرًا، والكر هو الهجوم. أحمى للحقيقة: أكثر حماية للحقيقة. والمقصود بالحقيقة الحق أي حقهم في الحياة وفي ما يملكون. وأضرب منا: ولم أر أشدّ ضربًا منا. بالسيوف القوانسا: ضرب القوانس بالسيوف. والقوانس هي البيض من الحديد فوق الخُوَذ.
يتابع هنا وصفه المتوازن لقوة الخصمين: أنا لم أر أشد إقدامًا وقوة في الهجوم وحماية الحقوق والدفاع عنها منهم، ولم أر أشد ضربًا للرؤوس وعليها الخُوَذ والبيض منا بسيوفنا.

١٣ ـ أَحْصَنَنَا منهم: منع عنا ودفع عنا أذاهم فوارسُ منا. المحابس: جمع مُحبسة، وهي الناقة تمنع من الرعي في البراري وتحبَس في الحظائر قرب المنازل. لتكون في متناول أصحابها عند الذبح للأضياف، وتلك غاية في الكرم.
إن من حمانا منهم ومنعهم من أن يصلوا إلينا، فوارس منا شجعان أقوياء، وهم عنوان=

١٤ ـ إذا مـا شَـدَدْنـا شَـدَّةً نَـصَـبُـوا لَهـا صُدُورَ المَذاكِي والرِّماحَ المَداعِسا
١٥ ـ إذا الخَيلُ جالتْ عَن صَرِيعٍ نُكِرُّها عَلَيهِمْ فَما يَرْجِعْنَ إلّا عَوابِسا
١٦ ـ نُطاعِنُ عَن أحسابِنا بِرماحِنا ونَضربُهُمْ ضَرْبَ المُذِيدِ الخوَامِسا
١٧ ـ وكُنتُ أمامَ القَومِ أوَّلَ ضارِبٍ وطاعَنْتُ إذْ كانَ الطِّعانُ تَخالُسا
١٨ ـ فَكان شُهودي مَعْبَدٌ ومُخارِقٌ وبِشْرٌ وما اسْتَشْهَدْتُ إلّا الأكايِسا
١٩ ـ مَعِي ابْنَا صُرَيْم دَارعانِ كِلاهُما وعُرْوَةُ لَوْلاهُمْ لَقِيتُ الدَّهارسا
٢٠ ـ ومارَسَ زَيْدٌ ثُمَّ أُقْصِدَ مُهْرُهُ وحُقَّ لَهُ في مِثْلِها أنْ يُمارِسا

= الكرم لأنهم يحبسون إبلهم قرب بيوتهم فلا يرسلونها إلى المراعي لتكون بمتناولهم كلما جاءهم أضياف.

١٤ ـ إذا ما شددنا شدة: إذا ما قمنا بهجمة. نصبوا لها: رفعوا في وجهها. صدور المذاكي: صدور الخيل التي دخلت في السابعة من العمر، فهي مجرّبة مدرّبة. والرماح المداعسا: الرماح الغليظة المتينة، لا تنكر ولا تنثني.

١٥ ـ إذا الخيل جالت عن صريع: قامت بجولة على الأعداء خلفت صريعًا أي قتيلًا. نُكرُّها: نعيدها إلى الكَرّ أي التقدم باتجاههم والهجوم عليهم. فما يرجعن إلا عوابسًا: عندما نسمح لهن بالعودة، يعدن دائمًا عوابس أي متجهمات الوجوه من شدة المعاناة.

١٦ ـ نطاعن عن أحسابنا برماحنا: نرد عن كرامة نسبنا طعنًا بالرماح. ونضربهم: ونضربهم بالسيوف. ضرب المُذيد: الذي يطرد الإبل ويسوقها أو يساعد على ذلك. الخوامس: الإبل تشرب يومًا وترعى ثلاثة وترد في اليوم الخامس.

نحن نذافع عن شرف نسبنا وأمجادنا برماحنا نطاعنهم، وبسيوفنا نضربهم ضربًا شديدًا كما يطرب سائق الإبل وطاردُها الخوامسَ التي ترد يومًا وترعى ثلاثة، ثم ترد في اليوم الخامس.

١٧ ـ وكنت في المقدمة، عندما صارت المعركة إلى الضرب بالسيوف كنت أول من ضرب، وعندما كانت المعركة كرًّا وفرًّا وطعنًا بالرماح خلسة أو في غفلة، كنت أطاعن برمحي وأخالس.

١٨ ـ ما استشهدت إلا الأكايسا: ما اتخذت من الشهود إلا من هم عقلاء.

١٩ ـ دارعان: لابسان درعيهما. لقيت الدهارسا: أصابتني الدواهي والمصائب.

٢٠ ـ مارس زيد: خاض غمار القتال بشدة. أُقصِد: قُتِل في مكانه. مُهره: فرسه. وحُقّ له: كان من حقه، والمقصود كان من واجبه. في مثلها: في حرب كهذه.

خاض زيد غمار القتال بشدة، وكان من واجبه أن يقاتل، إلى أن قُتل فَرَسُه في مكانه.

٢١ ـ وقُرةُ يَحْمِيهِمْ إذَا ما تَبَدَّدُوا ويَطْعُنُهمْ شَزْرًا فأَبرَحْتَ فارِسا
٢٢ ـ ولَو مات مِنهم مَنْ جَرَحْنا لأَصْبَحَتْ ضِباعٌ بِأَكْنافِ الأَراكِ عَرائِسا
٢٣ ـ ولَكِنَّهُمْ في الفارِسيِّ فلا تَرَى مِنَ القومِ إلَّا في المُضاعفِ لابِسا
٢٤ ـ فإنْ يَقْتُلُوا مِنَّا كَرِيمًا فإنَّنا أَبأْنا بِه قَتْلَى تُذِلُّ المَعاطِسا
٢٥ ـ قَتلنا بِه في مُلْتَقَى الخَيلِ خَمْسَةً وقاتِلَهُ زِدْنا مَعَ اللَّيلِ سادِسا
٢٦ ـ وكُنَّا إذا ما الحربُ شُبَّتْ نَشُبُّها ونَضْرِبُ فِيها الأَبْلَجَ المُتَقَاعِسا

---

٢١ ـ تبددوا: تفرقوا متراجعين. يطعنهم شزَرًا: يطعن عن يمين وشمال. فأبرحت فارسًا: كنت فارسًا جاء بأمر مفرط مدهش.
والفارس قُرّة كان يحمي جماعتنا إذا تفرقوا أو تراجعوا ويطعن الأعداء عن يمين وشمال.
يا له من فارس يأتي بالمفرط المدهش من الأمور.

٢٢ ـ لو مات منهم من جرحنا: لو أن جميع من أصبناهم منهم ماتوا. بأكناف الأراك: بنواحي الأراك، وهو اسم موضع. والأراك في الأصل من شجر الصحراء تقتات به الظباء.
لأصبحت ضباع عرائسا: يقال إذا مات القتيل فانتفخ ذكره تقعد عليه الضبع فيكون عريسها لتلك الليلة، قبل أن تأكل جيفته.
لو أن جميع من أصبناهم وجرحناهم لقوا حتفهم لأمكن للضباع في نواحي الأراك أن يجدن عرسانًا لهن جميعهن.

٢٣ ـ لكنهم في الفارسي: لكنهم يلبسون الدروع الفارسية. فلا ترى من القوم: فلا ترى أحدًا من القوم. إلا في المضاعف لابسا: إلا وهو يلبس درعًا مضاعفة منسوجة حلقتين حلقتين.

٢٤ ـ فإن يقتلوا منا كريمًا: إذا كانوا قد قتلوا منا فتى كريم النسب. فإنّا أبأنا به قتلى: جزيناهم بالمقابل بقتل عدد من الأشراف (البواء: المساواة والمعادلة). تُذِل: تُرغِم. المعاطسا: الأنوف. والأنف عند العرب ميزان الكرامة: في ارتفاعه شمم وإباء، وفي انتكاسه ورغمه ذل ومهانة. وقتل هؤلاء الأشراف يُرغم أنوف الأعداء ويُذلّ كرامتهم.

٢٥ ـ قتلنا به: قتلنا ثأرًا له. في ملتقى الخيل خمسة: في خلال المعركة خمسة من أشرافهم.
وزدنا قاتله سادسًا مع الليل. فغدا مجموع من قتلوا بفتاهم ستة من أشراف العدو، كل واحد منهم كفء للقتيل.

٢٦ ـ وكنا: فعل الكون هنا في المطلق وليس محدودًا بزمن. ويقصد «نحن». إذا ما الحرب شُبت: إذا اشتعلت نار الحرب. نَشُبُّها: لا نتقاعس عنها بل ندخل فيها ونؤجج نارها.
نضرب فيها: نختار للضرب بسيوفنا. الأبلج الواضح: المشرق الوجه، وعنى به المشهور المعروف من الأبطال. المتقاعس: الممتنع المرفوع الرأس.

٢٧ ـ فأُبنَا وأَبقَى طَعْنُنا مِنْ رِماحِنا مَطارِدَ خَطِّيٍّ وحُمرًا مَداعِسا

٢٨ ـ وجُرْدًا كأَنَّ الأُسدَ فوقَ مُتُونِها مِنَ القَومِ مَرؤُوسًا وآخرَ رائِسا

١٥ ـ قالت أراه مملِقًا لا شيء له

صُحير بن عُمير

أولاً: الإطار

هذا النوع من الحوار الموتور بين الرجل والمرأة وقد ملّا الحياة الزوجية بعد طول تحمّل، يدخل في إطار العذل التقليدي للرجل تمارسه المرأة في الشعر الجاهلي. هي دائمًا تعذله على ارتحاله وعلى تبذيره للمال في عمليات الكرم، لكنها هنا تهزأ به، تسخر من فقره، من ضعفه، من شيبه، ناسية «أيام زمان». ويأتي رد الشاعر عتابًا يشتد ليغدوهما، ثم ينتقل إلى الخط المقابل ليصبح فخرًا. وكان الأصمعي يقول في هذا الشعر: «هذا الرجز ليس بعتيق، كأنه من رجز خلف الأحمر أو غيره من الموَلَّدين.

ثانيًا: الأُرجوزة

قال عليُّ بنُ سليمان: حدَّثَنا أَبو العبَّاس مُحمَّدُ بنُ يزيد، أَنَّ الأَصمعيَّ أَنشد أَصحابه أرجوزةً، لرجلٍ مِنْ بني تميم، يقال له: (صُحَيْر بن عُمَير) يعني هذه الأُرجوزة: : [من الرجز]

١ ـ تَهزأُ مِنِّي أُخْتُ آلِ طَيْسَلَهْ

---

٢٧ ـ فأبنا: انثنينا. وأبقى طعننا برماحنا: ما بقي بعد طعننا الأعداء برماحنا. مطاردَ: بقايا، ما يتبقى من الرماح إذا تكسّرت (والباقي يكون في جسد الأعداء). خطّي: رمح مصنوع في الخطّ وهو من أجود الرماح. المُداعس من الرماح: الغليظ المتين لا ينثني. والحُمر المداعس: الرماح المميتة لأن الأحمر لون الموت. (يقال: الموت أحمر)، أو هي حمراء من الدماء.

٢٨ ـ الجُرد: الخيل القصار الشعر وهي كناية عن الكرم. كأن الأُسْد فوق متونها: كأن الفوارس التي تمتطيها أسود. مرؤوس: تابع لرئيس. رائس: رئيس متبوع.
جميع من يمتطي خيلنا الكريمة أسود رؤساء كانوا أو مرؤوسين، قادة أو مقاتلين.

١ ـ أخت آل طيسلة: أي المرأة المنتسبة إلى آل طيسلة.

٢ ـ قــالَتْ أَراه مُــمْــلِقًــا لا شَــيْءَ لَهْ

٣ ـ وهــزِئَتْ مِــنِّــيَ بِــنْــتُ مَــوْءَلَهْ

٤ ـ قــالَتْ: أَراه دَالِفًــا قَــدْ دُنْــيَ لَهْ

٥ ـ وأَنــتِ لا جُــنِّــبْــتِ تَــبــريــحَ الــوَلَهْ

٦ ـ مَــزؤُودةً أَو فــاقــدًا أو مُــثْــكِــلَهْ

٧ ـ أَلَــسْــتِ أَيَّــامَ حَــلَلْنــا الأَعْــزلَهْ

٨ ـ وقَــبْــلُ إِذْ نَــحــنُ عَــلَى الــضُّــلَضِــلَهْ

٩ ـ [وقــبــلَهــا عــامَ ارْتَــبَــعْــنــا الــجُــعَــلَهْ]

١٠ ـ مــثْــلَ الأَتــانِ نَــصَــفًــا جَــنَــعــدلَهْ

١١ ـ وأَنــا فــي ضُــرَّابِ قِــيــلان الــقُــلَهْ

---

٢ ـ قالت أراه مملقًا: قالت أراه معدمًا. لا شيء له: لا يملك شيئًا، ولا مالًا.

٣ ـ بنت مَوْءَلة: المرأة التي أبوها هو موءَلة.

٤ ـ أراه دالفًا: أراه ضعيفًا قصير الخطو. قد دُنْيَ له: قد دُنِيَ له: كالمقيد الرجلين دنَّى القيد ما بين الرجلين، فبطؤت الحركة وقصرت الخطوة.

٥ ـ وأنتِ لا جُنِّبْتِ: أنت لا جنّبك الله، أي لا أبعد عنك الله. تباريح: آلام (الآلام النفسية). الوَلَهْ: الثُّكل: فقد الولد، والوله: فورة الحزن.

٦ ـ مزؤودةً: مذعورة، مرعوبة. أو فاقدًا: فاقدة شيئًا عزيزًا عليها. مُثكلة: فاقدة ولدًا.
يبيّن أنواع المصائب التي يتمناها لها لنورتها الولَهْ وتباريحه: أن يصيبها ذعر ورعب، وأن تفقد شيئًا عزيزًا عليها، وأن يأخذ الموت شخصًا عزيزًا عليها.

٧ ـ ألستِ: ألم تكوني. أيام حللنا: أيام نزلنا، أقمنا. الأعزلة: موضع، [سيكون جواب التساؤل في الشطر (١٠)].

٨ ـ وقبلُ إذ نحن: وقبل ذلك حين كنا. على الضُّلَضِلَة: على الأرض الغليظة.

٩ ـ وقبلها عام ارتبعنا: وقبل ذلك عام أمضينا الربيع، ذهبنا للنجعة في الجُعلة: موضع.

١٠ ـ مثل الأتان: (هنا جواب ألستِ في الشطر السابع والأشطر التالية) مثل أنثى الحمار. نَصَفًا: بالغة خمسًا وأربعين. الجَنَعْدَلَهْ: كالبعير القوي الضخم.

١١ ـ وأنا في ضرّاب: وأنا في اللاعبين. القيلان: جمع القال وهو الخشبة يضرب بها القُلة. القُلة: العود الصغير. وهي لعبة صفا: يضربون العود الصغير بخشبة كبيرة.
ومعنى الشطرين أن الزوجة كانت في تلك المرحلة بالغة الخامسة والأربعين، كبيرة كالأتان، ضخمة كالبعير الفحل، فيما كان هو لا يزال بين الصبيان يلعب وإياهم في ضرب قِيلان القُلة.

١٢ ـ أبقَى الزَّمانُ منكِ نَابًا نَهْبَلَهْ

١٣ ـ ورَحِمًا عِند اللِّقاح مُقْفَلَهْ

١٤ ـ ومُضغةً باللُّؤم سَمًّا مَبْهَلَهْ

١٥ ـ إمَّا تَرَيْني للوَقارِ والعَلَهْ

١٦ ـ قاربتُ أمْشِي الفَنْجَلَى والقَعْوَلَهْ

١٧ ـ وتَارةً أَنْبِثُ نبثًا نَقْثَلَهْ

١٨ ـ خَزْعَلةَ الضِّبْعَانِ راحَ الهَنْبَلهْ

١٩ ـ وَهَلْ عَلِمْتِ فُحَشاءَ جَهَلهْ

---

١٢ ـ أبقى الزمان منك: أبقى مرور الأيام منك. نابًا: ناقة مسنّة طال نابها وعَظُم. نهبلة: هرمة.

لقد أغارت عليك الأيام فلم تبق منك سوى ناقة مسنة هرمة.

١٣ ـ الرحم: قصد به فرجها. عند اللقاح: عند المجامعة. مقفلة: مسدودة، ماتت الشهوة عندها بسبب الهرم.

١٤ ـ ومضغة باللؤم: لقمة معجونة عجنًا باللؤم، وبالسّم. مَبْهَلَة: ملعونة.

ومما أبقته الأيام لقمةً معجونة باللؤم، سمًّا رَعافًا، ولعنةً.

١٥ ـ إما تريني: إذا كنت تريني الآن. للوقار: ملت إلى الوقار ويقصد به الشيب. والعَلَهْ: والتردد والحَيْرة.

١٦ ـ قاربت أمشي: أمشي مقاربًا أي قصير الخطو. الفنجلى: مقاربة الخطو. القَعْوله: مشية الأحنف وهو أن يتباعد الكعبان ويقبل القدمان.

١٧ ـ وتارة أنبِثُ نبثًا: وفي بعض المرات أنبش، أثير التراب. نَقْثَلَهْ: مشي الذي لا يرفع رجليه عن الأرض في مشيه وإنما يجرهما جرًّا:

ومعنى الأبيات ١٥ و١٦ و١٧ في وصفه لمشيته مشية المسنين ولهيئته.

تريني الآن علاني الشيب والاهتزاز في الحركة، أقصّر الخطو في مشيتي وأقارب بين رجلي، يتباعد كعباي ويقبل قدماي اللذين لا يرتفعان عن الأرض بل يزحفان عليها فينبشان التراب.

١٨ ـ خزْعَلَةَ: مشية عرجاء. الضبعان: ذكر الضبع. الهَنْبَلة: مشية الضبع العرجاء. راح الهنبلة: انطلق يمشي مشيته العرجاء.

يتابع وصف مشيته المشوهة: مشية الضبع عندما ينطلق وهو يعرج في سيره.

١٩ ـ هل علمت: هل عرفتِ وسمعتِ بـ. فُحَشَاءَ: جمع فاحش وهو الرديء السلوك. جهلة: جمع جاهل وهو الغبي السيىء التصرف.

يتوجه إلى الزوجة بسلسلة من النعوت يقصد بها أهلها: يا ابنة الفُحَشاء الجَهَلة.

٢٠ ـ مَـمْـغُـوثَـةً أَعْـراضُـهُـمْ مُـمَـرْطَـلَهْ

٢١ ـ مِــنْ كُــلِّ مــاءٍ آجِــنٍ وسَــمَــلهْ

٢٢ ـ كـمـا تُـمـاثُ فـي الـهِـنـاءِ الـثَّـمَـلهْ

٢٣ ـ [عَرضْتُ مِنْ جَفيلِهم أَنْ أَجْفَلَهْ]

٢٤ ـ وهَـل عَـلمتِ يـا قُـفَـيَّ الـتَّـتْـفُـلهْ

٢٥ ـ ومَرْسِنَ العِجْلِ وساقَ الحَجَلَهْ

٢٦ ـ وغَـضَـنَ الـضَّـبِّ وَلِيـطَ الـجُـعَـلَهْ

---

٢٠ ـ مَمْغوثة ومُرَطَّلة: ممرّغة، مدلوكة، مبللة. أعراضهم: شرفهم.

٢١ ـ من كل ماء: أعراضهم ممرغة مبللة بكل ماء. آجن: عفن، متغيّر الرائحة. سَمَلَة: فضلة ماء تبقى في الإناء.

٢٢ ـ كما تُماث: كما تغمس وتُمرس. في الهِناء: في القَطِران وهو دواء الجرب. الثَّمَلَة: الخِرقة.

ومعنى الأبيات ٢٠ و٢١ و٢٢، وفيها يتابع نعت أهل الزوجة:

أعراضهم ممرّغة، مبَلّلة بكل ماء عفن متبقٍ في قعر إناء مهمل، كما تُمَرّغ الخِرقة في القطران ليُدهَنَ بها البعير الأجرب.

٢٣ ـ عرضت: قدّمتُ عرضًا بالمبادلة. من جفيلهم: من صوفهم المنفوش. أن أجفَلَه: أن أجزّه، فيصبحوا في عِزي.

كأنه يهددهم بجزّ صوفهم، أي بتعريتهم، وإبدالهم من الصوف عزيًا. وتلك كناية عن فضحهم وهتك أعراضهم.

٢٤ ـ وهل علمتِ: وهل بلَغَك. قُفَيّ: مصغّر قفا، وهو مؤخرة كل حيوان. التتفلة: أنثى الثعلب.

هل بلغك يا قفا الثعلبة... (والجواب سيكون في البيت ٢٨).

٢٥ ـ مَرْسِن العجل: أنف العجل. ساق الحَجَلة: الساق المبتورة لأن الحَجَلة (جمعها حاجلات) هي ناقة ضُربت سُوقُها فمشت على بعض قوائمها (ويكون مشيها أشبه بقفز الصبي على رجل واحدة).

٢٦ ـ غَضَن: تثنّي الجلد أو تكسّره. الضب: دُويبة كالحرذون. جحرها في باطن الأرض، ذنبها طويل غليظ كثير العُقَد؛ وعنى بغَضَن الضب: العُقد في ذنب الضب. الجُعَل: دابة سوداء من دواب الأرض، كالخنفساء. ليط الجُعكة: لون أنثى الجُعَل، وهو اللون الأسود الحالك؛ وأخذ اللون الأسود من الجعل لا من مصدر آخر ليكون فيه معنى التحقير، فليس أحقر من خنفساء أو جُعل.

٢٧ ـ وكَـشَّـةَ الأَفـعَـى ونـفْـخَ الأَصَـلَهْ

٢٨ ـ أَنِّـي أُفـيـتُ الـمِـئـةَ الـمـؤَبَّـلَهْ

٢٩ ـ ثـمّ أُفـيءُ بَـعـدَهـا مُـسـتـقـبَـلَهْ

٣٠ ـ ولَم أُضِـعْ مـا يَـنْـبَـغِـي أنْ أَفـعَـلَهْ

٣١ ـ وأَفْـعـلُ الـعـارفَ قَـبـلَ الـمَـسـأَلـهْ

٣٢ ـ [وهـل أَكُـبُ الـبـائِـكَ الـمـحَـفَّـلهْ]

٣٣ ـ وأُنـتِـجُ الـعَـيـرانـةَ الـسَّـبَـحْـلَلهْ

٣٤ ـ وأَطـعـنُ الـسَّـحْـسـاحـةَ الـمُـشَـلْشِـلهْ

---

٢٧ ـ كشة الأفعى: الحسيس الذي يُسمع عند تحركها واحتكاك جلدها بما حوله. نفخ الأصَلَة: نفخ الحية العظيمة. والحية تنفخ في وجه ضحيتها وتكشر فيكون منظرها مخيفًا.

٢٨ ـ أنّي أفيت: (هنا مفعول علمت في البيت «٤») أنني أنحر. المائة: المائة من الإبل. المؤبّلة: المقتناة كَمالٍ، لا للاستخدام في الحمل والنقل.

٢٩ ـ أفيء: آخذ سلب أقوام آخرين بعدها: بدلها. مستقبلة: في مقتبل شبابها. أو هي من المستقبل أي في الأيام التالية.

ثم آخذ بدلها إبلًا شابة سلبًا من أقوام آخرين في الأيام التالية.

٣٠ ـ ولم أضع ما ينبغي أن أفعله: لم أتساهل في فعل ما يتوجّب عليّ فعلُه.

٣١ ـ أفعل العارِفَ: أصنع المعروف. قبل المسألة: قبل أن يُطلب مني.

أستبق سؤال المعروف فأصنعه قبل أن يُطلب مني.

٣٢ ـ وهل أكب: تساؤل العارف المتأكد: وأنا أكب: أعقر الناقة فتقع على وجهها. وعقر الناقة هو ضرب عرقوبها بالسيف، فتخر على الأرض فتضرب عنقها. وهكذا يتم ذبحها. البائك: الناقة السمينة العظيمة السنام. المحفّلة: الناقة التي تُحلب لعدة أيام فاجتمع اللبن في ضرعها.

وذبح هذه النوق للأضياف دليل على التبذير في الكرم. والعرب تغالي في اختيار الناقة الثمينة، المفيدة، لتذبح للأضياف، فيما يذبح البخيل الضعيفة، المريضة...

٣٣ ـ أُنتِجَ: أحصل على إنتاج. العيرانة: الناقة القوية السريعة تشبه العير أي حمار الوحش. السَّبَحْللة: العظيمة.

هو يربي النوق القوية العظيمة ويحصل على نتاجها.

٣٤ ـ السحساحة: الناقة الممتلئة سمنًا، يكاد شحمها يسح من جسمها. المشلشلة: يقطر منها الشحم قطرانًا.

يعود إلى ذبح الناقة الثمينة. فهو يطعن الناقة الممتلئة سمنًا يكاد شحمها يسح من جسمها ويقطر بعضه يتبع بعضًا.

٣٥ ـ عَـلَى غِـشـاشٍ دَهَـشٍ وعَـجَـلَهْ

٣٦ ـ إذا أَطـاشَ الـطَّـعْـنُ أيـدِي الـبَـعَـلَهْ

٣٧ ـ وصـدَّق الـفِـيـلُ الـجَـبـانُ وَهَـلَهْ

٣٨ ـ أَقـصَـدْتُـهـا فَـلم أُجْـرِهـا أَنْـمُـلَهْ

٣٩ ـ مِن حَيثُ يمَّمتُ سَواءَ المَقتَلَهْ

٤٠ ـ وأطـعـنُ الـخـذْبـاءَ ذاتَ الـرَّعَـلَهْ

٤١ ـ تـرُدُّ فـي وَجـهِ الـطَّـبـيـبِ فُـتُـلَهْ

٤٢ ـ وهَـل عَـلِمْـتِ بَـيْـتَـنـا إلَّا وَلَهْ

٤٣ ـ شَـرَبَـةٌ مِـنْ غَـيْـرِنـا أَوْ أَكَـلَهْ

---

٣٥ ـ على غِشاشٍ: على عجلة. دَهَشٍ: ذهول.
وكان الطعن سريعًا يحيّر ويذهل بعجلته.

٣٦ ـ إذا أطاش: أبعد الرمية عن الهدف. أيدي البعلة: أيدي المتحيرين. في الجملة قلب. المفروض: إذا أطاشت أيدي البعلة الطعنَ. والمعنى: إذا ضيعت الأيدي المتحيرة الطعنة، فزاغت عن الهدف.

٣٧ ـ صدّق الفِيل: صدق الضعيف الرأي، الجبان. وَهَلَهُ: فزعه وضعفه.
يتابع معنى الطعنة الطائشة معزيًا سببها إلى أن صاحبها ضعيف الرأي، جبان، كثير الخوف، يسيطر عليه خوفه فيوقعه في حيرة لا يدري ماذا يفعل فلا يصيب رمحُه هدفَه.

٣٨ ـ أقصدتها: أصبتها فقتلتها في مكانها. فلم أُجْرِها: فلم أتركها تجري أي تتحرك. أنملة: قيد أنملة.
إذا كانت أيدي الجبان تتردد وتُطيش الطعنة، فأنا أصبتها بطعنتي في مقتل، فقضت فورًا، في مكانها، ولم تتحرك قيد أَنْمُلَة.

٣٩ ـ من حيث يمّمت: لأنني قصدت، وصوّبت. سواء المقتلة: مركز القتل، وسط المقتل.

٤٠ ـ وأطعن الخدباء: أطعن الطعنة الواسعة الجرح. ذات الرَّعَلة أو ذات التوسّع يُشبعها الطاعن ويملك بها يده.

٤١ ـ الفُتل: جمع فتيل. وهي قطع من قماش أو قطن يفتلها بين أصبعيه ويدخلها في الجرح لتمتص الدم. فإذا كان الجرح عميقًا واسعًا عمل تدفق الدم على ردّ الفُتل وإرجاعها إلى الطبيب، فكان الجرح يردُّها في وجه الطبيب رافضًا. هذا الجرح هو الذي تحدثه طعنة الشاعر المذكورة في البيت السابق.

٤٢ ـ هل علمتِ بيتنا إلا وله: هل سمعت أن بيتنا كان في أي وقت إلا وعنده...

٤٣ ـ شَرَبة: من يشربون. جمع شارب. أو أكلة: من يأكلون. جمع آكل. من غيرنا: من غير=

١٦ ـ أُحبّ عُمان من حُبّي سُليمى
سوّار بن المضرَّب[(١)]

أولاً: الإطار

إنها نفثة طريد يجوب الأرض ويقطع المسافات، وحيدًا ليس له مؤنس سوى الذكريات. وأحلى الذكريات هي ذكريات المحبوبة، ذكريات سلمى. وحبه لسلمى أنساه الغواني كلهن، ولأجلها أحب بلدها عُمان. وهي تعيش في نفسه في ذكرى الأيام الخوالي. ولكن الذكريات تبعد مع المسافات، والأمل باللقاء يضعف. والعلاج هو زيارة المحبوبة. فهل ستفعل وتشفي مريضها؟ وليس مريضها بالحقير الذليل، فإباؤه رماه في الآفاق يطوي بلدًا بعد بلد على ناقة سريعة، ومعتادة على اغبرار الصحاري.

ثم يأتي دور العاذلات ويفهمُهن أن النهي يولعه ويجعله يتشبث. فلتتركه عاذلات وإلا فليحدّثنه عن سليمى وعن ديارها التي تتعب الريح قبل الوصول إليها لشدة بُعدها. ويتصور المشقات التي يتحملها من يعزم على إدراك ديارها، من وعورة الأرض، وظلام الليل.

ثم يأتي وصف سلمى، ووصف شجنه يستثيره نواح حمامتين. وقد تشاءم بالطائرين اللذين آذنا بالغربة والفراق.

وأخيرًا لا بد من ذكر محامده في الشجاعة والكرم.

= الأهل أي من الغرباء، فهم ضيوف.
معنى البيتين: ٤٢ و٤٣.
هل سمعت أو عرفت أن بيتنا كان في أي وقت خاليًا من ضيوف يشربون ويأكلون؟

(١) سوّار بن المضرَّب أحد بني سعد من تميم. وهو شاعر إسلامي قبض عليه الحجاج، ثم استطاع الفرار، فحاول الابتعاد عن العراق جهده ليجعل المسافات بينه وبين الحجاج. وقال بعد هروبه القصيدة المذكورة، ومنها بيت مشهور هو:

أقاتِلي الحجّاجُ إن لم أَزُرْ له ... دراب وأتركْ عند هندٍ فؤاديا

ثانيًا: القصيدة

وقال سَوَّارُ بنُ المُضَرَّب: [من الوافر]

١ ـ أَلَم تَـرَنِـي وإنْ أَنـبـأْتُ أَنِّـي ... طَوَيْتُ الكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الغَواني

٢ ـ أُحِبُّ عُـمـانَ مِـن حُبِّي سُلَيْمَـى ... ومـا طِبِّـي بِـحُـبِّ قُـرَى عُـمـانِ

٣ ـ عَـلاقَـةَ عـاشِـقٍ وهَـوًى مُـتـاحًـا ... فَـمـا أَنـا والـهـوَى مُـتـدانِـيـانِ

٤ ـ تَـذَكَّـرُ مـا تَـذَكَّـرُ مِـنْ سُـلَيْـمَـى ... ولَكِـنَّ الـمَـزارَ بِـهـا نَـآنِـي

٥ ـ فَـلا أَنْـسَـى لَيـالـيَ بِـالـكَـلَنْـدَى ... فَـنِـيـنَ وكُـلُّ هـذا الـعَـيْـشِ فـانِ

٦ ـ ويَـومًـا بِـالـمَـجَـازة يَـومَ صِـدْقٍ ... ويَـومًـا بَـيـنَ ضَـنْـكَ وصَـوْمَـحـانِ

٧ ـ ألا يـا سَـلْمَ سَـيِّـدةَ الـغَـوانِـي ... أَمَـا يُـفْـدَى بِـأَرضِـكِ تِـلكَ عَـانِ

٨ ـ ومـا عـانِـيـكِ يـا ابْـنـةَ آل قَـيْـسٍ ... بِـمَـفْـحُـوشٍ عَـلَيْـهِ ولا مُـهَـانِ

---

١ ـ ألم ترني: ألم تتأكد (سلمى)، وإن أنبأت: وقد أنبأتُ وصرّحت. أني طويت الكَشح: أني صرفت النظر، أعرضت. عن طلب الغواني: عن السعي وراء النساء الجميلات.

٢ ـ أُحب عُمان من حبي سليمى: لقد جلني حبي لسُليمى أحب بلدها عُمَّان. وما طبي: وما من شأني في العادة. بحب قرى عُمان: أن أحب قرى عمان.

٣ ـ علاقة عاشق: إنها علاقة عاشق (حبي سليمى وديارها) وهوى: وحبًّا. متاحًا: مقدّرًا، مهيّأً من الله. (لكنه يبدو هوى من طرف واحد). فما أنا والهوى متدانيان: لست أنا والهوى متقاربين.

٤ ـ تذكّرُ؛ أي أتذكر. ما تذكّرُ: ما أتذكّر من سليمى. لكن المزار: لكن المسافة إليها، الطريق إليها. نآني: طويل يبعدني عنها ويجعلها بعيدة عني.

٥ ـ فلا أنسى ليالي: سأبقى أذكر ليالي: يقصد أيامًا، زمنًا. بالكلندى: في موضع الكلندى. فنين: ذهبن ولم يعدن. وكل هذا العيش فان: كل هذه الحياة مصيرها إلى زوال.

٦ ـ ويومًا بالمجازة: (لا أنسى يومًا في موضع بالمجازة). يوم صدق: يومًا مثمرًا (على صعيد العلاقة). ويومًا بين ضنكَ وصومحان: ويومًا بين هذين الموضعين، أي متنقلًا من ضنك إلى صومحان.

٧ ـ ألا يا سلم: ترخيم سلمى. سيدة الغواني: سيدة النساء الجميلات. أما يُفدى: ألا يمكن الإفراج بفدية. بأرضكِ تلك: في ديارك. عان: عن مريض.
والعاني المريض هو قلبه. ومرضه التعلق بسلمى وأرضها، فهو أسير لها. فهل سيبقى أسيرًا؟ ألا يمكن في ديارك يا سلمى، فكّ الأسر عن مريض بفدية؟

٨ ـ وما عانيك: وما مريضك. يا ابنة آل قيس: يا سلمى. بمفحوش عليه: بالذي يقال عنه=

٩ - أَمِنْ أَهْلِ النَّقَا طَرَقَتْ سُلَيْمَى ... طَرِيدًا بينَ شُنظُبَ والثَّمانِ

١٠ - سَرَى مِنْ لَيلِهِ حتَّى إذَا ما ... تدَلَّى النَّجمُ كالأُدْمِ الهِجَانِ

١١ - رَمَى بَلدٌ بِهِ بَلدًا فأَضْحَى ... بِظَمْأَى الرِّيحِ خَاشِعَةِ القِنانِ

١٢ - تَمُوتُ بناتُ نَيْسَبِها ويَغْبَى ... عَلَى رُكْبانِها شَرَكُ المِتَانِ

١٣ - يُطَوِّي عِنْدَ رُكْبَةِ أرحَبِيٍّ ... بَعيدِ العَجْبِ مِنْ طَرَفِ الجِرانِ

= كلام شنيع. ولا مُهان: ولا بالذي يُذل.

٩ - أمن أهل النقا: أمن بين سكان النقا. طرقت سليمى: جاء سليمى تزور في الليل. طريدًا: طرقت طريدًا أو زارت طريدًا. والطريد هو الشاعر الهارب. بين شُنظُب (واد بنجد لبني تميم) والثّمان: هضبات ثمان في بلاد تميم.
هل جاءت سليمى من بين أهل النقا (في ديارها) واجتازت المسافات البعيدة لتزور ليلًا، الطريد الذي هو الشاعر بين وادي شُنظب وهضباتِ الثّمان؟

١٠ - سرى من ليله: سرى الطريد ليلًا، والسرى هو السير ليلًا. حتى إذا ما تدلّى: هبط إلى منزل في السماء أقرب إلى الأرض. النجم: يعني به العرب عادةً الثريا، ويكون هبوطه في آخر الليل. كالأدْم: كالنوق البيض الواضحة البياض. الهجان: البيض الكرام. والبياض عند العرب كناية عن النور والضوء. والمقصود هنا أن هبوط الثريا يعني انتهاء الليل وبداية النهار.
ظل (الطريد) يسير مسافرًا في الليل إلى أن تدلّت الثريا مؤذنة بانصرام الليل ومجيء النهار كأنها حينذاك نُوق بيضاء واضحة البياض كريمة.

١١ - رمى بلدٌ به بلدًا: صارت البلدان تتقاذفه. فأضحى بظمأى الريح: صار في أرض هي مهب للرياح الظمأى أي الحارّة لا نرى فيها. خاشعةِ القنان: القمم فيها رملية لاطئة، ملتزقة بالأرض، تثير الرياح رملها بسهولة فتمحوها. وظمأى الريح خاشعة القنان: كناية عن المفازة الرملية الواسعة.

١٢ - بنات نيسبها: الطرق الصغار فيها؛ تموت بنات نيسبها: تنمحي الطرق الصغار فيها (بفعل الرياح). يغبى: يخفى. على ركبانها: المسافرين فيها راكبين الإبل. شَرَك: طريق واضح. المتان: ما صلب من الأرض وارتفع.
يتابع وصف الأرض التي رمته إليها أسفاره:
إنها متاهة: الطرق الصغار المتفرعة من الأصل فيها تنمحي بفعل الرياح، والطريق الرئيس الواضح على الأرض الصلبة المرتفعة يخفى على المسافرين راكبي الإبل.

١٣ - يطوِّي: هي يطوي في صيغة مطاوعة، بمعنى ينثني ويتلوّى. عند ركبة: عند قوائم (من تسمية الكل باسم الجزء). أرحبيّ: منسوب إلى قبيلة بني أرحب من هوازن. أو إلى فحل اسمه أرحب، تُنسب إليه النجائب. بعيد العُجب: عُجبُه بعيد. والعُجب أصل الذنب (آخر=

١٤ ـ مَطِيَّةِ خائِفٍ ورَجِيعِ حَاجٍ ... شَمُوذِ الذَّيلِ مُنْطَلِقِ اللَّبَانِ
١٥ ـ قَذِيفِ تَنَائِفٍ غُبْرٍ وحَاجٍ ... تَقَحَّمَ خَائِفًا قُحَمَ الجَبَانِ
١٦ ـ كأنَّ يَديهِ حِينَ يُقالُ سِيرُوا ... عَلَى مَتْنه التَّنُوفَةِ غضْبَتَانِ
١٧ ـ يقِيسانِ الفَلاةَ كَما تَغَالَى ... خَلِيعَا غَايَةٍ يَتَبادَرانِ
١٨ ـ كَأَنَّهما إذا حُثَّ المَطايا ... يَدا يَسَرِ المِتاحَةِ مُسْتَعانِ

= العمود الفقري). من طرف الجران: من أول العنق: والبعد ما بين أول العنق وأصل الذنب كناية عن طول هذا الجمل الأرحبيّ.
هذا الطريق الذي يخفى على الركبان، إذا سار عليه الجمل النجيب الأرحبي، الطويل ما بين العنق والذنب، يتلوى أمام قوائمه.

١٤ ـ مطية خائف: الجمل الأرحبي مطية رجل خائف (الشاعر الهارب) الرجيع من الإبل: ما رجعته من سَفَر إلى سفر. حاج: حاجات، جمع حاجة؛ ورجيع حاج: يُرجَع من سفر إلى سفر قضاءً لحاجات. شموذ الذيل: يشول بذيله، أي يرفعه، في شدة نشاطه. منطلق: غير مقيّد. اللَّبان: الصدر. ومنطلق اللبان: لا يوضع العقال على صدره ولا اللجام على فمه. ويترك في المرعى. فهو ليس من الجمال التي تستخدم يوميًا في الأعمال.

١٥ ـ التنائف: جمع التنوفة وهي الفلاة الواسعة. قذيف التنائف: البعير التي تتقاذفه التنائف، يتنقل من تنوفة إلى أخرى وتمرّس بها. غُبْر: غبراء اللون، قاتمة. الحاج: الذي ينتقل من سفر إلى سفر؛ والمقصود هنا أن تنقله في الأسفار تمثل في تنقله في الفلوات. تقحّم: انطلق مواجهًا الشدائد. خائفًا: متهيبًا. قحَمَ الجبان: مواجهةَ الجبان. أي كما يقتحم الجبانُ مترددًا.

١٦ ـ كأن يديه: كأن ضربة يديه. حين يُقال سيروا: حين يبدأ السير. على متن التنوفة: على ظهر (أرض) الفلاة. غضبتان: صخرتان.
عندما يبدأ السير على ظهر الفلاة، يضرب هذا الجمل بيديه الأرض كأنهما صخرتان.

١٧ ـ يقيسان الفلاة: يتنافسان في قياس الفلاة أي اجتيازها. تغالى خليعان: تنافسا في إغلاء جائزة اللعب، لثقة كل منهما بنفسه. والخليعان: مثنى الخليع: المضارب بالقمار. خليعا غاية: متراهنان على مدى معين. يتبادران: يسرعان.
كأن يدي الجمل تتنافسان في اجتياز الفلاة، كما تَرَاهَنَ مضاربا قمار على غاية أو مدى، وراحا يتنافسان في إغلاء جائزة الرهان، ويسرعان.
والمقامران عنى بهما متسابقين بينهما رهان.

١٨ ـ كأنهما: كأن يديه. إذا حُث المطايا: إذا سُرِّعت الإبل. يدا يسر: يدا لاعب أو عامل يساره بقوة يمينه. المتاحة: من المَتْح وهو جذبُك رِشاءَ الدلو تَمُدّ بيد وتأخذ بيَد على رأس البئر؛ ويسر المتاحة: هو المستقي من البئر، الذي تتساوى يداه اليمنى واليسرى في=

١٩ - سَبُوتَا الرَّجْعِ مائِرَتا الأعالِي ... إذا كَلَّ المَطِيُّ سَفِيهَتانِ
٢٠ - وهادٍ شَعشَعٍ هَجَمَتْ عَلَيهِ ... تَوالٍ ما يُرَى فِيها تَوانِ
٢١ - أعاذِلَتَيَّ في سَلْمَى دَعانِي ... فَإنِّي لا أُطاوِعُ مَنْ نَهانِي
٢٢ - ولَو أنِّي أُطِيعُكُما بِسَلْمَى ... لَكُنتُ كَبعضِ مَن لا تُرشِدانِ
٢٣ - دَعانِي مِنْ أذاتِكُما ولَكِنْ ... بِذكْرِ المَذْحِجِيَّةِ علِّلانِي
٢٤ - فَإنَّ هَوايَ ما علِمتْ سُلَيْمَى ... يَمانٍ إنَّ مَنزِلَها يَمانِ
٢٥ - تَكِلُّ الرِّيحُ دونَ بِلادِ سَلْمَى ... وشِرَّاتُ المُنَوَّقَةِ الهِجَانِ

= القوة، فتتناوبان جذب حبل الدلو بسرعة فائقة. المُستعان: الذي يُستعان به لقوته ومهارته. كأن يدي الجمل، عندما تُسرع الإبل، يدا مُسْتَقٍ على رأس البئر، تتساوى يمناه ويسراه في القوة، كما هو على درجة من المهارة تجعله مستعانًا عند الشدة.

١٩ - سَبُوتان: سريعان في العَدْو. الرَّجع: تحول الناقة من سير إلى سير سواه؛ وسبوتا الرجع: هما سريعان، أثناء العدْو، في التحول من سير إلى سير سواه. مائرتا الأعالي: مائرتا العضدين؛ والبعير يمور عضداه إذا تردّدا في عرض جنبه (إذا كان صدى حركتهما ظاهرًا في عضلات الجنب، فكأنه يركض بكل كيانه)، والمور: التموّج. إذا كَلَّ المطيُّ: إذا تعبت المطايا. سفيهتان: خفيفتان؛ أي إذا تعبت المطايا تبقيان عاملتين بخفة ونشاط.

٢٠ - وهادٍ: وعنق. شعشع: طويل. هجمت عليه: زاحمته في الارتفاع. توالٍ: أعجاز. توانِ أي تواني. والتواني: الضعف، الفتور، أو الكلال والتعب؛ ولا ترى فيها توان: لا يصيبها ضعف أو كلل فتتوانى.

٢١ - أعاذلتيَّ: أيتها المرأتان تنهيانني. في سلمى. دعاني: اتركاني وكفّا عن عذلي ونهيي عن سليمى. فإني لا أطاوع: فإني لا أسمع ولا أستجيب. من نهاني: من أمرني بالامتناع. أي أن عذلكما لي يزيدني تمسكًا.

٢٢ - ولو أني أطيعكما بسلمى: لو أني أنفذ ما تأمرانني بشأن سلمى. لكنت كبعض من لا ترشدان: لكنت كواحد من الكثر الذين تضللا منهم.

٢٣ - دعاني من أذاتكما: كُفّا عني أذاكما. المَذْحِجية: أُمّ مالك وطيىء. سُميت كذلك لأنها، لما هلك بعلها أَدَدٌ أذحجت على ابنيها طيىء ومالك فلم تتزوج بعد أَدَدْ. وعنى بالمذحجية اليمانية لأن مذحج من اليمن. عللاني: سلّياني.

٢٤ - فإن هواي ما علمت سليمى: فإن قلبي يحب، كما تعلم سلمى. يمان: يحب أهل اليمن. إن منزلها يمانيّ: لأن ديار سلمى في اليمن.

٢٥ - تكلُّ الريحُ: تتعب الريح. دون بلاد سلمى: قبل الوصول إلى ديار سلمى. وشِرّاتُ: نشاط ورغبة، أي ويكل النشاط والرغبة عند. المنوَّقة: الإبل المذلّلة (السريعة المخصصة للركوب). الهجان: الكريمة البيضاء.

٢٦ - بِـكُـلِّ تَـنـوفَـةٍ لِلرِّيـحِ فِـيـهـا حَـفِـيـفٌ لا يَـرُوعُ الـتُّـربَ وانِ
٢٧ - إذا مـا الـمُـسْـنَـفـاتُ عَـلوْنَ مِـنْـهـا رَقـاقًـا أو سَـمـاوَةَ صَـحْـصَـحـانِ
٢٨ - يَـخِـدْنَ كَـأنَّـهـنَّ بِـكُـلِّ خَـرْقٍ وإغـسـاءَ الـظَّـلامِ عَـلَى رِهـانِ
٢٩ - وإنْ غـوَّرْنَ هـاجِـرةً بِـفَـيْـفٍ كَـأنَّ سَـرابَـهـا قِـطَـعُ الـدُّخـانِ
٣٠ - وضَـعْـنَ بِـهِ أجِـنَّـةَ مُـجْـهِـضَـاتٍ وُضِـعـنَ لِثـالِثٍ عَـلَقًـا وثَـانِ
٣١ - ولَيـلٍ فـيـهِ تَـحـسَـبُ كُـلَّ نَـجْـمٍ بَـدَا لَـكَ مِـنْ خَـصاصةِ طَـيلَسانِ

---

٢٦ - بكل تنوفة: بكل فلاة واسعة. للريح فيها حفيف: تلامسها الرياح ملامسة فيُسمع لها حفيف. ذاك أن الرياح تكون قد تعبت (كما جاء في البيت السابق). لا يروع التُّرب: هذا الحفيف لا يثير التراب. وانٍ: ضعيف، فاتر.

٢٧ - إذا ما المسنفات: إذا ما النوق المتقدمات، أو الضامرات. علون رَقاقًا: ارتفعن فوق أرض ليّنة. أو سماوةَ: أو فوق العالي من. صحصح: أرض مستوية جرداء قد تكون ذات حصى صغار. (وجواب الشرط في البيت التالي).
إذا كانت النوق الضامرة تسير فوق أماكن مرتفعة، لينة الأرض كانت أو صلبة مستوية.

٢٨ - يخدن: من وخدت الإبل أي أسرعت السير ووسّعت الخطو. كأنهن بكل خرق: كأنهن في مفازة واسعة تنخرق فيها الرياح. وإغساء الظلام: وهبوط الليل. على رهان: في سباق.
يسرعن السير ويوسعن الخطو كأنهن في مفازة مخوفة يردن الخروج منها قبل الظلام، فيكن مع هبوط الليل على رهان سباق.

٢٩ - وإن غوَّرن: نزلن الغور وهو كل ما انحدر مسيله من الأرض. هاجرةً: في وقت الظهر عند استواء الشمس في وسط السماء. بفيف: بأرض مستوية بعيدة. كأن سرابها: كأن السراب في هذه الأرض. قطع الدخان: موجات من دخان، لكثافته.
بعد وصفه الجمال تسير فوق المرتفعات، أراد وصفها في المنخفضات. فإذا ما أتت الغور، المنخفض الواسع المستوي، الذي يلتمع فيه السراب بكثافة حتى تحسبه قطعًا من الدخان، وكان وقت الهاجرة...

٣٠ - وَضعن به أَجنّة: تركن فيه أجنة (جمع جنين). مُجهِضات: مسقطات الجنين قبل تمامه. وُضعن لثالث: حملن بها لمدة ثلاثة أشهر. وثانٍ: لمدة شهرين. (وُضعن عَلَقًا: حَمَلن بهما نُطَفًا).

٣١ - وليلٍ: ورُبّ ليل. فيه تحسب: تتخيّل فيه. كل نجم بدا لك: كل نجم ظهر لك. من خَصاصة طيلسان: من خروق في رداء واسع أسود.
ورب ليلٍ تحسب النجوم التي تظهر لك فيه أنوارًا تأتي إليك من ثقوب رداء واسع أسود.

٣٢ ـ نَـعَـشْـتُ بِـهِ أَزِمَّـةَ طَـاوِيَـاتٍ نَـواجٍ لا تَـبِـيـنُ عَـلَى اكـتِـنَـانِ

٣٣ ـ تُـثِـيـرُ عَـوازِبَ الـكُـدْرِيِّ وَهْـنًـا كَـأَنَّ فِـراخَـهـا قُـمْـرُ الأَفَـانِـي

٣٤ ـ يَـطْـأَنَ خُـدُودَهُ مُـتَـشَـنِّـعَـاتٍ على سُمْرٍ تَفُضُّ حَصَى المِتَانِ

٣٥ ـ سَـرَيـنَ جَـمِـيـعَـهُ حَـتَّـى تَـولَّى كَـمـا انـكَـبَّ الـمُـعَـبَّـدُ لـلجِـرانِ

٣٦ ـ وشَـقَّ الـصُّـبـحُ أُخْرَى الـلَّيـلِ شَـقًّـا جِـمـاحَ أَغَـرَّ مُـنْـقَـطِـعِ الـعِـنَـانِ

٣٧ ـ ومـا سَـلمَـى بِـسَـيِّـئَةِ الـمُـحَـيَّـا ولا عَـسْـراءَ عـاسِـيَـةِ الـبَـنَـانِ

---

٣٢ ـ نعشت: رفعت. أزمّة: مِقوَد، رَسَن. طاويات: نوق ضامرة. نواجٍ: جمع ناجية وهي السريعة. الاكتنان: اللجوء إلى الكِن أي إلى المخبأ، المكان المستور. لا تبين على اكتنان: لعلها لا يبْتْنَ على اكتنان: لا يلجأن إلى مكان مستور يبتن فيه (لأنهن معتادات على سُرى الليل).

٣٣ ـ الكُدْريّ: القطا الكدري (الأغبر اللون)، وعوازب الكُدْري: القطا المبتعدة عن بقية السرب؛ وتبتعد لتضع بيوضها وتنتجها. وهنًا: متكاسلة، متعبة. كأنها قُمْرُ الأفاني: القُمرُ الكُدْر؛ والأفاني جمع أفانية. وهي بنت من الجُنْبة، شجرة صغيرة، مجتمع ورقها كالكُبّة، غبيراء. (وهذا ما شبه به صغار القطا الكدر). ورقها وعيدانها شبه الزّغَب. يشبّه بفراخ القطا حين يشوّك أي ينبت شوكه.

إنها تثير في جريها القطا المغبرة اللون المبتعدة عن السرب، فتنهض متكاسلة عن فراخها، فتظهر هذه كأنها كبّات ورق الأفاني، حين يعلوها الشوك.

٣٤ ـ يطأن: يَدُسْن. خدوده: خدود الليل. متشنّعات: جاذّات، مسرعات. على سُمْر: هي أخفاف الإبل السمراء. تفض حصى المِتان: تطيّر الحصى وتفرقه على صفحة الأرض الصلبة. (المتان: جمع المَتْن، وهو ما صلُب ظهره).

٣٥ ـ سرين جميعه: سرن في الليل كله. حتى تولى: حتى غاب. انكب للجران: وقع على وجهه. المعبَّد: البعير المطلي بالقطران، ويسودّ لونه بلون القَطِران. به شبه الليل. (الجران: العنق).

سرن ليلًا حتى انقضى الليل كله وغاب كبعير أجرب مطلي بالقطران، انكبّ على وجهه جثة هامدة.

٣٦ ـ وشقّ الصبح أخرى الليل: نور الصباح المنبثق شقّ مؤخرة الليل المولّي. شقًّا جماحَ أغرّ: شقًّا جامحًا جماح أغر. والجموح هو الانطلاقة العنيفة. الأغر: الجواد الأهوج الصغير السن. منقطع العنان: انقطع لجامه فلا طريقة لوقف جموحه.

٣٧ ـ ما سلمى بسيئة المحيا: ليست سلمى بشعة الوجه. ولا عسراء: ولا فتاة تستعمل يسراها بدل يمناها (وكانوا يتشاءمون بذلك). عاسية البنان: غليظة أطراف الأصابع.

٣٨ ـ ألا قَدْ هاجَني فازْدَدْتُ شَوقًا بُكاءُ حَمامَتَينِ تَجاوَبانِ
٣٩ ـ تَنادَى الطَّائرانِ بِصُرْمِ سَلمَى على غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبانِ
٤٠ ـ فَكانَ البانُ أَنْ بانَتْ سُلَيْمَى وبِالغَرْبِ اغْتِرابٌ غَيرُ دَانِ
٤١ ـ ولَو سألَتْ سَراةَ الحَيِّ عَنّي على أَنّي تلوَّنَ بِي زَمانِي
٤٢ ـ لَنبَّأَها ذَوُو أَحْسابِ قَومِي وأَعْدائِي فَكُلٌّ قَدْ بَلانِي
٤٣ ـ بِدَفْعِ الذَّمِّ عن حَسَبِي بِمالِي وزبُوناتِ أَشْوَسَ تَيَّحانِ
٤٤ ـ وأنِّي لا أزالُ أخا حِفاظٍ إذا لَمْ أَجْنِ كُنتُ مِجَنَّ جانِ

---

٣٨ ـ ألا قد هاجني: قد أثار وجدي وغرامي. بكاء حمامتين تجاوبان: تبكي الواحدة فتجيبها الأخرى باكية.

٣٩ ـ تنادى الطائران: نادى أحدهما الآخر. والطائران من طيور الشؤم. كالغربان والبوم. فإذا سمعهما العربي تشاءم. وهذان الطائران كان أحدهما يقع على غصن بان والآخر على غصن من شجر الغرب. وكلاهما كانا ينذران بهجر سَلمى لي.

٤٠ ـ فكان البان: يستثمر فكرة التشاؤم بكامل عناصرها: الطائر والصوت والمكان.
فالطائر الأول كان على غصن بان والنتيجة أن بانت، أي ابتعدت سليمى.
والطائر الثاني كان على غصن غرب والنتيجة أن اغتربت إلى بلد آخر. غير دانٍ: بعيد.

٤١ ـ ولو سألت سراةَ الحي: لو سألت خيار أناس الحيّ. على أن قد تلوّن بي زماني: عن زماني كيف تغيّر عليّ.

٤٢ ـ لنبّأها: لأخبرها. ذوو أحساب قومي: ذوو الأحساب أي الأشراف من قومي. وأعدائي: وذوو الأحساب من أعدائي. فكلٌّ: فكلا الفريقين. قد بلاني: قد جرّبني وخَبَرَني.

٤٣ ـ بدفع الذمّ: بإبعادي الذم (ويكون الذم على التقصير في المكارم) عن حسبي: يقصد عن شرفي. بمالي: ببذلي المال في المكرُمات. وزَبّونات (أي وبزبوناتٍ): جمع زبونة: وهي الدفع والمنع. أشوس: متكبر ذي أَنَفَة. تيّحان: عِرِّيض، مقدام.
أي وبدفعي دفعَ متكبّر ذي أنفة، عِرِّيض، مقدام.

٤٤ ـ وأني لا أزال: (ولنبّأها أني لا أزال). أخا حفاظ: صاحب مواقف في الحروب وأمجاد أحافظ عليها. إذا لم أجنِ: إذا لم أكن أنا صاحب مصلحة في الحرب. كنتُ مجنّ جانٍ: بحثت عن جانٍ أشعل حربًا فكنت له حاميًا وعنه مدافعًا.

١٧ ـ ألا إنني منهم وعِرضي عرضُهم
المتلمّس(١)

أولاً: الإطار

كان المتلمّس في أخواله بني يشكر. ويقال إنه وُلد فيهم ومكث فيهم حتى كادوا يغلبون على نسبه. فسأل عمرو بن هند يومًا الحارث بن التوأم اليشكري عن المتلمس وعن نسبه. فأراد أن يدّعيه (في بني يشكر) فقال قصيدته:

ثانيًا: القصيدة

وقالَ المُتَلَمِّسُ، يعاتبُ خالَه الحارثَ بنَ التوأم اليشكريَّ: [من الطويل]

١ ـ تُعَيِّرُني أُمِّي رجالٌ ولَن تَرَى ... أَخا كَرَمٍ إِلَّا بِأَن يَتَكَرَّما

٢ ـ ومَن يَكُ ذا عِرْضٍ كَرِيمٍ فَلَم يَصُنْ ... لَه حَسَبًا كانَ اللَّئيمَ المُذَمَّما

٣ ـ وهَل لِيَ أُمٌّ غيرُها إِنْ تَركتُها ... أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَكونَ لَها ابْنَما

---

(١) هو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب... من ضبيعة بن ربيعة. والمتلمس من شعراء الجاهلية المقلّين، المفلّقين. وجعله ابن سلّام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية. وهو خال طرفة بن العبد، قدم معه على ملك الحيرة عمرو بن هند فنادماه فترة ثم هجياه كلاهما. فأراد التخلص منهما وخاف نقمة بكر قبيلة طرفة فأوهمهما أنه يكتب لهما إلى عامله على البحرين أن يكرمهما، في حين كان يطلب منه قتلهما. وقد شك المتلمس في رسالته التي يحملها، ففتحها وعرف مضمونها. فألقاها وهرب. واشتهرت صحيفة المتلمس في التاريخ. أما طرفة فرفض فتحها وأوصلها وقُتل بها.

١ ـ تعيّرني أمي رجالٌ: هناك رجالٌ يعيرونني بنسب أمي. ولن ترى أخا كرم: لن ترى من ينتمي إلى الكرم بمجرد كلام. إلا بأن يتكرّما: فالكريم هو فقط من يقوم بعمل الكرم: المقصود أن الرجال لا تقوّم بانتمائها وإنما تقوَّم بفعالها.

٢ ـ مَن يكُ ذا عرض كريم: من يكن متحدرًا من أصل كريم. فلم يصن له حسبًا: لم يحم عرضه بأن يقوم بالأعمال التي تشرّفه وتُعلي من قيمة حسبه. كان اللئيم المذمما: كان الدنيّ الذي يستحق الذم، (وإن كان ذا حسب).

٣ ـ فهل لي أمٌّ غيرُها إن تركتُها: لو أنني تخليت عن أمي، فهل بإمكاني إيجاد أم سواها؟. أبى الله إلا أن أكون لها ابنما: إنها إرادة الله، هي التي جعلتني لها ابنًا.

٤ ـ أحــارثُ إنّــا لَو تُــســاطُ دِمــاؤُنــا / تَــزايَــلْنَ حَــتّــى لا يَــمَــسَّ دَمٌ دَمــا
٥ ـ أَمُنْـتَـفِلًا مِـنْ نَـصْرِ بُـهْـثَةَ خِلْتَنِي / ألا إنَّـنِي مِـنـهُـمْ وإِنْ كُـنـتُ أَيْـنـما
٦ ـ ألا إِنَّنِي مِـنـهُـمْ وعِـرضِـيَ عِـرضُـهـمْ / كـذِي الأَنْفِ يَحمِي أنفَه أَنْ يُصَلَّما
٧ ـ لِذِي الحلمِ قَبلَ اليَوم ما تُقْرَعُ العصا / ومـا عُـلِّمَ الإِنـسـانُ إِلَّا لِيَـعْـلَمـا
٨ ـ فـإِنَّ نِـصابِـي إِنْ سـأَلْـتَ ومَـنْـصِبـي / مِـنَ الـنَّـاسِ قَـومٌ يَقْـتَنُـونَ الـمُـزَنَّـما
٩ ـ وكُـنَّـا إذا الـجـبَّـارُ صَـعَّـرَ خَـدَّه / أَقَـمْـنـا لَهُ مِـنْ مَـيْـلِهِ فَـتَـقَـوَّمـا
١٠ ـ فَلوْ غَـيرُ أَخْوالي أرادوا نَـقيصـتِي / جعَلتُ لَهم فَوقَ العَرانينِ مِيسما
١١ ـ ومـا كُـنـتُ إِلَّا مـثـلَ قـاطِـعِ كَـفِّـهِ / بِـكَـفٌّ لَه أُخـرَى فـأَصْـبـحَ أَجْـذَمـا

---

٤ ـ إنا لو تساط دماؤنا: لو تُخلط دماؤنا لرفضت الاختلاط. تزايلن: تنافرن وتباعدن. حتى لا يمس دم دمًا: حتى لا تتلاقى نقطة من دمهم ونقطة من دمنا.
ذاك أن دماء الأعداء لا يمكن أن تختلط، في اعتقادهم.

٥ ـ أمُنتفِلًا: بمعنى أمنتفيًا، منكرًا. من نصر: من مناصرة. بهثة: هو ابن الحارث بن وهب من ضبيعة. خلتني: ظننتني. ألا إنني منهم: أقول بشدة: أنا منهم. وإن كنت أينما، بمعنى أينما كنت.

٦ ـ ألا إنني منهم: أنا فرد منهم. وعرضي عرضُهم: وشرفي هو شرفهم. كذي الأنف: كالذي يكون له أنف كبير ويحمي أنفه من أن يُجدَع.

٧ ـ لذي الحلم تُقرع العصا: هو مثل يعود تفصيله إلى حدث قديم بطله عمرو بن حمحمة الدوسيّ؛ وكان قد قضى بين العرب ثلاثمائة سنة حتى هرم وصار يشتط ويقل تركيزه. فوكلوا به أحد أبنائه لينبهه عندما يغفل. واتخذ العصا أداة تنبيه، فكان يقرعها له فينتبه. والمقصود أن كل إنسان يغفل حتى صاحب العقل الراجح. وما عُلِّم الإنسان إلا ليعلم: الله هيأ العلم للإنسان كي يتعلمه، وبذلك يطوّر نفسه.

٨ ـ فإن نصابي: فإن أصلي. ومنصبي: نسبي ومرجعي. يقتنون: يملكون. المُزَنَّم: من الإبل هو الذي جُعلت له علامة تدل على كرم أصله. والعلامة أن تقطع زنمة من طرف الأذن وتترك عالقة، فهي الزَّنَمَة.

٩ ـ كنا إذا الجبار: الملك العاني. صعّر خدّه: أماله صَلَفًا وكِبَرًا. أقمنا له: عدّلنا له. من ميله: من جبروته. فتقوّما: فعاد إلى السلوك القويم.

١٠ ـ فلو غيرُ أخوالي: لو كان غير أخوالي هم الذين. أرادوا نقيصتي: أرادوا وصمي بالعار وإذلالي. جعلت لهم: كنت جعلت لهم. ميسمًا: علامة عن طريق الكيّ، والعلامة تختص بالإبل تمييزًا لها من إبل الآخرين، وكذلك يوسم العبيد.

١١ ـ وما كنت إلا مثل قاطع كفه: ما كنت إلا مثل الذي يقطع كفه. بكف له أخرى: بكفٌ=

١٢ ـ فَلمّا استقادَ الكَفَّ بِالكَفِّ لَم يَجدْ | لَه دَرَكًا في أَنْ تَبِينا فأَحْجَما
١٣ ـ [يَداهُ أصابَتْ هَذه حَتْفَ هَذِهِ | فَلَمْ تَجِدِ الأُخرَى عَلَيْها مُقَدَّما]
١٤ ـ فأَطْرقَ إطْراقَ الشُّجاعِ ولَو يَرَى | مَساغًا لِنابَيْهِ الشُّجاعُ لَصَمَّما
١٥ ـ إذا ما أَديمُ القَومِ أَنْهجَهُ البِلَى | تَفَرَّى ولَو كَتَّبْتَه وتَخَرَّما
١٦ ـ إذا لَم يَزَل حَبْلُ القَرِينينِ يَلْتوِي | فَلا بُدَّ يَومًا لِلقُوَى أَنْ تُجذَّما

= ثانية. فأصبح أجذم: فيغدو أقطع. كنّى بكفيه عن نسبيه: نسبه إلى أهل أبيه، ونسبه إلى أهل أمه. وكنى بقطع يده عن قطع نسبه لجهة أبيه باعتماده اليد الأخرى، أي نسبه لأمه، لأنه كاد يعرف بانتمائه إلى أهل أمه ويخسر انتماءه الأبوي.

١٢ ـ استقاد: طلب القَوَد، وهو قتل القاتل بالقتيل. واستقاد الكف بالكف: طلب قطع الكف الثانية بما فعلته بالأولى. الدَّرَك: الحاجة والمطلب؛ ولما لم يجد له دركًا: ولما لم يجد من حاجته ومطلبه. في أن تبينا: أن تختفيا، أي في أن يخسر كلتا يديه. فأحجما: امتنع.
المقصود أنه عندما يقطع نسبًا فسيضطر بالمقابل إلى قطع نسبه الآخر، وسيخسر كلا النسبين. ولذلك توقف وامتنع (وقرّر المحافظة على النسبين معًا).

١٣ ـ يداه: هما كلتاهما يداه. أصابت هذه حتف هذه: أودت إحداهما بالأخرى. فلم تَجِد: فلم تحقد (من الوجد: الحقد) الأخرى: اليد المقطوعة. عليها مقدّما: عليها قبل ذلك.
هما كلتاهما يداه، إحداهما أودت بالأخرى، والأخرى لم تحقد مقدمًا (قبل ذلك) على الأولى.

١٤ ـ فأطرق: خفض رأسه وجَمُد. إطراق الشجاع: جمود الحية الذكر أمام الفريسة. ولو يرى مساغًا: وهو يبحث عن تفريغ لسمّ نابيه، فلو وجد مجالًا لذلك. لصمّما: لحزم أمره ونَهَش.

١٥ ـ إذا ما أديم القوم: إذا كان جلد القوم؛ وكفّ بالجلد عن الرابطة التي تجمعهم لأن الجلد هو الذي يجمع أعضاء الجسد. أنهجه: أخلقه. البِلى: الرثاثة. تَفَرَّى: تخرّق وتمزّق. وتخرّم: تفتّق. ولو كتّبته: ولو جمّعته وخرزته.
إذا ما أصاب الخَلَقُ الجلد فرثّ وتفتق وتخرّق، لا يعود الخرز ينفع فيه. وكذا رابطة النسب التي تجمع القوم.

١٦ ـ حبل القرينين: الحبل الذي يجمع بعيرين معًا. إذا لم يزل يلتوي: إذا لم يزل يخضع للفتل والشد والإرخاء. فلا بد للقوى: فلا بد لطاقات الحبل المفتولة. أن تجذما: أن تتقطع.
والمقصود أن النسب إذا لم يكن ثابتًا، بعيدًا عن التجاذبات والالتواءات، فسوف ينقطع، وعوضًا عن أن يصل يأخذ في التفريق.

١٧ ـ وقَد كُنتُ أرجُو أَنْ أكونَ لِخَلْفِكُمْ زَعِيمًا فَمَا أُحْرِزْتُ أَنْ أَتكلَّما

١٨ ـ لأُورِثَ بَعدِي سُنَّةً يُهتدَى بِها وأَجْلُوَ عن ذِي شُبْهةٍ أَنْ يُفهَّما

١٩ ـ أرى عُصَمًا في نَصْرِ بُهْثَةَ دائِبًا وتعذُلُني في نَصْرِ زَيدٍ فَبئسَ ما

١٧ ـ خَلْفكم: المتبقي منكم. زعيمًا: كفيلًا. ما أُحرزتُ: ما نلتُ. ما أُحرزت أن أتكلما: ما وجد مجالًا ليُسمَع كلامي.
كنت أتمنى أن أغدو كفيلًا للمتبقي منكم، ولكن لم أجد المجال للكلام.

١٨ ـ لأُورث بعدي: لأترك بعدي للأجيال التالية. سُنّة: خطة يُقتدى بها. يُهتدَى بها: تضيء الدرب. أجلو: أكشف. عن ذي شبهة: عمن يقع في التباس. أن يُفَهَّما: فيَفهم.
ما كنت أنويه كنت آمل أن يغدو نهجًا يرثه من يأتي بعدي ويقتدي به، وبذلك أكشف كل التباس عند من تشتبه عليه الأمور، فيفهم.

١٩ ـ أرى عُصَمًا: أرى أن عُصَم، وهذا الذي نفى انتسابه إلى ضبيعة. في نصر بهثة: في النسب إلى آل بهثة من ضبيعة. دائبًا: مستمرًا. وتعذُلُني: وتنفعني. في نصر زيد: عن الانتساب لزيد (وهو طبعًا من ضبيعة). فبئسما: فبئس ما تقوم به.
أرى أن شخصًا كَعُصَم ينتسب إلى بهثة ويستمر في ذلك، في حين أنك تمنعني من الانتساب إلى زيد؟ بئس ما تفعل.

فهرس المحتويات